الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية

رحلات غربية

(١١٨٧ — ١٣٥٠)

تأليف وتحقيق وترجمة

الأستاذ الدكتور سهيل زكّار

الجزء السابع والثلاثون

دمشق ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩م

الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية

١ — بيد المزيف(حجاج مجهولون) ١١٨٧ م

٢ — أرنــول ١١٢٢٠م

٣ — بورتشارد ١٢٨٠ م

٤ — لودولــف ١٣٥٠ م

١
بيد المزيف(حجاج مجهولون) ١١٨٧ م
حجاج مجهولون

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

لم يتوقف الارتحال إلى فلسطين منذ انتشار المسيحية في العالم، وغالباً ما جاء الارتحال إليها لأسباب دينية، وازداد الاقبال على الحج إلى فلسطين بعد انتصار عبادة الايقونات، مع الارتحال لزيارة الآثار المقدسة، وقد رأى الفرنجة الذين شاركوا في الحروب الصليبية، أنهم أنفسهم حجاجاً، وليسوا غزاتاً.

ونتيجة لهذا قام عدد كبير من الحجاج بتدوين أخبار رحلاتهم، وتركز اهتمامهم على مدينة القدس، واهتموا بالأماكن الأخرى في فلسطين مثل بيت لحم، والخليل، وسبسطيه ونهر الأردن،وما دونه الرحالة من أوربا هام جداً، ووثائقي، أفسده فقط محاولات المطابقة مع أخبار العهد القديم.

ومن كتب الرحلات، يمكن التعرف إلى خطط القدس وأهم الكنائس والبيع فيها، والأسواق واختصاصاتهاوأصحابها، ومن هذه الكتب نرى أن القدس في القرن الصليبي الأول كانت —على الرغم من إبادة سكانها من قبل الحملة الأولى — عربية من جميع الجوانب، إنها تحت الاحتلال الفرنجي، وأن الفرنجة ظلوا دوماً يشعرون في قرارة أنفسهم أنهم غرباء، ولذلك لم يقاوموا صلاح الدين سنة ١١٨٧ م إلاّ قليلا، ونشدوا سلامتهم، وسلموا القدس إلى المحرر المسلم.

وصحيح أن مدينة القدس حظيت من كتابات الرحالة بالنصيب الأكبر، لكن الأوصاف التي وصلتنا عن بقية أجزاء فلسطين والشام الجنوبي هامة جداً من الجوانب السكانية الاجتماعية، والزراعيةوالمائيةوالاقتصادية.

وأقـدم في المجلد الحالي اثنتـي عشرة رحلة تمت مـا بين ١١٨٧ — ١٣٥٠، أجملتهـا تحت أربعة عناوين، وهذه الرحـلات فيهـا مواد هامـة جـداً من الممكن ادراك قيمتهـا لدى التعـامل معهـا، وهناك في هذه الرحـلات مشكلة ضبط الأسماء، وتدقيـق المعلومـات حيث لا شك أن بعض الرحـالة نقل عن بعضهم الآخـر، فضـلاً عن هذا لم تكن ثقـافـة الرحـالـة كلهـا على مستـوى واحـد، بل تفـاوتت خـاصـة فيما يتعلق بمحتويات العهدين القـديم والجديد، وهنا نجد شيئاً كثيراً من التفاوت بمـواد الأوصـاف من حيث الحجم والـدقـة، وضبط الأسماء، لكن هذا لايقلل كثيراً من قيمـة المواد الأسـاسيـة وأهميتهـا للبـاحثين والقـراء المهتمين.

ويلفت الانتبـاه أن الرحـالة جميعاً على كثـرتهم، لم يشيروا إلى وجـود أحـد من اليهـود في فلسطين في القـرون: الثـاني عشر والثـالث والرابع عشر، ونستخلص من كل الرحـالة بأنهم شعـروا بأنفسهم غـرباء عن سكان فلسطين والشـام الجنوبي من عـرب مسلمين ومسيحيين، كما أنهم لم يشيروا إلى وجـود تناقضـات أو صراعات بين الفئات العـربيـة، وكما سلف بي القـول نظروا إليهـم نظرة واحـدة، وحملوا نحـوهم مشـاعـر واحـدة، فـالمسيحيين العـرب كـانوا في أبسط الحالات بالنسبـة إليهم هراقطة، أما المسلمين العـرب فكانوا بالنسبة إليهم غير مـؤمنين، وطبعاً الفوارق بين الهرطقة وانعدام الايمان ليست كبيرة.

وبرحلات هذا الجزء أكون قد قدمـت جل الرحلات المعروفة خلال قرني الحروب الصليبيـة مع نصف القرن الرابع عشر، والمتبقي لدي، هو ثلاث رحلات، اثنتـان قصيرتان نسبياً، وواحدة طويلة جـداً، جاءت في أربعـة أجـزاء، وهـي رحلة كتـاب عجـائب، وقـد حملت اسم فيلكس فابري، وقد أبدأ بتقديم نص هذه الرحلة بعد هذا الجزء مباشرة، أو بعد جـزء تاريخي، يحوي مـا نسب إلى متى البـاريسي، ذلك أنني مـا برحت

أسعى للحصول على نسخة من هذا الكتاب منذ ثلاث سنوات، وبذلت في سبيل ذلك جهوداً مضنية، أثمرت مؤخراً في بشائر بالحصول على صورة لأول طبعة لهذا الكتاب صدرت في منتصف القرن الماضي، وعلى طبعة جديدة صدرت عام ١٩٨٤، وطبعة أحدث، أعاد ناشروها النظر في عنوان الكتاب وحجمه ونسبته إلى مؤلفه.

وأعترف أن الحصول على المصدر مرهق مادياً ومعنوياً، لكن مع المثابرة والاخلاص يأتي التيسير من عند الله، ولولا تيسير الله وعونه ما كان بالامكان انجاز ما أنجز من مشروع هذه الموسوعة وتأمين مصادرها من مختلف أرجاء الأرض.

فلله الحمد دائماً وأبداً، ومنه أستمد العون والسداد، والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله وصحبه وسلم.

دمشق ٢٠ شعبان ١٤٢٠ هـ —٢٨ تشرين ثاني ١٩٩٩ م

سهيل زكار

١ — حاج مجهول
(الشطر المبكر من القرن الحادي عشر)
هنا بداية وصف الأماكن المقدسة

١ — الذي هو من الأجزاء الغربية من العالم، ويرغب بالذهاب إلى القدس، عليه أن يديم توجهه نحو الشرق، من حيث تشرق الشمس، ولسوف يجد أماكن الصلوات في القدس كما هي موصوفة فيمايلي:

٢ — في القدس حجرة مغطاة بحجرواحد، حيث المكان الذي كتب فيه سليمان كتابه بالحكمة، وهناك أيضاً جرى سفك دم زكريا، فيما بين المعبد والمذبح، وليس بعيداً عن هذا المكان، توجد الصخرة، التي يقدم إليها اليهود في كل عام، فيدهنوها، وينوحون، ثم يعودون وهم ينوحون، وهناك بيت حزقيال، ملك اليهودية، الذي إليه منح الرب ثلاث مرات، إطالة عمره خمس سنوات، وهناك أيضاً بيت كيفاس، والعمود الذي ربط إليه المسيح، ومن ثم جلد، وعلى مقربة من باب نابلس(باب دمشق الآن) توجد قاعة محكمة بيلايطس، حيث جرى الحكم على المسيح من قبل كبار الكهنة، وليس بعيداً عن هناك توجد الجلجلة، أو مكان أكرا(الجمجمة) حيث جرى صلب المسيح ابن الرب، وحيث أيضاً دفن آدم، الذي هو الإنسان الأول، وحيث قدم إبراهيم ضحية إلى الرب، وعلى بعد رمية حجر طويلة من هناك، باتجاه الغرب، يوجد المكان الذي فيه دفن يوسف الرامي الجسد المقدس للمولى يسوع، وهناك كنيسة جميلة البناء، شيدت من قبل الامبراطور قسطنطين، ومن جبل أكرا، وعلى بعد ثلاثة عشر قدماً باتجاه الغرب، يوجد وسط العالم: وعلى جهة اليسار، يوجد السجن الذي يقال بأن المسيح قد سجن فيه، وعلى جهة اليمين(اليسار) يوجد الضريح، وبجواره تماماً، هناك دير

لاتيني مكرس للقديسة مريم العذراء، وقد بني حيث كان بيتها يقوم، ويوجد في هذا المكان نفسه مذبح، قائم فوق المكان الذي وقفت فيه مريم أم الرب، ومريم كليفاس، ومريم المجدلية معها، وقفن يبكين وينحن، لأنهن رأين المولى فوق الصليب، وهنا قال يسوع لأمه«انتبهي أيها المرأة إلى ابنك»، وقال لحواريه:«انتبه لأمي»، وعلى بعد رميتي سهم من هذا المكان، باتجاه الشرق، يوجد هيكل الرب، الذي كان قد بني من قبل سليمان، والذي جرى تقديم المسيح فيه من قبل سمعان العدل، فعلى جهة اليمين لهذا الهيكل، بنى سليمان هيكله، وبنى فيما بين الهيكلين رواقاً جميلاً بأعمدة رخامية، وإلى اليسار من هناك توجد بركة الضأن.

٣ — وعلى بعد حوالي الميل من هناك، باتجاه الشرق، من الممكن رؤية جبل الزيتون، حيث صلى الرب يسوع إلى أبيه قائلاً:«أبي، إذا كان ذلك ممكناً» إلخ، وكتب دعاء الرب فوق صخرة، ومن هنا ك صعد إلى السماء، قائلاً لحوارييه:«اذهبوا، وعلموا جميع الأمم» إلخ، ويوجد فيما بين هيكل الرب وجبل الزيتون، وادي شعفاط، حيث جرى دفن مريم العذراء من قبل الحواريين، وهو الوادي الذي سوف يحكم فيه الرب بين الناس يوم الدينونة، وعلى مقربة منه هناك قرية اسمها جيسماني، وهناك، خلف بركة قدرون، توجد الحديقةالتي جرت فيها خيانة يسوع من قبل يهوذا، وعلى مقربة من هذا المكان يوجد ضريح النبي إشعيا، وعلى بعد ميل من هناك توجد قرية بيت عنيا، حيث أقام المولى العازر بعدما مضى على موته أربعة أيام، وفي المنطقة نفسها، وعلى بعد ثلاثة عشر أو ثمانية عشر ميلاً على الطريق إلى أريحا، توجد شجرة الجميز، التي تسلقها زكريا علّه يرى المولى يسوع، وفي الجهة الأخرى، وعلى بعد ميل من أريحا، يوجد نبع إيليا، الذي تولى مباركته، ورش فيه الملح، وعلى مسافة خمسة أميال من هناك يوجد نهر الأردن، حيث جرى تعميد الرب، وذلك على بعد ثمانية فراسخ عن القدس، وليس بعيداً عن هناك

يوجد الجبل، الذي حمل منه إيليا إلى السماء.

٤ — وتستغرق الرحلة من الأردن إلى جبل سيناء ثمانية أيام، حيث تجلى الرب لموسى داخل العليقة وأعطاه الشريعة، ويوجد في هذا المكان إبريق ماء عظيم، يتدفق بالزيت بدون توقف، وعلى مسافة سفر ثلاثة أيام من القدس، يوجد جبل الطور، حيث تحول شكل الرب، ويقال إنه يوجد عند سفح هذا الجبل: الجليل وبحر طبرية، الذي ليس بحراً، بل بحيرة، يتدفق منها نهر الأردن.

٥ — وعلى جهة اليمين لمدينة القدس، وعلى بعد رميتي سهم، يقوم جبل صهيون، حيث بنيت فوقه كنيسة من قبل سليمان، وهناك تعشى المولى يسوع مع حوارييه، وهناك أيضاً أنزل عليهم الروح القدس، وهناك أيضاً انتقلت مريم العذراء من هذا العالم، وأسلمت الروح، وحمل الحواريون جسدها الأعظم قداسة، من هناك إلى وادي شعفاط، وعند سفح هذا الجبل توجد بركة نبع سليمان، التي يتدفق الماء منها وينبع من الأرض.

٦ — وليس بعيداً عن هناك توجد شكيم، حيث بحث يوسف عن إخوته عندما جاء من وادي الخليل، وتوجد هناك الأرض التي أعطاها يعقوب إلى ابنه يوسف، وهناك دفن جسده، وعلى بعد ميل من هناك تقوم شيكار Sichar، حيث تحادث الرب مع المرأة السامرية، وليس بعيداً عن هناك المكان الذي تصارع فيه يعقوب مع الملاك.

٧ — وعلى بعد أربعة أميال عن القدس، باتجاه الجنوب، تقوم بيت لحم، وفي بيت لحم كنيسة بنيت بأعمدة من الرخام، وذلك في المكان الذي ولد فيه المسيح، وليس بعيداً من هناك، وعلى جهة اليمين، يوجد معلف الرب، وعلى بعد اثني عشر ميلاً من هناك توجد قلعة إبراهيم،التي تدعى باسم قلعة تقوع حيث دفن إبراهيم نفسه، وإسحق،

ويعقـوب، مع زوجاتهم، ويوجـد على جهة اليســار جبل يدعى -Dom
inus Vidit ، حيث تحدث الرب مـع إبراهيم، وحيث أراد إبـراهيم أن يضحي بابنه اسحق.

٢ — حاج مجهول
(قرن ثاني عشر)

١ — الذين يذهبون عبر الطريق العـالي من عكا إلى المدينة المقدسة، يصلون إلى مدينة الناصرة، وعلى فـرسخين من هناك يوجد جبل الطور، حيث تحول شكل المسيح، وقـرب هذا المكان نفسـه تقوم مـدينة طبرية، التي يجاورها بحر الجليل، حيـث صنع الرب كثيراً من المعجزات، وعلى بعد حوالي الفرسخين فوقها توجد المائدة، حيث أشبع الرب خمسة آلاف رجل بخمسـة أرغفـة وسمكتين، ويأتي بعد ذلك مـدينة سبسطيـة، التي ينبغي احترامها، بسبب آثـار القديس يوحنا المعمدان، ويـذهب الانسان من هناك إلى البئر، حيث جلس الرب، عندما تحادث مع المرأة السامرية.

٢ — ويذهب الانسان من هناك إلى المدينة المقدسـة، فيدخلها، وأول مـا يدخل إلى كنيسة القـديس اسطفـان، وهي قـائمة فـوق المكان الذي رجم فيه، ومن هناك يذهب الانســان إلى كنيسة الضريح المقدس، وأولاً إلى مكان الجمجمـة(أكــرا)، حيث عــانى المسيح وتألم، وهناك يقــوم الحجاج بعد تعبدهم له مع صلبـانهم، برمي صلبانهم على الأرض ثانية، إشارة إلى أنهم قد أكملوا تعهـدهم ووفوا بنذرهم، ويذهب الانسان من هناك إلى مذبح، من المعتقد أنه مبني فـوق قطعة من العمود، الذي ربط المسيح إليه وجلد، وهناك في الجوار، مكان منخفض، وجد فيه الصليب المقـدس، وهو عبـارة عن كهف تحت صخـرة معلقـة، والمذبح قـائم في الوسط، وهو مكرس للقـديســة حنة، أمـا المذبح الموجـود على اليســار فمكرس للقديس قرياكوس Quiriacus ، الذي كان اسمه أيضاً يهوذا،

وهو الذي أرى الصليب إلى الرجل الميت، ولدى رؤيته له، حدثت المعجزة فعاد إلى الحياة ثانية، واهتدى، وأقيم أسقفاً للقدس، وفي وسط شرفة الكهنة، هناك مكان يستحق احتراماً خاصاً، لأن المسيح، بعد إنزاله من على الصليب مدد هناك، وذلك قبل حمله إلى الضريح، ويوجد هنا مصباح دائم الاشتعال، أما المذبح العالي فمكرس إلى القديسة مريم، ويصل الانسان بعد هذا إلى الضريح المقدس، ولهذا الضريح مذبح موجود في جهة الجنوب(جهة الشمال)، وكنيسة جميلة، مكرسة للصليب المقدس، حيث جرى حفظ الصليب المقدس، وإلى جانب هذه الكنيسة هناك كنيسة أخرى، عائدة إلى السريان، يحتفظون هم بداخلها بصليب مقدس أيضاً، وفي نهاية هذه الكنيسة تقريباً، على الجانب الجنوبي(الشمالي) يوجد المكان الذي يدعى باسم«السجن»، حيث جرى سجن المسيح، في الوقت الذي جرى فيه إعداد مكان الصلب فوق الجبل، وتحت الأعمدة الخمسة للكنيسة جرى دفن الأربعين شهيداً، الذين نعرفهم من خلال عيدهم الذي يكون يوم الثامن من آذار، وعلى مقربة من مكان الجمجمة، يوجد مكان مغلق الباب، يقول القديس جيروم بأن آدم قد دفن فيه، ويقول بعضهم بأن آدم تلقى(من الصليب) في فمه نقاطاً من الدم، الذي سال نحو الأسفل، وبفعل ذلك قام من بين الأموات، ويوجد هناك ثلاث بيع صغيرة ملاصقة للكنيسة من جهة الجنوب، أقربها إلى الكنيسةمكرس للثالوث المقدس، أما أقصاها، وهي التي تطل على الطريق، فمكرسة للقديس جيمس الكبير، ويقال بأن الرب قد جلس في المكان الذي يقوم فيه المذبح الأوسط، وأن القديس يوحنا جلس على يمينه، والقديس جيمس على يساره، ولذلك تمنت أمهم ورجت أن يجلس أحدهم على يمينه، والآخر على يساره في ملكوته، ولقد قيل أيضاً بأن القديس يوحنا وقف فوق البقعة القائم عليها مذبحه، عندما أوكل المسيح إليه أمر العناية بأمه، ووقفت هذه العذراء الأعظم مباركة نفسها، تراقب آلام ابنها، فوق البقعة ، التي

يوجـــد عليهـا المذبح العـــالي، وخـارج الكنيســة الكبيرة، وإلى جــانب الجمجمة، هناك بيعـة صغيرة، مكرسة لمريم المجـدلية، وهي قائمـة فوق المكان الذي وقفت فيه المريمات الثلاث، وقت آلام الصلب.

٣ — وتقوم كنيسة القديس يوحنا المعمدان في المواجهة تقريباً، وهي تقابل الكنيســة الكبيرة، وهي جديرة بالاحترام والتشريـف لأمرين هما: بسبب آثارها الأكثر قداسة، وبسبب فضائلها المتفوقة الشهرة، حيث من الممكن أن يرى الانســـان هناك تنفيـذ ستـة(سبعـة؟) أعمال مســـاعـدة ورحمة(هي إطعام الجائع، وسقي العطشان، وإلبـاس العريان، وإيواء من لا مأوى لـه، وعيـــادة المريض، وزيارة السجين، ودفـن الموتى)، وعلى مقربة منهـا يوجد كنيسـة القديسة مـريم للاتين، المتميزة بسبب قـدمها، وللقيمة الجديرة بآثارها، ففيها يوجد رأس القديس فيليب، مع شيء من شعر القديسة مريم.

٤ — ويوجد على جبل صهيون المكان الذي ظهـر فيه الروح القدس للحـواريين على شكل ألسنة نارية، وأنـار قلوبهم، وهناك غسل(المسيح) أقدام حوارييه، وجعل توماس يلمس طرفه، وهناك تعشى المسيح أيضاً، وهناك المائدة نفسهـا التي تعشى عليها، وأمام البـاب يوجد المكان الذي يعـرف باسـم:«مكان الروح القـدس»، وهناك على الجانب الجنوبي المكان الذي يعـــرف باســم الجليل، وهوحيث قـــال:«إنني سـأذهب قبلكم إلى الجليل»، وفي مقابل هذا المكان وفـوقه، في الجانب الشمالي، يوجد المكان الذي فارقـت فيه مريم المبـاركة هذا العـالم، وفي نهاية هذا القسم، باتجاه الشرق، يوجـد مـذبح، جرى تحتـه دفن القـديسين: اسطفـان، وجماليل، وأبيباس، ونيقـوديموس، وخارج سـاحة الكنيســة في جهة الشمال هناك كنيســة مكرسـة إلى القـديس بطرس، وذلك فـوق المكان الذي قيل بأن المحاكمـة قد جـرت فيه، وفي خـارج المدينة توجد كنيسة تـدعى«كنيسة القـديس بطرس عند نداء الديـك»، وذلك فـوق المكان الذي بكى فيـه

القـديس بطرس بحـرقـة ومـرارة بعـد الانكار الثـالث للمسيح ونداء الديك، ذلك أنـه أخفى نفسـه هناك، وفي داخل الأسـوار، هناك أيضـاً كنيسة هي «كنيسة القديس بطرس في الأغلال» ، وذلك في المكان الذي احتفظ به هيرود مربوطاً بسلسلتين.

٥— وفي عـودة الانسـان إلى معبد الرب، فـإن المكان الأول الذي يواجهه هو مكان الحضـور المقدس، وإلى جـواره يوجد المكان الذي نام فيـه يعقـوب ورأى السلم، وتصـارع مع الملاك، وأقـام صخـرة لتكون عموداً، ويوجد تحت السدة، في الجانب الجنـوبي، قبو منحوت بالصخر، وهو يعـرف باسم«مكان الاعتراف»، لأنـه هناك قـابل المسيح المرأة التي قـال لها:«ما من إنسـان قد أدانـك»إلخ، وعند رأس الهيكل توجد بيعـة القديس جيمس، القائمة فوق المكان الذي ألقي من عاليه، ومن ثم قتل بعصـا القصار، وكـان جيمس هذا هو ابن ألفاكـوس Alphacus ، وهو قد كان الأسقف الأول للقدس، وليس بعيداً عن هناك من الممكن رؤية الأبواب الذهبية، التي دخل منها الرب إلى القدس، عندما جاء من جبل الزيتون يركب على ظهر أتان، ووقتهـا صرخ الأطفال:«المجد لابن داود»، وتفتح هذه الأبـواب يوم أحـد السعف فقـط، وفي يوم تمجيـد الصليب المقدس، ويرى الانسان بعـد هذا المهد، والحمام، وقبر سمعان، في مكان يقـال بأن المسيح قـد سكـن فيـه مع سمعـان لمدة سنة ونصف السنة.

٦ — وعلى مقـربة من باب المدينة، الذي يطل على وادي شعفـاط، توجد كنيسـة القديسة حنة أم القـديسة مـريم، التي ولدتها هناك وربتها ورعتها عندما كانت تسكن هناك، وعلى مقـربة منها توجد بركة الضأن، التي لها خمسـة أعمدة، وهذا هو المكان الذي شكل فيـه خشب الصليب لمدة طويلة ممراً للذيـن ذهبـوا إلى البركـة، ومهما يكن الأمـر فإن الداوية يعرضـون بركة أخرى، يقولون بأنها بركـة الضأن، ويذهب الانسان من

هناك إلى وادي شعفاط، حيث يوجد ضريح القديسة مريم، ويوجد هنا، أمام باب الدير مباشرة، مكان يعرف باسم جيسماني، حيث خانه يهوذا، وهناك صخرة قيل بأنها استسلمت ولانت أمام ضغط أصابعه، ويوجد في هذه البيعة نفسها أربعة أماكن منفصلة، حيث وجد حوارييه نيام، كل ثلاثة في مكان، وفي خارج ساحة الكنيسة، وعلى بعد حوالي رمية سهم، هناك كنيسة مكرسة للمخلص، بنيت فوق المكان، حيث صلى ثلاث مرات، وبدأ تعرقه الدموي يتقاطر منه، وعلى مقربة من دير شعفاط تجري مياه نبع قدرون، ويوجد هناك في هذا المكان، حيث عاش النساك، كنيسة مكرسة للقديس جيمس، ويوجد عند نهاية وادي شعفاط حقل الدم، وهو الحقل الذي شري بمبلغ الثلاثين قطعة فضية، لدفن الغرباء فيه، لأنه لا ينكر على أحد الدفن هناك.

٧ — ولدى صعود الحجاج لجبل الزيتون يصلون أولاً إلى الكنيسة التي تعرف باسم كنيسة الصلاة الربانية، لأنها تقوم حيث تولى المسيح تعليم حوارييه الصلاة الربانية، وهناك صخرة تحت المذبح كتب عليها بإصبعه شخصياً الصلاة الربانية، ويلي هذه الكنيسة كنيسة القديسة بليجيا، ومن الممكن رؤية مكان الصعود إلى السماء في الكنيسة التي بنيت فوق قمة الجبل، وعلى مقربة منها تقع قرية بيت فاجي(بيت الفك)، ويذهب الانسان من هناك إلى بيت عنيا، ومن بيت عنيا يذهب الانسان إلى نهر الأردن، وأولاً إلى أريحا، حيث توجد حديقة إبراهيم، ويجري هنا النهر الذي تتدفق مياهه من نبع إلياس... في المكان الذي كان فيه اثني عشر بئراً وسبعين شجرة نخيل، وعندما يصل الانسان إلى هناك، يجد على جهة اليسار، مكاناً جرى تحصينه من قبل رجال الدين، وهو المكان الذي يعرف باسم القرنطل، لأن المسيح صام هناك لمدة أربعين يوماً، ويوجد عند قمة الجبل الذي حاول الشيطان أن يغويه فيه، ومن هناك يذهب الانسان إلى الأردن.

٨ — وهناك أيضاً مكان خارج مدينة القدس، يدعى«مقبرة الأسد»، حيث جـــرى دفن عــدد كبير من القـــديسين، وبعـــد هـذا هناك دير للجـــورجيين يدعى(عند الجذل» أو«عند بقيــة الجذع»، لأنه كما يحكى، جرى قطع خشبـة الصليب المقدس في ذلك المكان، ويقـوم المذبح حيث كـان الجذل ، ويوجـد على الطريق الذي يقـود إلى بيت لحم قبر راحيل، والمكان الذي يبجل فيه إلياس، وهناك كنيسـةمكرسة له قد بنيت هناك، وهناك المكان الذي ولد فيـه الـرب.... وهناك دفن جيروم، وهناك آثار كثيرة للأبرياء المقـدسين، وليس بعيـداً عن هناك يوجـد المكان الذي يدعى باسم«المجـد في الأعـالي»، لأنه عندمـا ولد الرب سمعت الملائكة وهي تغني«المجد للرب في الأعالي»، ولدى ذهاب ألانسان نحو القديس إبراهيم في الخليل يواجه جـذور البلوطة، بلوطة(جبل) ممرا، ويوجد في هذا المكان أيضـاً كنيسـة مكرسة للثـالوث المقـدس، وفي الخليل يوجـد المكان الذي قتل فيـه قـابيل أخاه هابيل، وهنـاك أيضاً الجبل الذي قـدم عليـه كل واحـد منهما تقدمـة إلى الـرب فيهـا أول ثماره، وكـذلك من الممكن رؤية الأرض التي صُنع منهـا آدم، وفي العودة لابد للانســان من أن يمـر من خلال كنيسـة القديس يوحنا المعمـدان، وذلك فوق البقعـة التي بشر فيها بالقفار، بالتعميد والتـوبة، ويوجد في ذلك المكان نبع ماء لايتـوقف عن التـدفق، وهو قـد اندفع من الأرض أثناء صـلاته، وقت القيـام بتبشيره، ويمضي الانسـان من هناك إلى القـديس زكـريا، أي إلى المكان الذي اعتاد على العيش فيه مع القديسة ايزابل، وذلك عندما كان يؤدي واجبه ككاهن، وفي ذلك المكان قامت مريم المباركة بتحية ايزابل، فقفـز الطفل وتحرك داخل رحمها، ويذهـب الانسان من هناك من قلعـة تدعى عمواس إلى المدينة المقدسة.

٩ — وعلى مقربة من المدينة يوجـد موقع صهيـون، حيث يقوم الآن دير إغريقي، وعلى جهـة اليسار، على مقربة مـن جبل الزيتون هناك دير

للسريان، وفي الوادي فيما بين جبـل الزيتـون وجبل صهيـون...، ومن الممكن للانسان أن يرى من على جبل الزيتون البحيرة التي تدعى باسم البحر الميت، حيث دفنت المدن الأربع، أي: سدوم، وعامورة، وبقيتهم، وتم ابتلاعها، ويدخل الأردن إلى البحيرة، وهناك يضيع.

١٠ — ويوجـد في المدينة هناك دير لليعـاقبـة، حيث يوجـد رأس القـديس جيمس، وذراع القـديس اسطفان، اللذان كـانا أول الشهـداء، ويمتلك اليعاقبـة أيضاً كنيسة القـديسة مـريم المجدلية، حيث يعـرضون هناك بعضـاً من شعـرها، وبالنسبـة لكنيسة الضريح المقـدس إن البـاب الذي يطل على البيعة ملك للسريان، حيث يحتفظون بالصليب المقدس، وفي ذلك الباب بالذات وقفت القديسة مريم المصرية، ولم يكن بإمكانها الدخول إلاّ بعد توبة حقيقية.

٣ — حاج مجهول
(القرن الثاني عشر)
هذا هو الطريق إلى الأرض المقدسة

١ — يعبر الانسـان البحـر أولاً من ميناء برنديزي، وبـرنديزي هي مدينة في مملكة أبوليا، وبعد سفـر ثلاثة أيام، وثلاث ليال يصل الانسان إلى مدينة كلارنس Clarence التي تقوم في جزيرة رومانيا، ويوجد هناك خمرة صافية ورائعة، وهضاب معشوشبة، ووفرة من الهواء العليل، ويوجـد في تلك الجزيرة مـائـة وثـلاث وعشرين مـدينة جيـدة، ونسـاء جميلات،ويرتحل الانسان من كلارنس مسافة مائة ميل في البحر إلى قلعة مـدينة ثورون Thoron حيث هناك جـزيـرة جيـــدة، وكثيراً من البلدات، والحدائق.

٢ — ويمضي الانســان من ثـورون بوســاطة البحـــر إلى مــدينة الخندق[في كـريت]، التي هي جزيرة يمتلكهـا الاغريق، وهي تبعـد عن ثورون مسـافة ثـلاثمائة ميل، ويوجـد في هذه الجزيرة اثني عشرة مـدينة رائعة، وكروم جيدة، وأشجـار مثمرة تحمل صمغاً ثميناً، ومختلف أنواع الأعشاب الطبية، والعقاقير العطرية وكثيراً من الجواهر الثمينة، والثياب الفاخـرة، ويسافر الانسان من الخندق بـوساطة البحرمسافـة ستمائة ميل إلى قبرص، التي هي مـدينة فـوق جبل مرتفع جـداً، مع جـزيرة صغيرة فيهـا تسع مدن، وكـروم جيدة، ونبـاتات متنوعة، ويمضي الانسـان من قبرص بوساطة البحر، ويسافر مسافة مائة ميل إلى ميناء مدينة بافا Baf-fa ،التي تمتلك السلطة على أكثـر من مـائـة واثنتي عشرة جـزيرة في البحـر، ويوجـد هناك كروم رائعـة، وأعشـاب عطرية، وأحجـار ثمينة، ومختلف الأنواع من البضـــائع التجـارية، والرجـــال الحرفيين البـارعين

والنسـاء الجميـلات، البارعـات في شغل الابرة، والتقيـات المخلصـات جـداً، وبشر في هذا المكان القديس مـرقص الانجيلي، وعمل كثيراً من المعجـزات، زد على هذا تستغرق الرحلة إلى بافـا Bapha (كذا) إلى ليماتزو Lymatzu(ليماسـول) مـدة يومين براً، التـي هي مـدينة مقـر طائفـة فـرسان (الاسبتـارية) القـديس يوحنا المعمـدان(كـذا والصحيح يوحنا المعطاء) وأيضـاً مـركـزاً لفرسـان الداوية(١)، وكـذلك تستغـرق الرحلة من ليماسـول إلى فيماغوستـا يومـاً واحـداً بالبحر، ويوجـد هناك مركز طائفـة فرسان القديس ألعـازر، والروح القدس، ويذهب الانسان أيضـاً من نيقوسيـا، ويرتحل بحـراً مسافـة مـائة ميل إلى مـدينة قبرص، ويوجد في تلك الجزيرة مائة وثلاثين مـدينة، مع قلاع جيدة، ونبيذ حلو رائع، ورجال عليهـم مسحة من الجمال والرشـاقة، وهم أقويـاء ورجال شجعان، وهي مملكة عظيمة، وعلى درجـة كبيرة من الثراء، وصنع هناك القـديس باتريك Patrick كثيراً من المعجـزات خـلال حيـاته، وهناك مـدفون أيضـاً القـديس يوحنا الذي ذهب مع المسيح إلى صلبـه، ويذهب الانسـان أيضاً من جـزيرة قبرص إلى قلعـة أساريمـوم Asar-imum (؟)، ويرتحل بوسـاطة البحر نحـو مملكة أرمينيـا، هذا ويبلغ محيط منطقة قبرص كلها ستمائة ميل.

٣ — وإذا ما رغب الانسـان بالسفر أبعـد نحو مدينة القـدس، عليه أن يغادر ميناء مدينـة فاموم Phamum (فيماغوستا؟)، وأن يرتحل بوسـاطة البحر مسـافة ثلاثمائـة ميل إلى مـدينة يافا، فهناك بداية البـلاد

١ — يفيـد هذا أن هذه الرحلة قـد كتبت بعد طـرد الصليبيين من الأرض المقدسـة، أو كما يرى بعض الكتـاب، كـان ذلك أيام رتشـارد قلب الأسـد، الذي احتـل قبرص لدى قـدومـه للمشاركـة في الحملة الثالثة، ذلك أنه باع هذه الجزيرة إلى طائفـة فرسان الداوية، ثم أعـاد بيعها إلى غي لوزغنان، ملك القدس، الذي وقع بالأسر أيام حطين، ثم أطلق سراحـه صلاح الدين، وحرره من الأسر.

الأساسية، أي أن تقول أرض الميعاد، ويسافر الانسان من يافا إلى القدس براً، فيمر بالرملة، التي تبعد مسافة اثني عشر ميلاً، وهي مدينة جميلة.

٤ — وكذلك إن المسافة من الرملة إلى القدس — المدينة المقدسة — هي ثمانية وثلاثين ميلاً، وذلك عبر البر، ويوجد في القدس ضريح المسيح، وهناك كنيسة عظيمة مستديرة، لها ثلاثة أبواب فائقة الجمال من الرخام، ويوجد في هذه الكنيسة الآن موضع الجمجمة، وهي صخرة عظيمة يبلغ طولها طول رجل، ويوجد في هذه الصخرة فتحة، قيل بأنها هي وسط الأرض، وفي هذه الفتحة كان صليب الرب قد وضع، وقد دفن المسيح بجوار الجمجمة، والصخرة التي وضعت على فم قبره هي صخرة كبيرة حمراء، ويوجد فوق ضريح الرب مصباح دائم الاشتعال والإضاءة، وهو مزين بشكل رائع، ويشتعل من قبل نفسه كل سنة في الساعة التاسعة من يوم الجمعة الحزينة، ويشتعل من قبل نفسه ثانية يوم عيد الفصح، في ساعة قيام المسيح، ويقال بأن هذا المصباح قد وضعه هناك، تشريفاً للضريح المقدس، كل من مرثا مع أخيها ألعازر.

٥ — ومن القدس أيضاً مسافة سفر يوم واحد، أو أربعة أميال، إلى مدينة بيت لحم، وكان المسيح قد ولد في بيت لحم، لكن خارج المدينة، وقد بني في ذلك المكان كنيسة، جرى تكريسها للعذراء الرائعة، وهذه الكنيسة موجودة الآن داخل المدينة، ويوضع في هذه الكنيسة الذين تلبسهم الشيطان، وجميع الذين وقعوا مرضى، حيث يحظون بالشفاء أمام أعين الناس جميعاً، كما ويتم صنع عدد آخر من المعجزات هناك يومياً، فضلاً عن هذا، يحدث سنوياً في منتصف الليل، وفي الساعة التي ولد فيها المسيح، أن تقوم جميع الأشجار الموجودة حول مدينة بيت لحم بطأطأة أغصانها وانحنائها نحو الأرض باتجاه المكان الذي ولد فيه المسيح، وعندما تشرق الشمس تقوم برفعهم بشكل تدريجي، وتعيدهم

إلى وضعهم الطبيعي ثانية.

٦ — وكـذلك تحتـاج الرحلة من بيت لحم إلى نهر الأردن، إلى سفـر يوم واحـد ، وذلـك إلى حيث جـرى تعميـد المسيح من قبـل يوحنا، وكذلك تستغرق الرحلة من الأردن ميـلاً واحداً..... إلى جبل الزيتون، وبين جبل الزيتـون وجبل صهيـون، وادي شعفــاط، وهو مكان فـائق الجمال.

٧ — وكذلك تستغـرق الرحلة من القدس إلى النـاصرة مدة يومين، وفي الناصرة بشر الملاك جبرائيل العــذراء مـريم بالمسيح، ويـوجـد هنا أيضـاً كنيسة جميلة تدعى كنيسـة البشارة إلى مـريم ، مبنية هناك، وفيهـا جرى صنع عـدد كبير من المعجزات، وما برحت هذه المعجـزات تظهر هناك حتى في هذه الأيام.

٨ — ومثل هذا يوجـد في وادي شعفــاط كنيسـة عظيمـة بنيت من الحجـارة، يوجد فيهـا ضريح المعبـودة العذراء مـريم، وكـذلك مذبحـاً عاليـاً، منحوتاً كله من صخـرة واحدة، حيث يقال بأنـه قد صنع بأيدي الملائكة، وفي تلك الكنيسـة رائحـة قديمـة لا مثيل لها بالطيبـة، علماً أنه ليس بإمكان جميـع الرجـال شمهـا، بل يستطيع ذلـك فقط العـذراوات المخلصات والتقيـات، ولقد قيل يوجـد في هذه الكنيسة غفـران عظيم، يمنح لكل واحـد مـؤمن بالمسيحيـة، سـوف يأتي إلى هناك أثناء حجـه، وذلك في يوم عيد رفع العذراء الرائعة، على أن يكون قد اعترف وأعلن التـوبة من جميع ذنوبه، يضـاف إلى هذا هو سـوف يحلل من ذنوبه ومن العقوبة التي يستحقها بسببها.

٩ — أيضـاً تستغرق الرحلة من الناصرة إلى مـدينة أريحا مدة خمسـة أيام، وأريحا مكان جميل، فيـه وفـرة مـن الكروم، والتربة هناك خصبـة، وهناك أعـاد الرب البصر إلى عيني رجل أعمى كان يصرخ على جـانب

الطريق، وبني على هـذه البقعـة كنيسـة تـدعى باسم كنيســة معجـزات المسيح.

١٠ — وأيضـاً تستغـرق الرحلة من أريحا إلى مـدينة السامـرة أربعـة أيام، وهناك يوجــد جب يعقـوب، وإلى جـانــب هذا الجب حـدث أن عطش الرب وهو على طريقه، فطلب الماء من امرأة كانت مذنبة.

وكذلك من السامرة...

٤ — حاج مجهول
(ليس أبكر من القرن الثاني عشر)

١ — يصل الانسـان على الطريق الأقصر من فيماغوستـا إلى الأرض المقدسـة،في: اليوم الثالث إلى عكا، وإلى يافـا في ثلاثة أيام وثلاث ليال، وتقع عكا في منطقـة أدنى، ويذهب الانسان أول مـا يذهب من قبرص عبر البحر إلى مدينة يافا، في خـلال ثلاثة أيام وثلاث ليال، والمسافة من يافا إلى الرملة ثلاثة أميال ألمانية.

٢ — ويستغرق السفرأيضاً من الرملة إلى مدينة القدس المقدسة يوماً واحداً، وقد بنيت مدينة القدس فـوق جبل صهيون، ويوجد في القدس الضريح المقـدس للرب، كما ويوجـد خـــارج المدينة ثلاثة أمـاكن، صلى فيهم المسيح للرب، وهناك مكان مرئي هناك، تحت جبل الزيتون نفسه، حيث جلس حـواريوه وهم نـائمين نومـاً عميقـاً، كما يمكن هناك رؤية المكان الذي اعتقل فيـه المسيح داخل الحديقـة، كما يمكن أن يرى هناك بيت حنة، الذي جلب إليه المسيح أولاً، وهو مـوجود داخل المدينة، كما يوجد هناك بيت كيفاس، كما وهناك أيضـاً بيت بيلايطس، وكذلك بيت هيرود، وأيضاً هناك المكـان الذي جرى فيه جلد الرب، وكـذلك المكان الذي وجد فيه مجرماً وحكم عليـه بالاعدام، يضاف إلى هذا حمل الرب صليبه من خـلال الباب الحديدي، عندمـا ذهب إلى موته، وهنـاك أيضاً المكان الذي قابلت فيه العذراء الأم ابنهـا، ولم تكد تعرفه بسبب الاعياء الشـديد والاضطراب، ويوجـد هنـاك الخمس عشرة درجـة التي مضى عليهـا الرب إلى مــوضع الجمجمـة، ويوجـد هناك أيضـــاً المكان الذي صلب فيــه، والمكان الذي ثبت فيــه الصليب في الصخــرة، كما وهناك المكان الذي مُـدد فيه الرب بعـد إنزاله من على الصليب، وهناك أيضـاً

المكان الذي لفّ فيه الرب بقماش كتاني جيد، ومن ثم مدد في الضريح الأكثر قداسة، وهناك أيضاً المكان الذي ظهر فيه الرب أولاً إلى مريم المجدلية، وكان ذلك بعد قيامته، وهناك أيضاً المكان الذي وجدت فيه القديسة حنة(هيلانة) الصليب المقدس للرب، وأيضاً هناك المكان الذي مدد فيه صليب الرب، فوق رجل ميت فعاد إلى الحياة من جديد.

٣ — وهناك أيضاً المكان الذي ظهر فيه الرب لحوارييه، عندما كانوا جالسين فوق جبل صهيون في مكان منعزل والأبواب مغلقة عليهم، وكان ذلك بعد القيامة، ويوجد أيضاً فوق ذلك الجبل نفسه المكان الذي حدث فيه أن وضع توماس إصبعه على جنب المخلص، ويوجد على ذلك الجبل نفسه المكان الذي أرسل الرب فيه وأنزل الروح القدس على حوارييه، ويوجد أيضاً على ذلك الجبل نفسه المكان الذي تعشى فيه الرب مع حوارييه يوم خميس الغسل، وقد دفن على ذلك الجبل نفسه الملك داود، كما يوجد على ذلك الجبل نفسه بيت القديسة مريم، الذي عاشت فيه بعد قيامة ابنها المحبوب، وهناك أيضاً المكان الذي مرضت فيه تلك العذراء الممجدة نفسها وماتت.

٤ — ويوجد هناك أيضاً بيت القديسة حنة أم(جدة) الرب حيث هناك حملت بالعذراء الرائعة، وهناك أيضاًبيت سمعان المجذوم، حيث غفر لمريم المجدلية ذنوبها الكثيرة، وأيضاً هناك التماثيل الأربعة التي تعرقت دماً، وما زالت تفعل ذلك حتى هذا اليوم، وذلك تعاطفاً مع الرب، وأيضاً دخل الرب إلى المدينة يوم أحد السعف من خلال الباب الذهبي.

٥ — وهناك أيضاً خارج المدينة وادي شعفاط، حيث يوجد فيه ضريح مريم العذراء، وهناك أيضاً بركة سليمان، التي استحم فيها الرجل الذي ولد أعمى، وهو الذي رد الرب البصر إليه، كذلك يوجد في داخل المدينة هيكل سليمان، وبركة الضأن، كما أنه يوجد خارج

المدينة حقل الفاخوري، أي حقل الدم.

٦ — كذلك ظهر الرب على جبل الزيتون لحوارييه، بعد قيامته، وأيضاً صعد الرب من على ذلك الجبل نفسه إلى السماء، ويوجد كذلك في ذلك المكان نفسه ضريح القديسة مريم المصرية.

٧ — وهناك أيضاً يافا، التي ولد فيها كل من الرسولين المقدسين: جيمس، ويوحنا الانجيلي، وهي تبعد مسافة رحلة يومين عن القدس، باتجاه الشمال.

٨ — وهناك أيضاً جبل القرنطل، حيث صام الرب، وحاول الشيطان إغواءه، وهو يبعد عن القدس مسافة خمسة أميال ألمانية وافية، ويوجد في ذلك المكان نفسه أيضاً، حديقة إبراهيم، وذلك حيث دفن هذا النبي المقدس، وهناك نهر الأردن حيث جرى تعميد الرب فيه، وهو على بعد حوالي الاثني عشر ميلاً ألمانياً عن القدس.

٩ — وهناك أيضاً الناصرة، التي جرى التبشير بالرب فيها، وفيها تمّ الحمل به، وهي تبعد حوالي سفر ثلاثة أيام عن القدس، وهناك أيضاً عكا، حيث يوجد حقل الرب، وهي تبعد عن القدس مسافة رحلة ثلاثة أيام، وذلك على الطريق نفسه إلى الناصرة.

١٠ — وهناك أيضاً وادي الخليل، حيث يقال بأن آدم دفن فيه... على ميل واحد عن القدس، والخليل أبعد بأربعة أميال.

١١ — وهناك أيضاً بيت عنيا، حيث أقام الرب ألعازر من الموت، وهي على مسافة خمس عشرة غلوة عن القدس، وعلى بعد رمية حجر من أمام واجهة قلعة بيت عنيا، يوجد المكان الذي التقت فيه مرثا ومريم بالرب، لترجوانه لإقامة ألعازر من الموت، ويوجد في بيت لحم(بيت عنيا) بيت سمعان، الذي دعا إليه الرب، وهناك أيضاً البيت، الذي جرى استضافة الرب به، وعمل هذا البيت كنيسة تشريفاً

للأختين، وهناك أيضاً ليس بعيداً عن ذلك البيت نفسه تقوم بيعة مبنية من الرخام، فوق البقعة التي قام ألعازر فيها.

١٢ — وقد رأينا الممر المنحدر من جبل الزيتون حيث صرخ أطفال العبرانيين وهتفوا إلى الرب قائلين:«المجد في الأعالي»، وحيث بكى الرب على المدينة، ويذهب الانسان من هناك ويسير بين مكان صلاة يسوع، والمكان الذي اسمه جيسماني، حيث جرى اعتقاله، وأخذه إلى الجلجلة.

١٣ — ويحمي وادي شعفاط، الذي يوجد فيه ضريح سيدتنا، المدينة من جانب واحد، ويوجد في ذلك المكان الآن كنيسة، غير أنها قائمة على عمق ستين درجة تحت الأرض، وهناك بيعة الضريح، وذلك أمام حجر المذبح، وتحت هذه البيعة، يوجد نهر قدرون الصغير، وهي كنيسة رطبة، وليس بعيداً عن هناك، على بعد خمسين قدماً من باب تلك البيعة، يوجد باب كنيسة أخرى، تدعى جيسماني.

١٤ — وعند سفح جبل صهيون هناك نبع سليمان، يليه بركة استحمام سليمان، وعلى رمية حجر من هذين الموضعين هناك حقل الدم، وهو مقبرة الغرباء، التي يوجد فيها كثيراً من القبور المشهورة، وهناك جرى دفن اشعيا، وكان قد شطر إلى نصفين قرب نبع سليمان، ويقوم ضريحه على مسافة أبعد قليلاً من رمية حجر من نبع سليمان هذا.

١٥ — وكنيسة الضريح المقدس، ولها التفوق والمكانة السامية، قطرها أربعة وسبعين قدماً بين الأعمدة، دون أن نحسب النتوءات التي طولها اثنتين وثلاثين قدماً على طول الدائرة، وقائمة خلف الجدار الخارجي للكنيسة، ويوجد فوق ضريح الرب، القائم في منتصف الكنيسة، فتحة مستديرة، والضريح مغلف من كل مكان في الخارج بالرخام، لكنه من الداخل صخرة عارية، مثلما كانت أيام محنة الآلام.

ويدخل الانســـان إلى الضريح من خـــلال باب منخفض وصغير، موجود على الجانب الشرقي، والقبر موجود في الضريح على جهة اليمين بالنسبـة إلى الانســـان لدى دخـوله، وذلك في مـواجهـة الجدار، وهو معمـول من الرخام الرمـادي، وطوله ثمانية أقـدام، وهو مغلق من جميع الجوانب، ولا يمكن لضـوء النهـار أن يدخـل إليـه، لأنه لا يوجـد فيـه نافذة، لكن هناك فيه تسعة مصـابيح معلقة، وهي تتولى إضاءة الضريح، وهناك كهف آخـــر، قبل أن يأتي الانســان إلى كهـف الرب، وله الطول نفسه والعرض، والترتيبات نفسها في الداخل وفي الخارج، وعندما يخرج الانسان من هذين الكهفين، يبدوان له من الخارج، وكأنهما كهف واحد، لكن عندمـا تدخل تـرى أنهما منفصـلان أحـدهما عن الآخـر، بوسـاطة جدار، ويدخل الانسان في البـداية إلى الأول، ثم يدخل إلى الآخر الذي هو الضريح، وإلى الكهف الخارجـي دخلت النسـوة، عندمـــا قلن:«من يدحرج الصخرة ويزيحها لنا»، وهذا ما حدث، ودحرجت هذه الصخرة وأزيحت حتى باب الكهف الداخلي، وإلى هذا اليوم جزء كبير منها ممدد أمام البـاب نفسه، وحمل الجزء الآخـر إلى جبل صهيون ليكون مـذبحاً، ويبعد جبـل الجمجمة مائـة وثمانية أقـدام من الضريح، ومكان الصليب عبـارة عن فتحـة عمقهـا شبريـن، وعـرضهـا الشيء نفسـه، ويمكن أن تستوعب رأس إنسان.

٥(١) حاج مجهول

(وفقاً لـ و.نيومان W.Neumann الرحلة المعروضة في٥(١) و٥(٢) هي أقدم من سنة ١١٨٧، ولكن الكتاب لم يكتب قبل سنة ١١٩٨، أو قبل بداية القرن الثالث عشر، أي أبكر قليلاً من ثيتمار Theietmar).

١ — ذهبت من عكا إلى حيفا، القائمة عند سفح جبل الكرمل، حيث عاش النبي إيليا، ومضيت من هناك إلى قيسارية، ومن ثم إلى أرسوف، ومن هناك إلى يافا، ومنها إلى الرملة، ومن هناك إلى بيت نوبة، ومنها إلى القدس، حيث يدخلها الانسان من باب اسطفان، حيث جرى رجمه بالحجارة.

٢ — ويدخل الانسان من هناك إلى ضريح الرب، حيث هناك دائرة، قال الرب عنها بأنها وسط العالم، ويقع على يمين السدة جبل أكرا(الجمجمة) حيث تألم الرب وعانى فوق الصليب، ودون ذلك الجلجلة، حيث شق دم الرب الصخرة، وسقط فوق رأس آدم، وقبيل موقع الجلجلة كان ملوك القدس قد دفنوا، وخلف(قبر) المذبح العالي هناك عمود ربط إليه الرب، وجلد، وإلى جوار ذلك، بعد أن ينزل الانسان أربعين درجة، هناك المكان الذي وجدت فيه القديسة حنة(هيلانة) الصليب المقدس، وعلى جهة اليمين من السدة هناك سجن الرب وسلسلته، وعند المدخل إلى الضريح المقدس، وبعد النزول أربعين درجة، هناك بيعة للاغريق، فيها تمثال لمريم العذراء المباركة، وهو الذي تكلم مع القديسة مريم المصرية، وحولها إلى المسيحية، وعلى مقربة من ذلك المكان هناك طريقاً واحداً إلى بيعة السجن المقدس، وفوق هناك، في مقابل الضريح المقدس، في جهة الجنوب، هناك مشفى القديس

يوحنا، وإلى جانبه من جهة اليمين، هناك دير للراهبات. وبجوار هذا هناك دير آخر، يدعى دير القديسة مريم للاتين: ففي هذا المكان مزقت مريم المباركة مع المريمتين الأخرتين شعورهن، عندما كان الرب يموت فوق الصليب.

٣ — وعلى رميتي سهم من هذا المكان، هناك هيكل الرب، الذي يمتلك أربعة مداخل، واثنين وعشرين باباً، وفي وسط هذا المعبد هناك صخرة عظيمة مقدسة، فهناك جرى تقديمه(في الهيكل)، وهنا من الممكن رؤية آثار طبعات قدم يعقوب، وهنا رأىٰ يعقوب الملائكة يصعدون وينزلون، وهنا قدم إبراهيم أضحية إلى الرب عن ابنه اسحق، وتحت الصخرة المكان الذي يدعى باسم قدس الأقداس، حيث كتب الرب باصبعه فوق الأرض، وحيث غفر للمرأة ذنوبها، وهي التي اعتقلت لممارستها البغاء، ويوجد على جهة اليمين المكان الذي ظهر فيه الملاك للنبي زكريا، ويدعى الباب الذي يطل نحو الغرب باسم الباب الجميل، والذي يطل نحو الشرق باسم باب الفردوس، وهو الذي تكلم النبي عنه بقوله:«رأيت ماءاً»[حزقيال:٤٧ / ١].الخ.

٤ — وعلى الطريق خروجاً، من قرب الساحة الداخلية للهيكل، توجد بركة الضأن، التي نزل إلى مائها ملاك الرب عدة مرات، وعلى مقربة من هذا المكان توجد كنيسة القديسة حنة وضريحها، وبركة ضأن ثانية، وفي طريق صعود الانسان نحو الضريح هناك قاعة قضاء بيلايطس التي وقفت في مقابلها العذراء المباركة، في مكان خفي في الشارع، وقفت تبكي، وهي تنظر ما الذي سيحصل لابنها.

٥ — وفي عودة نحو الهيكل، فإن الباب الذي يطل نحو الشرق، يدعى باب القدس، وعلى طول هذا الممر من الممكن رؤية طبعات حافر الأتان التي امتطاها الرب، ودون ذلك هناك الأبواب الذهبية، ويوجد أمام هيكل الرب، من جهة الجنوب هيكل سليمان، وهناك عند زاوية

المدينةعمود الرب، وحمّامه.

٦ — ويوجد على مقربة من برج داود بيعة هي ملك للاغريق، حيث تضم آثار القديسين:يوحنا كريسوستوم Chrysostom ، وديمتريوس، ومارتن، وإلى جوار هذه البيعة بيعة هي ملك للأرمن، حيث جرى قطع رأس القديس جيمس بن زبداي.

٧ — ومن هناك يتخذ الانسان طريقه إلى جبل صهيون، ففي الكنيسة الموجودة في هذا المكان انتقلت العذراء المباركة من هذا العالم، وهناك بيعة فوق المكان الذي حكم فيه على الرب، وجلد، وتوج بتاج من شوك، وكان هذا فيما مضى بيت كيفاس وقاعة القضاء، وفوق الكنيسة العظمى العائدة لجبل صهيون هناك بيعة الروح القدس، التي نزلت على الحواريين في يوم عيد الحصاد، ويقوم المذبح فوق البقعة التي تعشى الرب فيها مع حوارييه، وفي الأسفل يوجد المكان الذي غسل الرب فيه أقدام حوارييه، وإلى هذا المكان قدم الرب إلى حوارييه، بينما كانوا جالسين داخل باب مغلق عليهم، وقال لهم«سلام لكم».

٨ — ويوجد في الوادي عند سفح جبل صهيون بيعة تعرف باسم«الجليلية» وهي قائمة فوق المكان الذي كان القديس بطرس فيه عندما صاح الديك، وبجوارها هناك بركة استحمام سليمان، حيث أعاد الرب البصر إلى رجل كان أعمى منذ ولادته، وفي هذا المكان جرى دفن النبي إشعيا، وخلف بركة استحمام سليمان يوجد حقل الدم، وهو مكان دفن الغرباء.

٩ — ويجري دون الباب الذهبي نهر قدرون الصغير، حيث التقط داود خمس حجرات، وقتل جالوت بهن، وعلى مقربة منه مكان شعفاط وضريح مريم العذراء المباركة، الذي رفعت منه إلى السماء، وعلى مقربة من هذا المكان توجد جيسماني، حيث جرى اعتقال الرب، وهناك

يمكن رؤية آثار أصابعه فوق الجدار، وعلى بعد رمية حجر تقوم كنيسة المخلص، حيث صلى لأبيه، وكان عرقه يتصبب مثل... وفي أسفل وهو حادّ.... دفن الملك شعفاط، ولهذا دعي المكان باسم وادي شعفاط، ويقوم إلى جانب هذا الوادي جبل الزيتون، الذي صعد الرب منه إلى السماء، وهناك صخرة من الممكن أن يرى عليها آثار قدميه حتى هذا اليوم، وعلى مقربة منها بيعة للاغريق فيها يستريح جسد القديسة بيليجيا، وهناك أيضاً بيعة أخرى قائمة فوق المكان الذي أدى الرب فيه الصلاة الربانية.

١٠ — وهناك مسافة ميل واحد من جبل الزيتون إلى بيت عنيا، حيث أقام الرب ألعازر من الموت، وغفر لمريم ذنوبها، ومن هناك مسافة اثني عشر ميلاً إلى القرنطل، حيث صام الرب لمدة أربعين يوماً وأغوي من قبل الشيطان، وعند سفح الجبل توجد حديقة إبراهيم، وتقوم هذه قرب أريحا، التي تبعد أربعة أميال عن نهر الأردن، ومن هناك إلى سيناء رحلة تستغرق سفر ثمانية أيام.

١١ — ويقوم دير القديس إلياس على بعد ميلين إلى الجنوب من القدس، وعلى مقربة منه يقوم «حقل الزهور»، وهناك إلى جانب الطريق قبر راحيل، وعلى بعد ميل واحد من ذلك المكان توجد بيت لحم، وعلى جهة اليمين من السدة هناك بئر، يحكى بأن نجماً قد سقط فيه، وعلى جهة اليسار هناك[قبور] الأبرياء المقدسين، وتحت الحرم الداخلي، يوجد ضريح القديس جيروم، والمسافة من هناك إلى المكان الذي أقام فيه الرعاة خلال الليل، مسافة ميلين، وحيث الملائكة غنت«المجد للرب في الأعالي»، والمسافة اثني عشر ميلاً من بيت لحم إلى موضع القديس إبراهيم(الخليل)، فهناك صنع الرب آدم، وبكى آدم على ابنه هابيل لمدة مائة سنة، وهناك أيضاً مدفن أجساد البطارقة المقدسين، والمسافة هي ميل واحد فيما بين القدس وبين المكان الذي نمت فيه[شجرة] الصليب

المقدس، والمسافة من القدس إلى عمواس ستة أميال.

١٢ — المسافة أربعة وعشرين ميلاً من القدس إلى السامرة ، التي تعرف الآن باسم نابلس، وفي هذا المكان يوجد جب يعقوب ، حيث تحادث الرب مع المرأة، وبعد أربعة أميال من هناك يصل الانسان إلى سبسطية، وهو المكان الذي أعدم فيه يوحنا المعمدان وقطع رأسه، ومن هذا الموقع إلى جبل الطور المسافة ثلاثة وعشرين ميلاً، والمسافة من هناك إلى الناصرة ستة أميال، والمسافة من الناصرة إلى الصفورية تساوي ميلاً واحداً، وهناك ولدت القديسة حنة، ومن هناك مسافة ستة أميال إلى قانا الجليل، حيث حول الرب الماء إلى نبيذ، ومن الصفورية المسافة ستة أميال إلى شفا عمرو، حيث ولد القديس يوحنا، والقديس جيمس ابنا زبداي، والمسافة من عكا إلى طرطوس تستغرق رحلة ستة أيام، حيث بنى الحواريون بيعة على شرف العذراء المباركة.

٥(٢) حاج مجهول
(قبل سنة ١١٨٧)

١ — تقوم منطقة القدس في وسط الأرض، وهي منطقة جبلية بشكل رئيسي، ومع ذلك هي ليست جرداء بدون نتاج، ويحدها من الشرق العربية، ومن الجنوب مصر، أما من الغرب فيحدها البحر الكبير، ويحدها في الشمال سورية وبحر قبرص، وقد كانت هذه المنطقة منذ أقدم العصور أرض عموم آباء جميع الأمم، وهي تشهد قدوم الناس إلى هناك للعبادة في الأماكن المقدسة من كل جزء من أجزاء العالم، وذلك حسبما نقرأ في أعمال الرسل حول إرسال الروح القدس، لشعوب من«فرثيين، وميديين، وعيلاميين»الخ، غير أن الناس يسكنون الآن فيها، ويمتلكون بيوتاً وأماكن للعبادة فيها.

٢ — وبعض هؤلاء مسيحيين، وبعضهم ليسوا كذلك، وهناك

أجناس من مختلف الشعــوب المسيحيــة، وهم منقسمــون إلى طوائف متنوعـة، ويتصدر هؤلاء الفـرنجـة، الذين يصح أكثر دعـوتهم باللاتين، وهم رجــال حـرب، ممارســون لأعمال القتـال، وهم عــراة الرؤوس، ووحدهم من بين جميع الشعـوب هناك، هم الذين يحلقون لحاهم، وهم يدعـون جميعاً بـاسم اللاتين، لأنهم يستخدمـون اللســان اللاتيني، وهم جميعاً كاثوليك بلا استثناء.

٣ — وآخــرون هم من الاغــريق(الروم الأرثوذكس)، الـذين هم منفصلون عن رومــا، وهم بارعـون جـداً، وليســوا مــاهرين كثيراً في استخـدام السلاح، وهــم مذنبـون بالابتعـاد عن الايمان الحقيقي، وعن قواعده وأركانه، لاسيما وأنهم يقولون بأن الروح القدس ليس من الأب والابن، بل من الأب وحده، وهم يستخـدمون الخبز المخمـر في القربان المقـدس، وهم أيضـاً مذنبـون في كثير آخـر من المسائـل، ولهم ألفبائيـة خاصة بهم.

٤ — وآخــرون هم السريان، وهـؤلاء بلا فــائــدة في الحرب، ولا يدعون في معظم الحالات لحاهم تطول مثلما يفعل الاغـريق، بل يتولون قصهــا بعـض الشيء، وهم لا يمارســون الطقــوس لا الـلاتينيــة ولا الاغـريقيـة، وهم مـوجـودون في كل مكـان، يدفعـون الجزية إلى الأمم الأخرى، وبالنسبـة لإيمانهم ولقداساتهم يتوافقـون في جميع المجالات مع الاغـريق، وهم يستخـدمـون الأبجدية العـربيـة، وهـم في جميع المســائل الروحية والدنيوية مثلهم مثل الاغريق.

٥ — والآخـــرون هـــم الأرمن، وهم يمتلكون بعـض البراعـــة في استخـــدام الســلاح، ويختلفـــون في كثير من المجــالات عـن اللاتين والإغـريق، وهم يصـومون مـدة أربعين يومـاً، في أيام ميـلاد المسيح، وهم يحتفلون بعيــد ميــلاد المسيح في يوم التجلي(٦ — كــانون ثاني)، ويعملون أشيـاء كثيرة أخرى مضـادة لأحكام الكنيسـة، وهم يمتلكون

لغـة خاصـة بهم، وهناك كراهيـة لا يمكن إزالتها بينهم وبين الاغـريق، وقد وعـدوا مؤخراً بتقـديم الطاعة لكنيسة رومـا، بسبب أن ملكهم قد تسلم التـاج من يـدي رئيس أسـاقفـة مينز Mainz ، نائب الكرسي المقدس.

٦ — وآخرون هم مـن الكرج(الجورجيون)، وهم يعبـدون القديس جورج وفق طقوس مهيبة، وهم يـدعون شعورهم وشعور لحاهم دونما حلاقـة، ويلبسون قبعات ارتفـاع كل منها ذراع، وهم جميعـاً من رجال دين وعلمانيين يتركون قسماً حليقـاً من رؤوسهم، أما لدى رجـال الدين فشكل هذا القسم دائـري، أمـا لدى ما سـواهم من العلمانيين فـالشكل مربع، وهم يستخـدمون الخبز المخمر في القداسـات، ويقلدون الاغريق في جميع المجالات تقريباً، لكنهم يمتلكون أبجديتهم الخاصة.

٧ — وآخـرون هـم اليعـاقبـة، الذين تولى تضليلهم واحـد اسمـه جيمس، وأخـذهـم إلى الهرطقـة النسطورية، وهـم يذنبـون كثيراً، ويستخدمون الأبجدية الكلدانية(السريانية).

٨ — وآخرون هم النساطرة الذين هم هراطقة في إيمانهم، ذلك أنهم يقـولون بأن مريم المبـاركة كـانت مجرد أم إنسان، ويذنبـون في كثير من المسائل الأخرى، ويستخدمون الأبجدية الكلدانية(السريانية).

٩ — فضـلاً عن هـذا، اللاتين منقسمـون إلى عـدة أمم، منهـا:الألمان،والاسبـان، والغـاليين، والطليـان، والأمـم الأخـرى التي أنجبتهـا أوربا، وثلاثة من الشعـوب الايطالية هي قـوية وفعـالة بشكل خـاص ومفيدة في بلاد القـدس، وهـم: الجنويون، والبنادقـة، والبيـازنة، وهم بارعـون في استخدام السـلاح متفوقـون في البحر، ويمارسـون كل نوع من أنواع القتـال، وبارعـون في فن التجـارة، وهم جميعـاً يمارسـون شرائع خاصة بهم يطبقوها على أنفسهم، غير أنهم فيما بينهم يغارون من

بعضهم بعضاً ويتخاصمون بشدة، إلى حد أن المسلم أسلم لديهم أكثر من سلامة أحدهم لدى الآخر، أو معه.

١٠ — ويوجد في هذه البلاد بيتان دينيان،ونعني بذلك: الداوية والاسبتارية، وهما يمتلكان أموالاً وثرواتاً هائلة جداً، لأن لديهما ممتلكات يحصلان منها على موارد مالية في كل جزء من أجزاء أوربا، ولدى الذهاب إلى الحرب، يقاتل الداوية في الجناح الأيمن، ويقاتل الاسبتارية في الجناح الأيسر.

١١ — والداوية هم الأفضل بين جميع الجنود والأكثر روعة، ويرتدون أردية بيضاء وصلبان حمراء، وعندما يذهبون إلى الحرب، يحملون فوق رؤوسهم راية ذات لونين اسمها بالزوس Balzaus ، ويلتزمون الصمت أثناء زحفهم، وحملتهم الأولى هي الأكثر إرعاباً وفتكاً، وهم لدى الهجوم الأوائل، ولدى الرجوع الأواخر، وهم ينتظرون أوامر مقدمهم ويتقيدون بها، وعندما يرون من الموائم الحملة، ويصدح البوق، ينشدون معاً مزمور داود الذي يقول:«ليس لنا يا رب»[المزمور:١١٥] ويعملون بإصرار على سفك دماء الأعداء وقطع رقابهم، إلا إذا أرغموا عساكر الأعداء على الانسحاب جميعاً، أو تمكنوا من تمزيقهم إرباً إرباً، وإذا حدث وأدار أي واحد منهم ظهره للعدو، أو عاد حياً من هزيمة من الهزائم، أو شهر سلاحه ضد المسيحيين، فإنه يتعرض إلى عقوبة شديدة: حيث ينتزع منه الرداء الأبيض مع الصليب الأحمر، اللذان هما علامة فروسيته، وحين ينتزعان منه يكون ذلك بشكل مهين، ويطرد من طائفته، ويتناول طعامه على الأرض، دون صدرية أو منديل مائدة، ويكون ذلك لمدة سنة، وإذا ما حاولت الكلاب إزعاجه أو مضايقته، هو لايتجرأ على طردها أو إبعادها، ومع إنتهاء السنة إذا ما رأى المقدم وأخوانه بأن عقوبته باتت كافية، يردون إليه نطاق فروسيته السابقة، ويعيش هؤلاء الداوية في ظل نظام ديني

دقيق، يطيعونه بكل تواضع، وبما أن ما من واحد منهم يمتلك ممتلكات خاصــة، تراهم يأكلون أقل الطعام وأخشنه، ويلبســون الملابس الرديئة، ويسكنون في الخيم.

١٢— ويحمل الاسبتـارية صلبياً أبيض فـوق أرديتهم، وهـم فرسـان جيـدون، ويقـومـون بالاضـافـة إلى أعمالهم في ميــادين القتـال بالعناية بالمرضى والمحتاجين، وهم يعيشون تحت قانون ونظام خاص بهم.

١٣— فضـلاً عن هذا، تمتلك بلاد القــدس، بطريركـاً خـاصـاً بها، مسـؤول عـن الايمان وعن المسيحيين، وهو نائب يســوع المسيح، ولدية أربعة رؤساء أساقفة: واحد في مقاطعة Pale- Tine ، والمعني بهذا رئيس أسـاقفة قيسـارية، وآخـر في مقاطعـة فينيقيـة، أي رئيس اساقفـة صـور، والثـالث في مقـاطعـة الجليل، والمقصـود بذلك رئيس أسـاقفـة الناصرة، وأما الرابع ففي مقاطعـة مآب، أي رئيس أساقفة البتراء، يعني الكرك، ولرئيس أسـاقفة قيسارية أسقـف مساعد واحـد، والمعني بذلك أسقف سبسطيـة، وهوالمكان الذي عـاش فيـه كل من يوحنا المعمـدان، وإيليـا، ودفن فيه النبي عـوبيديا، أمـا رئيس أساقفـة صور فلديه أربعـة أسـاقفة مسـاعدين هم: أسقف عكا، وأسقف صيـدا، وأسقف بيروت، وأسقف بانيـاس، التي هي قيسـاريـة فيليب، ولرئيس أسـاقفـة الناصرة أسقف مسـاعد واحـد، هو أسقف طبرية، في حين ليس لرئيس أساقفـة البتراء أسقف لاتيني مساعد، بل واحد اغريقي فوق جبل سيناء.

١٤— ويمتلك البطريرك تحت رئـاسته المباشرة أسـاقفـة: بيت لحم، واللد، والخليل، حيث جرى دفن آدم وحواء والآباء (البطارقة) الثلاثة.

١٥— وفي كنيســـة الضريـح المقـــدس للرب هنـاك كهنة أوستنيين Austin، ولهم مقدمهم، غير أنهم قد تعهــدوا بالطاعة للبطريرك وحـده، ويوجـد في هيكل الرب راعـي دير وكهنة نظاميـون يخضعـون

لنظام القـديس أوستن، وينبغي ان نعـرف الآن أن هيكل الرب شيء، وهيكل فـرسان الـداوية شيء آخر، فـالهيكل الأول هيكل رجـال دين، والهيكل الثاني هيكل عساكر، ويوجد في كنيسة جبل صهيون راعي دير، وكهنة نظاميون، وكـذلك يوجد في كنيسة جبـل الزيتون هناك راعي دير وكهنة نظاميـون، ويوجـد في كنيسة وادي شعفـاط راعي دير، ورهبـان سـود، ويعـاون جميع الذين تقـدم ذكـرهـم مع الأسـاقفـة البطريرك في القداسات.

١٦— فضلاً على ما تقدم هناك المدن التاليـة، التي ليس فيها أساقفة: عسقـلان، الخاضعـة إلى أسقف بيت لحم، ويـافـا، الخاضعـة إلى كهنة الضريح المقـدس، ونابلس الخاضعة لراعي دير الهيكل، وحيفـا التي هي خاضعة لرئيس أساقفة قيسارية.

١٧— وفي جميع الأحـوال، إن بلاد القـدس كلها مقـدسـة ومبجلة، ذلك أنها شهدت الأنبياء، والرسـل، كما شهدت الرب يمشي فيها، ومع ذلك هناك بقـاع خـاصـة يتعبـدها النـاس ويجلونها أكثر من سـواها ويحيطونها بقـدسيـة متميـزة، ولسوف نأتي على ذكـرها، وتبيـان أسمائهـا وفضائلها:

١٨— وفي الناصرة، ولدت العـذراء الأم المباركـة، وفيها تماشيـاً مع رسـالـة الملاك، جـرى الحمل برحمهـا بابن العلي الأعلى، وكـذلك نشأ وتربى حتى بلـغ مبلغ الرجـال؛ وبيت لحم هي المكان الذي ولد فيهـا خبز السماء، وإليهـا جلب الحكماء— وقد قـادهم النجم— الهدايا، وهي أيضاً حيث دفن جيروم، الذي تولى ترجمة الكتـاب المقدس إلى اللاتينية، والأردن، هو النهر الذي تعمد فيه المخلص، وبتعمـده فيه أرسى قواعد الخلاص البشري، وحيث رؤي فيه الروح القدس على شكل طائر حمام، وحيث سمع صوت الآب، وهناك مكان الصـوم الذي يدعى القرنطل، فهناك صـام المسيح لمدة أربعين يومـاً، وبذلك أرسـى شريعـة القيـام

بالصــوم الكبير، وحيث أيضــاً أغــوي من قبل الشيطان، أمــا بحيرة جنسـارث، فهي الموقع الذي مشى كثيراً على شـواطئه، وصنع كثيراً من المعجزات، واستـدعى حوارييه، وبالنسبـة لجبل الطور، فهو حيث تحول شكله أمام حوارييه وبحضورهم، وحيث ظهر له موسى وإلياس.

١٩— ويوجــد في القـدس الكثير من الأمـاكـن المبجلة، مثل هيكل الرب، حيث جـرى تقـديمـه، ومن حيث طـرد الذين كـانوا يبتـاعـون ويشترون، وهو المكان الذي جـرى رمي جيمس أخـو الرب من أعـلاه نحــو الأسفل، وجبل صهيـون هـو المكان الذي تعشى فيــه الرب مع حـوارييه، وقـرر فيـه شريعـة العهد الجديد، وهنا ظهـر الروح القـدس بشكل مرئي فـوق الحواريين، ومن هنا أيضاً عبرت العذراء المبـاركة من هذا العـالم، والجمجمـة (أكـرا) هي الموقع الذي تألم الرب فيـه من أجل خلاصنا، ومات فوق الصليب، أما الضريح المقدس، فهو الموضع الذي جـرى تمديد جسـده فيـه، ومنه قــام مجدداً، وعلى جبل الزيتـون جـرى الترحيب به والتأهيل من قبل الأطفال، أثناء ركوبه على ظهر أتان، ومن عليه جـرى صعوده إلى السماء بشكل إعجـازي، وبيت عنيا هو الموضع الذي أقــام فيـه ألعـــازر من الموت، وعند سلـوان رد البصر إلى الرجل الذي ولد أعمى، ووادي شعفاط هو المكان الذي يعرف باسم جيسماني، فهناك جـرى اعتقاله من قبل اليهـود، وهناك أيضـاً جرى دفن العـذراء المبـاركـة، وكنيسـة اسطفـان هي حيـث جـرى رجمه، وإذا مـا نظرنا إلى كتابات العهدين القديم والجديد، لم يرد فيهما من البداية ذكر أي وادي، وأي نهر، وأية بحيرة، إلاّ وشهد ذلك المكان صنع معجزة من المعجزات من قبل واحـد من الأنبيـاء، أو الرسـل، وطبعـاً من قبل المسيح نفسـه، وجب يعقـوب مـوجـود في بلاد السـامـرة، وهـو الذي يتغير لونه أربع مـرات في السنة، حيـث يكون مـوحـلاً، ثـم أحمر مثل الدم، ثم أخضر، وأخيراً شفافـاً نقياً، ولايجري نبع سلوان، الموجود قـرب جبل صهيون،

كل يوم، بل فقط ثلاثة أيام في الاسبوع، ويوجد في بلاد القدس بحيرة الشيطان على الحدود بين العربية وفلسطين، حيث كان فيها مضى خمس مدن، جرى ابتلاعها بسبب ذنوب سكانها، ولايمكن لأي كائن حي أن يغرق في هذه البحيرة، وعندما سمع فسبسيان بهذا، أمر أن يرمي فيها سبعة رجال لايحسنون السباحة وقد قيدت أيديهم وأقدامهم، وقد مكثوا هناك ثلاثة أيام ولم يموتوا، وهناك حول البحيرة بعض الأشجار التي تحمل فواكه جميلة جداً، وهذه الفواكه تغرق، إنها تغرق فور قطفك لها، وهي تغرق، وتتحول فوراً إلى رماد.

٢٠— وهذه هي الجبال الرئيسية في بلاد القدس: لبنان، والطور، وحرمون، وجلبوع، والكرمل، وجبال لبنان مرتفعة جداً، وتفصل سورية عن فينيقيا، وفيها أشجار طويلة جداً، ومع ذلك لايوجد الكثير منها كما كان في القديم، وبالنسبة لجبل جلبوع،، ليس صحيحاً، كما يحكى عبثاً لنا بعضهم، بأن المطر لاينزل عليه مطلقاً، بسبب لعنة داود.

٢١— وتحتوي هذه البلاد نفسها على عدد من الحيوانات الضارية، فهناك: الأسود، والفهود، وهناك حيوان ضار جداً يدعى النمر الأبيض، لايمكن لأحد أن ينجو سليماً من غضبه، وهم يقولون بأنه حتى الأسد يخاف منه، وهناك أيضاً السعادين، التي يسمونها الكلاب المتوحشة، وهي أحد من الذئاب، وهناك أيضاً الجمال والجواميس بكثرة.

٢٢ — وهناك أشجار فائقة الجمال، من كل نوع، وهي تنمو فوق الأرض: فهناك أشجار النخيل بثمارها، والأشجار التي تدعى أشجار الفردوس، والتي لها أوراق طول كل منها أكثر من ذراعين، وعرضها نصف ذراع، وشكل ثمارها مستطيل، وينمو مائة منها على غصن واحد، أحدها يلامس الآخر، ومذاقها مثل مذاق العسل،وهناك أيضاً أشجار الليمون، التي طعم ثمارها حامض، وهناك أشجار أخرى تحمل فواكه اسمها تفاح آدم، حيث من الممكن أن يرى عليها علامات أسنان

آدم بوضوح، وهناك أيضاً قصب السكر، ونباتات تزرع مثل زراعة القمح، ومنها يجري جمع القطن، وفي القديم لم يكن هناك بلسم في العالم كله إلاّ في بلاد القدس، وبلاد أريحا، وجاء المصريون فيما بعد إلى هناك،وأخذوا هذا النبات إلى مصر، وزرعوه في مدينتهم باب اليون(مكان القاهرة)، حيث هناك المكان الوحيد الذي يوجد فيه البلسم، وليس هناك شيء مثير في هذه الأشجار، إلاّ إذا ما زرعوا من قبل إنسان غير مسيحي، لايحملون الثمار، ويحكم عليهم بالعقم الأبدي، وهناك أيضاً أشجار الأرز، التي تحمل ثماراً خضراء كبيرة مثل رأس الإنسان، وهي مستطيلة بعض الشيء، ولهذه الثمرة ثلاثة مذاقات هي: أولها في اللحاء حيث الطعم مرّ، وثانيها تحت اللحاء في اللب حيث الطعم لا شيء، وثالثها في النوى، وهنا الطعم حامض، وعليك أن تعرف أن أرز لبنان عبارة عن أشجار عالية جداً، وهي لا تحمل ثماراً، غير أن أشجار الشواطىء الساحلية هي أصغر وتحمل ثماراً، وهناك أيضاً نوع من أنواع شجر التين، مما لا يحمل ثماره بين أوراقه بل على الجذع وحده.

٢٣ — ولقد تغيرت أسماء المدن والأماكن بشكل تدريجي بسبب تغير الأمم، التي سكنت في أوقات مختلفة في البلاد: فقد كانت القدس تعرف أولاً باسم«يبوس»، وبعد ذلك باسم«سالم» ومن هناك باتت تعرف باسم«أورشليم»، وبعد ذلك باسم«أورشليما»، ودعيت بعد هذا باسم«إيليا» اشتقاقاً من اسم إيليا الروماني(إيليوس هدريانوس) الذي تولى فيما بعد إعادة بنائها، بعد تهديمها من قبل تيتوس، وذلك في المكان القائمة فيه الآن، وعرفت حبرون(الخليل) أولاً باسم«أربعة»، ثم باسم قرية ثمانية Cariathiarim ، ثم باسم«حبرون»، وبعدها باسم«الخليل»، لأن (خليل الرحمن) إبراهيم قد دفن هناك،وحملت«عسقلان» أولاً اسم «فلسطيم»، لأنها كانت مدينة

الفلسطينيين، وعـرفت «غزة» دومـاً بهذا الاسم، وما يعـرف هذه الأيام باسـم«القـديس جـرجس»، كـان يعـرف مـن قبل باسـم«اللد»، وعرفت«قيسارية» أولاً باسم«دور»، ثم باسم«برج ستارتور»، وتعرف الآن باسم«قيسـاريـة» وذلك تشريفـاً لقيصر، وعـرفت«حيفـا» أولاً باسم«بورفيريا» Porfiria ، ودعيت«عكا» مؤخراً باسم«بطليمياس»، أمـا«صـور» فقـد عـرفت دومـاً بهذا الاسـم، وكـانت فيها مضى مـدينة عظيمـة، حكم فيهـا أغينور، ومنهـا جـاء ديدو، وتعـرف«صيـدا»الآن باسم«سـاغيتـا» Sagitta ، وتعـرف«الصرفند» الآن باسم«سـافيرا» Saffera ، وعـرفت«بيت لحم» أولاً باسم«إفراتا»، وعـرفت نابلس أولاً باسم«شيكار»، أمـا «سبسطية»، فقـد عرفت باسم «السـامرة»، أمـا ماكوميرا Machomeria، فعرفت أولاً باسم«لـوزة»، ثم بعد ذلك باسم«بيت إيل»، أما التـي تعرف الآن باسم«بلنياس»، فقـد عرفت أولاً باسم«بانياس»، وفيها بعد باسم قيسارية فيليب.

٢٤ — وبين العجـائـب الأخـرى التي ينبغي ألا نكـون صـامتين نحوها، هـو أنه يوجد في يافـا على شاطىء البحر صخـرة آدم، التي هي كبيرة جـداً، تلوذ بها أعـداد لا تحصى من حشـود سمك يدعى سمك سلمون، ويكون ذلك في أيام الصيـف، وتسير وهي تحمل على ظهورها خطوطاً صفـراء طويلة، وبعدمـا تقوم بتقبيل الصخـرة، وكأنها في مكان مقدس، تعـود أدراجها مسرعة، ويحكي صائـدو السمك في تلك البلاد، أنه عندما أمـر الرب، أخاه القديس جيمس بـالذهاب إلى الجليل، أجابه القديس جيمس بقـوله:«إنني سوف أذهب إذا مـا ذهبت تلك الصخرة معي»، ومن ثـم انشطرت الصخـرة إلى شطـرين، ذهب شطر منهـا إلى طبرية، حيث تزار من قبل الحجـاج حتى هذا اليوم، وتدعى باسـم رمية جيمس، في حين مكث الجزء الآخر هناك.

فضلاً عما تقدم في القدس ملك لاتيني، الذي هو سيد...

- ٣٨٦٩ -

وحول الملك وباروناته، والأعيـان والبارونات، وحول المدن العـائدة للمملكة، وحـول أمير أنطاكيـةوكـونت طرابلس، وحـول مختلف أنواع الكفار، واليهود، والصادوقيين، والسامرة، والحشيشية، والبدو...

حاج مجهول(٦)(بيد المزيف)
(القرن الثاني عشر)
هنا بداية رواية بيد عن الأرض المقدسة.

١ — دعونا نجعل انطلاقنا من حبرون(الخليل)، التي هي عبرون، المدينة الحاضرة، وكانت عبرون في القديم مدينة الفلسطينيين وعاصمتهم، وموضع سكنى العمالقة، ولقد كانت في ديار سبط يهوذا، وكانت مدينة الكهنة، ومدينة ملجأ، وقد بنيت عبرون في الحقل الذي صنع منه ربنا القدير، صانع الأشياء كلها، الأب الأول، وعرفت حبرون باسم«قرية أربعة»، والتي معناها بالاغريقي والعربي«مدينة أربعة»، لأن قرية بالإغريقية(كذا) معناها«مدينة» و Arba بالعربية تعني«أربعة»، لأن هناك أربعة رجال يستحقون العبادة، قد دفنوا في كهف مزدوج هناك، وهؤلاء هم: آدم الانسان الأول، وإبراهيم، واسحق، ويعقوب، دفنوا مع زوجاتهم وهن أمهاتنا الأربع: حواء، وسارة، وربقة، وليا، وتقوم عبرون قرب وادي الدموع، وقد عرف وادي الدموع بهذا الاسم، ودعي به، لأن آدم بكى هناك على ابنه هابيل لمدة مائة سنة، وعرف هناك ـ بناء على تنبيه من ملاك، حواء ـ وأنجب شيث، الذي من ذريته جاء المسيح.

وعلى بعد ميلين من عبرون، يوجد ضريح لوط، الذي كان ابن أخي إبراهيم.

ويوجد في عبرون الحقل الذي تربته حمراء، وهو الذي تحفر أرضه، ويؤكل ترابها من قبل السكان هناك، ويصدرونها إلى مصر للبيع، وهي تشترى بمثابة عقار ثمين جداً، لأنه يقال بأنها الأرض الحقيقية التي صنع منها آدم، الإنسان الأول، ويجري حفر الحقل المتقدم الذكر

بالعرض وبالعمق، ومع ذلك بقضاء من الرب، تجده في نهاية السنة، قد عاد وامتلأ كما كان من قبل.

وإلى جانب عبرون يقوم جبل ممرا، الذي نمت عند سفحه شجرة البلوط، التي تدعى باسم«دلبة» يعني«بلوطة» أو «سنديانة»، فقد عاش تحتها إبراهيم لزمن طويل، فهنا رأى الملائكة الثلاثة، والمعبود الواحد، وقدم لهم ضيافة على أفضل ما استطاعه، وجعلهم يرتاحون، وأطعمهم، ولهذا السبب دعي حسب طرائق الاعتقاد القديمة باسم«العدل» .

وظلت البلوطة المتقدمة الذكر قائمة حتى أيام الامبراطور ثيودوسيوس، فهذا ما رواه جيروم، ومنها نبتت البلوطة الموجودة الآن هناك، والتي هي موضع تبجيل في أيامنا الحالية، وعلى كل حال، مع أن هذه الشجرة جافة، لها خصائص طبية، حسبما تبرهن بمايلي: كل من يحمل قطعة منها معه، فإن حصانه لن يكبو به، وإنه إلى عبرون جاء كالب ويشوع مع رفاقهما العشرة أولاً، عندما كانوا يتجسسون حول أوضاع أرض الميعاد، وفي عبرون وجدوا أبناء عنق وقبيلة العمالقة.

٢ — وعلى بعد عشرة أميال عن عبرون، باتجاه الشرق، توجد بحيرة اسفلت، التي تعرف أيضاً باسم البحر الميت، وقيل له الميت لأنه لا يتلقى شيئاً حياً، ولهذا هو ملك للشيطان، وبناء عليه فإنه بتوجيهه لقيت المدن التعيسة جداً مصيرها، وهذه المدن هي:سدوم، وعامورة، ودومه، وساعور، وكانت قد أصرت على اقتراف الآثام، فأحرقت بفيض من نار الكبريت، ومن ثم غرقت في تلك البحيرة.

ومعنى كلمة سدوم«القطيع الصامت» أو«العمى»، وأما معنى كلمة عامورة فهو الخوف أو«فساد الناس»، أما معنى كلمة ساعور فهو«البحر» أوميناء البحر، وأما معنى كلمة دومه فهو الرغبة، وفوق بحيرة اسفلت، وأنت صاعد للدخول إلى اليهودية، هناك صغور،

ولصغــور ثلاثة أسماء: فهي تـدعى بلع Bala، الذي معناه «ابتلع»، وزوآر وهو اسم سرياني، وهي قد عـرفت باسم بالزوآر بمزج الاسمين العبري والسرياني معـاً، وهي دعيت بـاسم«صغـور» الذي معناه«الشيء الصغير»، وقد أنقذت«صغور» بوسـاطة دعاء لوط، فلم تحترق أو تغرق في الماء، ومن الممكن رؤيتهـا حتى هذا اليـوم، وفيما كانت زوجـة لوط خـارجة من«صغـور» تحولت إلى عمـود من ملح من الممكن رؤية آثاره حتى اليوم، ويوجد على شواطىء البحر المتقدم الذكر الكثير من الشب، ومن القطران، حيث يعثر عليه السكان المحليون، ويتم جمعه من قبلهم، ويستخرج من البحر«الحمـر» الذي يدعى باسم«الزفت اليهودي»، وهو مفيد في بعض أنواع الأعمال، وتعـرف«صغور» الآن باسم بلدة النخيل، وذلك من قبـل شعب البــلاد، وتفصـل بحيرة اسفلت اليهــوديـة عن العربية.

٣ — وعندمـا جـاء بنو إسرائيل إلى العـربية، كـانت قفـاراً لا يمكن سلوكهـا، وبدون مـاء، وقـد حفظ الرب شعبـه من بني إسرائيل فيهـا، وجعلهم يتخـذون اثنين وأربعين منزلاً، وقـد مكثـوا فيهـا مـدة أربعين سنة، وخــلال ذلك لم تهترىء ثيــابهم، وقـد أطعمهــم من ندى السماء والمن، وأعطي كل واحد منهم من ذلك بقدر حـاجته، وكذلك أعطاهم لحماً حسب رغبتهم.

وقــد توليت تدوين أخبــار ومعـاني أسماء هـذه المنازل، هنا في هذا الكتـاب، ويتـوجب على العبراني المتشوق لأخـذ طريقـه من الأرض إلى السماء، أن يجتازهم، وأن يخلف وراءه مصر هذا العالم، فيدخل إلى أرض الميعاد، وإلى منزله السماوي.

المنازل الإثنان والأربعون

كـان المنزل الأول هو رعمسيس، وهي مـدينة مصرية، حيث اجتمع

بنو إسرائيل مع بعضهم بعضاً، وقد دخلوا إلى الفيافي في اليوم الثاني بعد عيد الفصح، على مرأى من المصريين، الذين استلبوهم ببراعة وسرقوا أوانيهم الذهبية والفضية، وجرت ترجمة كلمة رعمسيس الى «فوضى» أو «صاعقة».

وكان المنزل الثاني هوسكوت، الذي يعني«أكواخ» أو«خيم العهد».

وكان المنزل الثالث هو إيثام في الفيافي، حتى تدبر الرب استجابة لمطالب شعبه، فأقام عموداً من نار خلال الليل، وحيث يتمكنوا من رؤية جميع ما يريدون أن يصنعوه في النهار، وأقام غمامة في النهار تخفيهم وتظلهم، ومعنى ايثام«شجاعة» أو«كمال».

وكانت «مارا» المنزل الرابع، بعد عبور البحر الأحمر، ومعنى«مارا»«مرارة».

وكان المنزل الخامس هو حيروث، وذلك على مقربة من بعل صفون، ومعنى هذا الاسم هو:«رب الريح الشمالية».

وكان المنزل السادس هو إيليم Elim، حيث وجدوا الاثني عشر بئراً، والسبعين شجرة نخيل.

وكان المنزل السابع إلى جانب البحر الأحمر، حيث يخرج الخليج عن مساره.

وكان المنزل الثامن في فيافي سين، التي من خلالها يذهب الانسان حتى جبل سيناء، ومعنى كلمة سين عليقة،أو«كراهية»[الأصح:قمر].

وكان المنزل التاسع في دفقة، التي تعني«نبضة».

وكان المنزل العاشر في ألوس، التي تعني«مخمر»، ففي الفيافي تضجر بنو إسرائيل واشتكوا من الجوع، وأكل«السلوى» في المساء، والمن في الصباح.

وكـان المنزل الحادي عشر هو رفـديـم، التي تعني غلبـة الشجـاع، أو«الخسارة»، وهنا تفجر نبع ماء من حورب، لصالح الشعب العطشان، وهنا غلب يشـوع أمـالك وأطاح به، وهنا جـاء يثـرو إلى مـوسى، وهنا تشكى الشعب ضـد الرب، وفي أثناء غيـاب مـوسـى، صنعـوا العجل الذهبي، وتعبدوه.

وكـان المنزل الثاني عشر في قفـار سيناء، وقد تمت ترجمة هذه الكلمـة إلى«عليقة»، وذهب مـوسى في هذا المنزل إلى الرب في جبل سيناء، وهنا جـاء الـرب ونزل إليـه، وأعطاه الشريعـة مكتـوبة بإصبعـه على ألواح حجرية اقتطعت من ذلك الجبل، وعمل موسى هناك وأنجـز صوماً دام أربعين يوماً وأربعين ليلة، وفي هذا المنزل تمّ صنع خيمة العهد.

وجـرى تعليمهم فـوق ذلـك الجبل أي نوع من الأضـاحي عليهم تقديمـه، وأي نوع من الأواني عليهم استخدامـه في التضحية، وأي نوع من الألبسـة يتـوجب على الكهنة أن يلبسـوا، وأي نـوع من الطقـوس ينبغي أن يؤديها الكهنة واللاويين، وهنا مسح مـوسى هارون، واختـاره كـاهناً، وألبسه درع القضـاء وثوب الكهنوت Ephod ، وبناء عليه كـان أول إنسان دعي باسم«المسيح» أي«الممسـوح»، وهنا جرى تعـداد الشعب واللاويين، ومن ثم جرى تقسيمهم إلى عـدة أسباط، وهنا أيضاً جرى تدوين هدايا الأمراء، كما جـرى صنع بوقين من الفضة، من أجل تقـويض المعسكـر، وهنا أيضـاً صـدر الأمـر إلى المدنسين الذين لم يكن بإمكانهم أكل قـربان الفصح في الشهر الأول، أن يجتمعـوا ليفعلوا ذلك في الثـاني، وهناك جـرى منع الناصريين من شرب النبيـذ أو الخمـرة القـوية، وأن يأكلوا الزبيـب، أو الخل المصنوع من الخمـرة، وهنا جـرى إخراج المجذومين والذين في أجسـادهم قروح، من المعسكر، وهنا أيضاً صـدر الأمر إلى اللاويين بالقيـام بخدمـة خيمـة العهد شروعـاً من سن الخامسـة والعشرين، وأن يتولوا حـراسـة الآنية من سن الخامسـة، وهنا

جرى صنع بوقين من الفضة، على صوتهما كان يتوجب على بني إسرائيل الاستعداد للقتال.

وكان المنزل الثالث عشر عند«قبور الشهوة» حيث كان الاسرائيليون قد ملوا من الطعام السماوي وسئموا، واشتاقوا إلى قدور اللحم المصرية، ولهذا التهمت نار مفاجئة كثيراً منهم، وهنا نزل الرب بالغمام فوق الشيوخ السبعين النخبة، وأخذ الروح التي كانت فوق موسى وأعطاها إلى الشيوخ السبعين.

وكان المنزل الرابع عشر هو حضيروت حيث اتخذ هرون الكاهن وأخته مريم موقفاً عدائياً من أخيهما موسى، ورميا بأسنانه، لأنه تزوج امرأة أجنبية، ولهذا فإن معنى حضيروت«اعتداء».

وكان المنزل الخامس عشر هو رثمة، التي معناها«ضجيج» أو«اندفاع»، ومن هناك جرى إرسال الاثني عشر جاسوساً إلى أرض الميعاد، وجلبوا معهم عنقوداً من العنب من هناك، وهناك ثار داثان وأبيرام ابنا قوره ضد موسى وهارون، فانشقت الأرض وابتلعتهم هم وأسرهم وجميع خيمهم وأثاثهم وثرواتهم، وهنا حملت عصا هرون فاكهة وأوراقاً، وهنا جرى قتل إنسان من قبل الناس، لأنه تولى جمع عصي، في يوم السبت.

وكان المنزل السادس عشر«فرز الرمان» الذي يعني باللاتينية«توزيع الرمان».

وكان المنزل السابع عشر«لبنه» الذي يعني«التبييض».

وكان المنزل الثامن عشر هو رسه، الذي يعني«لجم».

وكان المنزل التاسع عشر«كليزه»، الذي يعني«كنيسة».

وكان المنزل العشرون عند جبل شافر، الذي يعني«الجمال»، أي أن

تقول:«المسيح».

وكان المنزل الحادي والعشرون«عرضه»الذي يعني«معجزة».

وكان المنزل الثاني والعشرون مقهيلوت الذي يعني«في الاجتماع» أي في الكنيسة.

وكان المنزل الثالث والعشرون في تاحت الذي يعني «الخوف».

وكان المنزل الرابع والعشرون في تاسي الذي يعني «استهزاء» أو«مرعى».

وكان المنزل الخامس والعشرون في مثقة الذي يعني«حلاوة».

وكان المنزل السادس والعشرون في أسموله الذي يعني باللاتينية«سرعة».

وكان المنزل السابع والعشرون في أسيروك الذي يعني«أغلال» أو«عقوبة».

وكان المنزل الثامن والعشرون في بني يعقان الذي يعني«الأولاد يحتاجون»أو«ضجة».

وكان المنزل التاسع والعشرون في جد جاد الذي يعني«رسول» أو«تحريم» أو«ختان».

وكان المنزل الثلاثون في يطبات الذي يعني«الجودة» أي«المسيح».

وكان المنزل الحادي والثلاثون في عبرون الذي يعني«عبور».

وكان المنزل الثاني والثلاثون في عصيون جابر الذي يعني«عظام إنسان».

وكان المنزل الثالث والثلاثون في قفارسين، التي هي قادس، وتعرف

أيضاً باسم قـادس القفار، لأنه جرت ترجمة كلمـة سين إلى«مقدس» من قبل«جسـد دعي»، وذلك مثل ucus ، وهي حـديقــة، دعيت كمايلي Quia Minime Luceat ، لأنها لا تشع.

وهنا ماتت مريم أخت موسى وهارون ودفنت، وهنا أغضب موسى الرب بسبب كلمـة تجديف تفـوه بها، ولهذا جـرى منعـه من عبـور نهر الأردن، وهنا التات عقله بسبب نحيـب الناس، وضرب الصخرة بشك مـرتين، وكأن الرب غير قادر على جعل الماء ينبع من الصخـرة، ويجري الآن جدولان من هناك، يسقيان جزءاً من العربية.

وكـان المنزل الرابـع والثـلاثون عند جبل هـور في بلاد أدوم، وهو الجبل الذي صعـد هرون إليـه بناء على أمـر من الرب، ومـات في مكان كان اسمه بيروث، وقد دفن في جبل هور، وقد خلفه في منصبه ككاهن أعلى ابنه العـازر، وعنـدمـا سمع عكان بأن الاسرائيليين قـد باتوا على مقـربة، أنشبـوا قتـالاً فـوق البقعـة التي أخـاف فيهـا الجواسيس الناس بإخبارهم عن حجم وتعداد أبناء عكان، وقد هزم الاسرائيليون، لكنهم قـاتلوا ثانية، وتمت هزيمـة المنتصرين في المكان نفسه الذي انتصروا فيـه من قبل، وأرغموا على الفرار.

وكان المنزل الخامس والثلاثون صلمونه.

وكـان المنزل الســادس والثـلاثون فينون، وهـذان المنزلان ليسـا مـوجودين في السيـاق التـاريخي، وفيهما تشكى الناس بعد وفـاة هرون، ضد الرب وضد موسى، ذلك أنهم كرهوا المن، ولهذا جرى عضهم من قبل الأفاعي.

وكـان المنزل السابـع والثلاثون أوبوت الذي قيـل معناه«ساحـر» أو نبية».

وكان المنزل الثامن والثلاثون عبر في بلاد مآب، الذي معناه «كوم من

الحجارة عبرت».

وكان المنزل التاسع والثلاثون ديبون جاد حيث أنشب الاسرائيليون القتال مع سيحون ملك العموريين، ومع عوج ملك بيسان، وقيل معنى سيحون«إغواء العيون»، ومعنى عوج«الحبس»، ومعنى بيسان«فوضى».

وكان المنزل الأربعون بعد ديبون جاد في علمون دبلاتاريم التي قيل معناها«إغواء» أو«خجل الطرقات»، وعلى مقربة من هناك، باتجاه أريحا، يوجد المكان الذي اسمه ثافون حيث كتب موسى سفر التثنية، وهنا أيضاً المكان الذي اسمه قدموس، الذي أرسل موسى منه رسلاً إلى سيحون ملك العموريين.

وكان المنزل الحادي والأربعون هو جبل عباريم الموجود في مقابل نبوب، ومعنى اسم جبل عباريم هو«جبل الذين عبروا» فهناك مات موسى، وتم تشريفه من قبل الرب بدفنه هناك، وعلى كل حال من غير الممكن رؤية قبره في أي مكان، وقد خلفه في منصب القيادة يوشع بن نون، ولهذا أطلق عليه أولاً اسم يشوع.

وكان المنزل الثاني والأربعون في المنطقة السهلية لبلاد مآب، على ضفاف نهر الأردن، على مقربة من أريحا، حيث نصبوا خيمهم، وامتد معسكرهم من القفار حتى بيتسرثيم فوق جبل مآب، وفيها الناس هناك جرى لعنهم من قبل بلعام المقدس، الذي اكتراه بلك مقابل ثمن، ولعنهم من على كرنيم، فوق جبل مآب، لكن اللعنات تحولت إلى مباركات، وكان بلعام جالساً على ظهر أتانه، عندما رأت ملاك الرب واقفاً أمامها، وبيده سيف مشهور، وقد تكلمت معه بشكل إعجازي، ويوجد كهف كرنيم المتقدم الذكر في جبل مآب، وقد دعي هذا الجبل باسم«المقطوع» وذلك بسبب انحداره الشديد، وفي ذلك السهل المتقدم الذكر، وضع بلك — بناء على نصيحة بلعام — امرأة في داخل بيت،

وبنى مذبحاً أمام الأبواب هناك، من أجل إمكانية قدوم الاسرائيليين إلى هناك للتضحيـــة لـلأوثان، ومن ثـم اقتراف الزنا مـع بنات مـــآب، وضـلالهم، لكن فنحاص، الكـاهن الغيور، طعن زمبري وعـاهرته معـاً بسكين، حتى يمكن إبعاد غضب الرب، وجرى تعداد الناس هنا للمرة الثانية، وكذلك تعداد اللاويين، ومضى الناس من هناك لإنشاب القتال ضـد المدينيين، ومـات بلعـام، ولـدى اقتراب بني إسرائيل من ميـاه نهر الأردن، تراجع النهر، ووقف، وتجمعت مياهـه أمام تابوت عهد الرب، وذلك حتى عبروا جميعـاً، وبعـد هذا، بما أن سبط راؤبين ونصف سبط منشا، قد امتلكا الكثير من الحيـوانات حول الأردن، كانا أول من دخل إلى هناك وتملك، وقـد جلبـوا من قبل يشـوع بمثـابة ضيـوف إلى أرض الميعـاد، إلى الجلجـال، حيث وضعـوا خيمـة عهـد الرب مع خيـام بني إسرائيل.... وجرى بعد هذا إصـدار تحذير إلى بني إسرائيل بعدم جلب أية أوثان إلى الأرض المقـدسـة، أو أن يمتلكوا أياً منهـا هناك، وعـرفت جلجال بمعنى«الدحـرجة» أو«الكشف»، واستـولى بعد هذا سبط يهوذا على اليهودية، واحتلها سبط بنيامين معهم، وكـانا قد استوليا على أريحا، ليس بوساطة الخوف من السيف، وليس أيضاً بضربها بالكباش الناطحة للأسوار، أو باستخدام الأسلحة، بل سقطت أسوارها وتهاوت بعد حمل تابوت عهـد الرب والطواف به سبع مـرات حـولها، ولم يبق فيها أحـد حي باستثناء راحـاب، والذين اختـارتهم للبقاء أحيـاء، واستـولى نصف سبط منشـا وسبط افـرايم على السامـرة، واستـولى سبط زبلون، وسبط نفتـالي، وسبط آشر على الأجزاء العلوية مـن الجليل، وبالطريقة نفسهـا استولت الأسباط الأخـرى على جميع بلاد الملوك الاثنين والثلاثين مابين فلستيا وأدوم.

وعلى بعد ثلاثة أميال من أريحا وعلى ميلين من نهر الأردن تقوم بيت أجلا، وقد ترجمت هذه التسمية بأن معناها«مكان الانعطاف»، لأن أبناء

يعقـوب وأهل بيتـه تحلقوا حـول جسـده، على شكل النائحين، وذلك أثناء جلبهم إيّاه من مصر إلى حبرون، وفي القفـار الواقعة خلف أريحا، توجـد عين الجدي، حيث أخفى داود نفسـه، وقـد قيل بأن عين الجدي الواقعة قـرب البحر الميت، هي البلاد التي جرت العـادة بأن يجلب منها البلسم، حيث يحكى بأنه كـان ينمـو هناك، ولهذا أطلق عليـه اسم«نبيـذ عين الجدي»، وقـرب أريحا وليس بعيداً عن جلجـال يوجد أم كنخـور، وقيل بأن معنى هذا الاسم وادي عخور — أي للفوضى وللحشود — حيث جـرى رجم عخان حتى الموت، لأنه أخـذ أشياء ملعـونة، ووراء أريحا القـديمة، وعلى الجهـة الشرقية من هناك، يوجـد الجلجال المتقـدم الذكـر، حيث قـام يشـوع بختـن الناس للمـرة الثـانيـة، واحتفل بعيـد الفصح، وهنا انقطع المن عن بني إسرائيل، واستخـدمـواخبـز الطحين، وأقـامـوا في هذا المكان الصخـور التي جلبوهـا بعد إخـراجهـا من نهر الأردن، وبقي تابوت العهـد هناك لمدة طويلة، وفي المنطقة الواقعـة فوق بحيرة اسفلت توجـد شوى، وهي مـدينة قـديمة سكن فيهـا فيما مضى شعب قوي، تمّ قهره من قبل كدرلعومر.

وفي العـربية فيما بين عبريم وحـور توجـد الكرك، ومعنى هذا الاسم الأسـد الشجاع وفيهـا أقام بلدويـن أوف بولليون، الذي كـان الكونت الأول للرها، وأول ملوك الفـرنجـة في القـدس بعـد ذلك، أقـام قلعـة حصينة من أجل الاستيلاء على العـربية ووضعها بأيدي الصليبيين، وأن تكون ركيـزة لمملكـة داوود، وباتجاه الجنوب، يوجـد في العــربيـة جبل فاران.

وتتصل العربية بأدوم في بلاد بصرى، التـي هي بوزور التي جاء منها برخئيل البوزوري.

وهناك بوزور أخـــرى في جبــال أدوم، وهـي التي قــال عنهـــا إشعيـا:«من هو ذاك الذي جـاء مـن أدوم في ثيـاب ملونة من بصرى»؟

ووراء بصرى إلى الجنوب، وباتجاه دمشق، توجد منطقة الطرخونية أو الإيطورية، التي كان حاكمها فيليب، وذلك وفق ما جاء في الانجيل.

وتتصل أدوم بسدراخ، التي هي سورية الدنيا(التحتى)، والمدينة الرئيسة في سورية هي دمشق، ولدمشق ثلاثة أسماء هي: دمشق، وآرام، وأرفاد، ودمشق هي المدينة المبجلة وعاصمة سورية، ويفصل لبنان فيما بين سدراخ وفينيقية، وفي فينيقية توجد مدينة صور التي هي Tyre، وهي أهم حاضرة للفينيقيين، وهي التي — حسبما أخبرنا السريان — لم ترض باستقبال المسيح، عندما سار في المناطق القائمة على شاطىء البحر، والتي — وفقاً لما ذكرته الكتابات المقدسة — قدمت عدداً كبيراً جداً من الشهداء، الذين يعرف الرب وحده عددهم، وفي صور قبر أورجين، ويوجد أمام صور صخرة رخامية كبيرة، عليها جلس المسيح، وقد بقيت هذه الصخرة على حالها دون أن يلمسها إنسان منذ أيامه حتى تاريخ إخراج المسلمين من المدينة المقدسة، لكن بعد ذلك أخذ الفرنجة والبنادقة يقتطعون قطعاً منها، وقد جرى بناء بيعة تابعةلكنيسة المخلص فوق الذي بقي من هذه الصخرة، وكان أبولونيوس ملكاً على صور عندما كان أنطيخوس يحكم في أنطاكية، وكان روا Reu وحيرام ملكان على صور، عندما كان سليمان يحكم في القدس، وقد استولى الاسكندر الكبير على مدينة صور بوساطة وصل أسوارها بالبر الرئيسي، لأنه في ذلك الوقت كان البحر يجري من حولها كلها، واستطاع البطريرك واريامندوس Wariamendus صاحب الذكرى المباركة، بفضل وقاية نعمة الرب، بشجاعة حصار صور، بمساعدة البنادقة براً وبحراً، في أيام المملكة الفرنجية، واستولى عليها، وهكذا تمكن بشكل مجيد من توسيع رقعة مملكة داوود.

وعلى بعد ثمانية أميال من صور، باتجاه الشرق، وعلى شاطىء البحر تقع الصرفند، وهي صرفند الصيداويين، وهنا سكن مرة النبي إيليا،

وأقام من الموت يونه ابن الأرملة التي استضافته بلطف، ومنحته الراحة وأطعمته.

وعلى بعد ستة أميال من الصرفند، تقوم صيدا، التي جاء منها ديدو، الذي بنى قرطاج في أفريقيا، وفسر اسم صيدا على أنه يعني «السعي وراء الأسقف»، واسم صور «التجارة»، ومن هذه المناطق التابعة لصور وصيدا، جاءت المرأة الكنعانية إلى يسوع،عندما كان يسير في تلك الأجزاء، وتحدثت إليه، وتحدث يسوع إليها، وهناك في جبال صيدا والصرفند يوجد بلدة جاث حيفر Gath-heper ، التي جاء منها النبي يونه.

وعلى مسافة ستة عشر ميلاً من صيدا تقوم بيروت، التي هي مدينة غنية جداً، ووجد في بيروت تمثال لمخلصنا، صنعه نيقوديموس بيديه، وعندما جرى بعد أمد قصير من آلام المسيح صلب هذا التمثال وطعنه من قبل بعض اليهود، من أجل توجيه إهانة له، تدفق منه دم وماء، وبناء عليه آمن كثير من الناس بالذي صلب حقاً، فضلاً عن هذا فإن كل من جرى دهنه بالذي تدفق من ذلك التمثال شفي من أي مرض كان يعاني منه، مهما كان نوعه.

٤— وبنيت دمشق من قبل ألعازر، خادم ابراهيم، وكان ذلك فوق المكان الذي قتل فيه قابيل أخاه هابيل، وبناء عليه إن معنى كلمة دمشق «نقطة دم» أو «قبلة دم»، ودمشق موجودة في سورية، وقد فسرت كلمة سورية بأنها تعني «العالي» أو «المبلل»، وسكن في المنطقة المحيطة بدمشق عيسو، وهي المنطقة التي عرفت أيضاً باسم سعير، أي «الرجل صاحب الشعر الكثيف»، ومعنى كلمة أدم «الرجل الأحمر»، أو «الرجل صاحب الشعر الأحمر»، ومعنى كلمة عيسو «تكسير».

وهناك جزء من سورية يدعى في هذه الأيام أدوم، وهو الذي ورد

ذكره في المزامير بقـوله: «فوق أدوم سـوف ألقي بحذائي»، وقـد دعيت أيضاً باسم أدوم لأن إشعيا قد قال: «من هو ذاك القادم من أدوم، وهو يلبس ثيـاباً ملونة من بصرى»، ويوجد في أدوم جبل سعير، الذي تقـوم دمشق تحته، وسكن في سعير كوريوس الذي قتل كدرلعومر، وفي أرض أدوم، وعلى بعـد ميلين من نهر الأردن، يوجد نهر يبـوق، الذي خاضـه يعقوب عندما كان راجعاً من بلاد الرافدين، وهناك أيضاً حيث تصارع مع الملاك، وغير اسمه من يعقوب إلى إسرائيل.

وعلى بعـد ميلين من دمشـق، يوجـد المكان الذي ظهـر فيـه المسيح لشاول، وهو يقول: «شاول، شاول، لماذا أنت تعذبني»؟، وأشع في ذلك الوقت ضوء عظيم جـداً من السماء حول شاول، وفي دمشق قـام حنانيا بتعميـد شـاول، ومنحـه اسم بولص، وفي دمشق استرد بولص بعـد تعميـده بصره، ومن فـوق أسـوار دمشق أنزل بـولص في داخل سلة، وبذلك هرب من نافذة ونجا من غضب معذبيه ومطارديه.

وقيل إن معنى كلمة «لبنان» «البياض»، وقـد ورد ذكر لبنان في أغنية سليمان في قـوله: «هلمي معي من لبنان ياعـروسي»، وأمـام لبنان ودونه (سلسلة) لبنان الشرقيـة، التي تطل على منطقـة دمشق، وينبع عند سفح لبنان نهرا: أبانا، وفرفر، وهما نهرا دمشق.

ويجري نهر أبانا خـلال جبـال لبنان وسهل عرقـه، ويصب في البحـر الكبير قرب المكان الذي انسحب إليه القديس يوستاخيوس بعد فقدانه لزوجته ولأولاده .

ويجري فـرفـر في سـورية إلى ربله، ثـم إلى أنطاكيـة، ومن هناك يسير مسـافـة عشرة أميـال بعيـداً عن هذه المدينة ليصب في البحـر عند ميناء السويدية.

وجـاء القـديس لـوقـا الانجيلي من أنطـاكيـة، ولهذا السبب عـرف

بالسوري من حيث الانتماء إلى أمة، ومن أنطاكية أيضاً جاء أصل الذنوب، الملك أنطيخوس، وأنطيخوس المشهور، الذي عانى تحت سلطانه المكابيون السبعة مع أمهم... وقد دفنوا مع بعضهم في أنطاكية في كنيسة مبجلة مكرسة على أسمائهم، وفي أنطاكية عانت القديسة بربارا، وعلى شرفها جرى بناء كنيسة جميلة هناك، زينت بالذهب وبأعمال الفسيفساء، وبكثير من الرخام، المختلف الألوان، وفي أنطاكية جلس القديس بطرس على عرش البابوية لمدة سبع سنوات من بابويته، وقد خلفه القديس يوديوس Eudius ، الذي خلفه القديس إغناطيوس، الذي حمل إلى روما مكبلاً بحبل، وقد مات هناك كشهيد، وفي أنطاكية دعي المسيحيون بهذا الاسم للمرة الأولى، لأنهم كانوا يعرفون من قبل باسم الحواريين[الجليليين].

وينبع من سفح لبنان نهرا«أر» و«دان»، وهما الأصلان اللذان يتشكل منهما عند سفح جبل جلبوع، نهر الأردن، وفي الأردن، على بعد ثلاثة أميال من أريحا، رضي المسيح، وتفضل بأن يجري تعميده من قبل متقدمه، وذلك في مكان زأر كالرعد فوقه صوت أبيه، قائلاً:«هذا هو ابني المحبوب، الذي أنا راضٍ عنه تماماً:استمعوا له»، ونزل الروح القدس في هذا المكان على المسيح على شكل حمامه، واغتسل في الأردن نعمان السوري سبع مرات، وذلك بناء على أمر من إيليا، وبذلك شفي من جذامه، ويدعى الوادي الذي يجري فيه نهر الأردن من جبال جلبوع إلى بحيرة اسفلت باسم«الغور»، ويعرف هذا الوادي أيضاً باسم أولون Aulon ، وهذه كلمة عبرية، وهو وادٍ واسع مع سهول منبسطة، وهو مسيج على كلا الطرفين بجبال تمتد طوال الطريق من لبنان إلى قفار فاران، ويمتد وراء أولون وادي بيسان، ويوجد خلف أولون، وعبر الأردن مدينة بعل، وهي مدينة سبط راؤوبين.

وفي وادي أولون، خلف الأردن مدينة بعل معون التي بنيت من قبل

بني راؤوبين، وفي أولـون، فيما وراء الأردن، هناك بيت رام، الـذي بني من قبل سبط جاد.

وفسرت كلمـة أردن، وقيل معناها هـو«النزول»، وهو يفصل الجليل عن أرض بصرى، التي هي المدينة الرئيسيـة في العربيـة، ويجري نهر دان تحت الأرض طوال الطريق من نبعـه حتى سهل ميـدان، حيث يظهـر مجراه بشكل مكشوف، وأطلق اسم ميدان على هذا السهل، لأن نهر دان موجود في وسطه، وفي العربية يطلـق اسم ميدان على الفسحة المفتوحة، التي يقابلهـا باللاتينية«السهل» أو«السـاحة»، وعـرف ميدان بهذا الاسم لأنه كان يجتمع فيه كل صيف أعداد لا تحصى من الناس، يجلبون معهم كل شيء يمكن أن يبـاع أو يشترى، ويتـلاقـون مع بعضهم، ويقيمـون هناك، ويكون هنـاك أيضـاً الكثير من الجند الفـرثيين والعـرب لحماية الناس ولاطعام قطعانهم في هذه المراعي الخصبة جداً، وتتألف كلمة دان من اجتماع كلمتي«مي» و«دان»، و«مي» في العـربية تعني«الماء»، و«دان» النهر، ومن هذا السهل يحول دان نفسه إلى نهر، ويمر من خلال السواد، حيث نصب يعقوب المبـارك مايزال قائماً، وهـو مبجل من قبل الاغريق والشعوب الأخـرى، والسواد هذا هو جـزء من بلاد عوص، التـي جاء منها يعقوب، ومن السواد جـاء بلداد السوادي، وفي عوص مدينة ثمان، التي هي المدينة الرئيسيـة في أدوم، ومن ثماني جاء علفـاز الثماني، ويوجد في عوص أيضاً مـدينة نعمان التي جاء منها سوفـر النعماني، وكان هؤلاء الثـلاثة أصـدقـاء يعقـوب الذين واسـوه، وينعطف دان مستـديراً نحـو طبرية، وذلك دون مـدينة جـدر، قـرب الحمامـات الطبيـة، ويجري عبر مـوضع الأشـواك ليلتقي بالأر، ويشكـل الأر بحيرة ليس بعيـداً عن بانيـاس، ثم يشكل بعـد ذلك بحـر الجليـل، القـائم بين بيت صيـدا وكفرناحوم.

٥ — ومن بيت صيـدا جـاء: بطرس، وأنـدرو، وجيمس، ويوحنا،

وجيمس بن ألفيوس، وعلى أربعة أميال من بيت صيدا تقوم كوروزين، التي سوف تنجب المسيح الدجال الذي سوف يخدع الدنيا، وعن كوروزين وبيت صيدا قال الرب:«الويل لك كوروزين والويل لك بيت صيدا».

وعلى بعد خمسة أميال من كوروزين، تقوم المدينة العظيمة جداً، وهي مدينة جدر، التي قال عنها في المزمور:«ويل لي إذا ما أعقت... عن الحصول على مسكن بين خيام جدر» ومعنى كلمة جدر«الظلام».

وتقوم كفر ناحوم عند رأس البحر، على الجهة اليمنى، وكانت هذه مدينة قائد المائة الذي شفى يسوع ابنه، ولهذا قال عنه:«أنا لم أجد مثل هذا الايمان في إسرائيل»، وصنع الرب كثيراً من المعجزات في كفرناحوم، وغالباً ما علّم في الكنيس، ومعنى كلمة كفرناحوم«البلدة البيضاء»، أو«البنت الأعظم جمالاً»، أو«ابنة الجمال»، وهي كلمات تصف الكنيسة المقدسة، وبناء عليه فإن جميع الذين نزلوا من لبنان، الذي هو بياض الفضائل، صاروا أكثر بياضاً بها وفيها.

وعلى ميلين من كفرناحوم، يوجد الطريق النازل من ذلك الجبل، حيث وعظ الرب الحشود وعلمهم، وعين حوارييه، وشفى هنا المجذوم، وعلى بعد ميلين من ذلك الطريق نزولاً، يوجد المكان الذي أطعم فيه خمسة آلاف رجل بخمسة أرغفة وسمكتين، ولهذا يدعى ذلك المكان باسم«المائدة»، وكأنه كان مكاناً لتناول الطعام، ودونه يقوم المكان الذي ظهر المسيح فيه لحوارييه بعد قيامته، وأكل معهم من سمكة مشوية، وكان ذلك على شاطىء البحر، ومشى الرب على وجه ذلك البحر جاف القدمين، وذلك عندما ظهر حوالي الساعة الرابعة إلى كل من بطرس وأندرو، وكانا آنذاك يصطادان، وهناك أيضاً قال يسوع لبطرس عندما حاول أن يمشي على وجه ماء البحر وأخذ يغرق:«يا ضعيف الإيمان لماذا شككت»؟، وهنا أيضاً في وقت آخر عندما ظن

حواريوه أن أنفسهم بخطر فوق سطح سفينة، جعل البحر يسكن، وعلى شاطىء هذا البحر هناك المكان الذي اسمه جرجوسيا، حيث شفى يسوع على ظهر الجبل، الذين تلبستهم الشياطين، ومنه قامت الخنازير الذين دخلت إليهم الشياطين المتقدمة الذكر، بناء على أوامره، وألقت بأنفسها نحو مكان سحيق، ويوجد عند رأس البحر هوة على جانب اليسار هي جنسارث، المكان الذي يولّد الرياح التي يتم الشعور بها حتى في هذه الأيام، ومن هذه الهوة نالت بحيرة جنسارث اسمها.

وعلى بعد ميلين من جنسارث توجد بلدة المجدل، التي جاءت منها مريم المجدلية المباركة، وهذه هي منطقة جليل الأمم في بلاد سبط زبلون، وسبط نفتالي الذي منه جاء طوبيا، وفي الأجزاء العلوية من هذا الجليل كانت المدن العشرين التي قدمها الملك سليمان هدية لصديقه حيرام، ملك صور، وعلى بعد ميلين من المجدل تقوم مدينة سينيرث، التي أطلق عليها اسم طبرية اشتقاقاً من اسم القيصر طايبروس، وهي المدينة التي اعتاد يسوع على التردد عليها في أثناء فتوته، ومنحت هذه المدينة اسمها إلى بحيرة طبرية، وعلى بعد أربعة أميال من طبرية تقوم مدينة بيت أوليا، التي جاءت منها يهوديت، وهي الأرملة الجيدة، التي أنقذت شعبها، وبحذر تولت قتل البابلي اولفرنس، بسكينتها، وكان ذلك بخيمته، وحملت رأسه، وظلته الحريرية المنسوجة بالذهب والأحجار الكريمة، وعادت بهما بيديها إلى المدينة، وعلى بعد أربعة أميال عن طبرية باتجاه الجنوب، توجد دوثيم(كذا)، حيث رأى يوسف أخوته يطعمون قطعانهم، وهم الذين لكراهيتهم له، باعوه هناك إلى الإسماعيليين، ومعنى كلمة دوثيم«الطعام»، أو الجزء الأخضر منه.

٦ — وعلى بعد اثني عشر ميلاً من طبرية تقوم الناصرة، وهي مدينة الجليل، ومدينة مخلصنا، لأنه هناك تمّ الحمل به، ونشأ وتربى، ومعنى كلمة ناصرة«الزهرة»، أو «النبتة» وليس هذا من دون سبب، فقد

شهدت فيها هناك نمو الزهرة التي أشبعت ثمرتها العالم أجمع، وتلك الزهرة هي مريم العذراء، التي أعلن لها رئيس الملائكة جبرائيل في الناصرة أن ابن العلي الأعلى ينبغي أن يلد، قائلاً:«حييت يا مريم، المليئة بالنعمة، الرب معك» وله أجابت مريم:«إنني جارية الرب، ليكن بي ما يتوافق وكلمتك».

وعلى بعد ميلين من الناصرة تقوم مدينة الصفورية، وذلك على الطريق الذي يقود إلى عكا، ومن الصفورية جاءت القديسة حنة أم أم يسوع، وعلى بعد ثلاثة أميال من الناصرة، وميلين من الصفورية باتجاه الشرق، في بلاد سبط آشر، توجد قانا الجليل، التي جاء منها فيليب، الذي إليه قال الرب:«يافيليب، إن الذي يراني، يرى أبي أيضاً»، ومثله ناثانئيل الذي عنه قال الرب:«إنه إسرائيلي حقيقي، لا يمكنك أن ترى فيه دنساً».

وفي قانا الجليل، قام يسوع أثناء جلوسه مع أمه في احتفال أحد الأعراس، بتحويل الماء إلى نبيذ، ويوجد في الناصرة جب صغير، اعتاد يسوع في طفولته، أن ينضح منه الماء لاستخدامات أمه، واستخداماته هو نفسه، وعلى بعد ميل من الناصرة باتجاه الجنوب، هناك المكان الذي اسمه«حافة الرابية»، الذي دونه كاد والداه أن يرمياه(يسوع) عندما كان يافعاً، لأنهما غارا منه بسبب حكمته، غير أنه مرّ من بينهما واختفى في لحظة، وعلى بعد أربعة أميال من الناصرة باتجاه الجنوب، يقوم جبل الطور، الذي على ظهره قام يسوع بتغيير شكله، وذلك بحضور حوارييه:بطرس، ويوحنا وجيمس، وكان معه موسى والياس، وهنا أيضاً سمع صوت الآب، وأشع جلالته من حول يسوع، قائلاً بصوت كالرعد:«هذا هو ابني المحبوب، الذي أنا عنه راضٍ تماماً»، وهو قد منع أيضاً بطرس وجون وجيمس من إخبار أي إنسان عمّا رأوه، حتى يقوم ابن الانسان من الموت، وهنا أيضاً قال بطرس:«دعنا نقيم هنا ثلاثة

هياكل، واحد لك، وواحد لموسى وواحد للياس»، وعلى بعد ميلين من الطور، باتجاه الشرق يقوم جبل الحرمون، الذي عنه قال المزمور:«الطور وحرمون سوف يغتبطان باسمك»، وهناك أيضاً حرمون آخر في أدوم قرب لبنان، وعندما كان إبراهيم نازلاً من جبل الطور ، قابل ملكيصادق، الذي كان كاهن وملك سالم، وكان إبراهيم عائداً من قتل أمالك، وقدم له خبزاً ونبيذاً، الأمر الذي يمثل التقدمة التي تعمل عند مذبح يسوع المسيح تحت النعمة.

ومعنى كلمة ملكيصادق«الملك العادل»، وعلى بعد ميلين من الطور توجد مدينة[نعيم] نين التي أقام يسوع عند بابها ابن الأرملة، وردّه إلى الحياة، وفوق نين توجد عين دور، وفي سهل نين بين عين دور والطور يوجد كدوميم، الذي هو جدول قيسون، فعلى ضفاف هذا الجدول، قامت النبية دبورة — بناء على مشورة باراخ بن أبينوئي وتوجيهه بإلحاق الهزيمة بالأدوميين، وذلك في الأيام التي قتل فيها سيسرا من قبل يئيل زوجة حابر الكنتي، وطارد باراخ ذئب وزيح وصلمناع عبر الأردن، وقتلهم بالسيف، وانهزم جيشهم في عين دور، ولهذا قال المزمور:«من الذي هلك جيشه في عين دور، وصار مثل وحل الأرض»، وعلى بعد خمسة أميال من نين توجد مدينة إزرائيل، أي زرعين، ومعنى كلمة إزرائيل«الرب قد زرع»، ولهذا فإن إيزابل، تلك الملكة الشريرة جداً، التي استولت على كرم نابوت، قد رميت أيضاً بسبب أفعالها الشريرة، من أعلى قصرها وماتت، وما تزال آبدتها قائمة، ومن الممكن رؤيتها في هذا اليوم، وقرب يزرائيل يقوم سهل مجيدو، حيث هزم الملك يوشع وقتل من قبل ملك السامرة، وقد حمل من هناك إلى صهيون ودفن هناك، وعلى جبال جلبوع، تقوم القرية التي تدعى زلبوس Zel-bus .

وعلى ميلين من جلبوع تقوم سكيزوبولس، التي هي المدينة الرئيسية

في الجليل، والتي هـي بيسـان، أي بيت أو مـدينة الشمـس، وهي التي علقـوا على أسـوارها رأس شـاؤول، ومـن نولون Naulon على الأردن، وعلى بعد ثمانية أميال مـن بيسان تقـوم نمّون Nemmon وبيت عنيـا، حيث فيهـا عمّـد القـديس يوحنـا، وذلك حسبما نقـرأ في الانجيل، وتوجـد في الجليل زرعـون، التـي إليهـا أشـار إشعيـا بقـوله: زرعـون مـوجـودة في منطقـة السبـاخ، ولهذا فإن المنطقـة مـا بين الطور وسينارث تدعى زرعون.

والطور قـائم في وسط الجليل، وهو جبـل طويل ومستـدير بشكل رائع، وعلى بعد خمسة أميال من يزرابـل توجد مدينة جمنون[كذا]، وبين جنينوم(جينين) ومجيـدو مـوضع الغـور حيث قتل يـاهو ملك إسرائيل أخزيا ملك يهوذا.

٧ — وعلى بعـد عشرة أميال مـن جينين تقوم السـامـرة، التي تدعى أيضاً باسم سبسطية وأوغسطة التي جاء منها سمعان مجوس، وفيها دفن اشبين ومتقـدم الرب، أي يوحنا المعمدان، الـذي أعدم بقطع رأسـه من قبل هيرود عبر الأردن في قلعة مكرونتا، قـرب البحر الميت، وقد جلب من هناك من قبل تلاميـذه، ودفن بين إليجا وإيليا، وقـد أخبرنا فيما بعد أن جسـده قـد نبش عنه وأخـرج من قبل يوليـان المرتد، وأحـرق، وذر رمـاده في الهواء، وذلك باستثناء رأسه، الـذي كان قـد نقل قبل هذا إلى الاسكندرية، ومنها نقل بعـد ذلك إلى القسطنطينية، ومنهـا إلى بواتيه في فرنسا، وأيضاً باستثناء إصبع السبابة، التي أشار بها إلى يسوع عندما كان قـادماً للتعميـد قائـلاً:«انظروا حمل الرب، انظروا إلى الذي سـوف يزيل ذنوب الدنيـا»، وجلبت العذراء تقـلا المبـاركة معهـا سبابتـه إلى الألب، وحفظتهـا هناك وسط تبجيل عظيم جـداً، في كنيسـة القديسـة جين دي مورين، والسـامرة هو الاسم الذي يطلق على كل من المدينة والمقـاطعة، وفي السـامرة توجـد شـونام Sunam ، حيث منهـــا جاءت المرأة

الشـونامية، وتلفظ كلمـة شـونام شنيم Sanym، وفي السـامــــرة توجـد تيرسيليا Tersilia التي جاء منها مناهن، وعلى مسافة أربعـة أميال من سبسطية توجد مـدينة نابلس، التي تدعى أيضـاً باسم شكيم، ومن شكيم جـاء أبو عمـور، وهي قـائمـة بين دان وبيت إيل، ومن شكيم حملت تلك البلاد اسم بـلاد شكيم، وكـانت شكيم مـدينة عمور الذي ضاجع دينة ابنة يعقـوب، وذلك عندما كانت تسير في تلك المنطقــة إثر عــودتها من بـلاد الرافــدين، وقــد جلبت عظـام يوسف واستعيـدت من مصر إلى شكيم، ودفنت هنـاك، وعلى مقـربة من الجب الموجــود في شكيم صنـع يربعــام العجلين الذهبيين، ممـا جعله يتسبب بعبادتهما من قبل العشرة أسباط الذين أضلهم، واقتـادهم معه بعيداً عن القدس، وقد وضع واحـداً من هذين العجلين في دان، ووضع الثاني في بيت إيل، وقــد دمـر أبنـاء يعقـوب مــدينة شكيم هذه وقتلوا عمـور لغضبهم من مضاجعته لأختهم دينه، وتدعى شكيم في هذه الأيام باسم نابلس، أي«المدينة الجديدة». وقـرية شيكار واقعة خـارج شكيم، وذلك قـرب البـلاد التـي أعطاها يعقـوب إلى ابنه يوسف، وفيهــا يوجـد نبع يعقـوب، الذي هـو أيضـاً بئر، وهو الذي — تبعـاً لرواية الانجيل — جلس يسوع إلى جانبه عندما كان منهكاً بسبب سفره، وتحادث مع المرأة السامرية، وقد بني الآن فوق تلك البقعة كنيسة، وعلى مقربة من شكيم توجــد شجـرة البطـم، التي أخفى يعقــوب تحتهـا أصنامــه، ويؤكــد السـامريون أن مـدينتهم مظللة بجبلين مشهورين هما جبآل في الشمال، وجـرزيم في الجنوب، لكن جيروم نقض هـذا التأكيـد وأعلن أن هذين الجبلين في أرض الميعاد في مقابل أحدهما الآخر، فأحدهما فوق أريحا(أي جبآل) عند المكان، الـذي بنى فيه يوشع — بناء على أوامـر من موسى — مذبحـاً للرب بحجارة غير منحوتة، وجـرزيم على مقربة من هناك، وقـد قال بأن أصـوات الرجـال وهم يبـاركون ويلعنـون مسموعـة من أحدهما إلى الآخـر، الأمر الذي من غير الممكـن القيام به وحدوثـه فوق

الجبلين المطلين على نابلس.

وعلى بعد ثمانية أميال من شكيم، باتجاه الجنوب، تقوم مدينة تمنة، وهي مدينة يوشع، حيث مات فيها، وحيث ضريحه ما يزال موجوداً، وعلى مسافة ميل من شكيم توجد بيت إيل، التي كانت تعرف من قبل باسم لوزة، وهي تدعى باسم أولام Olam في العبرية، وقد عاش هنا إبراهيم لمدة طويلة، وهنا أيضاً رأى يعقوب أثناء نومه السلم الواصل إلى السماء، والملائكة يصعدون وينزلون، وبناء عليه أفاق على الفور وقال:«هذا المكان في الحقيقة مقدساً، وهذا هو باب السماء».

وقد أقام هناك صخرة تخليداً لما رآه، وصب عليها زيتاً، وصار المكان يعرف باسم بيت إيل، وهو المكان الذي كان اسمه قبل لوزة، وفي بيت إيل كان إبراهيم — بناء على أمر من الملاك — على وشك التضحية بابنه اسحق(؟).

وعلى بعد اثني عشر ميلاً عن شكيم، وأربعة أميال عن القدس، وعلى الطريق الذي يقود إلى اللد، يقوم جبل شيلوه، ومدينة راما، حيث أقام تابوت العهد وخيمة العهد هناك بانتظار قدوم بني إسرائيل، لابل حتى أيام الملك داود، والنبي صموئيل.

وعلى بعد أربعة وعشرين ميلاً من شكيم، وستة عشر ميلاً من اللد، وستة عشر ميلاً من حبرون، وثلاثة عشر ميلاً من أريحا، وأربعة أميال من بيت لحم، وستة عشر ميلاً من بير السبع، وأربعة وعشرين ميلاً من عسقلان، ومثل ذلك من يافا، وستة عشر ميلاً من الرملة، تقوم مدينة القدس، وهي العاصمة الأعظم قداسة في اليهودية، والتي هي صهيون، ولهذا قيل عنها:«قد قيل بك أمجاد يا مدينة الرب»[مزمور: ٨٧ / ٢] ، وهي أيضاً تعرف باسم إيلياء، اشتقاقاً من اسم إيليوس هدريانوس، الذي أعاد بناءها.

٨ — وعلى بعـد أربعـة أميـال عن القـدس، تقـوم مـدينة بيت لحم، وذلك باتجاه الجنوب، وهي التي قيل عنهـا:«أما أنت يا بيت لحم، لست بأي حال من الأحوال الأقل بين أمـراء اليهودية»[ميخا:٥ / ٢ مع فرق كبير]، وكانت أيضاً تعرف باسم إفراته، ولهذا قيل عنها في المزمور:«هو ذا قـد سمعنا بـه في إفـراته»[مـزمـور:١٣٢ / ٦]، ومعنى كلمـة إفـراته«المغبرة»، وكـانت بيت لحم مـدينة يسي:«وزهرة سـوف تنبع من جذوره».

وكـانت هذه مدينة داود، الذي كـان نموذجـاً عن المسيح، فقد كـان داوود قـوي الذراع، ومتـورد الوجنات، وقـد قتل داود جـالوت، وقتل المسيح الشيطان، وكـان داود جميل الوجه، وكـان المسيح أجمل من جميع أبناء الناس، ومعنى كلمة بيت لحم هو«بيت الخبـز»، وهي فعلاً كذلك، ذلك أنها شهدت جلب زهرة الناصرة حيث أنجبت هناك ثمـرة الكرمة من العـذراء مـريم، والمقصـود بهذا ابن الرب الحي، الذي هو خبـز الملائكة، وحيـاة العـالم كله، ويوجـد في بيت لحم قـرب مكان المهـد، المعلف الذي تمدد فيـه الطفل يسـوع، ولهذا قـال النبي:«الثـور يعـرف صاحبه،وتعرف الأتان مـزود صاحبها»، وقد حمل التبن من ذلك المزود، الذي تمدد فيـه الطفل ، إلى رومـا من قبل الامبراطـورة حنة، وأنعم به بشكل مشرف على كنيسة القديسة مريم العظيمة.

وعلى بعـد ميل من بيت لحم، باتجاه الشمال، أشع النجم على الرعـاة، عندمـا ولد الرب، وظهـر الملاك فيما بينهم وهو يقـول:«المجـد للرب في الأعـالي وعلى الأرض السلام، وللناس المسرة»، وجـاء الرجـال الحكماء إلى بيت لحم من الشرق، يقـودهم نجم جـديد، ليعبـدوا عمانويل الذي ولد، وليتعبـدوه بمثـابة ملك الملائكة، وقـدمـوا له هـدايا من الذهب، والبخور، والمر.

وأصـدر هيرود أمـراً بقتل الأطفـال الأبرياء في بيـت لحم والمناطق

المجـاورة، وقد دفن القسم الأعظم منهم على بعـد ثلاثة أميـال من بيت لحم باتجاه الجنوب، وعلى بعد ميلين من تقوع، وعلى بعد ميلين من بيت لحم، باتجاه الغـرب، تقع الرملة، ولهذا عنهـا كتب:«سمع صـوت في رامه»، وتحت الكنيسـة في بيت لحم، ليس بعيداً عن مهد الرب، مـدفون جسد القـديس جيروم، وكذلك فإن الأرملة باولا ويوستـاخيوم، الذي كتب جيروم شخصياً رسالة إليه، مدفونان في بيت لحم، وعلى بعد أربعة أميال من بيت لحم باتجاه الجنوب، تقوم كنيسـة القديس كاريوث، الذي عندما مات، مـات معه رهبانه، لأنه كان راعيـاً تقياً لهم، وبما أنهم كانوا أتقيـاء فقـد تلقـوا إنذاراً مبكراً من الـرب بذلك، لأنه كـان أباً رحيماً لهم،وهم لم يرغبوا بالعيش بعـد موته، في هذا العالم، فقـد كان حبهم له عظيماً جداً، وكانوا يهيمون به.

ومن الممكن رؤية قـلاياتهم المتعددة في الكنيسـة المتقدمة الـذكر، على حـالها مثل وقت قتلهم لأنفسهـم لدى فقـدانهم لأبيهم، وقـد نقلوا فيما بعد إلى القدس، حيث ترقد أجسادهم كلها في مدفن فخم واحد.

وعلى بعـد ميل من بيت لحم، على الطـريق الذي يقـود إلى القـدس، والذي يعرف باسـم قبراتا، ومعناه إما«فراش» أو«ثقيل»، هنـاك موضع قبر راحيل، حيث ماتت بعـد وضعها لابنها بنيـامين، وحيث أيضاً تولى دفنهـا زوجها يعقـوب، وهناك هي ترقد، وقـد بنى يعقوب فـوق قبرها كـومـة مـؤلفـة من اثني عشرة صخـرة عظيمـة، وذلك تخليـداً لذكـرى أولادها الاثني عشر، وقبرها مع هذه الصخور باقٍ حتى هذا اليوم.

٩ — ومـدينة القدس، التي هي الحاضرة الرائعـة لليهـود، قائمـة في وسط العـالم، ومنهـا طرد داود شـاول، ومن ثـم حكم لمدة ثلاثين سنة ونصف السنة، وعن داود قـال الرب:«لقد وجدت رجـلاً وافق قلبي»، وفي القـدس ولد النبـي اشعيـا، الذي وجـد في أيام حكـم منشـا، ملك اليهودية، وهو الذي تنبأ عن المسيح بشكل أعظم وضوحاً مما فعله غيره

من الأنبيــاء، وقــد مــات شهيــداً، ذلك أنـه شطر إلى قسمين، بسبب الكراهيـة التي نالها، ويوجـد في القـدس جبل مـوريا، الذي عليـه رأى داوود الملاك، وهو يضرب بسيفــه المجــرد، وقــد أنـزل بشعب الرب ضربات مـؤلمة، وخشيـة منه أن ينتقـم الملاك منه شخصيـاً، ومن المدينة أيضاً، لأنه قـام بتعداد الناس، خـرّ على وجهه سـاجداً على الأرض، في توبة صحيحــة، وأسف عميق، وهنا سمع مسـامحة الرب لـه وغفـرانه، وقـام فوق جبل مـوريا في أيام حكم داوود أرض بيدر أرونا اليبـوسي، وهذه الأرض أراد داوود أن يشتريها منـه، حتى يتمكـن أن يبني بيتـــاً للرب، لأنه نال غفـرانه وعفـوه في ذلك المكان، ووفره مـلاك الرب ولم ينتقم منه، وكــذلك وفـرّ المدينـة، وأوقف يديه عن القتل هناك، وقــد اشترى داود أرض البيـدر، غير أنه منع من قبل الرب من البناء عليهـا، لأنه كـان رجلاً دمـوياً، ولهذا السبب قام بإعـداداته لابنه سليمان، الذي إليـه منح الرب الإذن بالقيـام ببناء بيت للرب، وعندمـا توفي أبوه، قـام سليمان ببناء هيكل في بيت إيـل، وبنى أيضـاً مـذبحــاً، وكـرس الهيكل للرب، بعـدما أنفق عليـه أموالاً كثيرة جـداً، وقام بإيمان مهيب وتقـوى فسأل الرب أنه كلما طلب منه مطلباً أن يصغي له، وقد منحه الرب هذا الرجاء، ولهذا السبب حمل بيت الرب هذا الاسم«بيت الدعـاء»، وأقول بأن هذا الهيكل قـد جرى تدنيســه وسلبه من قبل الفـرعون نيقـو، ملك مصر، وكـان ذلك في أيام رحبعـام، ابـن سليمان المتقـدم الذكـر، وتمكن نبوخذ نصر في أيام صدقيا، بوساطة كبير طباخيه نبوزردان، من أن يهدم أخيراً كل من الهيكل والمدينة، وقــد أمـر بأن يحمل إليـه كل شيء ثمين كـان هناك في الهيكل أو بالمدينة، وذلك بعـد سلبـه، وأن ينقل إلى بابل، وأمر أيضاً بحمل الملك صدقيا والشعب.

وأعيــد فيما بعـد بناء الهيكل أيام الملـك قـورش من قبل إســدراس الكاتب، ونحميا الكاهن، وأعيد الناس، وأرجعوا تحت قيادة زيروبعل،

ويوشع الكاهن الأعلى، وجرى تدنيس الهيكل فيما بعد وتهديمه من قبل أنطيخوس، ثم أعيدت عمارته في أيام المكابيين، وكذلك جرى تدنيسه من قبل بومبي، الذي أقام فيه، عندما كان فاراً من أمام يوليوس قيصر، وجرى أخيراً تهديم الهيكل للمرة الثالثة، وقلب عاليه سافله حتى أساساته في أيام حكم تيتوس وفسبسيان.

ولسوف أدون في هذه الرسالة — بقدر ما أستطيع — لصالح جميع القراء لهذا الكتاب، الحقيقة حول الوضع الحالي لبيت إيل: إنه في جميع الأحوال ما من أحد يعرف بشكل أكيد من قبل أي أمير، أو في عهد حكم من أعيدت عمارته، فبعضهم يقول: أعيدت عمارته في أيام حكم الامبراطور قسطنطين من قبل أمه هيلانة، وذلك صدوراً عن احترامها للصليب المقدس الذي وجدته هناك، ويقول بعضهم الآخر: لقد أعيدت عمارته من قبل الامبراطور هرقل، صدوراً عن احترامه لصليب الرب، الذي أعاده بشكل ممجد من فارس بعد انتصاره، ويقول آخرون بأن عمارته قد أعيدت من قبل الامبراطور جستنيان، ويقول آخرون: لقد بني من قبل واحد من حكام ممفيس(مصر) تشريفاً«لله الكبير» أي الله العلي الأعلى،ويبرهن على صحة ذلك الكتابات العربية الموجودة عليه، وبناء على هذا كله: إن هذا الهيكل المبجل بتقوى من قبل جميع الناس من جميع الألسن سواء، يستحق أن يدعى باسم الهيكل الرابع، وفي الهيكل الأخير الذي كان موجوداً قبل هذا، جرى ختن الطفل يسوع، في اليوم الثامن من تاريخ ولادته، وجرى عرض جلدة غرلته في الهيكل في القدس من قبل ملاك من السماء، ثم حملت من قبل الملاك، وقدمت هدية إلى الملك شارل الكبير(شارلمان)، وقد نقلت من قبله إلى آخن في غاليا، وبعد هذا نقلت من قبل شارل الجريء، ابن لويس التقي إلى الكنيسة التي بناها على شرف المخلص في كارو Charroux في أكوتين، في مقاطعة بواتيه، وقد أوقف عليها ممتلكات عظيمة، عهد

بإدارتها للرهبان، حيث تعبد هناك بمهابة، من ذلك الوقت حتى اليوم الحالي، وفي يوم طهارة العذراء كان يسوع حاضراً مع أمه في الهيكل، وجرى استقباله وتسلمه من قبل سمعان المبارك، الذي قال له:«الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام»الخ«نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل»[لوقا:٢ / ٢٩ — ٣٣]، وفي الهيكل حرر المرأة من إثمها، بعدما اعتقلت وهي تمارس الزنا، وقال:«دعو الذي بلا ذنب يرمي أول حجر عليها» وقال للمرأة:«أيتها المرأة اذهبي بسلام، ولا تذنبي بعد».

وفتح في الهيكل سفر إشعيا، وشرح بعضاً مما جاء فيه لليهود، ومدح في الهيكل تقدمة الأرملة الفقيرة، التي رمت بها في صندوق الخزينة،لأنها قدمت كل ما كانت تمتلكه.

واعتاد يسوع أثناء إقامته في القدس على تعليم اليهود في هذا الهيكل، وكانوا على كل حال يغارون منه.

وحدث أنه على أعلى زاوية الهيكل، وقف الشيطان ليسوع، يحاول إغواءه وقال له:«إذا كنت ابن الرب ألق بنفسك من هنا»، فأجابه الرب قائلاً:«قف خلفي أيها الشيطان، إنك لن تغوي الرب إلهك»، ومن هذا الهيكل جرى إلقاء القديس جيمس من أعلاه، وهو الذي كان الكاهن الأعلى الأول تحت الغبطة في القدس، وفي الهيكل في القدس جرى إخبار زكريا من قبل الملاك بولادة ابنه يوحنا المعمدان، ولقد حدث مقتل الشهيد زكريا بن براخيا فيما بين الهيكل والمذبح، ولقد اعتادوا في ظل العهد القديم على أن يضحوا على هذا المذبح بثلاث حمائم وطيور، وقد صنع المسلمون من هذا المذبح مزولة، يمكن رؤيتها في هذه الأيام.

وحدث أنه عندما كان بطرس ويوحنا يمران من خلال الباب الجميل العائد لهذا الهيكل، أنه قال للرجل الذي كان محمولاً يطاف به

هناك، لأنه كان أعرجاً منذ ولادته: «إن ما لدي، أعطيك إياه».

ويوجد في القدس بركة الضأن، الذي اعتاد ملاك الرب في أيام يسوع، أن يثير الماء فيها في أوقات محددة، وعندها فإن أول شخص مريض يدخل إلى الماء بعد تحركه، يشفى من أي مرض كان يعاني منه.

وفي الاغريقية معنى كلمة Probatan باللاتينية «ملك الضأن»، لأنه بعد التضحية اعتاد الناس على غسل أحشاء الأغنام هناك، وهذه الأحشاء تكون بالعادة لونها أحمر بسبب دماء الضحايا، وأمام بركة الضأن شفى يسوع المريض وأعاد صحته إليه حيث قال له: «احمل فراشك وامش»، وفي وسط القدس أقام يسوع الفتاة من الموت، وفي القدس جرى سجن بطرس من قبل هيرود، وأطلق بعد هذا سراحه من قبل ملاك الرب، وحمل إلى خارج المدينة من خلال الباب الحديدي، الذي انفتح لهما من قبل نفسه.

وفي أحواز القدس، في وادي أبناء عمون، هناك مكان توفت Toph-et حيث لم يخجل الاسرائيليون من عبادة الأوثان العائدة للأمم، وفي أحواز القدس أيضاً، فيما بين مكان توفت، وحقل القصار، وحق الدم، دون قصر سليمان، وعلى جانب جبل صهيون، وتقريباً في وادي شعفاط توجد بركة استحمام سلوان، التي إليها أرسل يسوع الرجل الأعمى، بعدما ردّ البصر إليه، وقد أرسله إلى هناك حتى يغسل عينيه، وبالفعل غسل عينيه واسترد بصره، وبناء عليه قيل بأن معنى كلمة سلوان «أرسل»، وتأتي مياه سلوان — تبعاً لتقاليد السريان — من شيلوه، ويتدفق نبع سلوان بصمت، لأن مياهه تجري تحت الأرض، وعلى بعد أقل من رمية حجر عن سلوان يوجد جب روجل، وعلى مقربة من روجل توجد صخرة زوحلت Zoheleth ، حيث ضحى أدونيا Adonjiah بأضاحيه.

وفي وادي شعفـاط جرى دفن القـديس جيمس، ونقل بعـد ذلك إلى القسطنطينيـة، ويرقـد في وادي شعفـاط الملك شعفـاط تحت هرم حـاد الرأس.

وعلى بعـد ميلين من القـدس، وعلى الطـريق الذي يقـود إلى شكيم، يقوم جبل جبعة، وذلك في ديار سبط بنيامين.

وعلى بعد ميلين من القدس، وعلى جانب جبل الزيتون، وذلك باتجاه بحيرة اسفلت تقـوم بيت عنيا، وإلى جانـب جبل الزيتون، وبمـلاصقته يوجد جبل العدوان، وهما منفصـلان عن بعضهما بوساطة الطريق الذي يسير من وادي شعفـاط، ومن خـلال بيت فاجي، إلى بيـت عنيا، وقـد عـرف باسم جبل العـدوان، لأن الملـك سليمان أقـام عليـه صنم ملوخ Moloch وعبده، وبيت عنيا هي القرية التي جاء منها سمعان المجذوم، الذي غالباً مـا استضاف كل من يسوع ومريم، ومـرثا، وتولى خدمتهم بكل إخـلاص وتقـوى، وفي بيت عنيـا غسلـت مـريم قـدمـي يسـوع بدموعهـا، ومسحتهما بشعرها، ودهنتهما بدهن، فنالت الغفـران لذنوبها، ومـدح في بيت عنيـا كل من مـرثا ومـريم، وكـانت مـرثا مهتمـة كثيراً بخدمته، واهتمت مريم بالاصغاء إلى كلماته، وقد أثير بأدعيتهما وبكائهما فأقـام من الموت أخـاهما ألعـازر، وذلك بعـدمـا مضى على مـوته ودفنه أربعة أيام، وقيل بأن معنى كلمة بيت عنيا هو«بيت الطاعة».

وكـانـت بيت فـاجي أيضــاً قـرية كهنة، وهـي«بيت الفم» أو «بيت الفك»، وجبل الـزيتــون هو جبل الدهـن«المسح» أو جبل الأضحيــة، ووادي شعفـاط هـو وادي الحكم، وفسرت كلمـة القــدس بأن معناها هو«رؤيا السلام»، وفسرت أيضاً كلمة صهيـون بأن معناها«برج مراقبة» أو «مراقبة».

ومن خـلال هذا الطريق ذهب يسوع إلى القـدس، وكان جـالساً على

ظهـر أتان، وذلك في اليـوم الذي احتفل فيـه بأحـد السعف، ووفق الطريقة نفسها على كل كـاثوليكي يطيع أوامر العلي، أن يمثل في حضرة الكهنة، الأوصياء في عالم الرب، وذلك بغية أن يتسلم منهم التقويم، ثم يمضي في وادي الحكم، أي أن تقـول:ندم التـوبة الحقيقيـة، حتى يحكم على نفسـه هنـاك، ويقـرع البـاب الشرقي، الـذي هو المسيح، الشرق الصحيح، وذلك من أجل أن يتمكن بجـدارة من الدخـول إلى القـدس المقـدسة، وإلى صهيـون السماوية، لكي يتـزين بثـوب السرور، وليحكم معه إلى الأبد.

وعلى جبل صهيـون كـان يسـوع قـد غسل أقـدام حـوارييـه،وهو يقول:«افعلوا هذا وأنتم تتـذكرونني»، وعلى جبل صهيـون تعشى يسوع مع حوارييه.

هنا نهاية وصف بيد للأرض المقدسة.

حاج مجهول
(قرن ثاني عشر)
وصف الأرض المقدسة

على كل من يـود الدخـول إلى القــدس، أن يؤم الشرق دومــاً، وأن يدخل من خـلال باب القديس اسطفـان: فهناك في خارج البـاب جرى رجم القـديس أسطفـان، وعليه أن يسأل في القـدس عن الأمـاكن وفق ترتيبها الصحيح.

ويوجــد في القـدس ضريـح الرب، وعند المدخل إلى أبواب كنيســة الضريح المقدس، ووراء الباب الخارجي، توجد كنيسة أكرا (الجمجمة)، حيث كـانت مريم المبـاركة واقفـة، وحيث كـان القديس يوحنا واقفاً أيضاً، وذلك عندما قال الرب «انتبهي أيتها المرأة هو ذا ابنك..... يابني هو ذا أمك»، ويوجـد خـارج باب الكنيسـة، على جهة اليسـار، مـذبح القديس يوحنا المعمدان، ومن داخل الباب، يوجد ثانية على جهة اليمين جبل أكرا (الجمجمة) حيث جـرى صلب الرب، ودونه توجد الجلجلة، حيث سقط دم الرب فوق الصخـرة، وكان هناك رأس آدم، وهناك قدم إبراهيم أضحيتـه، وعلى الطرف الآخر عند سفح جبل أكـرا يقوم المكان والعمود، حيث جرى جلد الرب، وعلى مقـربة منه باتجاه الشرق، وبعد النزول أربعين درجـة، يوجد المكان الذي وجـدت فيه القـديسة هيـلانة الصليب المقـدس، ويوجد في الكنيســة ضريح الرب، وهناك على مقـربة منه، على الطرف الشرقي، وفي وسط السـدة هناك، يوجـد وسط العـالم، حيث تمدد الرب، عندمـا أنزله نيقـوديموس من على الصليب، ويوجـد على جهـة اليســار سجن الرب، وبالجوار هنـاك المكان الذي يتعبـد فيـه الصليب المقدس.

وعلى مقربة من كنيسة الضريح المقدس، تقوم كنيسة القديسة مريم، التي تعرف باسم كنيسة القديسة مريم للاتين، وذلك فوق المكان الذي قيل بأن القديسة مريم المجدلية، والقديسة مريم زوجة كيفاس، قد مزقتا فيه شعريهما، عندما وضع الرب على الصليب، ويوجد هناك مشفى القديس يوحنا المعمدان.(المعطاء)

وعلى بعد رميتي سهم من ذلك المكان يوجد هيكل الرب، الذي بني من قبل سليمان، وله أربعة مداخل، واثني عشر باباً، ويوجد في وسط الهيكل صخرة عظيمة، حيث جرت العادة بوضع التابوت وخيمة العهد عليها، وكان في التابوت آنذاك عصا ابراهيم، وألواح الشريعة، والشمعدانات الذهب، ووعاء المن التي سقطت من السماء، وكانت هناك نار القربان، ومن هناك مايزال يتدفق الزيت الذي جرت العادة أن يمسح به الملك والأنبياء، وعلى مقربة من هذا المكان جرى تقديم ابن الرب، ورأى يعقوب السلم نازلاً من السماء، وعلى جهة اليسار من السدة يوجد النقش التالي:

«ملك الملوك الذي ولد من أم عذراء،

جرى تقديمه هنا، هذه أرض مقدسه.

هنا رأى يعقوب السلم، وهنا بنى

مذبحه. علّنا نتمكن من تعليق أعطيات حوله».

ويوجد على جهة اليمين المكان الذي ظهر فيه الملاك لزكريا، ودون ذلك مكان الاعتراف، الذي كان فيما مضى قدس الأقداس، وهو المكان الذي أطلق فيه الرب سراح المرأة التي أمسكت متلبسة بالزنا، وقد نقش هناك:

«من الذنب حررت أنا الناس

إذا ما اعترفوا بذنوبهم لي».

وهناك جرى الاعلان عن ولادة القديس يوحنا المعمدان، وهناك أيضاً عمود يجري تعبده من قبل المسلمين، حيث يقال بأنه قائم في المكان الذي قام عليه المذبح الذي أقيم فوق البقعة التي أراد ابراهيم أن يضحي فيها بابنه، وهناك أيضاً كنيسة فوق الموضع الذي ألقي عليه القديس جيمس من أعلى الهيكل، ووراء هذا، في خلف الهيكل هناك مذبح قرب المكان الذي قتل فيه القديس زكريا، والباب الجميل هو الباب الذي يؤدي إلى صحن الهيكل.

وعلى الجهة الأخرى من الهيكل، فيما بين الهيكل والباب الذهبي هناك أشجار، فهناك حمل الأطفال الأغصان، عندما ركب الرب على ظهر أتان، وهناك قرب هيكل سليمان، عند زاوية المدينة، توجد عليّة المسيح (المهد؟) وفراش أمه وحمامها، وهناك ضريح القديس سمعان.

وعلى الجهة الشرقية، قرب الهيكل، يوجد الباب الذهبي، وإلى الشمال هناك بركة الضأن، وهناك أيضاً على مقربة منها كنيسة القديسة حنة، والبئر الذي يذهب الحجاج إليه، وعلى مقربة من كنيسة القديسة حنة هناك كنيسة القديسة مريم المجدلية، وباتجاه الشمال، على مقربة من الضريح المقدس هناك كنيسة القديس شارتون.

وعلى جهة الجنوب هناك جبل صهيون، حيث توجد كنيسة جميلة بنيت تشريفاً لمريم المباركة، ففيها فارقت الدنيا ومضت إلى السماء، وقد حمل جسدها الأكثر قداسة إلى وادي شعفاط، وعلى جانب اليسار من هذه الكنيسة هناك بيعة قائمة حيث كانت قاعة القضاء والحكم على المسيح، وعلى جهة اليمين هناك الجليلية، حيث ظهر الرب لكل من سمعان (بطرس) والنساء، وفوق، قرب السدة يوجد المكان الذي نزل فيه الروح القدس على الحواريين، وفي تلك الكنيسة نفسها توجد المائدة

التي تعشى المسيح عليها، وذلك عندما قال: «خذوا، وكلوا، هذا هو جسدي»، ودون ذلك يوجد المكان الذي غسل فيه أقدام حوارييه، وهناك يوجد الحوض الذي حوى الماء، وفي هذا المكان نفسه وقف يسوع عندما قال: «سلام لكم»، وهنا أيضاً لمس القديس توما جنب الرب، وعلى طرف اليسار يوجد مذبح القديس اسطفان، وذلك فوق المكان الذي دفن فيه.

وفي خارج الكنيسة هناك كنيسة صغيرة فوق المكان الذي دفن فيه.

وفي خارج الكنيسة هناك كنيسة صغيرة فوق مكان قاعة المحاكمة، حيث جلد الرب، وتوج بتاج من شوك، وسخر منه، وهنا كان بيت كيفاس، وخلف جبل صهيون هناك كنيسة فوق المكان الذي فرّ إليه القديس بطرس، وذلك عندما أنكر الرب، وصاح الديك، وباتجاه وادي شعفاط، هناك بركة استحمام سلوان، حيث جرى دفن النبي إشعيا.

ويوجد فيما بين القدس وجبل الزيتون، ووادي شعفاط، حيث دفن الحواريون مريم المباركة، وهناك يوجد جدول قدرون، وهناك أيضاً البيت الاقليمي الذي كان اسمه جيسماني، فمن هناك أبعد الرب بطرساً وبقية الحواريين، بينما أخذ يصلي ويدعو قائلاً: «هل من الممكن يارب» الخ، وهناك أيضاً الحديقة، حيث ألقي القبض عليه من قبل اليهود، وعلى مسافة رمية حجر من هناك المكان الذي صلى فيه، وأخذ عرقه يتصبب منه على الأرض مثل نقاط كبيرة من الدم، وقرب هذا المكان يوجد ضريح الملك شعفاط، الذي منه حمل الوادي اسمه، وهناك أيضاً كنيسة فيها دفن القديس جيمس وزكريا الشيخ العجوز المقدس، وليس بعيداً عن هناك يوجد حق الدم، أو موضع دفن الغرباء.

وصعد الرب إلى أبيه من على جبل الزيتون، وهناك أمر حوارييه بالتبشير بالإنجيل إلى جميع المخلوقات، وليس بعيداً عن هناك توجد

كنيسة صغيرة، فيها تمت تلاوة صلاة الرب، وتحت يوجد كنيسة فيها ضريح القديسة بيلاجيا، بين جبل الزيتون وبيت عنيا تقوم قرية بيت فاجي، التي إليها أرسل بطرس ويوحنا لجلب أتان، وإلى جوارها في بيت عنيا، أقام الرب ألعازر وغفر للمرأة الخاطئة ذنوبها، وهناك كان بيت سمعان المجذوم، وإلى جوار ذلك كنيسة القديسة مرثا، حيث التقت هي ومريم بالرب.

ويمر الطريق الذاهب من القدس إلى بيت لحم من خلال باب داوود، ويمر بكنيسة القديس إلياس، التي بنيت فوق البقعة التي وقف عليها، ويوجد إلى جانب الطريق قبر راحيل، وفي بيت لحم ولد المسيح، وهناك ضريح القديس جيروم، والبئر الذي سقط فيه النجم، وهناك أيضاً صورة تظهر القديسة مريم مع الملوك الثلاثة، وفي الساحة الداخلية هناك قبور الأبرياء، وفي قبو كنيسة العذراء المباركة هناك مذبح قائم فوق المكان الذي ولدت فيه، وليس بعيداً عن بيت لحم هناك الكنيسة القائمة فوق المكان الذي ظهر فيه الملاك إلى الرعاة، وهناك أيضاً كنيسة فوق المكان الذي استراحت القديسة مريم فيه عندما كانت حاملاً بالرب، وعند شرقي هذه الكنيسة يوجد الطريق الذي يقود إلى قبر إبراهيم في حبرون، وذلك على بعد خمسة فراسخ عن القدس، وصنع الرب في هذا المكان نفسه(حبرون) آدم، وليس بعيداً عن هناك كان بيت قابيل وهابيل، وعلى مقربة منها يوجد المكان الذي ظهر الرب فيه لإبراهيم بين ثلاثة، وباتجاه الشرق(الغرب) يوجد المكان الذي حيت فيه مريم إيزابل، وحيث ولد يوحنا المعمدان، وحيث أيضاً سكن زكريا، وعلى بعد ميلين من هناك توجد قلعة عمواس.

ويوجد خارج باب القدس كنيسة الضريح المقدس، وذلك فوق المكان الذي جري قطع خشبته فيه، وفي القدس مكان سجن فيه القديس بطرس، ويوجد في الهيكل نبع ماء الحياة، ولهذا قال النبي:«لقد

رأيت مياهها تخرج»الخ(حزقيال:٤٧ / ١).

وعلى بعد سبعة أميال من القدس يقوم جبل القرنطل، وعند سفح ذلك الجبل هناك حديقة إبراهيم، وعلى مقربة من ذلك المكان توجد مدينة أريحا، وعلى بعد فرسخين من هناك يوجد نهر الأردن، والمسافة من ذلك النهر إلى جبل سيناء تحتاج إلى سفر ثمانية عشر يوماً.

والمسافة من القدس إلى السامرة(شكيم) التي اسمها الآن نابلس هي اثني عشر ميلاً، حيث يوجد البئر الذي تحدث الرب عنده مع المرأة السامرية، وهناك أيضاً الجبل الذي كان إبراهيم سيقدم عليه ابنه، وعلى بعد فرسخين من ذلك المكان توجد سبسطية، حيث جرى إعدام القديس يوحنا المعمدان بقطع رأسه، وحيث رماده محفوظ حتى هذا اليوم.

وعلى بعد فرسخين من هناك يوجد جبل الطور، حيث تغير شكل الرب، وعلى مقربة منه يوجد جبل حرمون، حيث تقوم مدينة نين، التي أقام الرب من الموت، أمام بابها، الابن الوحيد لأمه، وباتجاه الشرق يوجد بحر الجليل، حيث أطعم الرب خمسة آلاف رجل بخمسة أرغفة وسمكتين، وإلى الغرب توجد مدينة الناصرة النبيلة، حيث فيها تمت البشارة إلى العذراء المباركة من قبل الملاك، فهناك كان يوجد بيتها.

وينبغي تعبد هذه الأماكن وأماكن أخرى من قبل المؤمنين.

حاج مجهول
(قرن ثاني عشر، ربما سنة ١١٨٥)
حول بلاد ماوراء البحار

كل من سيزور أرض الميعاد سوف يرى الأماكن التالية كمايلي:

يأتون أولاً إلى مـدينة الناصرة، فهناك أعلن الملاك البشارة إلى مـريم المباركة، وحملت هي بوساطة روح القدس.

ثم يأتون إلى مدينـة القدس، وهناك سوف تجدون في خـارج الأسوار المكان الذي رجم فيـه القـديس اسطفـان، ومن هناك سـوف تقصـدون الضريح المقدس، القائم في وسط مدينة القدس، وعند المدخل إلى كنيسة الضريح المقدس، وعلى جهـة اليمين، يوجد المكان الذي عهـد الرب فيه بالعناية بالعـذراء المبـاركة إلى القـديس يوحنا، وسـوف تجدون هناك في داخل الكنيسة الجلجلـة، وفوقها يوجـد جبل أكرا، حيث جـرى صلب ربنا، وسـوف تذهبون من هنـاك إلى المكان الذي عثر فيـه على الصليب المقـدس، ثم في سدة الكهنة النظاميين ستجـدون المكان الذي مـدد ربنا عليه بعد إنزاله من على الصليب، ومـن ثم لف(بكفن) من كتان، ويقال بأن هذا المكان مـوجـود في وسط العـالم، وقـد حمل من هذا المكان إلى الضريح المقـدس، وعنـد مـدخل الضريح المقـدس يوجـد المكان الذي جلس الملاك فيه عندما كان ربنا في الضريح.

ونصل بعد هذا إلى جبل الزيتون حيث توجد بيعة القديس المخلص، التي تدعى باسم«قـاعة قضاء بيـلايطس»، ففي هذا المكان جـرى تتويج ربنا، وربط، وبصق عليـه، وحكم عليـه من قبل بيـلايطس، ولسـوف تصلون بعد هذا إلى المكان الذي فارقت منه العـذراء المباركة الحياة، ثم

إلى مكان عشــاء الرب، حيث أصــدر أوامـره إلى حــوارييــه، وغسل أقـدامهم، وهناك أيضاً المكان الذي كـرس فيـه جسده، وإلى حيث عـاد إليهم بعــد قيـامتــه، وكــانوا جلوســاً وراء باب مغلق، وخــاطبهم بقـوله:«سلام لكم»، وفي ذلك المكان نزل الروح القـدس على الحواريين في يوم عيـد الحصـاد، وســوف تجدون بعـد هذا قبر الملك سليمان وقبر القـديس اسطفـان، الذي كان الشهيـد الأول، والمكان الذي جـرى فيـه رسم القـديس اسطفــان، ثم سـوف تأتون إلى المكان الـذي أخفى فيـه القديس بطرس نفسه، عندما أنكر المسيح.

ثم تأتون بعد هذا إلى نبع سلوان، حيث غسل الرجل الأعمى عينيه، واسترد بصره مباشرة ومن هناك تمضـون إلى هيكل الرب حيث جـرى تقـديـم المسيح، وقـد تسلمــه هناك سمعـان، وتذهبــون من هناك إلى القديسة حنة.

ومن ذلك المكان إلى وادي شعفاط، حيث سوف تجدون ضريح مريم العـذراء المبـاركة، وبجـوار ذلك المكان، يوجـد الموضع الذي ربط فيـه الرب، ثم إنكم تصعــدون إلى جبل الزيتــون، حيث ستجــدون المكان الذي صعد منه ربنا إلى السماء، وهناك أيضاً كنيسة تدعى«كنيسة الصلاة الربانيـة»، ومن هناك تذهبون إلى بيت عنيـا، حيث أقام ربنا ألعـازر من الموت، وهناك كنيسة القديسـة مريم المجدلية، وهناك صخـرة كان الرب جالساً عليها عندما جاءت مرثا إليه، وتمضون من هناك إلى نهر الأردن.

ومن ثم إلى بيت لحم، حيـث ستجـدون المكان الذي ولد فيــه ربنا، وهناك المعلف الذي تمدد فيــه، وبعــد هذا إلى الموضع الذي حمل إليــه الملاك البشائر الطيبة، والسرور العارم إلى الرعيـان(لوقا:٢) قائلاً:«المجد للرب في الأعــالي، وعلى الأرض»الخ، ومن هناك إلى مكـان البطريرك إبراهيم المقـدس، وبعـد ذلك إلى المكان الـذي ولد فيـه القـديس يوحنا المعمـدان، ومن بعـد إلى البئر الموجود في عمـواس، حيث كـان ربنا يوم

عيد الفصح، وقد عرفوه من خلال كسر الخبز.

ومن هناك إلى جبل الطور، حيث تغير شكل ربنا.

والذي مع الرب الآب، ومع الابن، باتحاد مع الروح القدس، سوف يحكم إلى أبد الآبدين، آمين.

٢
أرنول
(١٢٢٠ م)

- ٣٩١٣ -

مدينة القدس

وصف أوضاع مدينة القدس والأماكن المقدسة في هذا اليوم

نظراً لرغبة أحسن المسيحيين في الحديث عن مدينة القدس، وعن الأماكن المقدسة التي عاش فيها يسوع المسيح ومات، ولتوفر الرغبة بالسماع عنها، سوف نحدثكم عنها، كيف كانت أيام استيلاء صلاح الدين والمسلمين عليها، وانتزاعها من المسيحيين، ولعل هناك العديد من الناس الذين يرغبون بسماع هذه الأشياء، أما الذين لن يسرهم ذلك، فيمكنهم المرور مرور الكرام بهذا المكان.

— ١ —

جبل صهيون — دير وكنيسة سيدتنا — البيت الذي صنع فيه يسوع عشاءه، والمكان الذي ظهر فيه لحوارييه، حيث أراهم جروحه، وحيث صعد إلى السماء، وحيث أرسل الروح القدس، وحيث توفت سيدتنا.

لم تعد مدينة القدس الممجدة قائمة في المكان الذي كانت قائمة فيه، عندما كان يسوع المسيح على الأرض، وعندما صلب، وعندما قام ثانية من الموت وعاد إلى الحياة، فعندما كان يسوع المسيح على الأرض،كانت مدينة القدس قائمة فوق جبل صهيون، غير أنها لم تعد قائمة هناك، والذي هناك الآن هو فقط دير للرهبان، وفي هذا الدير توجد كنيسة مريم المقدسة، ولقد أخبرنا، أن المكان الذي تقوم الكنيسة فيه، كان البيت الذي تعشى فيه يسوع المسيح مع حوارييه في يوم خميس (Jeudi Absolu)وشرع فيه القداس على المذبح، [وفي هذه الكنيسة يوجد المكان الذي ظهر فيه لحوارييه في يوم عيد الفصح عندما قام من الموت]، وفي هذه الكنيسة المكان الذي أرى فيه الجروح التي كانت في يديه وقدميه وجانبه، أراهم إلى القديس توماس في اليوم الثامن لعيد الفصح، وأخبره أن عليه أن يعطيه إصبعه حتى يضعه على جانبه، من

أجل أن يصدقه بثبات ودون أدنى شك، ولكي لا يكون غير مؤمن، بل أن يكون مؤمناً، وهناك أيضاً ظهر في يوم صعوده لحوارييه، عندما جاء لوداعهم، وليعرج إلى السماء، وقد رافقوه من هنا إلى جبل الزيتون، من حيث صعد إلى السماء، ثم عادوا من هناك إلى مكانه نفسه وانتظروا الروح القدس، وفقاً لما أمرهم به يسوع المسيح، فقد أمرهم بوجوب العودة إلى المدينة وأن عليهم انتظار الروح القدس، التي وعدهم بقدومها، وأرسل إليهم وهم في هذا المكان نعمة روح القدس، وذلك في يوم عيد الحصاد، وكذلك يوجد في هذه الكنيسة المكان الذي توفيت فيه مريم المقدسة في الجليلية، ومن هناك حملها الحواريون إلى وادي شعفاط، ووضعوها في ضريحها.

— ٢ —

ضريح وكنيسة سيدتنا في شعفاط، وكنيسة سيدتنا على جبل صهيون، ودير الكهنة النظاميين.

يوجد فوق موقع ضريح مريم المقدسة كنيسة يدعونها باسم كنيسة مريم المقدسة في شعفاط، وهي تمتلك ديراً للرهبان السود، وتدعى كنيسة جبل صهيون باسم كنيسة مريم المقدسة لجبل صهيون، ولها دير كهنة نظاميين، وهذان الديران موجودان خارج أسوار المدينة: واحد فوق الجبل، والآخر في الوادي ، والدير الموجودعلى جبل صهيون، قائم على يمين المدينة، في جهة الجنوب تماماً، والذي في وادي شعفاط ، قائم باتجاه الشرق، بين جبل الزيتون وجبل صهيون.

— ٣ —

كنيسة الضريح المقدس والجمجمة

كانت كنيسة الضريح المقدس وجبل أكرا(الجمجمة) حسب وضعها الحالي، في أيام يسوع المسيح، عندما صلب، خارج الأسوار، في حين هي

الآن في وسط المدينة، والمدينة كـذلك قائمـة على السفـوح المتجهة نحـو جبل الزيتون في الشرق خلف وادي شعفاط.

— ٤ —

الأبواب الأربعــة — باب وبرج داود — البـاب الخلفي نحــو جبل صهيون — كنيسة القديس جيمس أوف غاليشيا Galicia .

يوجد في مدينة القدس أربعة أبواب رئيسية، متصالبة، كل واحد منها أمام الآخر، وذلك بين أبواب خلفية، وسأتولى الآن تقديم أسماءهم لك حسبمايلي:

باب داود، هو باتجاه الغرب، وهو يواجه تمامـاً الباب الذهبي، المتجه نحو الشرق، وذلك خلف «كنيسـة الهيكل»، وهذا الباب عـائد إلى برج داود، ولهذا السبب دعـي باسـم باب داوود، وتنعطـف من داخـل هذا البـاب نحــو اليمين، إلى شـارع هناك، ومن قــرب برج داوود يمكنك الذهاب إلى جبل صهيـون،[وذلك بوساطة باب خلفي مـوجود هناك]، ويوجــد في ذلك الشـارع، وأنت ذاهب نحــو البـاب الخلفـي، كنيسـة القديس جيمس الغاليشي، الذي كان أخاً للقديس يوحنا الانجيلي، وقد قيل بأن رأس القديس جيمس قـد قطع هناك، ولهذا جرى بناء الكنيسة في ذلك الموضع.

— ٥ —

شـارع داوود — شـارع البطريرك — باب بيت الاسبتـارية وكنيسـة الضريح المقدس — شـارع جبل صهيون — شارع العشـابين — سوق السمك — السـوق الكبير — حـوانيت الصـاغـة — الحجـاج مما وراء البحر — دير القديسة مريم الكبير — دير القديسة مريم للاتين — بيت الاسبتارية.

الطريق الكبير هـو الطريق الذي يمضي مبـــاشرة من برج داوود إلى الباب الذهبي، ويدعى هذا الطريق[مـن هناك حتى نقطة التبديل] باسم طريق داوود ، ويوجـد في الجهة الشرقيـة من برج داوود منطقة واسعـة يبيعـون القمح فيها، ولدى سير الانســان نزولاً مسافـة أبعد قليـلاً عن طريق داوود هذا، يصل إلى طريق قـائم على جهـة اليســار، يدعى باسم طريق البطريرك، لأن البطريرك يسكن في رأسـه، وهناك باب قـائم على جهة اليمين من شارع البطريرك ، من خلاله يمكن للانسان الدخول إلى بيت الاسبتـارية، ويوجد بعـد هذا باب ، يدخل الانسان منه إلى كنيسـة الضريح، لكن هذا ليس الباب الرئيسي.

وعندمـــا تأتي إلى التحـــويلـة، حيث نهاية طريق داوود، هنـاك طريق يدعى طريـق جبل صهيـون، لأنـه يمضي مبـاشرة إلى جبل صهيـــون، ويوجـد على يســـار التحـويلة طريق مغطى، وهو طـريق مقنطر، اسمـه طريق العشابين، حيث يبيعون الأعشاب، وجميـع فواكه المدينة وتوابلها، ويوجد عند رأس هذا الطريق مكان يبيعـون فيه السمك، ويوجد خلف هذا الســوق الذي يبيعـون فيـه السمـك، مكان واسع جـداً، على جهـة اليســار، يبيعـون فيه الجبن، والـدجاج، والبيض، والطيـور، وعلى جهـة اليمين لهذا الســوق توجد حـوانيت الصاغـة السوريين، ويبيعـون هناك سعف النخيل التي يجلبها الحجاج من بلاد ما وراء البحر.

وعلى جهة اليســار من السوق حـوانيت الصاغـة اللاتين، وعند نهاية هذه الحوانيت هناك دير للـراهبـات، يعـرف باسم دير القـديسـة مـريم الكبير، وبعـد دير الراهبات هذا يوجـد دير للرهبـان السود، اسمـه دير القـديسـة مـريم للاتين، ثم يلي ذلـك بيت الاسبتـارية، وهنا يقـوم باب الاسبتارية الرئيسي.

— ٦ —

الباب الرئيسي ومكان الضريح المقدس — كنيسة القديس جيمس لليعاقبة — أكرا — الجلجلة — برج الناقوس — بيعة الثالوث المقدس.

على يمين المشفى هناك الباب الرئيسي للضريح، وأمام باب الضريح هذا هناك ساحة مفتوحة جميلة جداً، وهي مبلطة بالرخام، ويوجد على جهة اليسار للضريح كنيسة تدعى كنيسة القديس جيمس لليعاقبة، وعلى جهة اليمين، وملاصق لباب الضريح هذا، يوجد درجات يصعد الانسان بوساطتها إلى جبل أكرا، ويوجد على قمة الجبل بيعة فائقة الجمال، وهناك باب آخر في هذه البيعة، يدخل الانسان منه ويصعد إلى كنيسة الضريح، وذلك بوساطة درجات أخرى موجودة هناك، وذلك كأن الانسان يدخل إلى الكنيسة.

وعلى جهة اليمين، وتحت جبل أكرا، هناك الجلجلة، وعلى جهة اليسار يوجد برج الناقوس العائد للضريح، وبيعة كانت تعرف باسم بيعة الثالوث المقدس، وهذه البيعة واسعة جداً، ذلك أنها المكان الذي يجري فيه زواج جميع نساء المدينة، وهناك الجرن الذي يجري تعميد أطفال المدينة فيه، وهذه البيعة ملاصقة للضريح، ولهذا هناك باب يشكل مدخلاً إلى الكنيسة.

— ٧ —

آبدة الضريح — كنيسة الضريح المقدس — سدة جوقة المرتلين في الضريح المقدس — مذبح الاغريق — البوصلة.

يوجد على يمين هذا الباب الضريح، وفي هذا المكان، حيث يوجد الضريح، نجد أن الكنيسة مستديرة تماماً، وهي مفتوحة من الأعلى، بدون أي غطاء، وفي داخل الآبدة هناك صخرة الضريح، والآبدة

مقنطرة من الأعلى، وعند رأس هذه الآبدة، أي تماماً عند رأس مذبح هناك في الخارج مذبح يطلقون عليه اسم«المطهر»، وينشدون هناك يومياً قداساً عند شروق الشمس، ويوجد هناك مكان جميل جداً، كله مستدير حول الضريح، وهو بأكمله مبلط: وبذلك يمكن للناس القيام بمسيرة حول الضريح، وبين الشرفة حيث يغني الكهنة النظاميون وبين الآبدة، هناك مذبح، عنده يتولى الاغريق الانشاد، ويوجد مكان مغلق بين الجهتين، وهناك بينهما يمضي الانسان من خلاله من مكان إلى آخر، وفي وسط شرفة الكهنة النظاميين هناك قطعة من الرخام، تدعى«البوصلة»، ويقرأون هناك الانجيل.

— ٨ —

أكرا(الجمجمة)

وعلى جهة اليمين للمذبح العلوي لهذه الشرفة يقوم جبل أكرا، وفي أثناء تلاوة قداس القيامة يقوم الشماس عندما يقرأ في الانجيل كلمة«صلب» بالتوجه نحو جبل أكرا، ثم يلتفت نحو الضريح وذلك عندما يقول:«Surrexit, non est hic»، ثم يشير بإصبعه عند الوصول إلى قوله:«Eue Locus ubi Posuerunt eum» ، ثم يعود إلى الكتاب، وينتهي من قراءة الانجيل.

— ٩ —

الكهنة النظاميون ومكاتبهم الوظيفية — الرواق المغلق — بيعة القديسة حنة(هيلانة) — المهجع والمطعم.

يوجد عند رأس الشرفة باب يدخل منه الكهنة النظاميون إلى أماكنهم: وعلى جهة اليمين بين هذا الباب وجبل أكرا هناك حفرة عميقة، ينزل إليها الانسان بدرجات، ويوجد هناك بيعة اسمها بيعة القديسة هيلانة، فهناك وجدت القديسة هيلانة الصليب، والمسامير

والمطرقة، والتاج، وكانوا قد اعتادوا في أيام وجود يسوع المسيح على الأرض على رمي الصلبان في الحفرة، بعدما يفرغون من صلب اللصوص، وكذلك الأطراف التي كانوا يقطعونها من المجرمين، وبناء عليه أطلقوا على هذه التلة اسم جبل أكرا(الجمجمة)، لأنهم كانوا ينفذون هناك الأحكام، وما كانت تأمر به الشريعة، وكانوا يلقون على هذا الجبل الأطراف التي كانوا يقطعونها لدى تنفيذ الأحكام على المدانين من قبل الشريعة، وعندما يخرج الكهنة النظاميون من الضريح المقدس، هناك على جهة اليسار مهجعهم، وعلى جهة اليمين المطعم، الذي هو ملاصق لجبل أكرا، وبين هذين المكتبين هناك رواقهم المغلق وأرضهم التي يمشون عليها، ويوجد في وسط هذه الساحة مكان واسع مفتوح، منه يستطيع الانسان أن ينظر إلى علية هيلانة في الأسفل، وغير ذلك لا يستطيع الانسان أن يرى شيئاً.

— ١٠ —

شارع العشابين — شارع الطبيخ — الشارع المغطى

أما وقد أخبرتكم عن الضريح وحدثتكم كيف هو، سيكون مفيداً العودة إلى التحويلة، فقبل التحويلة وملاصق لشارع العشابين(الآن سوق اللحم) هناك شارع اسمه شارع الطبيخ(الآن سوق العطارين)، وهم يطبخون في الشارع الطعام للحجاج، ويبيعونه، ويغسلون رؤوسهم، ويوجد أمام شارع الطبيخ هذا شارع يدعى الشارع المغطى(الآن سوق الخواجات)، وهناك يبيعون الأمتعة، وهو كله مقنطر، ويذهب الانسان من خلال هذا الشارع إلى الضريح المقدس.

— ١١ —

شارع الهيكل — موضع الجذارين — المشفى — الجسر — كنيسة صنجيل — الباب الجميل.

سنترك التحويلة الآن، وسوف نذهب إلى الباب الذهبي، والطريق الذي يأخذ الانسان من التحويلة إلى الباب الذهبي، هو طريق الهيكل، وقد أطلق على هذا الطريق اسم طريق الهيكل، لأن الانسان يأخذ هذا الطريق إلى الهيكل، وكذلك إلى الباب الذهبي.

ولدى مضيك نزولاً عبر هذا الطريق تصل إلى موضع الجذارين، وذلك على جهة اليسار، وذلك حيث يبيعون لحم البلدة، ويوجد على جهة اليمين هناك شارع آخر، يذهب الانسان من خلاله إلى المشفى الألماني، ولذلك يدعى هذا الطريق باسم طريق الألمان، وعلى جهة اليسار، يوجد على الجسر كنيسة صنجيل، وعلى رأس هذا الشارع هناك باب يدعى باسم الباب الجميل، وذلك لأن يسوعاً المسيح دخل من هذا الباب إلى مدينة القدس عندما كان موجوداً فوق الأرض، وهذا الباب موجود في السور فيما بين سور المدينة والباب الذهبي.

— ١٢ —

الهيكل — البلاط — قصر سليمان — مسكن الداوية — كنيسة الهيكل والدير هناك.

الهيكل قائم بين سور المدينة، وسور الباب الذهبي، وهناك ساحة واسعة طولها أكثر من رمية سهم وعرضها أكثر من رمية حجر، موجودة قبل أن يدخل الانسان إلى الهيكل، وهذه الساحة مبلطة ولهذا السبب عرفت باسم البلاط، وإذا ما قدمنا من الباب القائم على جهة اليمين، نجد هيكل سليمان، وهناك يعيش رهبان الداوية، وفيما بين الباب الجميل والباب الذهبي هناك كنيسة الهيكل، وهذه مرتفعة، لذلك يصعد إليها الانسان بدرجات، ولدى الصعود على هذه الدرجات يجد الانسان منطقة واسعة كلها مبلطة بالرخام، تشكل رصيفاً عريضاً، ويمتد هذا الرصيف حول إطار كنيسة الهيكل بشكل كامل، وكنيسة

الهيكل مستديرة تماماً، ويوجد على جهة اليسار للرصيف المرتفع العائد للهيكل، مكان سكنى راعي الدير، والكهنة النظاميين، ويوجد في هذا الجزء هناك درجات، يصعد الانسان عليها إلى الهيكل، ويكون صعوده من الرصيف المنخفض إلى الجزء العلوي.

— ١٣ —

البيعة المقامة حيث استشهد القديس جيمس — المرأة التي كانت مذنبة — الباب الذهبي — باب سليمان — باب شعفاط.

باتجاه الشرق وإلى جوار كنيسة الهيكل، هناك بيعة القديس جيمس[الرسول] الصغرى، لأنه هناك استشهد، عندما رماه اليهود من أعلى الهيكل، وفي داخل هذه البيعة يوجد المكان الذي أنقذ فيه يسوع المسيح المرأة المذنبة، التي كانوا على وشك القيام بقتلها، لأنهم أمسكوها وهي تزني، وقد سألها عندما حررها:أين هؤلاء الذين اتهموك؟ وقد أجابته بأنها لا تعرف، ثم إنه قال لها بأن عليها الذهاب، وأن لا تذنب بعد الآن، وعند نهاية الرصيف، باتجاه الشرق، يذهب الانسان نزولاً بوساطة بعض الدرجات حتى يصل إلى الباب الذهبي، وبعد نزوله هذه الدرجات يجد فسحة واسعة، تمتد حتى الباب الذهبي، وكانت هذه هي الساحة التي صنعها سليمان، وما من أحد يمكنه المرور من هذه الأبواب لأنها مغلقة، اللهم إلاّ مرتين في العام، عندما تجري إزالة الجدار المغلقة به، ويكون ذلك في يوم أحد السعف، وذلك عندما يمضون في مسيرة، لأن المسيح قد مرّ من هناك أثناء مثل هذا اليوم، وجرى استقباله بمسيرة. وكذلك يكون الأمر يوم عيد الصليب المقدس، وذلك في شهر أيلول، لأن الصليب جلب إلى القدس من خلال هذا الباب، وكان ذلك بعدما انتصر الامبراطور هرقل على فارس، وأعاده وأدخله من خلال هذا الباب إلى المدينة، فآنذاك استقبل من قبل مسيرة، وبما أنه ما من أحد قد خرج قط من المدينة من خلال هذا الباب، هناك باب

خلفي مـوجـود على الطـرف، يدعى باب شعفـاط، والذين يرغبـون بالذهاب إلى خـارج المدينة من هذه المنطقـة، يذهبـون من خـلال هذا البـاب الخلفي، وهذا الباب الخلفـي موجـود على جهـة اليسار بالنسبـة للباب الذهبي.

— ١٤ —

الكنيسـة المسماة بكنيسـة المهد — كنيسـة الهيكل — الأبواب الأربعـة — الدير.

تنزل من جهـة اليمين من الرصيف الأعلى العـائـد للهيكل إلى الجزء المنخفض، ومن هنـاك يذهب الانسـان إلى هيكل سليمان، وعلى جهـة اليسـار، ولدى مضيك في الأسفل مـن الرصيف الأعلى، هناك كنيسـة تدعى كنيسـة المهـد(سرير عيسى في الزاوية الجنوبيـة الشرقيـة للحـرم)، وكـان يوجد هناك المهـد الذي عـاش فيه الرب خـلال طفولتـه، وذلك حسبما يقـولون، وتمتلـك كنيسـة الهيكل الآن أربعـة أبواب متصـالبـة، ويواجه البـاب الأول الغرب، وهو الباب الـذي يدخل منه الانسان من المدينة إلى الهيكل، ويمكنك أن تدخل بوساطة الباب الآخـر المتجه نحو الشرق إلى بيعة القديس جيمس، ومن خـلال هذا الباب يمضي الانسان أيضـاً ويخرج إلى البـاب الذهبي، ويمكنك أن تذهب بوسـاطة البـاب المتجـه نحو الجنوب نحـو هيكل سليمان، أمـا الدخـول إلى الدير فيكون بوساطة الباب المتجه نحو الشمال.

— ١٥ —

البـاب الذهبي — باب القـديس اسطفان وكنيستـه — الاسطبل — بيت المجذومين — باب القديس ألعازر الخلفي.

أمـا وقـد وصفت لـك الهيكل والضريح حسبما هما الآن، والمشفى، والشـوارع التي تنطلـق من باب داود إلى البـاب الذهبـي، وهما البـابان

اللذان أمام بعضهما بعضاً، أولهما متجه نحو الشرق، والآخر متجه نحو الغرب، ولسوف أحدثك الآن عن البابين الآخرين، اللذان أحدهما فوق الآخر، وبينهما: إن الباب المتجه نحو الشمال اسمه باب القديس أسطفان، ومن هذا الباب يدخل الحجاج إلى المدينة، وكذلك جميع القادمين من عكا إلى القدس، وأيضاً الذين يقدمون براً من النهر القائم إلى جانب البحر من جهة، وإلى جانب عسقلان من الجهة الأخرى.

ولدى دخول الانسان لهذا الباب، يجد في الخارج، على جهة اليمين كنيسة القديس أسطفان حيث يقال بأن القديس اسطفان قد رجم هناك، وأمام هذه الكنيسة، وعلى جهة اليسار هناك بناء كبير جداً، وكان اسمه الاسطبل Anerie ، فهنا جرت العادة بإيواء الحمير، والخيول الموسومة، العائدة للاسبتارية، ولهذا أطلق على المبنى اسم الاسطبل، وقد جرى هدم كنيسة القديس اسطفان هذه من قبل صليبيي القدس، قبل حصارهم، لأن الكنيسة كانت ملاصقة للأسوار، ولم يجر هدم الاسطبل، بل استخدم فيها بعد لخدمة الحجاج الذين جاءوا إلى القدس أثناء الهدنة، وذلك عندما كانت المدينة بأيدي المسلمين، لأن المسلمين كانوا لا يسمحون لهم بالإقامة داخل المدينة، ولهذا السبب كان مبنى الاسطبل له فوائد عظيمة، وكان على جهة اليمين لباب القديس اسطفان، على مقربة من السور، يوجد المشفى المخصص للمجذومين في القدس، وكان إلى جوار المشفى باب خلفي اسمه باب القديس لادر Ladre الخارجي، وهنا يتولى المسلمون قيادة المسيحيين لإدخالهم إلى المدينة، حتى يمكن أخذهم محروسين إلى الضريح، لأن المسلمين لا يرغبون في أن يرى المسيحيين أعمال المدينة وشؤونها، ولهذا السبب يسمحون لهم بالدخول من خلال الباب الموجود في شارع الضريح المقدس، ولا يسمحون لهم بالدخول من الباب الرئيسي.

[وافهم جيداً أن الحجاج المسيحيين الذين يرغبون بالذهاب إلى

الضريح والأماكن المقدسة الأخرى، يستخرج المسلمون منهم أتاوات عالية، وهدايا وخدمات، ويفرض المسلمون على كل واحد ثلاثين بيزنطة Bezants، غير أنه جرى فيما بعد حرمان جميع المسيحيين الذين دفعوا أموال كراء، أو خدمات أو أتاوات، أو تعويضات، مقابل زيارة الأماكن المقدسة، ولهذا لم يعد المسلمون يتلقون مبالغ كبيرة كما كانوا قد اعتادوا].

— ١٦ —

باب الثالوث الخلفي — شارع القديس اسطفان — شارع وبيت الضريح المقدس — شارع كنيسة الضريح المقدس — تحويلة السريان واللاتين — الشوارع الثلاثة — الشارع المغطى — شارع العشابين، وشارع الطبيخ — شارع قنطرة يهوذا — كنيسة القديس مارتن والقديس بطرس،

لدى دخولك إلى المدينة من خلال باب القديس اسطفان تصل إلى شارعين، أحدهما وهو القائم على اليمين، يذهب إلى باب جبل صهيون، القائم في الجنوب تأكيداً، وباب جبل صهيون قائم فوق في مقابل باب القديس اسطفان، ويمضي الشارع الموجود على جهة اليسار مباشرة إلى باب خلفي يدعى الدباغة، ويستمر ماضياً باستقامة تحت الجسر، وهذا الشارع الذي يمضي إلى باب جبل صهيون يدعى باب شارع القديس اسطفان، حتى تصل إلى التحويلة السريانية.

ولدى قدوم الانسان بوساطة التحويلة السريانية، يجد على جهة اليمين شارع الضريح،(خط الخانكاه)، وهنا يوجد باب بيت الضريح، ومن هناك يدخل الذين يعملون في الضريح إلى مساكنهم، وأمام هذه التحويلة، وإذا ما انعطفت نحو اليمين يوجد شارع مقنطر مغطى، يمضي الانسان بوساطته إلى كنيسة الضريح، ويبيع السريان في هذا

الشـارع الأمتعـة ويصنعـون الشمـوع، ويبيعـون أيضـاً أمـام التحـويلة السمك، وعلى هذا فإن هذه التحـويلـة تصل بين ثلاثة شـوارع، وتصل أيضاً التحويلة اللاتينيـة ، ويدعى واحد من هذه الطرق الطريق المغطى، وهناك يبيع اللاتين أمتعتهم، واسم الشارعين الآخرين: شارع العشابين، والثـالث شـارع الطبيخ، ولـدى سيرك على طول شـارع العشـابين إلى شـارع جبل صهيـون، تجد نفسك قـد وصلت إلى باب جبل صهيـون، وذلك إذا ما عبرت شارع داوود.

وتمضي بوسـاطة الطريق المغطى ومن خـلال التحـويلة اللاتينيـة، إلى شارع يدعى شارع قنطرة يهوذا، ولـدى عبورك لشارع الهيكل، فإن هذا الشارع يمضي مباشرة إلى باب جبل صهيـون، ويدعى هذا الشارع باسم شـــارع قنطرة يهوذا، ذلك أنهم يقــولون بـأن يهوذا قــد خنق على هذه القنطرة الحجريـة، وعلى جهة اليسار لهذا الطريـق توجد كنيسة القـديس مارتن، هذا وكنيســة القديس بطرس هي على مقـربة من هذه الكنيسة ، على جهة اليسار، ويقولون بأن يسوعاً المسيح قد صنع هناك الطين الذي وضعـه على عيني الرجل الذي لم يبصر قط، وأمـره بالذهاب وأن عليـه أن يغتسل في بركة سلوان، فإذا فعل ذلك فلسوف يبصر، ونفذ الأوامر، وصار قادراً على الرؤية بعينيه.

— ١٧ —

خـارج باب جبـل صهيـون — الطرق الثـلاثة — بـركـة سلوان — كنيسة القديس بطرس في الجليلية.

يوجد خارج جبل صهيون ثلاثة طرق، يقود أولها، وهو الموجود على جهة اليمين، إلى دير جبل صهيـون وإلى كنيسته، وكـان يوجد بين الدير وبين أسـوار المدينة فسحـة كبيرة، وكنيسة في وسطهـا، ويسـاير الطريق الموجـود على جهــة اليسـار ســور المدينة حتى البــاب الذهبي: وينزل

الانسـان من هناك إلى وادي شعفاط، وإلى نبع سلوان، وعلى مقـربة من هذا البـاب، على جهــة اليمين لهذا الطريق كنيسـة القــديس بطرس في الجليليـة، وكـان هناك حفـرة عميقـة في هذه الكنيسـة، قيل أخفى فيهـا القديس بطرس نفسه عندما أنكر يسـوعاً المسيح، وسمع صياح الديك، وبكى هناك، ويمضي الطريق المستقيـم من هذا البـاب، إلى الجنوب عبر الجبل، وذلك حتى يتم جواز الدير، ولدى اجتيازك الدير يمكنك المضي نزولاً، ومن هناك إلى بيت لحم.

— ١٨ —

البركـة الألمانيـة — حقل الدم — بركــة البطريرك — أرض مـدفن الأسد.

مّـا أن تنزل مـن الجبل حتى تصل إلى بركـة في الوادي، تـدعى باسم البركة الألمانية(بركة السلطان) لأن ألمانيا، فيها جمع المياه التي كانت تنزل من أطراف الجبال، وقت الأمطار وتسقي مياه هذه البركة خيول المدينة، وفي جزء آخـر من الوادي — على جهة اليسـار — هناك على مقربة من هذه البركـة أرض للـدفن اسمهـا(حقل الدم) حق الـدم، فهناك يدفنون الحجـاج الذين يتوفـون في مشفى القـدس، وكانت قطعـة الأرض هذه الحاوية للمـدفـن قـد شريت بالمال الذي باع فيــه يهوذا جسـد المسيح، وذلك وفقـاً لما جـاء في الكتـابات المقدسـة، وكـان يوجـد خـارج باب داوود، باتجاه الغرب، بركـة تدعى باسم بركة البطريرك، كـانوا يجمعون فيها الميـاه، ويسقون بها الخيـول، وعلى مقربة من هذه البركـة كان هناك أرض دفن، كـانت تدعـى باسم«مقبرة الأسـد»، ولسـوف أخبركم الآن لماذا عرفت بهذا الاسـم ودعيت هكذا: فقد حـدث — حسبما قالوا — في يوم من الأيـام الغــابرة، أن نشبت معــركــة، بين مكان الـدفن هذا والقدس، قُتل فيهـا عدد كبير من المسيحيين، وكـان أهل المدينة على نية القيـام بإحـراق جثث هؤلاء المسيحيين في اليـوم التـالي، بسبب الروائح

الكريهة التي وجـدت، وجاء — على كـل حال — أسـد في الليل ونقل الجثث جميعاً إلى حفرة هناك، وفوق هذه البقعة(بركة ماملا + قبة العبد) جرى بناء كنيسة كانوا يصلون فيها يومياً.

— ١٩ —

دير الجورجيين(الكرج) حيث عثر على جـزء من الصليب، وأي نوع من القوم هم.

وعلى مقربة من هذا الموقع، وعلى بعـد فرسخ واحـد، كان هناك دير الجورجيين، الذي قالوا بوجود قطعة من الصليب فيه، تمّ العثور عليها، وكان قد جرى العثور على الجذع القائم للصليب أمام الهيكل، لأنه كان قد بقي على مقربة من الهيكل، لأنه كـان قد جلب من لبنان مع الخشب من أجل الهيكـل، لأنهم لم يكن بإمكانهم إيجاد مكان منـاسب لوضعـه، لأنه كان إما طويل جداً أو قصير جداً، ولذلك حدث، أن الناس عندما كـانـوا يقـدمـون إلى الهيكل، وأقـدامهم مغطاة بالطين، كـانوا يحكون أقدامهم عليـه، وحدث كـذلك أيضاً في أحد الأيـام أن ملكة مرت من هناك ورأته مغطى بالطين فنظفته بثيابها وتعبدته.

وســوف أحــدثكـم الآن عن هذه القطعــة من الخشـب، ومن أين جاءت، وذلـك كما يتحدثون في هذه البـلاد، فقد حدث أنه عنـدما تمدد آدم على فـراش مـوته، رجـا واحداً مـن أولاده باسم الرب أن يجلب له غصناً صغيراً من شجـرة الفـاكهة التي أكل منهـا عندمـا أذنب، وجلب الابن له الغصن، وأخـذه آدم ووضعه في فمـه، وعندمـا وضعه في فمـه عضـه بسرعة، ففـارقت روحه، ولم يستطيعـوا بأي سبيل من السبل نزع هذا الغصن مـن بين أسنانه، ولهذا دفنوه معــه، وصــار للغصن — كما قـالوا — جذراً، وغـدا مع الأيام شجـرة جيدة، وعندمـا جاء الرسـول اقتلع هذه الشجرة من جذورها، ومن هناك حملت إلى جبل لبنان ، ومن

بعـد ذلك أعيـدت إلى القـدس مع مـواد أخـرى من أجل بناء الهيكل، وكانت أخشاباً قطعت من جبل لبنان، وحدث أيضاً — كما يقولون — أنه عندمـا وضع يسوع المسيح على الصليب، كـان رأس آدم داخل تلك القطعـة من الخشب، وعندمـا تدفقت دمـاء يسوع المسيح مـن جراحـه، خـرج رأس آدم من قطعـة الخشب وتلقى الدم، وهذا هو السبب في أن جميع الصلبـان التي يصنعـونها في بـلاد القـدس ويضعـونها عند قـدمي الصليب هي على شكل رأس، وذلك تذكراً لرأس آدم.

ولسوف أحـدثك الآن عن الجورجيين الموجودين في الدير، حيث تمّ العثـور على قطعـة من الصليب، ومـن أي نوع من القـوم هم، وإلى أي البلاد ينتمون، وأمـا البلاد التي جاءوا منها فتـدعى أفيجيا Avegia (الكرج)، ويوجـد هناك ملك وملكـة، ولهذا يدعـو بعـض الناس هذه البـلاد باسم بلاد النسـاء، لأن الملكة تركـب وتذهب إلى الحرب، ولها جيش خاص بها من نسـائها مثلما الملك لديه جيشـه الخاص من رجاله، وللنساء في هذه البـلاد ثدي واحد فقط، وسأخبرك عن السبـب: عندما تلد فتـاة، ثم تنمـو وتغـدو فتـاة صغيرة يقـومـون بتـدمير ثديها الأيمن بوسـاطة حـديدة محماة حتى الاحتراق، ويتركـون لها الثـدي الأيسر من أجل إرضـاع ولدها، والسبـب الذي يدعـوهم إلى تدمير هذا الثـدي الأيمن، حتى لا يعيقهن ولا يؤلمهن أثناء مـدّ القـوس وتفـويقه عندمـا يكن في المعركة.

— ٢٠ —

عمواس

على بعد ثلاثة فراسخ من القـدس، وباتجاه الغرب، هناك نبع، يدعى نبع عمـواس، وقـد كـان هناك قلعـة، وقـد حـدث، أنه وفقـاً لما حكاه الانجيل، أن ربنا ذهب إلى القلعة مع اثنين من حوارييه، وكان ذلك بعد

قيامـه من الموت، وقد جلس عند هذا النبع ليأكل، وهـم لم يعـرفوه حتى قـام بكسر الخبز، ثم إنه اختفى وباتـوا غير قادرين على رؤيتـه، ومن ثم عادوا إلى القدس إلى الحواريين ليعلموهم كيف أنه تحدث إليهم.

— ٢١ —

الشارع الذي يمضي إلى الباب الخلفي للدباغـة — شارع شعفاط — الميـــدان — بـاب دولوروس Dolorous. الجدول — كنيســـــــة القديس يوحنا الانجيلي — دير الراهبات في بيت عنيا.

وأعود الآن إلى باب القديـس اسطفان، وإلى الشارع الذي يجري على جهة اليسار ويصل إلى الباب الخلفي للدباغة، وبعد سيرك بعض الشيء على طول هذا الشـارع، سـوف تجد شارعـاً مـوجـوداً على جهة اليسـار اسمـــه شـارع شعفــاط، وبعـد مســافـة قصيرة يجد الانســان طريقين متصـالبين، حيث أن الطريق الكائن على جهـة اليسـار بينهما هو الطريق القـــادم من الهيكل ويذهـب إلى الضريح، وعند نهاية هذا الطـريق هناك موجود فوق في مـواجهة الهيكل، باب اسمه باب دولوروس، وعبر هذا الباب يسوع لـدى خروجه عندما أخذوه إلى جبـل أكرا ليصلبوه، ولهذا السبب يدعى باب دولوروس، وكان يوجد على جهة اليمين عند تقاطع الطريق، جدول، أتى الانجيل على ذكره، حيث حكى بأن ربنا قد عبره عندما أخـذ للصلب، وتوجد كنيسة القـديس يوحنا الانجيلي هنا، وهي لها بيت للسكنى كبير، وتعود ملكية البيـت والكنيسة إلى راهبات بيت عنيا، اللائي سكن هناك عندما كانت هناك حرب ضد المسلمين.

— ٢٢ —

حارة اليهـود — كنيسة القـديسة مـريم المجدليـة — باب خلفي — كنيسة الاستراحة — السجن — بيت بيلايطس — باب خلفي آخر.

وأعود الآن إلى شارع شعفاط — وبين شارع شعفاط وأسوار المدينة

على جهة اليسار هناك شوارع ممتدة حتى باب شعفاط، وهي مثل مدينة، ويسكن هناك معظم سريان القدس، وكانت هذه الشوارع تدعى باسم حارة اليهود، وكان في حارة اليهود هذه كنيسة القديسة مريم المجدلية، وعلى مقربة من هذه الكنيسة كان هناك باب خلفي، لا يمكن للانسان أن يخرج من خلاله إلى الخارج حيث الحقول، بل يذهب إلى ما بين السورين، وعلى جهة اليمين لشارع شعفاط كانت هناك كنيسة الاستراحة، حيث يحكى بأن المسيح قد استراح هناك عندما جلبوه للصلب، وكان هناك السجن الذي وضع فيه خلال الليل، بعد اعتقاله في جيسماني، وبعد قليل نحو الأمام، وذلك على جهة اليسار لهذا الشارع كان هناك بيت بيلايطس، وكان يوجد قبل هذا البيت، باب جانبي يمكن للانسان أن يدخل منه إلى الهيكل.

— ٢٣ —

دير القديسة حنة — بركة الضأن.

يوجد على جهة اليسار، قرب باب شعفاط، دير للراهبات، اسمه دير القديسة حنة، وأمام هذا الدير هناك نبع اسمه البركة، وكان يوجد فوق النبع كنيسة، ولم يعد هذا النبع يتدفق، لكنه يرشح دون الكنيسة وتحتها، وحدث في أيام يسوع أن الملاك كان يأتي أحياناً إلى هذا النبع لتحريك الماء، وأول من يدخل للاستحمام في داخله بعدما يكون الملاك قد حركه، يشفى من أي مرض أو عجز كان به، وكان لهذا الماء خمس قناطر، ويتمدد أمام هذه القناطر كثير من المرضى والأشخاص العاجزين، وهم ينتظرون تحرك المياه، وحدث في إحدى المرات أن يسوعاً المسيح جاء في أحد الأيام، ووجد هناك رجلاً، وسأله يسوع المسيح عما إذا كان يرغب في نيل الشفاء، فأجابه:«ياسيدي لا أمتلك إنساناً يساعدني على الذهاب والنزول إلى داخل النبع، عندما يتولى الملاك تحريك الماء، وقد بذلت جهدي لأنزل من على فراشي والذهاب

إلى الماء، غير أنني وجدت إنسـاناً آخر قد استحم قبلي»، ثم جـاء يسوع المسيح وأخبره أن عليه أن يحمل فـراشه ويذهب لأنه قـد شفي، فما كان منه إلاّ أن قفـز معـافى ومضى مغادراً، وكـان اليـوم الذي وقع فيـه هذا الحادث يوم سبت حسبما روى الانجيل.

— ٢٤ —

دير وادي شعفاط — كنيسة وضريـح سيدتنا — كنيسة جيسماني — كنيسة القديس المخلص — النساك والسياح في وادي شعفاط.

يذهب الانسـان من باب شعفـاط نزولاً إلى وادي شعفـاط، ويوجـد على جهة اليمين لهذا الباب، البـاب الذهبي، وكان في وادي شعفاط دير الرهبان السود، وكان في الدير كنيسة القديسة مريم، وفي الكنيسة يوجد الضريح الذي دفنت فيــه، وهي مـا تزال فيـه هناك، وعنـدمـا استـولى المسلمـون على المدينة هدمـوا الدير، وأخـذوا الحجـارة لتحصين المدينة، لكنهم لم يهدموا الكنيسة، وأمـام هذه الكنيسة، عند سفح جبل الزيتون، كانت هناك كنيسة في الصخـور، كانت تعرف باسم جيسماني، ففي ذلك المكان جرى اعتقـال يسوع المسيح، وكان يوجـد على الطرف الآخر من الطريق، لدى صعـودك لجبل الزيتـون، وعلى بعـد حوالي رميـة حجـر، كنيسـة المخلص المقدس، فهنا ذهب يسـوع المسيح ليصلي في الليلة التي اعتقل فيهـا، وهنا أخذ عـرقه يتقـاطر مثل الدم، وكان يوجـد في وادي شعفاط نسـاك وسواح على الطرف الآخر مـن الوادي، بأعداد أكبر من أن أخبركم بها، وذلك امتداداً حتى بركة سلوان.

— ٢٥ —

دير جبل الزيتـون — كنيسـة الدعاء الالهي — شجـرة التين الملعـونة — بيت فاجي.

كان على ذروة جبل الزيتون دير للرهبان البيض، وعلى مقربة من هذا

الدير، كـان على جهة اليمين طريق يقـود إلى بيت عنيا، ممتـداً على طول طرف الجبل، وعند انعطاف هـذا الطريق على جهـة اليمين كـانت هناك كنيسة القديس الدعاء الإلهي، فهنا يحكى بأن يسوعاً المسيح عمل الدعاء الإلهي وعلمـه إلى حوارييـه، وعلى مقربـة من هناك كانت شجـرة التين التي لعنهـا الرب عندمـا ذهب إلى القـدس، لأن الحواريين ذهبـوا لجمع التين، ولم يجدوا شيئاً عليهـــا، ولم يكن الـوقت هو وقت الموســم الذي يفترض وجـود تين عليها، وفي هذا اليـوم نفسه رجع يســوع المسيح من القـــدس ليـذهب إلى بيت عنيـــا، وذهب الحواريون إلى شجـــرة التين، فـوجدوها قـد يبست، وبين كنيسة القـديس الدعاء الالهي وبيت عنيـا، وعلى طرف الجبل، كـانت هناك كنيسـة تـدعى بيت فـاجي، وإلى هناك جـاء يســوع المسيح في يوم أحـــد السعف ومن هنـاك أرسل اثنين من حـوارييـــه ليجـدوا لـه الأتان، ومن هناك ذهب على ظهـــر الأتان التي جلبوها له إلى القدس.

— ٢٦ —

لم يذكر الكاتب أسماء الديرة والكنائس غير الخاضعة لروما

لقـــد تحدثـت عن البيع والديـرة الموجــودة في داخل القـــدس وفي خـارجهـا، وفي الشـوارع اللاتينيـة، لكنني لم أذكـر أسماء ديرة وكنائس السريان، أو الاغريق، أو اليعاقبة، والكرج Boamins ، والنساطرة، والأرمن، ولابقيـة الشعوب، ممن لايقـدم الطاعة إلى رومـا، وهـم الذين امتلكوا كثيراً من الكنائس والديرة في المدينة، لأنني لم أرغب في قول أي شيء عن هؤلاء الناس الذين لا يقدمون الطاعة إلى روما.

القسم الثاني

— ١ —

حول الحج في الأرض المقدسة

لقد حدثتكم عن أحوال المدينة المقدسة، في الأيام التي استولى فيها صلاح الدين وبقية المسلمين عليها، وانتزعها من الصليبيين، وبعد هذا سوف نتحدث عن الحج، وعن كيفية كان الحجاج يذهبون إليها، وفي الحقيقة يتوجب على الناس من الغرب، أي من مملكة فرنسا مثلاً، ومن ألمانيا، ومن البلدان الأخرى الموجودة في تلك الأجزاء من العالم، أي الذين يرغبون في الذهاب إلى الأرض المقدسة، عليهم أخذ الطريق المباشر إلى الشرق.

ويذهب الانسان أولاً من عكا إلى حيفا التي هي على بعد أربعة فراسخ، وقرب هذه المدينة يوجد جبل الكرمل، حيث كان السيد القديس دنس، الذي كان قد ولد في بلدة اسمها Franchville، حيث يوجد الآن في ذلك المكان بيعة، كما ويوجد تحت المذبح كهف صغير، وذلك حيث كان قد ولد، وكان المكان ما يزال يرى حتى الآن، ويوجد إلى جانب البيعة واد صغير، وعلى بعد رمية حجر هناك نبع السيد القديس دنس، وهو الذي وجده، وعمله بيديه، وهو مكان جميل جداً، وهو أجمل مكان يصلح للانسان فوق الجبل كله.

ويوجد على هذا الجبل نفسه دير القديسة مرغريت، وهو دير للرهبان الاغريق، وهو أيضاً مكان بهي، ويوجد في هذا الدير آثار جيدة، وعلى السفوح يوجد المكان الذي قطن فيه القديس إلياس، وفي هذا المكان هناك بيعة بين الصخور، وعلى مقربة من دير القديسة مرغريت هذا، على سفح الجبل نفسه، هناك مكان جميل وبهي حيث يسكن النساك

اللاتين، الذين يدعـون بـاسم الأخـوة الكرمليين، حيث توجـد كنيسـة صغيرة لسيدتنا، وفي خـارج هذا الجزء هناك الكثير من الماء الجيد، الذي ينبع من صخور الجبل نفسـه، والمسافة هي فـرسخ ونصف الفرسخ من دير الاغريق إلى النساك اللاتين.

ويوجـد بين القديسـة مرغـريت وأخـوان الكرمل مكان فوق البحـر اسمـه حنة، حيث هناك المسـامير التـي صنعت والتي استخـدمت في صلب ربنا، ومـا يزال المكان الـذي عثر فيـه على هذه المسـامير مـرئي، وعلى مقربة من جبل الكرمـل هذا، فيما بين النساك اللاتين، هناك مكان يدعى القـديس يوحنا الصوري، ويوجـد هنا كنيسة إغـريقية، فيهـا آثار جميلة، وقـد عمل هنا القديس يوحنا معجـزات جيدة، وعلى مقـربة من هذا الموضع باتجاه قلعة عثليت هناك قرية اسمها كفر ناحوم(كفر لام؟) حيث ضرب الفلس الذي بيع به الرب.

والمسافة من حيفا إلى قلعة عثليت هي ثلاثة فراسخ، وهي قائمة على شاطىء البحـر، وهي عائدة من حيث الملكيـة إلى طائفة الداوية، وهناك ترقد القديسة يوفيميا العذراء الشهيدة.

والمسافة من قلعـة عثليت إلى مدينة قيسارية خمسة فـراسخ، وقيسارية مدينة قائمة على شاطىء البحر، وهي عائدة بملكيتها إلى بارون المملكة، ويوجد خـارج أسوار المدينة بيعة فيهـا يرقد القديس كـورنليوس، وهو الذي عمده القديس بطرس، وهو الذي صار بعد السيد القديس بطرس رئيس أسـاقفـة لهذه المدينة، ويوجد إلى جـانب هذه البيعـة صخـرة من الرخام جميلة جـداً، وكبيرة وطويلة، يدعونها باسم مائـدة يسوع المسيح، وهناك أيضاً صخـرتين صغيرتين، هما مستديرتان، وكبيرتان من الأسفل ومدببتـان من الأعلى، وهما تعرفـان باسم شمعداني ربنا، ويرقـد في هذه البيعـة أبناء السيـد القـديس فيليـب، الذي تولى هداية وتعميـد الخصي، وعندما قام بتعميده أمسكه الرب وحمله إلى أرسوف، ومن أرسوف جاء

يبشر باسم ربنا امتداداً حتى مدينة قيسارية.

وعلى مقربة من ها هنا وإلى جهة اليسار، وقرب بلدة اسمها Pein Perdue (نهر التماسيح) تقوم بيعة سيدتنا، وهي قائمة عبر مستنقع، وإلى هذه البيعة غالباً ما يقدم الناس من قيسارية برحلة حج، لأن المكان جميل، وأهل للتقوى العظيمة، ويوجد في هذا المستنقع كثير من التماسيح، التي وضعها هناك صاحب قيسارية، بعدما جلبهم من مصر.

والمسافة من قيسارية إلى أرسوف هي تسعة فراسخ، وقلعة أرسوف على مقربة من قلعة قائمة فوق رابية رملية، وهذه القلعة ملك للاسبتارية، وعلى طريقها الأعلى صخرة مقطوعة(Roche - Tail-lie ، نهر الفالق)، ويوجد هناك ممر شيطاني، فهناك يسكن أناس بلا إيمان، من أجل نهب الناس الذاهبين إلى يافا، وقطع الطريق عليهم.

والمسافة من أرسوف إلى يافا هي ثلاثة فراسخ، ويافا بلدة وقلعة، والقلعة موجودة على مقربة من البحر، وهي كونتية، ووجد في يافا، دون القلعة، في كنيسة القديس بطرس رداء القديس جيمس الغاليشي.

والمسافة من يافا إلى عسقلان هي ثمانية فراسخ، وهي قائمة على شاطىء البحر، وجرت العادة بدعوة أسقف بيت لحم باسم أسقف عسقلان، لكن لمكانة بيت لحم العلية نقلت الأسقفية من عسقلان إلى المكان المقدس في بيت لحم، وما يزال هناك كرسي الأسقفية في كنيسة السيد القديس بولص، مع كل ما يعود إليه.

والمسافة من عسقلان إلى غزة هي ثلاثة فراسخ، والمدينة القائمة على شاطىء البحر تدعى غزة، وهي المدينة التي دمر فيها شمشوم الجبار أبوابها وحملهم إلى الرابية بعيداً عن البلدة، وهناك مسافة ثلاثة فراسخ من يافا إلى الرملة، والرملة مدينة وأسقفية، وفي سهل الرملة خرج بلدوين ملك القدس، ومعه خمسة من الفرسان ضد صلاح الدين الذي

كان معه ثلاثين فارساً، وإلى هناك جلبوا معهم الصليب المقدس الحقيقي، وهو الصليب الذي تألم عليه ربنا وعانى الموت عليه في القدس، وهناك شوهد السيد القديس جرجس بشكل مكشوف أثناء القتال، وذلك حيث هزم الملك بلدوين المسلمين، وحدث القتال في هذه المعركة في يوم عيد القديسة كاترين.

ومن الرملة إلى بيت نوبة خمسة فراسخ، وبيت نوبة بلدة واسعة.

ومن بيت لحم إلى جبل البهجة[جبل صموئيل] خمسة فراسخ، ويوجد على جبل البهجة كنيسة القديس صموئيل النبي، وهناك على اليمين يتوجب وجود الضريح المقدس لربنا.

— ٢ —

حول القدس

وعلى مقربة من شرفة المرتلين، حيث وسط العالم، كما حدده ربنا، يوجد أيضاً المكان الذي وضع فيه كل من نيقوديموس ويوسف الرامي، جسده المقدس، عندما دفن، بعد آلامه المقدسة[وعندما كان قد وضع على الصليب جرى دهنه ولفه بوساطة أقمشة قبرية]، ولدى الخروج نحو الخارج، يجد المرء على الجهة اليسرى للشرفة، جبل أكرا، حيث وضع الرب على الصليب، وتحت ذلك الجلجلة، وذلك حيث تساقط الدم الثمين لمخلصنا فوق رأس آدم[وهناك ضحى إبراهيم إلى ربنا، وهنا أيضاً قال ربنا للص الذي تاب وطلب الرحمة: Amendico Tibi أي سوف تكون معي في الفردوس، وهناك تسلم لونجينوس Longinus رغبته من ربنا المقدس، الذي رآه بعينيه].

وعلى مقربة من الشرفة، وبجانب المذبح العالي، تحت جبل أكرا، يوجد عمود حيث كان ربنا قد ربط وجلد، وإذا ما ما نزلت من هناك أربعين درجة، تجد المكان الذي وجدت فيه سيدتنا القديسة حنة

الصليب الحقيقي، وإلى جـانـب السـدة، وصـدوراً من جهـة اليمين للضريح، المقـدس، يوجـد سجن ربنـا، وهناك ينبغي أن تكون السلسلة التي ربط بها،[وقـد ظهـر في هذا المكان للمـرة الأولى لمريم المجـدليـة، وكـان ذلك بعـد قيـامتـه]، وهنـاك على الجانب الآخـر عند المدخل إلى الضريح المقـدس، اثنتين وأربعين درجـة إلى بيعة الاغـريق، وهي البيعـة التي جـرت العـادة أن يكون فيهـا الصليـب الحقيقي، حيث عثـر عليـه هناك، وصـورة سيـدتنا التي تكلمـت إلى مـريم المصرية، وحـولتهـا إلى المسيحيـة،[وإلى يمين المذبح العـالي، وفي الأعلى كله كـان هناك الصليب الحقيقي، وفي مساء عيد الفصح، بعد مضي آخـر ساعات القمر، وعندما تلامس أشعة الشمس ذراع صورة القـديس جبرائيل، التي رسمت فوق الضريح، وقتها تأتي النار المقدسة من السماء فتشعل واحداً من المصابيح العائدة للضريح].

والتـالي في مقـابل هذا الطريق خـروجـاً من الضريح، وباتجاه الشمال الشرقي تقـوم كنيسة القـديس كاريستـو Caristo (شارتون)[الذي رقـد في الأرض ثمانمائـة سنة]، وبـاتجاه الجنوب وعلى مقـربـة من هذه الكنيسة، توجـد كنيسة سيدتنا للاتين، وهي أول كنيسة لاتينيـة وجدت في القـدس، ولهذا السبـب عـرفت باللاتينيــة، والرهبـان فيهــا رهبـان سود[ويحكـى بأن القديسـة مريم المجـدلية، وكذلـك مريم كيفـاس، قد مزقتا هناك شعريهما عندما وضع الرب على الصليب]، وعلى مقربة منها بيت فرسان القديس يوحنا[الاسبتارية].

وقبل الضريح، وعلى رميتي سهم باتجاه الشرق، يوجـد هيكل الرب، حيث له أربعة مداخل واثني عشر باباً، وهناك في وسط الهيكل الصخرة الكبيرة المقـدســة، حيث وضع تابوت ربنا في أيـام داوود، وكـان هناك العهد القديم، وعصا هرون، والشمعـدانات الذهبية السبعة، ووعاء المن الذي نزل من السماء، والنار التي اعتـادت أن تلتهم قرابينهم التي كـانوا

يقدمـونها هناك، وألواح الميثاق القديم، والزيت الذي كـان يتقاطر هناك ويمسح به الملـوك والأنبيـاء، وعلى هذه الصخـرة نام يعقـوب، ورأى الملائكة وهم يصعــدون إلى السماء وينزلون بـوسـاطـة سلم[وعلى هذه الصخرة، ظهـر الملاك، عندما تولى داوود تعـداد الشعب، وبيده السيف حيث قتل به الناس، وهناك جلس ربنا ووضع نفسه عندمـا أراد اليهود اعتقـاله، وجاء نجم ونزل نحـوه وأعطاه نوراً، وفي داخل الباب المتجـه نحـو الجنوب، كـان هناك نبع، الذي يغنون حـوله فيما بين عيـد الفصح وعيد الحصاد:

" Vidi aquam egredientem de Templo a latere dextro » الخ وعلى زاوية الهيكل تعرض ربنا للمحنة، حيث حاول الشيطان إغواءه، ومـن زاوية الهيكل جرى إلقاء القـديس جيمس، وهو الذي كـان أول أسقف للقــدس، وكـان على رصيف الهيكل في الخارج هناك مذبح، حيث كان اليهود، يضحون بثلاث حمامات وطيور، وذلك حسب الشريعة القـديمة، وجرى على طرف الصخـرة تقديم ابن الرب، وكان تحتها قدس الأقـداس، وهناك غفر الرب ذنوب المرأة التي أخذت وهي تزني، وهناك كان الاعلان عن يوحنا المعمدان، وبجوار هذا المكان تقـوم بيعة القـديس جيمس ، الذي كـان أول أسقف للقـدس]، وهناك خـارج الهيكل مـذبح حيث جـرى قتـل زكـريا بن براخيـا، أي مـا بين الهيكل والمذبح، وعند مـدخل الهيكـل هناك البـاب الجميل وذلك باتجاه الغـــرب، وهناك بـاتجاه الجنوب هيكل سليمان، وإلى جـــانـب هيكل سليمان، باتجاه الشرق حمام ربنا، وذلـك في زاوية المدينة،[أي في القـــرنة داخل صحن الهيكل] ويوجـد إلى الشرق من هيكل الرب البـاب الذي اسمـه القـدس، وظاهر هناك في الخارج عـلامـات حـوافـر الأتان التي ركبها الرب يوم فصح الورود، ويوجد في الأسفل الأبواب الذهبية.

وعند المخرج الشمالي الشرقي للهيكل يوجـد باب الفردوس والنبع،

وعلى هذا الطرف وإلى جانب جدار الهيكل هناك بركة الضأن[وكانت هذه البركة صهريج اعتاد الملاك على دخول الماء فيها وتحريكه من أجل شفاء أول شخص مريض يدخل إلى الماء، وعلى مقربة من ها هنا القديسة حنة وضريحها، ويقول بعضهم أن هذا المكان هو بركة الضأن، وخلف القديسة حنة توجد كنيسة القديسة مريم المجدلية.

وباتجاه الجنوب، هناك فوق مدينة القدس جبل صهيون، وكان هناك كنيسة كبرى، هدمت، وذلك حيث توفيت سيدتنا، ومن هناك حملها الرسل إلى شعفاط، وقبلها هناك بيعة، حيث جرت محاكمة ربنا، وضربه، وتعذيبه، وعذب بالشوك وبه توج، وهنا قاعة كيفاس وبيته، ودون الكنيسة التي هدمت هناك بيعة الروح القدس، فهناك نزل الروح القدس على الحواريين، وهناك المكان الذي غسل فيه ربنا أقدام حوارييه، ومكان وعاء الماء ما يزال هناك موجوداً، وإلى هناك دخل الرب، مع أن الأبواب كانت موصدة، وقال لهم : «سلام لكم»، ثم أنه قال للقديس توماس:«ضع عليّ إصبعك ويدك ولاتكن غير مؤمن»، وعلى جبل صهيون جرى مسح سليمان.

ويوجد هناك في أسفل المدينة بركة سلوان للسباحة، وإلى جانبها يرقد القديس إشعيا، وعلى مقربة من هناك حق الدم، أي المكان الذي شري بمبلغ ثلاثين فلساً، وهو المبلغ الذي دفع ثمناً لربنا، وهو المدفن الذي يدفنون فيه الحجاج.

وتحت الأبواب الذهبية، يجري في الوادي جدول، يدعى قدرون، ومن هناك جمع داوود الأحجار الخمسة، التي قتل بها جالوت، وهناك في شعفاط المكان الذي رقدت فيه سيدتنا، وعلى مقربة من هناك يوجد جيسماني، وهو المكان الذي اعتقل فيه ربنا: وهناك من الممكن رؤية أثر الأصابع العشرة لربنا على الصخرة، وهناك ترك القديس بطرس، والقديس جيمس، وبقية الحواريين والرسل، عندما ذهب يصلي للرب

الآب، وهناك، على بعد قرابة رمية حجر، المكان الذي صلى الرب فيه للرب الآب، وهناك تساقط العرق منه نقاطاً من دم، نحو الأرض، وهناك رقد القديس بطرس، والقديس جيمس، والقديس سمعان، والنبي زكريا، ويوجد على سفح هذا الوادي قبر الملك شعفاط، الذي منه نال الوادي اسمه، وفوق، باتجاه الشرق، يوجد جبل الزيتون، واعلم أنه من على جبل الزيتون مضى يسوع المسيح إلى السماء في يوم الصعود، حيث ما تزال طبعة قدمه الأيمن ظاهرة حتى الآن على الصخرة، وهناك أمر حوارييه بأن عليهم الذهاب والتبشير بالانجيل إلى جميع المخلوقات، ودون ذلك يوجد كهف، وذلك حيث استشهدت القديسة بيلجيا، وعلى السفح المتجه نحو الجنوب هناك بيعة، حيث عمل يسوع المسيح الدعاء الالهي.

— ٣ —

حول الأماكن القريبة من القدس

بين جبل الزيتون وبيت عنيا تقوم قرية بيت فاجي، حيث أمر ربنا القديس بطرس والقديس جيمس وبقية الحواريين بالذهاب وإحضار أتان له مع فلوها.

وعلى بعد فرسخ من القدس تقوم بلدة بيت عنيا، التي فيها بيت سمعان المجذوم حيث غفر ربنا لمريم المجدلية ذنوبها، وهناك أقام ألعازر من قبره.

ومن القدس إلى القرنطل سبعة فراسخ، وهناك صام ربنا لمدة أربعين يوماً، وعلى مقربة من هناك أريحا، ومن أريحا إلى نهر الأردن سبعة فراسخ، وهناك جرى تعميد ربنا من قبل يوحنا المعمدان[والمسافة من هناك هي سفر يوم إلى الكرك، ومنها أيضاً المسافة نفسها إلى الشوبك]، والمسافة من نهر الأردن إلى جبل سيناء هي سفر ثمانية أيام، فهناك أعطى

ربنا شريعة موسى، وترقد هناك القديسة كاترين، العذراء والشهيدة، وذلك في ضريح رخامي جميل جداً، وهذا الضريح مقدس إلى درجة أن نوعاً من الزيت يخرج منه وهو يشفي كثيراً من الأمراض، وقد ظهرت نعمة الرب هناك وشوهدت إلى درجة أن كثيراً من الحيوانات الضارية الموجودة في الجبل هناك، هي لا تعيش على شيء، سوى لحس ضريح سيدتنا القديسة كاترين، وذلك بالإضافة إلى المن الذي يتساقط على الجبل.

والمسافة هي فرسخ واحد من جنوب القدس إلى القديس إلياس، الموجود على مقربة منه حقل الورود، وإلى جانبه يوجد ضريح راحيل زوجة يعقوب، وفوق في مقابل هذا المكان، يوجد على الجانب الآخر، وعلى رابية، مدينة بيت لحم، والمعلف الذي مدد فيه ربنا، وذلك عندما ولد، وقد لفّ بقطع قماش صغيرة، ويوجد هناك مكان المهد، والمكان الذي وجد فيه الملوك الثلاثة، وهم:[كسبر، ومليكور، وبلطسار]، وقد جاءوا من الشرق، وتعبدوا ربنا، وذلك عندما قدموا له الذهب، والبخور، والمرّ، ويوجد هناك على جهة اليمين من السدة، المدينة، حيث الجب الذي سقط فيه النجم، الذي قاد الملوك الثلاثة، ويرقد على اليسار الأبرياء، ويوجد تحت الساحة الداخلية لضريح القديس جيروم[على بعد فرسخ من بيت لحم كنيسة، وذلك حيث أعلن الملاك للرعاة عن ميلاد ربنا، وهناك غُني للمرة الأولى:«المجد للرب في الأعالي»]، وعلى مسافة صغيرة، فوق بيت لحم، توجد بيعة القديس إبراهيم في حبرون، فهناك صنع ربنا آدم وحواء، وعلى مقربة من هناك بيت قابيل وهابيل، وبجوار هذا المكان الموضع الذي أظهر الرب فيه نفسه للقديس إبراهيم على شكل ثالوث، ولقد رأى القديس إبراهيم ثلاثة أشخاص، وعبد واحداً،[وهناك دفن الآباء الثلاثة مع زوجاتهم].

وباتجاه الشرق[الغرب] الموضع الذي حيت فيه سيدتنا ايزابل، وهناك

ولد القـديس يوحنا المعمـدان، وزكـريا والده، وعلى مسـافـة ميلين من هناك توجـد قلعة اسمهـا قلعة عمـواس، وظهر هناك ربنا إلى القـديس لوقا وإلى كليفاس بعد قيامته.

وعلى مقـربة من القـدس باتجاه الغـرب، وعلى بعـد فـرسخ مـوضع القـديس الصليب، فهناك نمت الشجـرة التي منهـا صنع الصليب المقدس، والمسافة من القدس إلى السامرة، التي اسمها نابلس، اثني عشر فـرسخـاً، وهناك تحدث ربنا إلى المرأة السـامـرية، عنـد جب يعقـوب، والمسـافـة مـن هناك هي فـرسخين إلى سبسطيـة، فهناك جـرى إعـدام القديس يوحنا،[وهناك يوجد رمـاد جسده]، والمسافة من هناك إلى جبل الطور هو عشرة فراسخ.

— ٤ —

الحج من عكا

أمـا وقد تحدثنا عن الأرض المقـدسـة للقدس، والمنطقـة المحيطة بها، فإننا نصل الآن إلى عكا، وهناك يوجـد حجـاج يحتـاجون إلى من يتـولى إرشـادهم، وعلى كل من يريد التـوجه إلى الأمـاكن المقدسـة، أن يمضي مباشرة من عكا إلى الناصرة، والمسـافة بينهما سبعة فـراسخ، ويوجد على الطريق شفا عمرو، التي تبعد عن عكا مسـافة ثلاثة فراسخ، وهي التي على جبلهـا كنيسة القـديس جيمس، والقـديس يوحنا حيث ولدا، ومـا تزال البقعة، التي ولدا عليهـا مشاهدة، والمسافة من شفـا عمرو هذه إلى الصفـورية هي ثلاثة فراسخ، والمسـافـة من هناك هي فرسخ واحـد إلى الناصرة.

وهناك جـاء ربنا إلى العـذراء مـريم، وهناك أيضـاً المكان الذي أعلن الملاك فيه عن قدومه، وكان ذلك داخـل صخرة مجوفة، هي موجودة في الكنيسـة على جهـة اليسـار، وقـد بني في ذلك الموضع بيعـة تشريفـاً

لسيدتنا،[وهناك المكان الذي سكنـت فيه، وهناك النبع الذي حملت الماء منه، وهو الماء الذي سقت به مـولانا، وفي بركة ميـاه هذا النبع، غسلت سيدتنا الأقمشـة التي قمطت بها ربنا، وأرسلت سيدتنا ربنا ليجلب الماء من هذا النبع عندمـا كان قـد كبر بعض الشيء، وكان هذا بعـد عودتهما من أرض مصر]، وعلى مقــربـة من هناك وعلى رميــة سهـم هناك نبع القديس جبريل، ومن الناصرة إلى قفزة ربنا المســافة فرسخ واحد، وعلى طرف هذا الطريق توجد بيعـة القديس زكريا، وهي عـائدة إلى الأرمن، وهي مكان جميل.

والمسـافـة من النـاصرة إلى قـانا الجليل هي ثلاثة فـراسخ، وفي قـانا الجليل حدث عرس آرخيتركلينوس Architriclinus ،[رئيس المتكأ] وفي هذا العرس جعل الرب الماء نبيذاً، وما يزال من الممكن رؤية المكان الذي حدث فيه هناك، ومن قانا الجليل إلى البئر الذي جلب منه الماء إلى عرس أرخيتركلينوس، مقدار رمية سهم.

والمسـافــة من الناصرة إلى جبل الطور هي ثلاثة فــراسخ،وعلى هذا الجبل حوّل الرب شكل ذاته أمام حوارييه، وتوجد هناك كنيسة للرهبان اللاتين السـود، ومن جبل الطور إلى جبل حـرمـون[جبل الضـاحي، أو حرمـون الصغير] مسافـة فرسخ، حيث توجد مـدينة نين(نون)، وهناك أقـام ربنا طفــلاً من الموت أمـام باب المدينة، ومن مقــربة هذا المكان، وباتجاه الشرق، المسافة ثلاثة فراسخ إلى بحر الجليل.

[وبحر الجليل ليس أكثر من مجرد بحيرة ماء عذب، تشكلت من مياه نهر الأردن ومن مياه ينابيع أخـرى تتجمع هناك، وعلى بحر الجليل هذا أكل ربنا مع حوارييه بعدمـا قام، وقد أكل ظهور بعض الأسماك، ولهذا بقيت عظام الظهور كلها عارية، وبقيت بقية الأسماك كلها كاملة، ثم إنه ألقاهم ثـانية في الماء، فتحركت الأسماك على الفـور، وذهبن يسبحن مع بقيـة الأسماك بدون ظهـور إلاّ العظام التي كــانت عـارية تماماً، وهذه

الأسماك هي بحجم — إن لم تكن أكبر — أسماك الروش، التي نحتفظ بها في المياه العذبة في فرنسا]، وتقوم إلى جانب البحر مدينة طبرية حيث صنع فيها ربنا كثيراً من المعجزات، وهناك أمر ربنا السيدين: القديس بطرس والقديس أندرو، اللذان كانا في القارب، برمي شبكتيهما في البحر، وعلى وجه هذا البحر مشى ربنا عاري القدمين نحو القديسين بطرس وأندرو، اللذان كانا في القارب، وكان هذا عندما كان القديس بطرس خائفاً، لأنه ظن أن هناك عاصفة.

وعلى مقربة من هناك كفر ناحوم، وعلى الجهة المقابلة يوجد مستنقع جنسارث، ويوجد على جهة اليمين جبل مغطى بالعشب، فهناك وعظ ربنا الحشد من الناس، وعلى مقربة من هناك المكان الذي أطعم فيه ربنا خمسة آلاف رجل بخمسة أرغفة مع سمكتين، وعلى مقربة من ها هنا في الأسفل يوجد السجن الذي وضع فيه ربنا حتى دفع الضريبة من أجل مروره، وهناك أمر الرب القديس بطرس باصطياد سمكة، وعندما أخذها، أمر ربنا بفتحها، فكان فيها درهم من الفضة، دفع به ربنا الضريبة المتوجبة عليه.

ومن طبرية إلى صفد مسافة ثلاثة فراسخ، وعلى الطريق يوجد الجب الذي ألقي يوسف فيه، عندما بيع إلى الاسماعيليين، وفي صفد كهف توبيت، حيث دفن الميت، وعلى جسر صفد توجد الصخرة التي عليها ارتاحت سيدتنا،

ومن صفد إلى القديس جرجس[مزار الخضر — مجدل كروم] المسافة خمسة فراسخ، وهناك كنيسة للرهبان السود، ومن القديس جرجس إلى عكا أربعة فراسخ، وفي طبرية يوجد المشعل الذي رماه اليهود نحو ربنا، عندما أراهم كيف ينبغي أن يموتوا، وقد أصابت النار الجدار، وهناك ينمو الآن شجرة كبيرة.

— ٥ —

حول الحج إلى الأماكن الأخرى النائية

[إن جميع أماكن الحج تلك التي أتينا على ذكرها موجودة في مدينة القدس المقدسة وفي أرض الميعاد المقدسة، ولسوف أحدثكم الآن عن أماكن الحج الأخرى التي هي في أماكن نائية.

فعلى مقربة من دمشق يوجد جبل، وعلى هذا الجبل كنيسة سيدتنا، سيدة الصخرة كما يدعونها، ويوجد في هذه الكنيسة اثنتي عشرة راهبة وثمانية رهبان، ويدعى هذا المكان باسم سردانيس Sardaines [صيدنايا]، وبعض الناس يدعونها سردينيا Sardenai ، ويوجد في هذه الكنيسة مائدة من خشب، حيث أن طولها ذراع وعرضها نصف ذراع، وكان قد رسم على هذه المائدة صورة سيدتنا القديسة مريم، وقد حفرت بالخشب، ويصدر من هذه الصورة أطيب الزيوت رائحة، وقد مسح كثير من الناس أنفسهم به، فلم يعانوا بعد ذلك من أي مرض من الأمراض، ولم يتوقف هذا الزيت عن الصدور مطلقاً، وذلك مهما أخذ منه، وإلى هذه الكنيسة يأتي المسلمون من الأحواز المجاورة، ويكون ذلك في أيام عيد سيدتنا في شهري آب وأيلول، فهناك يصلون ويتعبدون ويعملون النذور، وكانت هذه الصورة قد صنعت في القسطنطينية وبطريرك القدس هو الذي أخذها من هناك، وقد طلبتها راعية الدير فأعطيت لها، وحملتها إلى حيث أخبرتكم أنها موجودة.

وفي طرطوس أول كنيسة بنيت تشريفاً لأم الرب، وسيدتنا، والقديس بطرس الرسول هو الذي بدأ ذلك أولاً.

وكان في مدينة بيروت تمثالاً ليسوع المسيح، وكان قد صنع بعد وقت قصير من صعوده إلى السماء، وقام اليهود بصلب هذا التمثال سخرية بربنا، وطعنه اليهود في جانبه بحربة، وتدفق من هذا الجانب ماء ودم،

وبهذه المعجـزة آمن كثيرون بربنا، واعتـادوا أن يدهنوا بهذا الماء والدم المرضى ويعالجوا أمراضهم.

وفي مـدينة بابل الجديدة التي هـي مـوجـودة في مصر، عند مـدينة القاهرة(بابليون هي المدينة والقاهـرة هي القلعة)، في بابليون هذه يوجد نبع، وقـد اعتادت سيـدتنا أن تغسل في هذا النبع مـلابس ابنها العـزيز، عندمـا كانـا في مصر، بسبب هيرود، ويقدر المسلمـون هذا النبع تقـديراً عظيماً ويأتون إليه عن طواعية ورغبـة للاغتسال هناك، وبمياه هذا النبع تسقى الأشجار التي تحمل البلسم الحقيقي.

وعند قلعة القاهرة، يوجد حتى هذه الأيام شجرة نخيل تحمل التمر، وجـاءت سيدتنا في أحـد الأيام إلى تحت هذه النخلة ورغبت بالحصـول على بعض تمرها، لكن النخلة كـانـت عـاليـة جـداً، ومـا كـان بإمكانها الحصـول على التمر، فـانحنت النخلة نحـو قـدميهـا، وأخذت السيـدة الرائعة من هذه الفاكهـة، ثم نهضت النخلة ثانية ووقفت منتصبة، ورأى كثير من المسلمين والكفـار ممن كـانوا هناك آنذاك هذا المشهـد، ثم قـام الكفـار بقطع هذه النخلة، غير أنهم وجـدوها في اليـوم التـالي منتصبـة، وسليمة تماماً، لم يظهر عليها أي قطع أو خدش، فما كان منهم من ذلك الوقت فصاعداً إلاّ أن قدموا احتراماً عظيماً لهذه الشجرة].

رواية إرنول عن فلسطين

لقد سمعتم عـن صلاح الدين الذي يتولى الآن حصـار الكرك، وبناء عليه سـوف نتحدث عن نهر الأردن، ونبين من أين ينبع، وكيف يجري، وأين ينتهي.

يقسم هـذا النهـــر فيها بين بلاد المسلمين وبـلاد المسيحيين، ويحصل ذلك بجريانه، فأرض المسيحيين قـائمة على هذا الجانب، واسمها أرض الميعـاد، واسم الأرض العائـدة للمسلمين«العـربية»، ويدعـون في أرض الميعـاد جميع المجـاري المائيـة باسم أنهار (Fluns)، وينبع عند سفح الجبل نبعـان، اسم أولها«أر» واسم الثـاني«دان»، ولسوف أحـدثك الآن عن هذا الجبل، وأبين لك الاسم الذي يعرف به: إن الاسم الذي يعرف به هذا الجبل، هو جبل لبنان، ويمتد هذا الجبل مسـافة أربعة أيام طولاً، وذلك إلى قلعـة قـائمـة فيها وراء طرابلس يطلقون عليهـا اسم عـرقـة، فهناك جرى صنع سفينة نوح، ومن جبل لبنان هذا أخـذ ت إلى البحر، ولهذا السبب، عـرفت هذه القلعة باسـم عرقـة، لأن سفينة نوح صنعت هناك، وهذا الجبل جـزء من بانيـاس ومن البـلاد المسيحية، ويمتـد من مقابل طرابلس ويساير الساحل، ويقوم الجزء المسيحي من هذا الجانب، وأما الجزء الآخر فهو التابع لبانياس.

ويوجــد في هذا الجبل كثيراً من البقـــاع الجيـــدة، والبلدات الحسنة، يتقاسمها المسلمون والمسيحيون نصفين فيها بينهما، وتجد في أحد الأماكن جميع السكان مسلمين، وتجد في مكان آخر جميع السكان مسيحيين، وبين هذين الجبلين(السلسلة الغربيـة والسلسلة الشرقية) يوجـد وادٍ، يطلقون عليه اسم وادي البقاع، وإليه ذهب رجـال الاسكندر للاحتشاش عندما كـانوا يحاصرون صـور، هذا وإن الذين يحبـون السجع وصنعـة الكلام يحبون إطلاق اسم وادي يوسفاس Josaphas عليه.

والآن أمـا وقـد أخبرناكم عـن جبل لبنان، الذي ينبع النبعـان من سفحه، سوف أحدثكم عن مدينة قائمة دون سفح الجبل وفوق النبعين، اسمها بـانيـاس، وكـانت هـذه المدينةمسيحيـة في أيام غـودفـري دي بولليون، هذا ولا يمكنني إخباركم في أيام من من الملوك جرى فقدانها، غير أن الملوك الفرنجـة قاموا فيها بعـد بتحصين قلعتين قامتـا على مقربة منهـا، اسم أولاهما تبنين، وكـانت هـذه قلعـة الملك، وهي على مسـافـة خمسة فراسخ مـن صور وأربعة فراسخ من مدينة بـانياس، واسـم القلعة الثـانية صفـد، وكـانت هذه بيـد الداوية، وهي تبعد أربعـة فـراسخ عن مدينة بانياس.

ولسوف أحدثكم الآن عن بانياس، وأبين لكم أي بلدة هي، وما هو اسمها القـديم، فهي التي تعرف باسم فيليبون، وقد عـرفت أيضاً باسم قيسارية فيليـب، وكان فيليب هذا أخاً لهيرود، وأعنـي هيرود الذي أمر بإعـدام يوحنا المعمـدان، وكـان هو زوج المرأة التي كـانت عند هيرود، عندما أمر بإعدام القـديس يوحنا، وكان ذلك بسبب أنه قال لهيرود بأنه يتوجب عليـه أن لا تكون زوجة أخيه عنده، ولذلك أمر بإعـدامه، وفي قيسارية أعطى ربنا مفاتيح الفردوس إلى القديس بطرس، وبذلك يمكنه أن يفتح وأن يغلق، وهذه المدينة قريبة من الجليل.

ولسوف أحـدثك الآن عن هذين النبعين، اللذان تجري ميـاههما نحو بحر الجليل، وقبل أن يدخلا إلى البحـر يتحدان، ويصبحان نهراً واحداً، ويحمل أول النبعين اسم«أر» أمـا الثـاني فيعـرف باسم«دان»، وعندمـا يتحدان يصير اسمهما الأردن، ويدخل هذا الماء إلى البحر على مقربة من بانيـاس، ويجري في وسط البحـر، وإلى جانبـه هناك جسر يعـرف باسم جسر طبرية، وعندما يجتاز هذا الجسر يصير اسمه «نهر الأردن».

ولسوف أحدثكم الآن عن هذا البحر، وأبين لكم أي بحر هو، فهذا البحر ليس بحـراً مالحاً، بل هو بحر عذب وجيـد للشرب، وهذا البحر

هو مجرد أربعة فراسخ بالطول وفرسخين بالعرض، وتطلق الكتابات المقدسة على هذا البحر، اسم بحر الجليل، كما تطلق عليه في أماكن أخرى اسم بحر طبرية، لأن مدينة طبرية قائمة على هذا الجانب من البحر، وهو الجانب العائد للمسيحيين، هذا وتطلق الكتابات المقدسة في بعض الأماكن الأخرى على هذا البحر اسم بحر الناصرة.

ولقد كان على هذا الجانب من البحر حيث جعل يسوع المسيح الماء نبيذاً، وذلك عندما كان في عرس رئيس المُتكأ في مدينة طبرية، وبين طبرية وبانياس موضع يدعونه باسم المائدة، وذلك على مقربة من بحر الجليل، ففي هذا المكان أطعم يسوع المسيح الحواريين وخمسة آلاف رجل بخمسة أرغفة من الشعير مع سمكتين، حتى أنهم تركوا سلتين من الفتات وعلى جزء آخر من البحر وباتجاه بانياس توجد مدينة اسمها كفر ناحوم، فهناك فيها ولد كل من القديسين بطرس وأندرو، وهناك أيضاً صنع يسوع المسيح عدداً كبيراً من المعجزات، فقد شفى عدداً من الناس مثل ابن الملك وآخرين.

وعلى مقربة منها هناك مدينة اسمها نين، وإلى هناك أيضاً، ذهب يسوع المسيح في أحد الأيام، لقد ذهب هو شخصياً ومعه حواريوه، وعندما اقترب من المدينة، واجه سيداً، كان قد حملوه وأتوا به لدفنه، ثم أقبل يسوع المسيح نحوه، وقال بأن عليه أن يقوم، فاستجاب وقفز قائماً، لأن يسوع المسيح قد أقامه، وعلى بعد خمسة فراسخ من هذا البحر، بحر طبرية، تقوم مدينة اسمها الناصرة، وهي تبعد ستة فراسخ عن مدينة عكا، ففي هذه المدينة ولدت سيدتنا القديسة مريم، وإلى هذه المدينة نفسها جلب الملاك لها رسالة تفيد بأن يسوع المسيح يتوجب أن يأخذ شكل وجسد آدم من خلالها، وعندما كانت سيدتنا القديسة مريم مع الطفل، أي مع ابن الرب الآب، ذهبت إلى جبل قريب من الناصرة، مع ابنة خالة لها سكنت هناك، وكان اسمها ايزابل وكانت حاملة بطفل هو

السيد القديس يوحنا المعمدان، ويوجد في ذلك المكان دير يطلقون عليه اسم دير القديس زكريا، لأن زكريا قد سكن هناك، وهو أيضاً كان والد القديس يوحنا المعمدان.

وعلى مقربة من الناصرة، وعلى مسافة نصف فرسخ، هناك جبل جميل، اسمه باللاتينية: Montem Excelsum Valab ، وفي اللغة الرومانسية«القفزة»، لأنه يوجد على طرف هذا الجبل شعب منحدر، إليه كانوا يقودون الناس من أهل الناصرة الذين استحقوا الموت، ليرغموهم على القفز من هناك نحو الأسفل، وحدث الآن في إحدى المرات أنهم عندما اقتادوا يسوعاً المسيح إلى هناك لإرغامه على القفز نحو الأسفل بسبب كلمة قالها لليهود في الناصرة، أنه اختفى من بينهم وجلس مع ذلك على صخرة كانت موجودة هناك، ولذلك لم يكن بإمكانهم رؤيته أو العثور عليه.

وهذا الجبل المشرف على الجرف، هو الجبل الذي حمل الشيطان يسوعاً إليه، عندما جلبه من القرنطل حيث كان قد صام، وجاء حمله إلى الهيكل أولاً، ومن الهيكل حمله إلى الجبل، وأراه جميع البلاد والمنطقة، والثروات التي كانت في الأرض، وقال له بأنه سوف يعطيه كل الذي رآه لو أنه قام بعبادته، فقال يسوع المسيح له بأن عليه المغادرة وأن لا يحاول إغواءه ثانية، وغادر الشيطان، وحضر الملائكة إلى هذا الجبل.

وتحت هذا الجبل جبل آخر ليس مرتفعاً مثل الجبل الذي تحدثت عنه أعلاه، وهناك سهل جميل جداً بين الاثنين، واسم هذا الجبل الآخر جبل الطور، وإلى هذا الجبل جلب الرب مرة القديس بطرس، والقديس جيمس، والقديس يوحنا، وتحول شكله أمامهم، ولهذا السبب يحافظون في كثير من البلدان، على الاحتفال بعيد تحويل الشكل، ولقد نسيت أن أخبركم عندما كنت أتحدث من قبل، كم يبعد عن القدس ذلك الجبل الذي حمل الشيطان يسوعاً المسيح إليه، إنه واقع على مسافة سفر يومين.

ولسـوف أحـدثكم الآن عن نهر الأردن، وأبين كيفيـة جـريانه، وأين يصب، فهو عندمـا يخرج من بحر الجليل، يجري نحـو الجنوب، ويستمر بالجريان لمسـافـة رحلة ثلاثة أيام في الطول، ثم ينتهـي في البحـر الذي يدعـونه باسم بحـر الشيطان، وهو يعـرف من قبل العـالم ومن قبل الكتابات المقـدسة باسم بحر الملح،لوجـود جبل من الملح على الشاطىء باتجاه الكرك، ولأنه مالح جداً، إلى حـد أن ما من شيء يمكن أن يقارن بملوحته وبمـرارته،فملوحة البحـر الكبير ومرارته هي لا شيء بـالنسبة له، وهذا البحـر لا يجري بأي اتجاه، بـل هو أشبـه ببحيرة، ولكن بدون أسماك، لأن الأسماك لا يمكنها الإقامـة هناك، ولا حتى كما كان مرة، في جميع المنطقـة التي كـان البحـر فيها، وتقـوم هذه المنطقـة فيما بين مـدينة الخليل والكرك.

ولكي أتمكن من إخبـاركم المزيد حـول هذا البحـر، سوف أحـدثكم عن المكان الذي تقوم فيه الكرك، إنها تقوم في العـربية، فعلى مقربة منها يقوم جبل سيناء، وذلك في المنطقـة التابعـة لصاحب الكرك، ويقع جبل سيناء هذا فيما بين البحر الأحمر والكرك، فهناك أعطى الرب الشريعة إلى مـوسى بعـد عبورهم للبحـر الأحمر، وإلى هذا الجبل، وإلى حيث جـرى إعطاء الشريعة، حمل الملائكة جسد القديسـة كاترين، وذلك عندما قُطع رأسهـا في مصر، وهي ترقـد هناك في الـزيت الذي يخرج من جسـدها، ويوجـد هناك فـوق البقعـة دير للرهبـان الاغـريـق، لكن الدير الرئيسي لتلك الطائفة ليس هناك، بل موجود عند سفح الجبل، ويوجد هناك دير وصـومعة، ولا يستطيع أحـد أن يصعـد الجبل على ظهرحصـان، أو أن يحمل معه لحماً، من أجل معيشة الموجودين فوق.

ويوجد فـوق ثلاثة عشر راهباً، يعيشون حياة قـاسية، حيث يحملون إليهم إلى هناك الخبـز، ولا شيء آخـر، ويـأكل بعضهم ثلاث مـرات في الأسبـوع خبــزاً مع الماء، وهناك بعضهـم الذين يأكلـون الأعشـاب

والنباتات البرية مع خبزهم، وذلك مما يجدونه هناك، وصام موسى على هذا الجبل لمدة أربعين يوماً، ولم يأكل حتى أعطيت الشريعة له.

ولسوف أحدثكم الآن عن البحر الأحمر، الذي هو قريب، فهذا هو البحر الذي ضربه موسى بعصاه، فانشطر البحر، وصار بمثابة سياج على هذا الجانب وعلى الجانب الآخر، وهذا هو البحر الذي اجتازه بنو إسرائيل بأقدام جافة، عندما قدموا من مصر، وعندما عبروا جاء الملك فرعون وراءهم، ودخل البحر وهو يريد أن يقتلهم وأن يعتقلهم لكنه هلك هو وجيشه كله، فقد حرك موسى عصاه، وضرب بها البحر ، فانغلق البحر، وغرق فرعون هو وجيشه كله، ولم ينج أحد منه، ونجا بنو إسرائيل،لأنهم كانوا قد عبروا قبل أن ينغلق.

وكان الأمير أرناط قد بنى على شاطىء هذا البحر خمسة غلايين، وعندما اكتملت عمارتهم أمر بإنزالهم إلى البحر، ووضع فيهم فرساناً وعساكر، وما يكفي من أطعمة، وكان هدفه أن تقوم هذه الغلايين بجولة شاملة هناك، لمعرفة أي قوم من الناس يسكنون شواطىء هذا البحر في الأجزاء الأخرى، وقد غادرت الغلايين عندما صارت جاهزة، ومخرت أعماق البحر واجتازت إليه، ولم يسمع أحد من الناس ما الذي حدث لهذه الحملة منذ أن غادرت(*)، ويجري في وسط البحر الأحمر هذا نهر الفردوس، فهو عندما غادر البحر يجري في وسط أرض مصر، واسم هذا النهر في الكتابات المقدسة سيحون(بيسون)، لكنه يعرف من قبل الناس باسم نهر النيل.

والآن وقد قلنا ما قلناه عن النيل، سوف أحدثكم عن مدينة الخليل،

* — كان هذا سنة ١٢٨٣، وكان صلاح الدين عندما سمع بهذه الحملة، أمر واليه على مصر بتحريك أسطول، برئاسة القائد لؤلؤ، فقد أدرك لؤلؤ الأسطول الفرنجي، فأحرقه بالروحاء، ولاحق من كان فيه، فقتل بعضهم، وأسر آخرين، ثم عاد سالماً غانماً.

القائمة خلف بحر الشيطان، وهي التي أشرت إليها من قبل في أرض الميعاد، ففي هذا المكان تقوم مدينة اسمها حبرون، فهنا تحدث القديس إبراهيم وسكن بعدما جاء من حرّان، فهناك كان قد ولد، وهي المكان الذي اسمه في الكتابات المقدسة«آرام»(*)، وكان ذلك لدى الحديث بأن الرب قد أخبره بأن عليه المضي نحو الأمام، وعليه أيضاً أن يسكن في البلاد التي سوف يخبره عنها، وقد اشترى في هذا الموضع حقلاً من الأرض من أجل دفن نفسه وجماعته، وبالفعل هناك دفن مع ابنه اسحق، ومع يعقوب ابن اسحق، الذي توفي في مصر، والذي كان والد يوسف، فعندما مات والداه في مصر، أمر بنقلهما ودفنهما مع أخوانه في حبرون، وبعدما مات يوسف، جلب بنو إسرائيل عظامه معهم عندما قدموا من أرض مصر إلى أرض الميعاد ، وقد دفنوه مع أبيهم، [تذكر التوراة أنه دفن في شكيم]، وعندما سكن إبراهيم هناك لم تكن هناك بلدة، غير أنهم فيها بعد أقاموا تلك المدينة هناك التي أسموها الخليل، لأن خليل الرحمن إبراهيم سكن هناك، وتتبع هذه المدينة صاحب الكرك، وهي تبعد خمسة فراسخ عن بيت لحم، حيث ولد يسوع المسيح.

وبيت لحم هي مدينة لكنها ليست كبيرة، حيث يوجد فيها شارع واحد، والمسافة من بيت لحم إلى القدس هي فرسخين.

ويوجد بين بيت لحم والقدس دير، يوجد فيه رهبان إغريق، واسم هذا الدير دير«المجد للرب في الأعالي»، فهناك كان الملائكة قد غنوا عندما ولد يسوع المسيح، وقد تحدثوا إلى الرعيان وأعلنوا أن مخلص العالم قد ولد، وقالوا بأن عليهم أن يذهبوا إلى القدس(بيت لحم) حيث كان موجوداً، ولسوف يجدونه مقمطاً بقطع قماش، وقد ذهبوا فوجدوا كل شيء حسبما أخبرتهم الملائكة، ونحن نقدم الشكر والحمد إلى يسوع

* — الرائج انعدام العلاقة بين آرام وحران، وأن إبراهيم عليه السلام ولد في أور في العراق.

المسيح، لأنه قضى بالأمور أن تكون هكذا، وإلى جانب هذا الدير هناك أرض حقل يدعى«حقل الزهور».

أما وقد فرغنا من هذا، سوف أحدثكم عن مدينة تقع على مسافة فرسخين من النهر، وهي التي حصنها أهل البلاد عندما سمعوا من يقول بأن بني إسرائيل أخذوا يدخلون أرض الميعاد، وأنهم لا بد مارون من هناك، واسم هذه المدينة أريحا، وكانت مسورة بحجارة صماء، وبعدما عبر بنو إسرائيل النهر حاصروها، لأنها كانت المدخل إلى أرض الميعاد.

وعلى مقربة من هذه المدينة حقل مليء بالثعابين، ويمسكون هناك الثعابين، التي يُصنع منها المرهم، ولسوف أخبركم كيف يمسكونها، فالرجل الذي يتولى إمساكها يقيم سياجاً حول الحقل، ويسير مردداً عبارات سحره وتعاويذه، ويقوم بالغناء من حول السياج، وتقدم جميع الأفاعي التي تسمعه نحوه، فيتولى إمساكهن بسهولة وكأنهن خرفان، ويأخذهن لبيعهن في المدينة إلى الذين يصنعون المرهم، هذا وهناك بعض الأفاعي العاقلة بين هذه الأفاعي، فهؤلاء البعض عندما يسمعونه وقد بدأ بالغناء، يضعون واحدة من أذنتيهم على الأرض، ويمنعون السماع عن الأخرى بوساطة الذيل، وبذلك يتوقفون عن السماع، وبهذا المرهم الذي يصنعونه من هذه الأفاعي من الممكن معالجة جميع أنواع السموم.

ولسوف أحدثكم الآن عن نوعين من الأفاعي، موجودين في العربية، وكذلك في الصحراء البعيدة، والذي يتوفر من هذين النوعين فقط ثعبانين، ولا يمكن أن يكون هناك أكثر، وهما حاميان جداً، ولهما رائحة نتن هائلة إلى درجة أن ما من طائر يمكنه أن يحلق فوقهما في المكان الذي يلتقيان به، بل يسقطون موتى من الحرارة ومن رائحة النتن الصادرة عنهما، كما أنه لا يوجد إنسان أو حيوان يشم نتنهما إلا ويسقط ميتاً، وسوف أحدثكم الآن كيف يلدان، وكيف ينشآن، ففي ذلك

موتها، فعندما يحل الوقت الذي يلتهبان به، يأتي الذكر ويضع رأسه في فم الأنثى، وبذلك تحمل، وعندما تحمل تغلق فمها وتعض بأسنانها فتقطع رأس الذكر، وبذلك يموت، وعندما يحين وقتها تقوم بالولادة، والذي تلده هو ذكر واحد وأنثى واحدة، وهذا ما يتكرر كل مرة.

وهناك على الطريق أعطى المسيح البصر إلى الرجل الذي صرخ له، لأنه كان بلا عينين، ومن هناك على بعد فرسخ واحد عن أريحا، يوجد القرنطل، حيث صام الرب على الجبل.

ويوجد عند سفح الجبل نبع جيد وجميل، وقد كان هذا النبع في أيام النبي إيليا له طبيعة شاذة، بحيث لم يوجد تحت أديم السماء مكان لمسته مياه ذلك النبع إلاّ ومات فيه كل ما هو أخضر من أنواع النباتات، ولم يكن هناك امرأة في العالم شربت منه ثم أنجبت ولداً، وكذلك لم تكن هناك أنثى حيوان شربت منه ثم كان لها أولاد، ثم جاء إيليا وعالجه، فوضع ملحاً فيه، وبعدما عالجه لم يعد يؤذي، بل صار جيداً، وروى جميع تلك الأرض والحدائق وصولاً إلى النهر، والقرنطل حيث صام الرب، هو موضع في الصحراء على هذا الجانب من النهر، وأما الصحراء التي عاش فيها القديس يوحنا فموجودة عبر النهر، وقرب النهر قام بتعميد الذين جاءوا إليه للتعميد، وهكذا عمّد يسوعاً المسيح، وعلى طرف النهر حيث جرى تعميده هناك دير للرهبان الاغريق، اسمه دير القديس يوحنا.

ويوجد بين أريحا والقدس مكان اسمه الصهريج الأحمر، وكان يوجد هناك خان كان ينزل به الذين يذهبون من القدس إلى أريحا، وإلى النهر، وهناك حمل السامري الرجل الذي وجده قد سُرق على الطريق، وهو الذي تحدث عنه يسوع المسيح عندما سألوا: «من هو جاري؟»[انظر لوقا: ١٠/ ٢٥ — ٣٧].

وألآن وقد تحدثت إليكم عن بحر الجليل، وعن النهر، وعن هذا الجانب وذلك الجانب، وعن الخط بين المسيحيين وبين المسلمين، ذلك أنني أخبرتكم بأن المسلمين قد عبروا النهر عندما كانوا في أحد الأيام في فوربلت Forbelet ، ومضوا إلى حصار الكرك.

وعندما سمع بلدوين ملك القدس خبراً أفاد بأن صلاح الدين كان قد بعث خلف رجاله للقدوم إلى البلاد، جمع جيشه كله، وعسكر بهم في مكان اسمه ينابيع الصفورية، والسبب الذي جعلهم يطلقون عليهم اسم ينابيع الصفورية، هو قربهم من بلدة اسمها الصفورية، ففي هذه البلدة ولدت القديسة حنة أم سيدتنا القديسة مريم، وعند هذه الينابيع أقام الملك أيام الصيف عندما لم تكن هناك هدنة مع المسلمين، وقد أقام هو وجميع فرسانه والداوية والاسبتارية وجميع بارونات البلاد، وسبب إقامتهم هناك هو أن المسلمين جاءوا إلى البلاد، وكانوا جاهزين للزحف للتصدي لهم، وهذا المكان الذي توجد فيه الينابيع يبعد فرسخاً عن الناصرة، وخمسة فراسخ عن طبرية، وكذلك خمسة فراسخ عن عكا، وهناك أقام ملك القدس لمدة ثلاثة أشهر هو وجيشه، وذلك حتى جاء صلاح الدين إلى البلاد، وإلى أن حشد قواته.

وعندما حشد صلاح الدين جيشه، وجمع قواته في دمشق، قام بالزحف، وقطع كثيراً من طريقه وعبر النهر وأقام في مكان فيه نبع اسمه نبع عين طبون Tabaun ، وهي موجودة عند سفح الجبل تحت صخرة، ويبعد هذا الجبل مسافة أربعة فراسخ عن ينابيع صفورية، وذلك حيث كان ملك القدس مع جيشه، وفرسخين عن قلعة اسمها زرعين(يزرعئيل)، وهذه القلعة موجودة في مكان اسمه دوثان، وفي هذا الموضع الجب الذي ألقى فيه بنو إسرائيل أخاهم يوسف، وباعوه إلى تجار أخذوه إلى مصر.

ولسوف أحدثكم الآن عن نابلس، وأبين لكم كيف هي، وأين تقوم،

فالتي كانت موجـودة عندما كان المسيح على الأرض لم تكن هي نابلس بعـد، وهنا سكن السامـرة أولاً، وتقوم نابلس بين جبلين، وأهل البـلاد يطلقون على أول هذين الجبلين اسم جبل قابيل، وعلى الآخر اسم جبل هابيل، وجبل هابيل دائماً أخضر في كل من الشتاء والصيف، وذلك من خلال العدد الكبير من أشجار الزيتون التي تنمو هناك، وأما جبل قابيل فـدوماً جـاف، ذلك أنه كله صخـري وحصـوي(*)، وعند سفح جبل قـابيل تقــوم مـدينة اسمهـا عسكر(شيكار)، وتتجــه هذه المدينة نحـو الشرق، وإلى جــانب جبـل هابيل، وباتجاه مشرق الشمـس، هناك جبل اسمه جبـل القديس إبراهيم، وعلى هذا الجبل مكان يدعـونه باسم بيت إيل، وهذا هو المكان الذي جلـب إليه إبـراهيم ابنه اسحق ليضحي به، وكـان ذلك عندمـا أمـره الرب، وهنـا أعـدّ الملاك له كبشـاً ليضحي به عوضاً عن ابنه.

وإلى جانب هذا الجبل، وباتجاه الشرق، هناك مدينة، كانت — عندما كان يسوع المسيح على الأرض — تعرف باسم السامرة.

وكان دون هذه المدينة سهل كان اسمــه سهل شكيم، وكان هناك بئر عمله يعقـوب وأعطاه إلى ابنه يوسف، وإلى هذا البئر يذهب أهل المدينة للشرب، ويبعد هذا البئر مسافة نصف فرسخ عن نابلس.

وجرى تدمير مدينة السامرة هذه تماماً، بعد أيام يسوع المسيح، وذلك عندمـا كـان فسبسيــان على الأرض، ولم يكن هناك مـدينة على الأرض أطول منهـا، وهناك أديرة السـامـرة حيث يقـدمـون قـرابين فصحهم، وذلك أنه لا يمكنهم التضحية في أي مكان آخـر، مثلما لا يمكن لليهود

★ — هذا الجزء فيه غلط غريب، ويبدو أن المصنف قـد نقله عن رواية أخرى لم يفهمها جيداً، فجبل هابيل هو جبل عيبال، وبناء عليه ينبغي أن يكون جبل قابيل هو جبل جرزيم، وعلى هذا وضعت بيت إيل على جبل هابيل، هذا وجبل جرزيم فيه وفـرة من المياه، لكن جبل عيبال جبل جاف.

التضحية إلاّ في القدس، وإلى هناك جاء السامرة من بلاد مصر، ومن بلاد دمشق، ومن جميع بلاد بنيم Paynim،ويأتي هؤلاء القوم إلى ها هنا في يوم عيد الفصح، ويكون موعد عيد الفصح لديهم متوافقاً مع الموعد الذي يتخذه اليهود، وهناك يقومون بالتضحية.

وعلى بعد خمسة فراسخ عن نابلس هناك قلعة اسمها بيت هرون، وحدث مرة في غابر الأيام أن واحداً من قادة نبوخذ نصر، الذي كان ملكاً لفارس، قام بحصار هذه القلعة، وكان اسم هذا القائد هولوفرنس.

وعلى بعد فرسخين عن نابلس، هناك مدينة اسمها سبسطية، وهي قائمة على الطريق الذي يمضي من نابلس إلى الناصرة، ففي هذا المكان كان قد دفن جسد السيد القديس يوحنا المعمدان، فإلى هناك جلب حواريوه جسده، بعدما أمر هيرود بقطع رأسه، وبعد أمد وجيز من ذلك، وعندما سمعت زوجة هيرود بأنه قد دفن، بعثت إلى هناك وأمرت بإخراج عظامه من الأرض، وأحرقتهم، وباعت الرماد، ولهذا السبب ما برح الأطفال في ليلة عيد القديس يوحنا يشعلون ناراً من العظام، لأن عظامه قد أحرقت.

والمسافة من نابلس إلى القدس هي اثني عشر فرسخاً، ومن نابلس إلى الناصرة هي اثني عشر فرسخاً، وكذلك فإن المسافة من نابلس إلى قيسارية هي اثني عشر فرسخاً، ومن نابلس إلى نهر الأردن هي خمسة فراسخ، لكن ليس إلى المكان الذي جرى تعميد يسوع المسيح فيه، ذلك أن المسافة من نابلس إلى المكان الذي عمّد فيه أبعد بكثير، مع أن النهر هو نفسه.

— ٣ —

بورتشارد راهب دير جبل صهيون

استهلال:

كان بورتشارد راهب دير جبل صهيون ألمانيا، إما من أهالي مدينة ستراسبورغ أو مدينة مجديبورغ، وقد عاش في القرن الثالث عشر، وصار راهباً من رهبان طائفة الدومينيكان وذهب إلى الشرق في سنة ١٢٣٢م، وقد زار مصر، وسورية، وماعرف باسم أرمينيا، التي كانت تعرف قديماً باسم مملكة كليكيا، ويقال بأنه أمضى عشر سنوات في دير جبل صهيون في القدس، ولم يعد إلى أوربا حتى تقدمت به السن كثيراً، هذا وتاريخ وفاته غير معروف.

ومن لهجة كتابته، يمكن أن ننظر إلى العصر الذي عاش فيه على أنه عصر تسامح، وقادت صحة أوصافه في كثير من الأحيان م.دي.أنفيل Annville ، للاعتماد عليه كدليل، وقدأعلن ج.س.م لورانت — الذي اعتمدت على طبعته في هذه الترجمة — أنه أعظم الحجاج في جميع العصور الوسطى وأشهرهم، ومع هذا يلاحظ أن شهرته التي دفعت إلى تحقيق كتابه أكثر من عشرين مرة، أن ما من طبعة من الطبعات المتقدمة أعطتنا نصاً كاملاً، وأنه لم يكن هناك وفاق حول اسمه الذي ورد بأشكال متنوعة منها:بوركاردوسBorcardus ، وبروكاردوس Brocardus ، وبرغادوسBerghadus . وذهب لورانت إلى القول بأن بورتشارد نفسه قد أخرج الكتاب مرتين، ففي المرة الأولى قدمه كنشرة خاصة أخذت شكل رسالة مرفقة بخريطة، وقاد نجاح هذه النشرة إلى إخراج نسخة مصححة نشرت على شكل كتاب، وظهر منذ ذلك الحين تعارض عظيم في النص، وذلك عندما نقارن طبعة منه بأخرى، فعلى سبيل المثال نقل العقيد كوندر الكلمات التالية من ص١٢ من هذه السلسلة حول مدينة القدس:

"Relictis Tamen Prioris concavitatis Vestigiis”

مظهـراً أن وادي[السيل] تيروبوان Tyropoeon لم يكن مليئاً مثلما هو الآن، ولم ترد هذه الكلمات في نص لورانت، غير أننا نقرأ في الفصل الثامن نصاً مشابهاً جاء فيه:«في هذه الأيام جميع مجرى وادي السيل ملىء تماماً، ومع هذا فإن آثاره، يمكن تتبعها وفق هذه الطريقة».

ونقل لورانت نصين عن طبعة هنريكوس كانيسوس، الذي حقق الطبعة المبكرة من كتاب مصنفنا هذا، فقد أشار بورتشارد في هذين النصين بشكل اعتيادي إلى أماكن في مجديبورغ ومن حولها، وذلك كمقياس للمسافات، ومن ذلك اعتقد لورانت أننا نستطيع من دون خطر أن نفترض أنه كان ألمانياً، إن لم يكن من أهالي تلك المدينة.

وأكثر أهمية تقدير تاريخ كتابته وزيارته لفلسطين، فالحوادث التي أتى على ذكرها تبرهن أنه كتب بعد سنوات:١٢٦٠ و ١٢٦٣و١٢٦٨،و١٢٧١، وقبل سنتي ١٢٩١ و١٢٨٥، وعلى هذا فإن تاريخ سنة ١٢٨٣ يبدو صحيحاً، مع أنه لم يذكره بنفسه، وذكر بعض الكتاب أنه أمضى عشر سنوات في الأرض المقدسة، أي من سنة ١٢٧٥ حتى ١٢٨٥(انظر م. لى كلارك — التاريخ الأدبي لفرنسا: ٢١ / ١٨٢)، والمؤكد هو أنه أمضى عامين هناك، ونستخلص هذا مما قاله في الفصل الرابع، فقد كان هناك في أيام حكم الملك المنصور قلاوون(١٢٧٩ — ١٢٩٠)، سلطان مصر وخليفة بيبرس، وقد كتب قبل ثماني سنوات من انتهاء الحروب الصليبية، وكان ذلك في أيام هنري ملك قبرص والقدس، وفي أثناء هدنة العشر سنوات، التي أبرمها قلاوون في سنة ١٢٨٢ م، مع الداوية والاسبتارية، ومن المفترض أن لقب De monte Sion الذي حمله، قد جاء من إقامته الطويلة في الدير هناك، لكن من الواضح أننا لا نمتلك برهان قوي يبرهن هذا ويؤيده.

وكان بورتشارد مخلصاً في تحرره من التعصب، مع أنه كما يبدو، كان

على المستوى الشخصي تقياً، وكانت رعايته ومساعدته للطوائف الأخرى مدهشة، ويبدو أن قراءاته كانت ضخمة،وقد أظهر كثيراً من الذكاء، في تعلمه ما أمكنه تعلمه أثناء رحلاته، وكذلك في استيعاب المعلومات التي تلقاها، وقد عاش فيها بين هراطقة وكفار، وبين نساطرة وأرمن وسريان، وكأنهم إخوان له، وقد أظهر أكثر من أي كاتب معاصر له مزيجاً غريباً من الشجاعة والتواضع، والإيمان، وحب المعرفة، ويبدو أن هذا كان من سمات الصليبيين في القرن الثالث عشر، وهي حقبة البطولة في العصور الوسطى، ولقد كان قادراً على زيارة بلدات هي الآن مدمرة، ومناطق كانت مزدهرة هي الآن مشعثة، ولم يكن بالطبع خلواً من السذاجة حيث قام بمزج الحكايات الخارقة، وردد أصداء الملاحم، فلقد كان حسبما وصفه م.ف.لى كلارك بقوله:

"il Faut reconnaitre chez ce religieux un esprit fort eleve, qui, au moment ou les croisades Finissent, raconte avec unenaivete admirable ce quil a vu ou cru voir. No us devonsa sa, curiosite attentive des absevations importantes de geographie et d,histoire naturelle" (التاريخ الأدبي لفرنسا:٢١/ ١٨٢).

وأتى فابري(١/ ٤/ ١٧) على ذكر بورتشارد بالاسم، ونقل مارينو سانوتو صفحات كثيرة من كتابه، قام بانتحالها حجاج آخرون، وفي هذا كله اعتراف مخلص بها قدمه، واعتماداً على بورتشارد قام الجغرافيون باستقاء المعلومات حول التقسيم الجغرافي لفلسطين، وسورية، والعربية، وعن مكانة دمشق الأبدية في سورية، وكذلك الكلام المضطرب حول الايطورية والطرخونية، الذي رددوه بصواب أعلى أو أدنى، ولقد كتب بورتشارد بلاتينية وسيطة جديدة، ونقل عن هوراس وكذلك عن جيروم ويوسيبوس، ولسوء الحظ أنه تولى وصف الأرض المقدسة

- ٣٩٦٤ -

بوساطة خطوط تقسيم كثيرة، انطلاقاً من مدينة عكا، وهذه خطة لم تكن مجدية تماماً في التوضيح والتحديد، لكنها نقلت مع أشياء أخرى كثيرة من قبل مارينو سانوتو.

وصف بورتشارد راهب جبل صهيون للأرض المقدسة

تمهيد:

أخبرنا القديس جيروم أننا نقرأ في تواريخ قديمة حول رجال زاروا بلداناً، وعبروا بحاراً، إلى حد أننا يمكن أن نتصور معهم ونرى الأشياء التي قرأنا عنها في الكتب ورأوها بأنفسهم، وهكذا زار أفلاطون الكهان المتنبئين في ممفيس، وذهب أبولونيوس إلى مصر، ودخل إلى بلاد فارس، وعبر إلى القوقاز، وبلاد الألبان، والسكيزيين، والمسغيتيين Mes-sagetae، والهنود، والبراهمانيين، وذلك حتى يمكنه رؤية ياركاسlarchas ، وذهب أخيراً إلى مصر، حتى يمكنه رؤية مائدة الشمس الشهيرة في الصحراء الرملية، فما وجه العجب على هذا، إذا ما تشوق المسيحيون لرؤية الأرض التي تحدثنا عنها جميع كنائس المسيح، ولزيارتها؟ فقد بجل الناس القدماء قدس الأقداس، لأنه كان هناك تابوت العهد، والخيمة الملائكية مع كرسي الرحمة، والمن، وعصا هرون التي أزهرت، وهذا كله يشكل نماذج عن الأشياء التي ستأتي، وأوليس ضريح المسيح يستحق العبادة منا أكثر من أي شيء آخر، لأن أي إنسان كلما دخل إلى هناك، ومهما كان عدد المرات، سوف يتصور بعقله وبصيرته المخلص ممدداً هناك وملفوفاً بأقمشة كتانية؟ وإذا ما تقدم أكثر قليلاً، سوف يرى الصخرة وقد دحرجت وأزيحت، والملاك جالس عليها وهو يري النساء المنديل وأقمشة القبر، وأي مسيحي، بعد رؤيته لهذه الأشياء، لن يبادر مسرعاً بالذهاب إلى بيت لحم، ليرى الطفل الوليد وهو يبكي في المعلف، فقد جاءت مريم لتأوي إلى النزل الذي كان موجوداً تحت صخرة مجوفة، من الممكن رؤيتها في هذا اليوم.

وكان الملائكة يغنون: المجد للرب، والسلام للناس، وكان ذلك

بحضور الرعاة، وأكثر عجباً من هذا كله، رؤية الحكماء الثلاثة بأبهتهم يركعون أمام المعلف، من دون سقف فوق رؤوسهم، إلاّ الصخرة الممتدة نحو الأمام؟، ودعه يعود من هناك إلى القدس، عله يرى يسوعاً ويسمعه وهو يعظ في الهيكل، ويعلم حوارييه على جبل الزيتون، ويتعشى على جبل صهيون، ويغسل أقدام حوارييه، ويعطيهم جسده ودمه، ويصلي في جيسماني، ويتعرق دماً، ويقبّل الذي خانه، ومن ثم يعتقل ويجر بقوة إلى السجن ويسخر منه، ويبصق عليه، ويحكم عليه، ويحمل صليبه، ويغرق تحت وطأة وزن الصليب أمام باب المدينة الذي من الممكن رؤيته في هذا اليوم، ثم يساعده سمعان القرني، وبعد ذلك قيامه بالاحتفال بأسرار قداس آلامه فوق أكرا، وما برحت ذكرى كل واحدة من هذه الأحداث، وكل واحد من هذه الأماكن كاملة وتامة، كما كانت عندما حدثت هذه الأشياء ها هنا، وفي الحقيقة هناك في المدينة أماكن كثيرة تقدست بأحداث آلام ربنا، إلى حد أن يوماً واحداً لن يكون بأي حال من الأحوال كافياً لزيارتها جميعاً بشكل نافع، وبالاضافة إلى هذا كله، هناك أشياء أخرى تثير الناس في تلك الأماكن وتدفعهم إلى درجة عالية من الانفعال العاطفي، ومن هو الذي يمكنه أن يذكر كم هو عدد الرهبان والراهبات من جورجيا، ومن أرمينيا الصغرى والعظمى، ومن بلاد الكلدان، وسورية، وميديا، وفارس، والهند، وأثيوبيا، والنوبة، وكذلك الأنباط، والموارنة واليعاقبة، والنساطرة، والاغريق، والسريان، ومن الطوائف الأخرى، الذين يتجولون في هذه الأيام في تلك البلاد على شكل جماعات، كل منها مكون من مائة أو مائتين، أو أكثر أو أقل، وهم يزورون كل مكان مقدس، ويقبلون بعاطفة جياشة القلعة، ويتعبدون البقاع التي سمعوا بأن يسوعاً الجميل جلس عليها، أو وقف، أو عمل أي عمل؟ تراهم يضربون صدورهم، وهم يبكون أو يتنهدون، ويغنون بالدور، ويعبرون بمظاهرهم الجسدية عن مشاعرهم الدينية التي يمتلكونها بدون أدنى

شك، وعمق هـذه المشـاعـر كـان يستـدر عطـف الكثيرين حتى أن المسلمين كـانوا يبكون لذلك، فلقـد رأيت أيها المولى الـرب، إبراهيم، يسرع — كما حدثنا المؤرخون القـدماء — بمغادرة بلاده، وترك أسرته، وبيت أبيـه، ليقدم مسرعـاً إلى هذه البلاد، فينصب خيمتـه فيما بين بيت إيل، وبين عـاي، ويقيم بعض الوقـت في جـرار Gerar ، وبئر السبع، وحبرون، وإنني أرى حـزقيـال يغـادر ميـاه بابل، ويُحمل بشعـر رأسه فيما بين السماء والأرض، وهو يشق طريقـه إلى القدس، وما الذي يمكنني قوله عن العذراء الرائعـة، التي، بعد الاعلان الذي عمله الملاك لها، ووعدها، قد عرفت بأن رحمهـا قد عمل بيتاً للرب،فلم تكن راضية بسهول الجليل الواسعة والجميلة، بل بادرت مسرعة للصعود إلى المنطقة المرتفعـة في اليهـودية، وذلك لـرغبتهـا في أن تكون أقـرب إلى الأمـاكن المقـدسـة؟ ومـا الذي يمكنني قـوله عن البطريـرك يعقـوب، ويوسف وأخـوانه، الذين، لأنهم لم يستطيعـوا السكنى في تلـك الأرض أثناء حياتهم، اختاروا أن يدفنوا فيها بعد مماتهم؟.

ومـا الذي أحتاجـه للقـول أكثر؟ من الممكن أن نتنهـد ونتزعج تجاه انعـدام الحماسـة لدى المسيحيين في أيـامنا، الذين لـديهم أمثلة كثيرة مضروبة أمام أعينهم، ويترددون في العمل على انتزاع البلاد التي قدسها يسوع بدمه، من أيدي الأعداء، مع أنهم يغنون يومياً بحمده في الكنائس خلال العـالم كله: لأنه لا يوجد يوم أو ليلةعلى مـدار السنة لايغني فيها كل مسيحي تقي، أو ينشد، أو يتلو، أو يعظ، أو يتفكر، أو يقرأ حول ما جرى أو كتب في هذه البلاد، وفي مدنها وأماكنها المقدسة؟.

وعندمـا رأيت أن بعض الناس قـد تملكتهم الرغبـة في أن يتصـوروا هذه الأشياء بعقـولهم، وهي الأشياء التي لم يكونوا قـادرين على رؤيتها بأعينهم، ورغبة مني في تلبية رغباتهم، بقـدر ما أمتلك من طاقة، فكرت بقدر ما أستطيع، في أن أكتب بكل عناية وصف ما أشاهده، وأن أصف

بدقة متناهية تلك البلاد، التي مررت ماشياً عليها مراراً، ذلك أنني أريد أن يعرف القارىء أنني لم أضمن أوصافي إلاّ ما رأيته بأم عيني، عندما كنت في المكان الموصوف نفسه، أو إذا لم أستطع الوصول إليه، كنت أراه من فوق أحد الجبال المجاورة، أو من مكان موائم آخر،ولقد دونت بدقة الأجوبة التي قدمت إلي من قبل السريان أو المسلمين، أو من قبل قوم آخرين من سكان البلاد، وذلك بعدما سألتهم بدقة متناهية.

وفي الحقيقة، لقد قلت: إنني إما مشيت على قدمي وطفت على البلاد كلها من دان إلى بئر السبع ومن البحر الميت إلى البحر المتوسط، فتلك هي حدودها، أو أنني تقصيت فبحثت بعناية حول الأماكن التي لم أستطع الوصول إليها.

ولدى تفكري وتقديري كيف يمكنني القيام بوصف هذه البلاد بشكل نافع ومفيد، ولكي يتمكن عقل قارئي بسهولة من فهم ما سأخبره عنه، رأيت اختيار نقطة مركزية ومن ثم إعداد البلاد كلها وترتيبها من حولها، وفق تنظيم صحيح، ولقد وقع اختياري على مدينة عكا لتكون هي المركز، لأنها معروفة أكثر من أي مكان آخر، ومع هذا فإن هذه المدينة ليست واقعة في وسط البلاد، بل هي قائمة على شاطىء البحر في الجزء الغربي من حدودها، وقد مددت من هناك أربعة خطوط، كل واحد منها متجه إلى إحدى اتجاهات العالم الأربعة، ولقد قسمت كل ربع إلى ثلاثة أجزاء، حتى تتوافق هذه الأجزاء الاثني عشر مع الرياح السماوية الاثني عشر، ووضعت في كل قسم من هذه الأقسام المدن والأماكن التي ورد ذكرها في الكتابات المقدسة، حتى يمكن بيسر وسهولة إيجاد موضع كل مكان، وجزء العالم الموجود فيه.

هنا بداية القسم الأول من البلاد المقدسة

١ — عليكم أن تعرفوا في البداية أن ما ندعوه باسم الأرض

المقدسة، هو ما وقع حصة لأسباط بني إسرائيل الاثني عشر، وقد عرف أول الأقسام باسم مملكة يهوذا، وكان حصة سبطي يهوذا وبنيامين، وعرف القسم الآخر باسم مملكة السامرة، وهو الذي يعرف في هذه الأيام بتبعيته لمدينة سبسطية، التي كانت عاصمة ديار الأسباط العشرة المتبقية، وهي التي عرفت باسم إسرائيل، وقد أطلق على هاتين المملكتين مع جميع بلاد فلسطيا، اسم فلسطين، وكانت فلسطين إحدى مقاطعات سورية، وذلك مثلما سكسوني أو فرانكونيا، مقاطعتين من بلاد ألمانيا، ومثلما لومبارديا وتوسكانيا مقاطعتين في إيطاليا.

ويمكن فهم هذا بقدر أكبر، إذا عرفنا بوجود عدد كبير اسمه سورية، وكل منها حمل اسماً مختلفاً، ومع هذا فإن مجمل البلاد الواقعة فيما بين نهر دجلة ومصر تدعى بشكل عام سورية، والجزء الأول من هذه البلاد هو الواقع ما بين نهري الفرات والدجلة، وهو الممتد طولياً من جبل طوروس حتى البحر الأحمر، ويدعى هذا الجزء باسم سورية الجزرية، لأنها تقوم في وسط المياه، وتحتوي على كثير من الشعوب، منهم مثلاً: الفرثيين والميديين، ويحدها من الجنوب بلاد الكلدان التي توجد فيها مدينة بابل، ومرة أخرى إن حدودها من الجنوب العربية، التي تمتد حتى البحر الأحمر، وهو الذي يدعى في هذه الأجزاء باسم الخليج العربي، هذا وإن الجزء الأول من هذا القسم الجزري كله، هو الجزء الذي يمتد نحو الشمال، وهو الذي اسمه بشكل خاص الجزيرة السورية، وفي هذا الشطر تقوم مدينة الرها، التي كانت تعرف في القديم باسم راسيس Races والآن باسم راسك Rasc فهذه هي سورية الأولى.

وسورية الثانية هي سورية المجوفة، التي تبدأ عند نهر الفرات، وتنتهي عند نهر بانياس الذي يجري عابراً قلعة المرقب، ويصب في البحر المتوسط عند مدينة بانياس، التي هي مقر أسقف، وتبعد فرسخاً واحداً

عن القلعة المتقدمة الذكر، وفي مقاطعة سورية المجوفة هذه تقوم مدينة أنطاكيةمع ملحقاتها، مثل اللاذقية وأفاميا وسواهما كثير.

وسورية الثالثة هي سورية فينيقية، التي تبدأ في الشمال عند النهر المتقدم الذكر، أي نهر بانياس، وتمتد جنوباً حتى بترا إنشيسا Incisa ، أو القفار عند سفوح جبل الكرمل، ويدعى هذا المكان في هذا اليوم باسم قلعة الحجاج(عثليت) وهي من أملاك فرسان الداوية، وفي سورية الفينيقة هذه كثيراً من المدن، من ذلك مثلاً: المرقب، وطرطوس، وطرابلس، وبيروت، وصيدا، وصور، وعكا، وكفر ناحوم، وقد عرفت هذه المنطقة باسم سورية الفينيقية صدوراً عن اسم ابنة أغينور التي كانت أختاً لقدموس، فهو الذي بنى صور، وجعلها المدينة الرئيسية في هذه البلاد، وأطلق اسمه على البلاد، فعرفت به.

وسورية الرابعة هي سورية دمشق، حيث مدينة دمشق هي العاصمة هناك ،وسورية هذه متصلة بسورية الثالثة، أي سورية فينيقية، وذلك من الجهة الشرقية هناك، وتدعى سورية الرابعة هذه أيضاً باسم سورية لبنان، لأن جبل لبنان المشهور موجود فيها.

والتالي لسورية الرابعة هذه، أي سورية فينيقية(كذا) فلسطين، التي يتوجب دعوتها باسم فلسطيم Philistiim ، بسبب وجود فلسطينيات ثلاثة، وهؤلاء الثلاثة جميعاً أجزاء من سورية الكبرى، وهي كمايلي: فلسطين الأولى، وهي المقاطعة التي عاصمتها مدينة القدس، وذلك مع جميع المنطقة التلية الموجودة هناك حتى البحر الميت، لابل حتى القفار وإلى قادش بارينا(القفار)، وعاصمة فلسطين الثانية هي قيسارية فلسطين، التي تعرف أيضاً باسم قيسارية القائمة على شاطىء البحر، وذلك مع جميع بلاد فلسطيم شروعاً من بترا انشيسا، أو قلعة الحجاج(عثليت)، وذلك امتداداً نحو الجنوب حتى بيسان، وفلسطين الرابعة هي تلك التي عاصمتها بيسان، وذلك على مقربة من نهر

الأردن، عند سفح جبل جلبوع، وكـانت هذه المدينة تعـرف فيما مضى باسم سكيزوبولس، والصحيح هو دعوة فلسطين هذه باسم الجليل، أو مرج ابن عامر الكبير.

وهناك مثل هذا ثلاث عــربيـات، هي بالطريقـة نفسهـا أجـزاء من سـورية الكبرى، والعـربيـة الأولى هي التـي عـاصمتهـا بوستروم، التي تعـرف الآن باسم بُزريث Buzereth ، وفي القـــديم باسم بصرى، ويحد هذه المقاطعـة من جهة الغـرب الطرخونيـة والإيطورية(الجيدور)، كما يحدها مـن الشمال دمشق، ولهذا السبب عـــرفت ســـوريـة دمشق باسم«العربيـة»، وهذا يعلل لماذا أطلق على أرتاس Arethas اسم ملك العربيـة، في حين كان هو في الحقيقـة ملك دمشق، والعـربية الثانيـة هي المنطقة التي عاصمتها هي البتراء، التي كانت تعرف بالقديم باسم ربّاث Rabbath على جدول أرنون Arnon، وكانت هذه العـربية هي بلاد أبناء عمـون، ومهما يكن من أمـر فإن مـدينة عـار Ar كانت في بلاد مآب، وهي تحتوي على مملكة سيحـون ملك حشبون، ومملكة عوج ملك بيسـان وجبل جلعاد، وهي تحد العـربية الأولى من جهـة الجنوب، والعريـة الثالثة هي التـي عاصمتها الشـوبك، والتي تعرف أيضـاً باسم الكرك، وهي التي عرفت فيما مضى باسم القفار، وهي قائمة على مقربة من البحـر الميت، وتحتـوي هذه العربيـة على بلاد مـآب، التي ينبغي أن تدعى باسم سـوريـة سـوبال، وتحتـوي أيضـاً على جميع أدوم التي هي جبل سعير، وعلى جميع المنطقـة القائمـة حـول البحر الميت حتى قـادش بارينا، وعصيـون جـابر، وباتجاه البحـر الأحمر عبر الجزء الأعـرض من القفـار حتى نهر الفـرات، وهذه هـي العـربيـة الكبرى التي فيهـا مكة، المدينة المدفون فيها محمد(ﷺ)(كذا).

وليكن ما قيل حتى الآن عن البلدان المصاقبة للأرض المقدسة كافياً، ولقد أخـذت الجزء الأكبر مما قدمته مـن كتابات الأب المبجل في الرب،

اللورد جيمس دي فيتري، نائب الكنيسة الرومانية المقدسة في الأرض المقدسة، ومهما يكن الحال، لقد رأيت معظم هذه الأماكن بأم عيني.

ودعوني الآن أحول قلمي إلى وصف خاص للبلاد التي صارت من نصيب الأسباط العشرة.

٢ — وينبغي أن تعرفوا أولاً وقبل كل شيء، كما قلت من قبل، بأنني قد قسمت الأرض المقدسة إلى أربعة أقسام، وذلك تماشياً مع الأقسام الأربعة للسماء، أي: الشرق، والغرب، والجنوب والشمال، وبناء عليه فإن مجمل القسم الغربي متجه نحو البحر المتوسط، ومثل ذلك أجزاء القسمين، الجنوبي والشمالي، التي هي متصلة بالقسم الغربي. وعلى هذا سوف أبدأ مع الخط المستقيم لمدينة عكا، التي كانت تعرف قديماً باسم بطوليس، وأن أسير باتجاه الشمال لأصف المدن والأماكن القائمة على شواطىء البحر المتوسط.

وسوف نشرع على هذا بوصفنا من مدينة عكا، ونمضي من هناك بخط مستقيم نحو صور، ثم إلى المدن التاليةلها، فهذه سنتولى وصفها في أماكنها، لكن من المعروف أن هذه المدينة لم تكن قط جزءاً من الأرض المقدسة، كما لم يتملكها بنو إسرائيل في يوم من الأيام، وعلى كل حال إنهم عندما اقتسموا البلاد فيما بينهم أعطيت إلى سبط آشر، غير أن سبط آشر لم يتملكها قط، فهي واقعة في مقاطعة فينيقية، وعلى بعد أربعة فراسخ نحو الجنوب يقوم جبل الكرمل، ومدينة حيفا، التي تقوم عند سفح هذا الجبل نفسه، خلف جدول قيسون، حيث قتل النبي إيليا كهنة بعل.

وتمتد مقاطعة فينَيقية، أو سورية الفينيقية، مسافةثلاثة فراسخ باتجاه جنوب هذا المكان حتى بترا إنشيسا، التي تعرف باسم قلعة الحجاج(عثليت)، فهذا المكان هو الحد الجنوبي لفينيقية.

ومـدينـة عكا محصنة بالأسـوار، وبتحصينات خـارجيـة، وبأبراج، وخنادق، وشرافات وسـواتر قوية جداً، وهي مثلثـة بشكلها مثل ترس، حيث يطل طرفـان منها على البحر المتـوسط، أما الطرف الثـالث، فيطل على السهل المحيط بها، وعرض هذا السهل أكثـر من فرسخين في بعض الأجـزاء، وفي بعـض الأجـزاء أقل، وهو خصـب جـداً، في المروج وفي الأرض المفلوحة، وفيـه كروم وحدائق، ينمـو فيها جميع أنواع الفـواكه، ويوجـد في المدينة عدد من الأمـاكن الحصينة والقلاع والحصـون ممتلكة من قبل فرسـان طوائف: الاسبتارية، والداوية والتيـوتون، وهذه المدينة من أمـلاك ملك القـدس، ولها ميناء واسع جـداً، وذلك على الجانب الجنوبي حيث يمكن للسفن أن ترسو.

وعلى بعـد أربعـة فـراسخ باتجاه الشمال مـن عكا تقـوم قلعـة ايمبرتي[حمصين] على شـاطىء البحـر، وهي مثل ذلك فيهـا وفـرة من الكروم والحدائق، والمياه الجارية، وذلك عند سفح جبل شارون.

وعلى بعد ثلاثة فراسخ من هناك، وبعدما يعبر الانسان جبل شارون، تقوم قلعـة اسكندرونة[جنوب صور]، التي يقـال بأن الاسكندر الكبير قد بناها عندما كان يحاصر مدينـة صور، وقد أعاد بلدوين ملك القدس عمارتها، وأسند حفظها إلى بعض النبلاء الذين نالوا ألقـابهم منها، وفيها وفـرة من المروج، والمراعي، وحقول التين، والزيتـون، والكروم، وذلك وسط مياه جارية وحدائق.

وعلى بعد أكثر من فرسخ بقليل من هذه القلعة، يوجد بئر مياه الحياة الرائع(رأس العين) وذلك على بعـد رمية سهم بعيـداً عن الطريق الذي يقود إلى صـور، ومياه هذا البئر قـادمة من لبنان، وذلـك حسبما جاء في نشيد الانشاد، ومع أنه يدعى بئراً بالمفـرد، هناك أيضاً أربعة آبار أخرى، لها الشكل نفسـه، لكن لها أحجام مختلفـة، والبئر الرئيسي بينهـا مقياسـة أربعين ذراعاً بالطول وكذلك بالعرض، وذلك حسبما قسته أنا شخصياً،

أما مقياس كل واحد من الثلاثة الأخرى فهو حوالي خمسة وعشرين ذراعاً، وهذه الآبار كلها مسيجة بأسوار قوية جداً من حجارة قاسية جداً، وهذه الأسوار متصلة ببعضها آخذة شكل بناء لا يمكن تدميره، وارتفاع الأسوار مقدار رمح أو حتى أعلى من ذلك، وتتجمع المياه في هذه الآبار ثم ترتفع، فتتدفق من فوق الأسوار من كل جانب، وهناك مجرى ماء ينطلق من هذا المكان، ويسوق الماء داخل أقنية عميقة ومرتفعة بقدر قامة إنسان، فلقد جربت هذا وعرفته بنفسي، وذلك عندما دخلت إلى مجرى الماء الذي تجري فيه المياه، ويجر أهالي صور هذه المياه إلى جميع أجزاء السهل، حيث يسقون بها الحدائق والبساتين، والكروم، وقصب السكر، الذي ينمو هناك بكميات عظيمة، ومنه يتلقى صاحب صور مداخيل كبيرة، وتقوم هذه الآبار على بعد أكثر بقليل من رمية سهم بعيداً عن شاطىء البحر المتوسط، ومياههم هذه تدير في تلك المسافة الضيقة دواليب ست طواحين ذوات حجم كبير، وتصب بعد هذا في البحر، وواضح أن هذه الينابيع تتوافق تماماً مع ما جاء في الالهيات[٢٤/ ٣١]:«سوف أسقي حديقتي الأفضل، وسوف أروي بوفرة أرض حديقتي، وانظروا لقد صار جدولي نهراً، وصار نهري بحراً»، وهذه المياه موائمة كثيراً ومفيدة للسكان.

وعلى بعد أقل من فرسخ واحد عن هذا البئر تقوم مدينة صور، وهي واقعة على شاطىء البحر، وقد نالت المدح والاطراء بما فيه الكفاية من قبل حزقيال، وإشعيا، وارميا، ومن أسفار العهد القديم الأخرى، وكان من المعتاد امتلاكها لجدول من مياه الحياة المتقدمة الذكر، جلب من هناك من خلال أنابيب مدهشة، وأهرامات ما تزال آثارها مشاهدة حتى هذا اليوم، ولقد زرت هذه الأماكن ورأيتها بعيني.

ويحكى بأن مدينة صور قد بنيت من قبل تيراس بن يافث، وكان ذلك بعد الطوفان، ثم أعيدت عمارتها من قبل فينيق، كما تقدم القول،

وصارت عـاصمة فينيقيـة، ولها أسوار واسعة محيطـة بها، هي كما أعتقد أعظم من أسوار مدينة عكا، وهي ذات شكل مستدير، تقف في البحر، فوق صخرة قـاسية جداً، محاطة تقريباً مـن جميع الجهات بالبحر، وذلك باستثناء الجهة الشرقية، من المدينة، وهي منهـا قام نبوخذ نصر أولاً، ثم الاسكندر فيما بعد، بوصلها باليابسة، وذلك لمسافة مقدارها رمية حجر، وهي مسيجة في هذا المكان بثـلاثة أسوار، قوية وعاليـة، وسماكتها خمسة وعشرين قدمـاً، وقد جرى تمتين هذه الأسـوار كثيراً بوساطة اثني عشر برجـاً حصيناً، هي الأحصن بين ما شـاهدته، حيث لا مثيل لها في جميع أنحـاء العـالم، والقلعـة متصلة بهذه الأبـراج، وهي قلعـة فـائقـة القـوة والحصانة، قائمـة فوق صخرة في البحر، ومحاطة أيضـاً بأبراج مع أماكن حصينة، ولا يمكن للعـالم كله أن يستــولي على هذه المدينة بغير خيـانة، وفي هذه المدينة آثار مقدسة كثيرة، وذلك حسبما نعلم من خلال التاريخ اللاهـوتي، حيث حـــدثنـا عن الشهـــداء الذيـن تألموا هنـاك في أيام ديوكلشيان، فالرب وحده يعلم كم هو عـددهم، ويرقد أورجين مدفوناً هناك، في قبر مبني في جدار كنيسة الضريـح المقدس، فلقد رأيت ضريحه هناك، ويوجـد هناك أعمـدة من الرخـام والحجارة الأخـرى، بأحجـام عظيمة يقف الانسان مندهشاً لدى رؤيته لها.

ويوجـد في هذه المدينة كـرسي رئاسـة أسقفيـة، فهي المدينة المطرانيـة لفينيقية، ولرئاسة الأساقفة فيها نواب ومساعدون منهم أساقفة بيروت، وصيـدا، وعكا، وتمتد رعـوية هذه المطرانيـة حتى بترا انشيسا، أو قلعـة الحجاج(عثليت) التي تقدم ذكرها.

وقد أمضيت هناك مرة عشرة أيـام، وقمت في مرات كثيرة بفحصها بكل دقة وبقدر ما استطعت.

وعلى الرمال، على مسافة رميتي سهم، خارج بابها الشرقي، يعرضون مكاناً، يقـولون بأن المسيح قد وعظ فيـه، حيث رفعت امرأة كـانت بين

الحشد صوتها،وقالت:«بورك الرحم الذي حملك»الخ، ويعرضون أيضاً هناك صخرة عظيمة، كان المسيح قد وقف عليها آنذاك، وهذا المكان لم تغطه الرمال قط، مع أن الرمال في ذلك المكان خفيفة، وتتطاير هناك مثلما يتطاير الثلج في الشتاء في البلدان الغربية والشمالية، ولدى تطاير الرمال بوساطة الريح تتكوم هناك الأسيجة والأماكن المشابهة، غير أن هذا المكان، وإن قام في وسط الرمال، قد بقي دوماً غير مغطى في الصيف وفي الشتاء، وذلك حسبما رأيت بعيني.

ويوجد في ذلك المكان أيضاًعمود مرمي على الأرض، مشكلاً علامة، قد قيل بأن تلك البقعة هي المكان الذي جرى فيه قتل بعض الحجاج لدى زيارتهم لتلك المنطقة، وقد قتلوا بشكل خياني من قبل المسلمين.

وعلى بعد ثلاثة فراسخ قصيرة، إلى الشمال من صور، يجري نهر الليطاني، ويصب في البحر المتوسط، وإلى هذا النهر وصل يوناثان أثناء مطاردته للملك ديميتريوس، وذلك حسبما نقرأ في سفر المكابيين الأول، وينبع هذا النهر من ايطورية أو جليل الأمم، وذلك من منطقة كان اسمها في القديم بلاد الراحوب، وصار فيها بعد كابول، وهو يجري قاطعاً قلعة الشقيف، التي يمتلكها فرسان الداوية، وذلك على مقربة من رامه، التي هي المكان الذي إليه طارد يوشع الملوك الواحد والثلاثين، وذلك حسبما نقرأ في سفر يوشع.

وعلى بعد فرسخين من هذا النهر تقوم صرفند الصيداويين، التي يرى الناس أمام بابها الجنوبي بيعة أقيمت فوق المكان الذي جاء إليه النبي إيليا إلى المرأة الصرفندية حيث سكن، ثم أقام ابنها من الموت، والعلية التي استراح فيها ما تزال مشاهدة هناك حتى الآن، ولا تحتوي الصرفند على أكثر من ثمانية بيوت قائمة، وتدل خرائبها على أنها كانت فيما مضى مدينة عظيمة.

وعلى بعد فرسخين تقوم صيدا، التي هي مدينة عظيمة في فينيقية، ويبرهن على ضخامة حجمها حتى هذا اليوم خرائبها، وكانت عظيمة إلى حد أنني لو أردت الكتابة عنها، فإن ذلك سيكون صعب التصديق، وكانت قائمة فيما مضى وسط سهل مستطيل الشكل، يمتد من الشمال إلى الجنوب عند سفح جبل لبنان الغربي، فيما بينه وبين البحر، وكانت مدينة فائقة الجمال، ولقد بني من وسط خرائبها مدينة أخرى، وصحيح أنها مدينة صغيرة بالفعل، لكنها حصينة، فهي أشبه بالحصن، وهي قائمة جزئياً على ساحل البحر، ولها على جانبيها قلعتين حصينتين جداً، الأولى قائمة في الشمال قائمة على صخرة في البحر، وقد بنيت هذه القلعة هناك من قبل حجاج من ألمانيا، وتقوم القلعة الثانية في جهة الجنوب، فوق رابية، وهي جيدة الحصانة، وهاتين القلعتين مع المدينة أيضاً تحت سلطان فرسان الداوية.

والمنطقة المجاورة خصيبة جداً، وفيها وفرة عظيمة من الأشياء الجيدة، ولها مناخ صحي تماماً، وهناك قصب سكر ممتاز، وكروم.

وأمام الباب الشرقي للمدينة القديمة، التي هي خرائب الآن، تقوم بيعة فوق المكان الذي جاءت إليه امرأة كنعانية، والتمست عونه من أجل ابنتها التي تلبسها الشيطان، وكان ذلك على الطريق الذي يقود إلى الايطورية وإلى قيسارية فيليب(بانياس).

وتقع سلسلة لبنان الغربية على بعد فرسخ واحد إلى الشرق من صيدا، ويبدأ هذا الجبل، عند نهر الليطاني الذي تقدمت الاشارة إليه، ويمتد إلى مسافة سفر خمسة أيام، أي خمسة فراسخ فيما وراء طرابلس، وهو لا يبعد مطلقاً أكثر من فرسخين عن البحر، باستثناء قرب طرابلس، حيث أنه يبعد نحواً من ثلاثة فراسخ، ويصل في بعض الأماكن إلى قرب البحر، إلى حد عدم توفر طريق للعبور، وهو مليء بكروم رائعة، وذلك مثلما كتب عنه:«والرائحة هناك ستكون كخمر

لبنان»[هوشع: ١٤/ ٧ — مع فوارق]، وتصنع الخمرة الجيدة على طول الطريق إلى قلعة المرقب.

وعلى بعد تسعة فراسخ فيما وراء صيدا، تقوم مدينة بيروت القديمة والجليلة، حيث يقال بأن الرب قد بشر ووعظ، وصنع اليهود تمثالاً من صلصال سخرية منه، وعندما صلبوا هذا التمثال سال منه كثيراً من الدم، مازال محفوظاً بإجلال حتى هذا اليوم في أماكن كثيرة.

والأسقف في هذه المدينة هو نائب لرئيس أساقفة صور، مثله في ذلك مثل أسقف صيدا، ويمتد الكرسي المطراني لمدينة صور لمسافة ثلاثة فراسخ بعد بيروت، أي إلى ممر نهر الكلب،فهناك يصب هذا النهر في البحر، ومثل ذلك تنتهي هنا حدود بطريركية القدس، وهنا تبدأ بطريركية أنطاكية وكونتية طرابلس، ويدعى هذا المكان باسم ممر الكلب، ولا يمكن عبوره إلاّ بإذن من المسلمين، لأن عدة رجال فقط يمكنهم أن يمنعوا العالم كله من العبور هناك.

وعلى بعد ستة فراسخ من بيروت، وعلى شاطىء البحر، تقوم مدينة بيبلوس[جبيل]، وهي أول مدينة في بطريركية أنطاكية، ولهذه المدينة أسقف خاص بها، وقد أشار حزقيال إلى هذه المدينة أثناء مدحه لمدينة صور حيث قال:« شيوخ جبيل وحكماؤها كانوا فيك قلافوك، جميع سفن البحر وملاحوها كانوا فيك ليتاجروا بتجارتك»[حزقيال: ٢٧/ ٩]، وصاحب جبيل هو من أتباع كونت طرابلس، واسم هذه المدينة في هذه الأيام جبيل، وهي مدينة صغيرة جداً.

وعلى بعد أربعة فراسخ من جبيل تقوم البترون، وهي مدينة كانت فيها مضى غنية جداً بإنتاج خمر رائع، لم يكن في الدنيا أجود منه، غير أنها مدمرة الآن تماماً.

وعلى بعد ثلاثة فراسخ تقوم قلعة[أنفة] راس شكا، التي معظمها تقريباً قائم في البحر، وهي من ممتلكات أمير أنطاكية، ولقد رأيت فيها اثني عشر برجاً، والموقع بالفعل حصين جداً، والخمرة في هذه البلدة هي الخمرة الأكثر شهرة في جميع هذه الأماكن.

وعلى بعد فرسخين من راس شكا، وخلفها تقوم مدينة طرابلس، وهي مدينة جميلة جداً، قائمة كلها تقريباً في البحر، مثلها في ذلك مثل صور، وهي مليئة بالناس، حيث يسكن فيها الاغريق واللاتين والأرمن، والموارنة والنساطرة، وآخرون كثر، وكثير من الأعمال تعمل فيها من الحرير، وسمعت بشكل مؤكد أن فيها نساجون للحرير، ولوبر الجمل، ولأقمشة أخرى مماثلة.

ولاشك أن المنطقة المحيطة يمكن دعوتها باسم الفردوس، بسبب وجود ما لاحدود له من الكروم الجميلة، ومغارس الزيتون، والتين، وقصب السكر، ولا أذكر أنني رأيت مثل هذا في أي مكان آخر من العالم.

وطول السهل القائم أمام المدينة فرسخ، وعرضه نصف فرسخ، ويوجد في هذه البقعة حدائق، فيها مختلف أنواع الفواكه بوفرة كبيرة، حتى قيل بأن دخل أصحابها منها كل سنة يبلغ ثلاثمائة ألف قطعة ذهبية.

وعلى بعد ثلاثة فراسخ وراء هذه المدينة يقوم جبل لبنان، الذي ينبع عند سفحه«نبع الحدائق»(نهر قاديشا)، وهو نبع لمياه الحياة، وجداول من لبنان، نقرأ عنها في نشيد سليمان، ويظهر هذا النبع أنه ينبع قليلاً، لكنه يقوم فجأة بجمع قواه، فيعمل نهراً قوياً وفائق العظمة، وهويسقي جميع الحدائق والسهل بين طرابلس وبين لبنان، ويزيد من ثراء المنطقة بشكل رائع، ومياهه ممتازة، حيث أنها باردة وعذبة، ويوجد على ضفته كثيراً

من الصـوامع، كما جـرى بناء الكثير من الكنائس، وينبع كما قلنا من سفح الجبل، ويلتف جـزئيـاً حول جبل النمـور، ثم يسـاق بين الحدائق لسقايتها، هذا ولن نقوم بذكر الجداول الأخرى التي مثل هذا تصب في البحر، في أمـاكن مختلفة، ومـؤكد مـا جاء في سفـر إستير وقيل عن هذا النبـع«ومن نبـع صغير صنعـت فيضـاً عظيماً، ومـاء كثيراً»، [استير:١١/ ١٠].

وعلى فـرسخين من طرابلس يقـوم جبـل النمـور، الـذي له شكل مستـدير، وهو مـرتفع بعض الشيء، قـائم على بعـد فـرسخ واحـد من لبنان، ولقـد رأيت عند سفحـه، في الجانب الشمالي كهفـاً فيـه قبر طوله اثني عشر قدمـاً، ويزور المسلمون هذا المكان بتقـوى، ويقولون بأنه قبر يوشع، وهذا مالا أعتقد أنه صحيح، لأن العهـد القديم قال بأنه دفن في تمنه — حـارس[القضاة: ٢ /٩] إلى جـانب جبل افرايم، قـرب شكيم، والذي أميل للاعتقـاد به أن هذا هو قبر كنعان بن حـام بن نوح، أو قبر واحد من أولاده، الذي من الممكن البرهنة على أنه سكن في ذلك المكان نفسه، وذلك حسبما سنتحدث فيما بعد.

وعلى بعـد حوالي ثلاثة فـراسخ إلى الشمال من هذا الكهف تقع نهاية جبل لبنان وسلسلة جبـال لبنان الشرقيـة، ويرى الانسـان عند المكان الذي يلتقيان فيـه قلعة عـرقة، وهي القلعـة التي بناها عرقـة بن كنعان، وأطلق عليها اسمـه، فهذا مـا نتعرف عليه من سفـر التكوين:١٠، ومن أخبـار الأيام الأول:١/ ١٥، وهذه الأرض الذي ينتهـي بها جبل لبنان رائعـة جـداً وجميلة، وخصبـة، أمـا من أجل وضـع وطول جبل لبنان فلسـوف أحدثكم عن ذلك لدى الحديـث عن قيسارية فيليب[بانيـاس] ونبع نهر الأردن.

وعلى بعد نصف فرسخ إلى الشرق من قلعة عرقة، تقوم السن، وهي بلدة بنيت من قبل سينوس بن كنعان، وهو أخو عـرقة، وكان ذلك بعد

الطوفان، وليس بعيداً عن عرقة، وذلك حسبما جاء الخبر في شروح سفر التكوين، ومهما يكن من أمر، فإن النساطرة الذين يسكنون هناك قد أخبروني، بعدما سألتهم،، بأن البلدة قد حملت اسمها من سينوكيم Synochim، ولقد حصلت على الجواب نفسه من مسلمي ذلك المكان.

ودون قلعة عرقة وبلدة سينوكيم، يوجد سهل كبير، فائق الجمال والخصوبة، ويمتد حتى الكرك[حصن الأكراد]، التي كانت فيها مضى من ممتلكات فرسان الاسبتارية، وذلك امتداداً حتى أنطرطوس التي تعرف الآن باسم طرطوس، وطول هذا السهل حوالي أحد عشر فرسخاً، وستة فراسخ عرضاً، ويحتوي هذا السهل على الكثير من القرى، والحدائق الجميلة، وأشجار الزيتون، وأشجار التين، وبقية أنواع أشجار الفواكه من مختلف الأنواع، إلى جانب الكثير من الأخشاب، فضلاً عن هذا كله، في هذا السهل وفرة من الجداول، والمراعي، ولهذا يسكن التركمان، والمدينيين Midianites ، والبدو هناك في الخيم مع زوجاتهم وأولادهم، وقطعانهم وجمالهم، ولقد رأيت هناك قطيعاً كبيراً جداً من الجمال، وأعتقد أنه كان هناك عدة آلاف من الجمال.

ويحد هذا السهل من جهة الشرق جبال مرتفعة لكن ليس كثيراً، وترتفع هذه الجبال على مقربة من عرقة، وتمتد حتى الكرك، ويسكن في هذه الجبال قوم اسمهم الباطنية جفاة، وأناس قساة يكرهون الصليبيين، والمسافة من بلدتي عرقة وسينوكيم، عبر ذلك السهل إلى طرطوس هي ثمانية فراسخ، وعرفت طرطوس بهذا الاسم لأنها تقوم في مقابل أرواد.

وأرواد هي جزيرة في أعماق البحر، وذلك على بعد نصف فرسخ عن اليابسة، وقام فيها وما يزال حتى أيامي هذه مدينة جميلة، ورد ذكرها لدى حزقيال في قوله:«بنو إرواد مع جيشك على الأسوار من حولك»[حزقيال:٢٧/ ١١]، وقد جاء في الشرح قوله:«أرواد مدينة

قائمـة في البحر في مقابل طرطوس وعلى مقربة من صـور»، وفي الحقيقة إن المسـافـة فيما بينهـا وبين صـور سفـر خمسـة أيام، وأسس هذه المدينة أراديوس، وهوابن كنعان، وكان ذلك بعد الطوفان.

ولنلاحظ هنا أن حـام بن نوح، قد ولد كنعـان، بعد الطوفـان، وولد كنعـان صيـدون، الذي كـان أول أولاده، وكـذلك حثيـا،واليبـوسي، والأمـوري، والجرجـاشي، والحوي، والعـرقي، والسيني، والأروادي، والصماري، والحماني[التكويـن:١٠/ ١٥ — ١٨]، ومن هـؤلاء انتشرت أسر الكنعـانيين في الخارج، وأربعـة من الأحـد عشر ولداً من أولاد كنعـان، وأعني بذلك: صيـدون، بكره، وهو الذي بنى صيـدا، وعرقـة وهو الذي أسس عـرقـة، وسينوس وهـو الذي أسس سينوكيم، وأرواد وهو الذي أسس أرواد، وكما قلنا، إن هؤلاء الأربعـة قـد بقيـوا في تلك البـلاد القائمـة عند نهاية لبنان، وذلك حسبما حكي لنا، غير أن السبعـة الآخـرين، أي:حيثا، ويبـوس، وأمـور، وجرجـاش، وحـوي، وعرقـة، وحماني، قـد تركتهـم يارب إسرائيل لأنفسهم، حتـى يتعلمـوا كيف يقـاتلون، هذا وأوابد وأضرحـة الأولاد الأربعـة الأول مـرئيـة في هذه الأيام على بعد فـرسخ واحد قبل أن يصل الانسـان إلى طرطوس، وهي فائقـة الثراء ولها حجم رائع، ولقد رأيت الحجـارة هناك، وقمت بقياس إحـدى الحجارة فـوجـدت طولها أربعة وعشرين قـدمـاً وعرضهـا مثل ارتفاع رجل طويـل، وعلى هذا إنه لأمر رائع النظر إليهـا، فكيف جرى رفع هذه الأحجـار ومن ثم استخـدامها في البناء، فهـذا كله فـوق فهم الناس وإدراكهم.

وإلى جانب طرطوس، وعلى بعد نصف فرسخ إلى الشرق منها، هناك بعض الجبـال، غير أنها ليسـت عـاليـة جـداً، كما أنـه ليس من الصعب الوصـول إليهـا، وهؤلاء في البـلاد التـي اسمهـا بلاد الحشيشيـة، الذين سوف نأتي على وصف طقوسهم بشكل مطول أكثر فيما بعد.

وقد بشر القديس بطرس لمدة طويلة في طـرطوس، وذلك عندما كان في طريقه إلى أنطاكية، فهذا ما نقرأ عنه في رحلة القديس كليمنت.

فهنا وجـد كليمنت أمه، وهنا أيضـاً بنى القديس بطرس أول كنيسـة تشريفاً للعـذراء المباركة، وهذه الكنيسـة موجودة حتى هذا اليـوم، وقد احتفلت فيها بقداس، لأنني أقمت هناك لمدة ستة أيام.

وعلى بعـد سبعة فـراسخ من طرطوس تقـوم قلعـة المرقب، التي هي من أملاك رهبـان الاسبتارية، أي فـرسان مشفى القـديس يوحنا، وهذه القلعة مطلة على مدينة بانياس، وعلى بعد فرسخ واحد عن البحر، وهي محصنة بشكل جيد، وقـائمة فوق جبـل مرتفع جداً، وقـد نقل الآن مقر الأسقف الذي كـــان في بانيـــاس، إلى القلعـــة، وذلك بسبـب إهانات المسلمين، والأسقف هناك هو نائب لرئيس أساقفـة أفاميا، مثله في ذلك مثل أسقف عرقة.

وتشكل مدينة بـانياس، والنهر الذي يحمل الاسم نفسـه، وهو الذي يجري مجتازاً لها، حـدود مملكة القدس، وهنا، بـالوقت نفسه، تبـدأ إمارة أنطاكية، وهنا أيضاً تنتهي كونتية أنطاكية، والآن، إنه على كل حال، لقد سافـرت إلى ما وراء هذا المكان، ورأيت البـلاد، ومع هذا لم أكتب شيئاً عنها، لأنني لا أنوي أن أكتب شيئاً، إلاّ عن الأرض المقدسة.

وليكن ما قد قيل فيه كفاية عن القسم الأول.

هنا بداية القسم الثاني من الأرض المقدسة

٣ — ينطلق القسم الثـاني من عكـا نحـو الشمال، وأول مكان يصل الانسان إليـه، إذا ما انطلق من عكا باتجاه الشمال تمامـاً، هو القلعة التي كـانت تعـرف باسم قلعـة القـرين، والتي كـانت فيما مضى من أمـلاك فرسان التيوتون، وهي الآن مهدمة تماماً.

وعلى بعد أربعة فراسخ منها، وبالاتجاه نفسه تقوم قلعة تبنين، وهي مكان حصين جداً، قد بنيت من قبل صاحب طبرية، وذلك لضبط مدينة صور، عندما كانت صور بأيدي المسلمين، وهي تبعد سبعة فراسخ عن مدينة صور.

وعلى بعد أربعة فراسخ من هناك تقوم مدينة حاصور[قرب نبع الليطاني] القديمة، حيث سكن هناك الملك القوي يابين، الذي قاتل ضد يوشع وإسرائيل مع الملوك الواحد والثلاثين عند مياه ميروم، ولقد جاء في سفر يشوع:١١، بأن يوشع قد أحرق مدينة حاصور القوية بالنار، ويشهد على شهرة هذه المدينة حتى هذا اليوم خرائبها، وآثارها.

وعلى بعد حوالي الستة فراسخ إلى الشمال من هناك، توجد مدينة بانياس، وذلك عند سفح جبل لبنان، وكانت هذه، حسبما قرأنا في سفر القضاة، تعرف أولاً باسم ليش Laish ، وبما أنها كانت بعيدة عن صيدا، مسافة تقارب الأحد عشر فرسخاً، وبما أنها لم يكن لها حلفاء(كانت موجودة في الوادي المجاور لبيت راحوب) فقد استولى أولاد دان عليها، وأطلقوا عليها اسم لشم — دان[يشوع:١٩/ ٤٧]، وذلك صدوراً عن اسم أبيهم دان، وغالباً ما أطلق عليها فقط اسم دان، وذلك تماشياً مع ما جاء في التوراة قوله«يجتمع إليك كل إسرائيل من دان إلى بئر السبع»[صموئيل الثاني:١٧/ ١١]، ذلك أن هذه المدينة تشكل الحد الشمالي للأرض المقدسة، مثلما تشكل بئر السبع الحد من الجنوب، وعلى هذا نقرأ في سفر الملوك الأول:١٩/ ٣ بأن:«إيليا أتى إلى بئر السبع التي ليهوذا»، ثم نقرأ بعد هذا أنه هو نفسه:«سار في البرية مسيرة يوم»، ولا شك أن هذا يعني بجوار تلك المدينة، واسمها الآن بيت جبرين(كذا)، هذا وعندما كان فيليب طيطراخ الايطورية مع منطقة الطرخونية، رغب في أن تحمل مدينة بانياس — أو دان — اسمه، وأن يصبح اسمها قيسارية فيليب، ويطلق عليها الاغريق اسم

بانياس، وهذ الأسماء كلها باتت منسية الآن، وهي تدعى بشكل عام باسم بلنياس.

وفوق هذه المدينة، من على الجانبين هناك نبعا نهري«الأر» و«دان»، وذلك عند سفح جبل لبنان، وهما يلتقيان أمام باب المدينة، ويشكلان نهراً واحداً، وهو نهر الأردن.

لكن لاحظ أن هذا ليس نبع الأردن الحقيقي، لأن يوسفيوس أخبرنا — وما قاله صحيح — أنه على بعد مائة وعشرين غلوة من ذلك المكان هناك نبع اسمه فياله Phiale [بركة الرام] هو ملىء بشكل دائم، ولم يفض قط، بل يجري تحت الأرض إلى ذلك المكان، وهناك يتدفق، ومن ثم يعرف باسم دان، وقد تبرهن هذا في كثير من الأحيان برمي قش في فياله، والعثور عليهم بعد ذلك في نبع دان، ولا يطلق المسلمون على هذا النبع اسم فياله بل ميدان، أي ماء دان، كأن تقول هذه مياه دان، لأن معنى كلمة«مي» في العربية«ماء»، ودان«تل القاضي» هو اسم النبع المتقدم الذكر، ويطلق القديس متى على هذا المكان اسم«مجدل»[متى:١٥/ ٣٩]، واسمه عند القديس مرقص دلمانوثة[مرقص:٨/ ١٠]، وهو ليس بعيداً عن مدينة[أرض] السواد، قرب آبدة أيوب المبارك[الشيخ سعد] وذلك في منطقة الطرخونية، وهذا سوف يجري شرحه بشكل أطول فيما سيأتي.

وبعد دوران طويل من هذين النبعين، يلتقي هذان النبعان أمام باب بانياس، ويشكلان نهر الأردن، ويفصل هذا النهر فيما بين الطرخونية والايطورية، وأخيراً يصب في بحر الجليل فيما بين كفر ناحوم وكورزين، على بعد أربعة فراسخ من مدينة قيدار، القائمة فوق رابية مطلة عليه.

وفي منتصف الطريق فيما بين بانياس وبحر الجليل، يدخل النهر إلى

وادي، حيث يشكل بركـة في أثناء الوقـت الذي تذوب فيـه الثلوج من على جبل لبنان، وتدعى هـذه البركـة باسم ميـاه ميروم Merrom حتى هذا اليـوم، وهنا تحارب يوشع مع يابين ملك حـاصور والملوك الواحـد والثـلاثين الآخـريـن، وهزمهم وطاردهم حتـى ميـاه مسرفـوت وإلى صيدون العظيمـة، وذلك لمسافة تقـارب ثمانية فـراسخ[يشوع:١١/٨]، وتجف هذه المياه كلهـا تقريباً في أيام الصيف، والشعـراء والنباتات التي تنمو هناك كثيفـة جداً، حيث مـآوي للأسود والدببـة وأنواع الحيوانات الضارية الأخـرى، مما يجعلها مكاناً للصيـد الملكي، ويقع النصف الأول من هذا الوادي في القسم الثاني المتجـه نحو الشمال، ويقع النصف الثاني في الثلث التـالي، والجزء الثالث، الواقع خلف هذا الوادي، والممتـد على طول الضفـة الشرقيـة لنهر الأردن حتى لبنان وذلـك على جهة اليسـار، وإلى جبل حرمـون نحو الجنوب الشرقي، وإلى مـدينة بصرى إلى الشرق فوق جبل سنير، المتصل بجبل حرمون، إنه السهل المعروف باسم سهل لبنان، أو منطقة الطرخـونية، وذلك حسبما جاء في سفـر يشوع، وسبب التسمية بالطرخونية، هو أن هذه المنطقة كلها قليلة المياه الجارية، ولذلك قام سكانها بجمع مياه الأمطار داخل أقنية وصهاريج، وقاموا بعد ذلك بنقلهـا إلى مكان آخـر بوسـاطة طراخين، أو أنابيـب، وذلك من أجل سقاية أنفسهم مع حيواناتهم.

وبما أننا أشرنا إلى جبال: حرمون، ولبنان، وسنير،بات من الضروري هنا، التحـدث إليكم بشكل أطول حـولهم، لأن بذلك يمكن للمسـائل الأخرى أن تفهم، وعلى هذا، عليك أن تعرف أن الجبال التي إلى جانب بركة أرنون، والتي بين عمان ومـآب والأموريين، وكـذلك جبل جلعاد، القـائم في بلاد عوج، ملك بيسـان، وجبل سنير، وجبل حـرمون، فـوق بعل — جاد، وبحـر الجليل، وجبل لبنان أن تعرف أن كـل هذه الجبال هي جبـال متصلة، تحمل أسماء متنوعـة في أماكن متعـددة، مثلما يمكن

رؤية ذلك في أي يوم في جبال الألب، التي تفصل ألمانيا عن لومبارديا، ومهما يكن الحال، إن جبل جلعاد هو الأعلى بين هذه الجبال جميعها، ويبدو بالفعل كأنه رأسهم جميعاً، وعلى هذا أعتقد أن ما قاله إرميا(٢٢/ ٦):«جلعاد أنت لي. رأس من لبنان»هو صحيح تماماً، وجبل سنير متصل بجبل جلعاد، وهو أيضاً يعرف باسم سعير، لأن عيسو ، أو سعير، قد سكن فيه، وذلك كما سنتحدث عن ذلك فيما بعد، وهو قائم فيما وراء بحر الجليل، وهو من حصة نصف سبط منشا، ويتصل في المكان نفسه بجبل حرمون، الذي يحد منطقة الطرخونية، ويمتد حتى دمشق، التي يتصل قربها بلبنان، بين بانياس ودمشق، وبالنسبة إلى لبنان نفسه، فالذي أعتقده، هو أن أعلى مكان فيه هو حيث يجتاز مدينة بانياس، وهذا المكان أعلى من أي مكان آخر في السلسلة كلها التي تدعى باسم سلسلة لبنان، والسلسلة في هذا المكان تبعد فرسخين عن مدينة صور، ومن الممكن رؤيتها بوضوح من صور، وفي الحقيقة لقد رأيتها أنا نفسي من هناك تشع منيرة في وسط الليل، وطول السلسلة رحلة سفر خمسة أيام، وقمتها طوال تلك المسافة مغطاة بالثلج، وهي تقترب أكثر فأكثر من شاطىء البحر، وهكذا حتى نجدها عند السفح، أي فوق بانياس، تبعد اثني عشر فرسخاً عن البحر، وتبعد عند النهاية، أي قرب عرقة ثلاثة فراسخ عن البحر، والذين يسافرون بحراً من صور إلى طرطوس يرونها طوال الطريق، ودونها تقترب سلسلة لبنان الشرقية من البحر أكثر من أي مكان آخر، وهناك وديان خصبة في كل من لبنان وسلسلة لبنان الشرقية، كلها تفلح بشكل جيد، وهناك وفرة من المروج، والكروم، والحدائق والبساتين، وهناك— بكلمة موجزة— جميع الأشياء الجيدة في العالم، ويقطن فيهما كثير من الاقوام، كما قلنا من قبل، من أمثال: الموارنة والارمن، والاغريق، والنساطرة، واليعاقبة، والجورجيين، الذين هم جميعاً مسيحيين، وهم حسبما يقولون خاضعون جميعاً لكنيسة روما.

هنا بداية القسم الثالث من الأرض المقدسة

٤— يمتد القسم الثالث من عكا إلى الجنوب الشرقي، وعلى ثلاثة فراسخ على هذا الامتداد تقع قلعة جدّين [شرقي عكا]، وهي قائمة على جبل شارون، وكانت هذه القلعة فيما مضى من أملاك طائفة التيوتون، غير أنها مهدمة الآن.

وبعد مسافة ثلاثة فراسخ تقوم قلعة الملك (معليا) في وادٍ، وكانت أيضاً فيما مضى ملكاً للطائفة نفسها، وفيها وفرة من جميع الأشياء الجيدة، وفواكه من أنواع موجودة في تلك المنطقة ونادرة الوجود في مناطق أخرى، وهي الآن بأيدي المسلمين.

وعلى بعد أربعة فراسخ باتجاه مياه ميروم هناك وادي صعننيم، حيث نصب حابر القيني خيمته، وذلك ليس بعيداً عن مدينة حاصور، وكانت زوجته التي اسمها ياعيل هي التي قتلت سيسرا، قائد جيش ملك حاصور، بغرس وتد الخيمة في صدغه، وذلك حسبما نقرأ في سفر القضاة [٤/ ١١—٢٤].

وعلى مسافة فرسخين يقع وادي كابول [جنوب شرقي عكا] الذي يدعوه المسلمون باسم زابول، وأطلق على المنطقة اسم كابول، لإظهار عدم السرور، وذلك حسبما نقرأ في الإصحاح الثالث من سفر الملوك [الأول: ١٢—١٣]

وعلى مسافة فرسخين من هذا المكان تقوم قلعة صفد وكذلك مدينة صفد، وقلعة صفد —بتصوري— هي الأجمل والأكثر حصانة بين جميع القلاع التي رأيتها قط، ذلك أنها قائمة فوق صخرة عالية جداً، وكانت بالعادة ملكاً لفرسان الداوية، غير أنها سقطت بشكل خياني مخجل، فيه إيذاء وألم لجميع الصليبيين، لأنها مادامت بأيدي السلطان، فهو المسيطر على جميع الجليل، أي على جميع ديار أسباط: زبلون، ونفتا لي، وآشر،

ويساكر، ومنشّا وجميع البلاد حتى عكا، وصور، وصيدا.

وعلى بعد أربعة فراسخ إلى الشمال من صفد، وليس بعيداً عن سهل صعننيم تقوم قادش نفتالي، التي جاء منها باراق بن أبينوعم، الذي قاتل ضد سيسرا على جبل الطور، وكانت هذه مدينة ملجأ في ديار سبط نفتالي، وكانت مليئة بجميع الأشياء الجيدة، ويرى في هذا المكان حتى اليوم خرائب واسعة، وأضرحة فائقة الجمال.

ويوجد على بعد فرسخين وراء قلعة صفد، حيث ينزل الانسان من الجبل باتجاه الشرق، وعلى بعد رمية حجر من بحر الجليل، وفوق الطريق الذي يقود نحو الشرق، يوجد درب فوق ذلك الجيل، غالبا ما صعد يسوع المسيح عليه، إلى حيث— كما حدثنا القديس متى— كان يعظ ويقيم القداسات، وهناك أشبع خمسة آلاف انسان من خمسة أرغفة وسمكتين، وإلى هناك اعتاد الصعود والصلاة، بعد ما كان يبعد عنه الحشود، وإلى هناك هرب عندما أرادوا جعله ملكاً، وهنا علم حوارييه الصلاة، وهنا أمضى الليل في الصلاة، وحدث عندما كان نازلاً من هذا المكان، أن قام قائد المائة بالتوسل إليه لمساعدة خادمة المشلول، وإليه إلى هناك جاء حشد كبير من المرضى، ومن الذين تلبستهم الشياطين، وهنا لمس المجذوم فشفاه، وهناك وقف وسط الحقل مع حوارييه، ويمكن للانسان أن يرى من هذا الجبل بحر الجليل، والايطورية، ومنطقة الطرخونية بعيداً حتى لبنان، وأن يرى كذلك سنير، وحرمون، وبلاد زبلون، ونفتالي، حتى قيدار وجميع منطقة جنسارث حتى دوثان وبيت أوليا، وأماكن أخرى كثيرة، وطول هذا الجبل حوالي رميتي سهم، ورمية حجر أو أكثر عرضه، وهو معشوشب وجميل، وموائم لأعمال الوعظ والتبشير، ومشاهد هناك حتى هذا اليوم، الصخرة التي جلس عليها يسوع المسيح، عندما قام بالوعظ، وأيضاً الأماكن التي جلس فيها الحواريون، (واسم هذا المكان لدى المسيحيين: المائدة).

وعند سفح هذا الجبل، على مقـربة من البحـر، أي على بعـد حـوالي الثلاثين خطوة، هناك نبع لماء الحيـاة، مسيج بجدار، ويطلقون على النبع اسم عرق النيل (عين التبغه)، لأن سمك الـ Coracinus يتكاثر فيها، وهذا السمك ليس مـوجـوداً في مكـان آخـر، واسم هـذا النبع عند يوسفيـوس «كفـرناحـوم»، لأن السهل كلـه الواقع بين ذلك النبع ونهر الأردن» أي على مسافة قدرها فرسخين، يدعى كفرناحوم.

وعلى بعد حوالي العشرين خطوة من ذلـك النبع، وعلى شاطىء بحر الجليل، يوجد الموضع الذي وقف يسوع عليه على الشاطىء، بعد قيامه، وقال لسبعـة من حوارييه كـانوا يصطادون السمك هناك: «أيها الاولاد هل لديكم أي شيء نأكله»؟، وعنـدمـا كنت في هذا المكان في يوم عيـد القـديس أوغسطين [٢٨— آب]، رأيت ثلاث طبعـات لخطوات الرب يسوع قـد طبعت على صخرة، لكن عندمـا عدت إلى هناك ثانيـة في يوم عيد البشارة، وجدت أن المسلمين قد أخذوا الصخرة.

وعلى بعد عشر خطوات من هناك، يوجد الموضع، الذي عندما خرج الحواريون من السفينة، رأوا فيـه نار فحم، وسمكة مـوضـوعة فـوقهـا، وخبزاً، (ويدعى هذا المكان من قبل المسيحيين باسم المائدة).

وعلى بعد مسافة فرسخ واحد نحو الشرق من هذا المكان، توجد كفر ناحوم، التي كانت فيما مضى مدينة جليلة، غير أنها متواضعة جداً الآن، ليس فيهـا سـوى سبعة بيـوت لصيـادي سمك فقـراء، وبشأنها تحققت كلمة الرب يسوع المسيح في قوله: «وأنت ياكفرناحوم المرتفعة إلى السماء ستهبطين إلى الهاوية». [متى ١١/ ٢٣].

وعلى بعـد فـرسخين من ذلك المكـان يدخل نهر الاردن إلى بحـر الجليل، وعلى الشـاطىء الأقصـى منه، مـن الممكن حتـى الآن رؤية خرائب مـدينة كورزين، وذلك على شـاطىء بحر الجليل. وعلى مسـافة

فرسخ واحد وراء ذلك المكان، أي كـورزين، يبدأ صعود جبل سنير— المعروف أيضاً باسم سعير— والمدخل إلى الايطورية.

وبعـد هذا بمسـافة ثلاثـة فراسخ، تقـوم قيـدار، وهي مـدينة جليلة، بنيت في موقع حصين، على الطرف الشرقي لجبل سنير، ويمر من خلال هذه المدينة، الطريق الذي— كما تقـدم القـول— يسـاير شـاطىء بحـر الجليل، ويجري نحـو الغـرب، وذلك حسبما جـاءت الرواية في توبت: ١/١، واسم الطريق في اشعيـا: «طريق البحـر» [اشعيـا: ٩/١]، لانه يسير على طول شـاطىء البحـر، وأضاف اشعيـا بقـوله: «عبر الاردن» لأنه يقود إلى مـاوراء الاردن إلى المنطقة التي تدعى آرام، وتـدعى أيضاً بـاسم «جليـل الأمـم» لأنه عنـد ذلك المكـان، الجليـل محدود من قبـل الأردن.

وإنه على بعد أربعـة فراسخ من هذا المكان، الموضع الـذي يصب فيه الأردن في بحـر الجليل ويجري حتى قادش نفتـالي، وفي منتصف الطريق بينهما يوجد نصف آخر من مياه ميروم، المتقدمة الذكر، ويمر نهر الأردن خـلال وسط وادي ميـاه ميروم، وعنـدمـا يخرج من هناك يعطف مجراه أولاً باتجاه الشرق، ثم باتجاه الجنوب، وهكذا يصب في بحر الجليل.

وعلى بعـد أربعـة فـراسخ إلى الشمال من مصب نهر الأردن، ومـدينة كورزين، تقوم مدينة السواد، التي جاء منها بلداد، الوارد ذكره في أيوب باسم السـوادي، وعلى مقربة منهـا، وعلى الجهـة الشرقية يوجـد ضريح أيوب.

وعلى السهول القريبـة من هذه المدينة، وذلك على الجانب المتجه نحو مـدينة قيـدار، اعتـاد المسلمـون من بلاد آرام، والجزريون، وأهل حماه، وسورية، ومآب، وعمان، وجميع أجزاء بلاد الشرق، اعتادوا على التجمع هناك حول نبع فياله، المتقدم الذكر، وكـانوا يعقدون سوقاً يستمر طوال

أيام الصيف وذلك بسبب جمال المكان ولطافته، وينصبون الخيام ذوات الألوان المتنوعة، التي تقدم مشهداً جميلاً جداً لأهل قيدار لدى النظر إليه من فوق الرابية، وهذه الخيم هي التي ورد ذكرها في نشيد انشاد سليمان [١/ ٥] تحت اسم «خيام قيدار».

وعلى بعد أربعة فراسخ الى الشرق من مدينة كورزين تقوم مدينة قيدار، فوق رابية مرتفعة، ويطلق يوسفيوس عليها اسم جمالا (الحصن)، لأن الجبل الذي تقوم عليه شكله يشبه شكل الجمل، مع تلعة في الوسط تشبه سنامه، وهي تنتهي بانخفاض يشبه شكل ذيله.

واعرف هاهنا— كما سلف بنا القول— أن المنطقة الموجودة قرب الأردن، وعلى الضفة الشرقية منه، والممتدة حتى جبل حرمون وبصرى، تعرف باسم منطقة الطرخونية، أو باسم «سهل لبنان» ويعرف الجانب الغربي من ضفة نهر الاردن باسم جليل الأمم، أو باسم الايطورية، أو كابول، أو «المدن العشرة»، ويمر «طريق البحر» في الوسط هناك، أي الطريق المنطلق من عكا والمار خلال وادي ديار سبط آشر، وهو الذي يعرف الآن باسم وادي القديس جرجس [الخضر في البعنة]، والممتد إلى جبال منطقة الطرخونية، التي عبرها تقوم بلاد آرام، وبناء على هذا جاء في الشرح على قوله: «كان رجل في أرض عوص اسمه أيوب» (أيوب: ١/ ١): الخبر التالي: «ولد آرام— أبو السوريين، الذي اسس مدينة دمشق— عوص، الذي أسس منطقة الطرخونية، وهو الذي حكم فيما بين سورية المجوفة وفلسطين، وهي التي حملت اسمه فعرفت باسم بلاد عوص، وبناء عليه نقول فلان سكن في بلاد عوص، أو هو عوصي البلاد.

وحُكمت هذه المنطقة من قبل الطيطراخ فيليب، ومثلها أيضاً الايطورية، القائمة على هذا الجانب من بلاد الاردن، باتجاه الغرب، والممتدة حتى جبال الصيداويين، والسريان، وأهل عكا، وهي التي

تفصلها عن فينيقية، فكلتاهما في هذا الثلث وفي النصف المتقدم، ويحدها من الشمال لبنان ومن الشرق نهر الاردن، ومن الجنوب بحر الجليل، ومن الغرب جبال فينيقية.

هنا بداية القسم الرابع

٥— يبدأ القسم الرابع من عكا، ويمضي نحو الشرق تماماً، ويمر من قرب قلعة صفد، ويدعها قائمة على يساره، ومن هناك يساير شاطىء بحر الجليل، حيث يمر من أمام مدينة كفر ناحوم، من قبل المكان الذي دعا فيه الرب متى من موضع استلام العشور، ومن الممكن في هذه الأيام رؤية بيت متى، والمكان الذي اعتاد على الجلوس فيه، على الطريق السلطاني، ثم إن الطريق يمضي صاعداً جبال حرمون، على الطرف الأقصى من الأردن.

ويوجد في هذا القسم المدن التالية:

والمكان الأول، ويبعد مسافة خمسة فراسخ عن عكا، هو عبارة عن قرية اسمها القديس جرجس (البعنه)، حيث من المعتقد أن القديس جرجس قد ولد في هذا المكان، وتقوم هذه القرية في واد واسع جداً، وخصب، وجميل بين التلال والروابي، ويمتد هذا الوادي الممتع حتى يصل إلى بحر الجليل، وكان بالعادة تابعاً لسبط آشر، ويمتد حتى صفد بطول يبلغ حوالي العشرة فراسخ، وما جاء حوله في سفر التكوين: ٤٩، هو صحيح تماماً، وذلك بسبب جماله، وذلك قوله: «آشر خبزه سمين وهو يعطي لذات ملوك» (٢٠)، وهذا القول صحيح تماما فيما يتعلق بحصة هذا السبط.

وعلى بعد مسافة أربعة فراسخ من هناك، وباتجاه الجنوب، لكن مع بعض الميل نحو الشرق هناك قرية نعسون (حاصور) العائدة لسبط

نفتاني في واد، وقد قرأنا عن هذا المكان في سفر توبيت.

وعلى بعد مسافة ثلاثة فراسخ من هناك باتجاه الجنوب، تقوم دوثان، حيث وجد يوسف إخوته، ودوثان قائمة عند سفح جبل بيت أوليا، وعلى بعد فرسخ منه، وهي بلدة فائقة الجمال، مليئة بالكروم، والزيتون، والتين، والمراعي الخصبة.

ومابرح يرى في هذا المكان، في الحقل الجب الذي وضع فيه يوسف من قبل إخوته، ولقد رأيته هناك إلى جانب الطريق الذي يمضي من جلعاد، ويتصل في بيت صيدا بالطريق الذي يذهب من سورية الى مصر، ويصعد هذا الطريق من دوثان الى مقربة جبل بيت أوليا، ثم يعبر مرج ابن عامر، ويمر بجبل الطور على جهة اليسار، وذلك عبر سهل مجيدو، ثم يمضي صعوداً لجبل إفرايم، ويدخل الرملة، ومن هناك إلى غزة فمصر، وعبر هذا الطريق جاء الاسماعيليون الذين اشتروا يوسف.

ونقرأ في سفر الملوك الثاني حول بلدة دوثان هذه، بأن السوريين التفوا حول اليشع هناك، وقادهم هو من هناك الى وسط السامرة، الواقعة على قرابة سفر يوم واحد. واعلم أن دوثان ليس فقط اسم البلدة، بل تحمل المنطقة الاسم نفسه صدوراً عن اسم البلدة، وهذه المنطقة كانت منذ القديم تابعة لهذه البلدة، وهي منطقة منبسطة، مسيجة من كل جانب بهضاب منخفضة، وهي مروية بينابيع، ولذلك فيها مراعي جيدة، صالحة لإطعام المواشي.

وعلى بعد فرسخين إلى الشرق من نعسون، وعلى مسافة حوالي الثلاثة فراسخ إلى الشرق من دوثان، توجد مدينة نفتالي(قدس)، التي جاء منها طوبياس، وهي قائمة في مكان حصين، لأنه يوجد على جانبها الغربي جبل فائق الارتفاع، لايمكن لإنسان أن يتسلقه، ويمكن فقط تسلق قطعة صغيرة منه على الجهة الشرقية، وأعتقد أن هذه المدينة كانت

تعرف باسم جتباتا Jotapata ،(جفات جنوب غربي صفد) في أيام استئصال اليهود، وذلك وفقاً ليوسفيوس، ففيها جرى حصار يوسفيوس نفسه من قبل الرومان، ووقع بأيديهم أسيراً، حسبما أخبرنا هو نفسه، واسمها في هذه الأيام سيريم Syrim(ميرون؟)، وهي على بعد أكثر من فرسخ بقليل عن صفد.

وعلى بعد فرسخين من نفتالي، عند زاوية بحر الجليل، حيث يبدأ بالانعطاف من الشمال نحو الجنوب، تمتد بيت صيدا(قرب المينة عند شيخ سياد) التي هي مدينة أندرو، وبطرس، وفيليب، ولا يتجاوز حجمها في هذه الأيام سبعة بيوت، وتقوم على طرف الطريق من سورية إلى مصر، وكان لديها في العصور القديمة مجرى ماء من النهر، دعاه يوسفيوس باسم الأردن الصغير، وهو يصب في بحر الجليل في منتصف الطريق بينها وبين كفرناحوم، وآثار هذا المجرى يمكن رؤيتها حتى في هذا اليوم.

وعلى بعد مسافة فرسخين نحو الجنوب تقوم المجدل التي هي قلعة مريم المجدلية، التي رأيت بيتها ما يزال قائماً هناك، وقد ولجت إلى داخله، وتقوم المجدل على شاطىء البحر، وذلك على بعد حوالي ثلاثة فراسخ إلى الجنوب من بيت أوليا، ويوجد على جانبيها الغربي والشمالي سهل معشوشب كبير.

واعرف أن هذا القسم الرابع ليس فيه المزيد من البلدات على هذا الطرف من بحر الجليل، غير أنه يوجد على الشاطىء الآخر كثيراً من المدن والقلاع، العائدة لهذا القسم، وذلك في بلاد الجرسانيين الموجودة في مقابل هذا مباشرة.

ففي هذا المكان هناك كثير من المدن، منها على سبيل المثال: جرسه، وجدر، وفحل، والسواد مدينة بلداد السوادي، وتمان التي جاء منها

علفاز التيماني، وعدد كبير آخر.

وتقوم الآن بلدة جرسة(خرسة) على شاطىء بحر الجليل، عند سفح جبل سعير، تقريباً في مقابل طبرية، لكن نحو الشمال قليلاً منها، وكانت هذه بالعادة من أملاك نصف سبط منشا، الذي جاءت حصته عبر الأردن.

واعرف بأن هذه البلاد الواقعة عبر بحر الجليل كثيرة الجبال، وذلك كما بدا لي، لكنني لم أكن فيها قط، وقد كانت جزءاً من مملكة باشان، ويعرف شطر منها باسم جبل سعير، لأن عيسو قد سكن هناك، وذلك كما سأخبركم بعد قليل، وعرفت في مكان آخر باسم جبل سنير،لأنه كان هناك، وعرفت أيضاً باسم جبل حرمون، لأنه كان هناك أيضاً، وهكذا عرفت أماكن متعددة وجبال في هذه البلاد بأسماء مختلفة، ومع أن الجميع هو عائد لنصف سبط منشا، لكن نصف سبط منشا لم يتملكها قط، لأن أبناء عيسو سكنوا في هذه الأجزاء، ومازالوا يسكنون حتى هذا اليوم، وهم يعرفون بشكل عام باسم المسلمين، لأنهم لا يختلفون عنهم لا باللغة أو العادات، إلاّ — ربما — في الطريقة التي ينظمون بها شعورهم، وكذلك بالألبسة التي يرتدونها.

لكن مع هذا عليك أن تعرف أن هناك جبل سعير آخر، أو أدوم، وذلك في مقابل قفار البحر الأحمر، حيث نقرأ في سفر التكوين:١٤، كيف هزم كدرلعومر والملوك الآخرون الذين كانوا معه الحوريين في جبل سعير، فوقتها لم يكن هذا الجبل يعرف باسم جبل سعير، لأن عيسو الذي كان يدعى باسم سعير، ومن اسمه نال الجبل اسمه، لم يكن قد ولد بعد، وعلى هذا علينا أن نعتقد بأنه دعي بهذا الاسم مقدماً من قبل، وهكذا نقرأ في سفر التثنية:٢(٤):«أنتم مارون بتخم لإخوتكم بني عيسو الساكنين في سعير فيخافون منكم، فاحترزوا جداً» وقد قيل هذا أولاً لبني إسرائيل، عندما قاموا خارجين من مصر، وذلك عندما كانوا

في قادش بارينا(القفار)، وكانوا على وشك القدوم إلى جبل سعير، الذي هو قريب من قادش بارينا، المكان الذي كانوا فيه آنذاك، لكن من المؤكد أن بني إسرائيل لم يأتوا قط إلى تخوم جبل سعير هذا، القائم عبر بحر الجليل، لأن بحر الجليل هذا متصل بدمشق، إلى حيث لم يصلوا مطلقاً.

وجبل سعير الآخر، الذي قرأنا عنه أنه متصل ببريه فاران، هو الجبل الذي تجول حوله بنو إسرائيل لأيام كثيرة، لأن الرب حرم عليهم الدخول إلى هناك، ونقرأ عن جبل سعير هذا في سفر التثنية:٢(١٢):«وفي سعير سكنوا قبلاً».

وفي جبل سعير هذا الذي هو قريب من بحر الجليل، ومن جبل جلعاد، كان يسكن عيسو في الوقت الذي عاد فيه يعقوب من بلاد الرافدين إلى سورية، فنحن نقرأ في سفر التكوين:٣٦، بأن عيسو الذي كان بلا شك ساكناً مع أبيه في بير السبع، أخذ كل ما امتلكه، وذهب للسكنى في منطقة أخرى، وهذا مما لا شك فيه، وقد فصل نفسه عن أخاه، ولقد التقى بيعقوب، لدى عودته من بلاد الرافدين عند مخاضة جدول يبوق، المتصل بتلك البلاد باتجاه الجنوب، ونقرأ في سفر التكوين:٣٢/ ٣١،أنه:«عندما عبر يعقوب فنيئيل أشرقت له الشمس»،ونقرأ أيضاً بعد:«ورفع يعقوب عينه ونظر وإذا عيسو مقبل»[٣٣/ ١]الخ، وهذا المكان الذي اسمه فنيئيل مرئي حتى هذا اليوم، ومعروف بالاسم نفسه، ليس بعيداً عن سكوت، في المنطقة الشرقية عبر الأردن، فإلى هناك — كما قرأنا — جاء يعقوب فيما بعد مباشرة، وهذا المكان نفسه موجود عند سفح جبل سعير المتصل ببحر الجليل، وأما بالنسبة لجبل سعير، الذي سكن فيه الحوريون قديماً، والذي فيه يسكن أبناء عيسو الآن، هو بعيد سفر عدة أيام عن هذا المكان، ولم يكن بإمكان عيسو القدوم بشكل مفاجيء لرؤية أخاه، لأنه

بعيد جداً، وواقع وراء البحر الميت، وعلى مسافة سفر خمسة أيام منه، ومرد وجود هذه الأسباط المختلفة من أبناء عيسو، والأماكن المختلفة التي سكنوا فيها، مرد هذا الأمر كما أعتقد، وسببه هو أن عيسو امتلك عدة زوجات، وعلى هذا سكن الأولاد الذين أنجبهم من محلة ابنه إسماعيل وأخت نبايوت[تكوين:٢٨/ ٩] في جبل سعير الذي هو قريب من برية فاران، وذلك في المنطقة نفسها التي سكن فيها ختنه، الذي نقرأ عنه في سفر التكوين:٢١، بأنه صار رامياً، وسكن في برية فاران، فهناك — جاءنا الخبر — بأنه سكن مع ذريته، هذا وتزوج عيسو زوجات أخرى إلى جانب زوجاته الأول، كان من بينهن:أهو ليبامة ابنة عني بنت صبعون الحوي، وكان هذا الحوي ابن كنعان، ومما لا شك فيه أنه سكن في منطقة بيسان في الجليل، على مقربة من جبال جلبوع، ليس بعيداً عن بحر الجليل، وعلى مقربة من هذا المكان نفسه هناك جبل سعير آخر، سكن فيه عيسو، في الوقت الذي كان يعقوب راجعاً فيه من بلاد الرافدين، وعلى هذا كان من السهل جداً عليه لقاء أخيه هناك، وذلك حسبما يشير النص، لأننا نقرأ في سفر التكوين:٣٢،أنه بعدما ترك لابان، أخذ طريقه وقابل ملائكة الرب، وقال:«هذا جيش الرب»، وأطلق على ذلك المكان اسم محنايم، أي«المحلة»،(هذا المكان موجود في هذا اليوم عند سفح جبل جلعاد، في ديار سبط جاد)، ومن هناك بعث برسل إلى أخيه، وقد عادوا إليه إلى هناك، وبناء عليه — كما قرأنا بعد — عزل جانباً بعضاً من قطعانه هدية إلى أخيه عيسو، وقد بعث بهذه الهدية مع رسله، وهكذا قرأنا:«فاجتازت الهدية قدامه. وأما هو فبات تلك الليلة في المحلة.(أي في محنايم) ثم قام في تلك الليلة وعبر مخاضة يبوق،(التي ما تزال مرئية هناك) وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر»إلخ، ونتابع القراءة بأن«يعقوب دعا ذلك المكان باسم فنيئيل»، وما يزال هذا المكان قائماً حتى هذا اليوم على ضفتي مخاضة جدول يبوق، أيضاً في ديار سبط جاد،«وأشرقت له الشمس إذ عبر فنيئيل»

وبعد هذا «رفع يعقوب عينيه ونظر وإذا عيسو مقبل» الخ، وعلى هذا إننا نعرف الأماكن التي جاء عيسو إليه بها، وكلها على مقربة من جبل سعير، القائم وراء بحر الجليل.

وهناك أيضاً جبل سعير ثالث في منطقة أشدود وعسقلان، التي وقعت حصة لسبط يهوذا وقت اقتسام البلاد، لكن ما هو السبب في تسميته كذلك، إنني لا أتذكر أنني قرأت حول ذلك، غير أن السكان هناك يدعون باسم:آدوميين، مثلما دعي أبناء عيسو الآخرين باسم الأدوميين اشتقاقاً من اسم أدوم، ولهذا السبب أطلق على أنتيباتر وابنه هيرود العسقلاني اسم الأدوميين.

ويكفي ما قيل عن هذا الموضوع.

ويوجد هذا الجبل في حصة جاد في جبل جلعاد، في مقابل المكان الذي يخرج فيه نهر الأردن متدفقاً من بحر الجليل، وذلك ليس بعيداً عن جبل جلبوع، على مقربة من مدينة بيسان، ومن هناك نزولاً من الضفة الشرقية للأردن، توجد ديار سبطين ونصف سبط، وهي تمتد نزولاً حتى مراعي أرض مُآب عند سفح جبل عبريم في شطيم في مقابل أريحا، وإذا ما تابعنا السير نحو الجنوب على طول ضفة الأردن نفسها في بلاد مآب، نصل حتى البتراء في القفار، التي تعرف الآن باسم الكرك، ويأتي بعد هذا جزء من بلاد عمون، وذلك مسايرة لجميع طول البحر الميت، مع الاحاطة بنهايته الجنوبية، وصولا حتى جبل سعير، المتصل ببرية فاران، قرب قادش بارينا، حيث هناك على الطرف قفار سيناء والبحر الأحمر.

هنا بداية القسم الثاني من الربع الشرقي

٦ — في القسم الثاني من الربع الشرقي الذي يبدأ من عكا نحو الجنوب الشرقي، عندما يقطع الانسان أربعة فراسخ يصل إلى قانا

الجليل، حيث حوّل الرب الماء إلى نبيذ، وهذا المكان مرئي حتى هذا اليوم، حيث تقوم أجران الماء الستة، وغرفة الطعام حيث كانت المواد فيها.

هذا وإن جميع هذه الأماكن، مثلها في ذلك مثل جميع الأماكن الأخرى التي صنع فيها الرب أي عمل، هي موجودة تحت الأرض، ويمضي الانسان إليها بوساطة عدد كبير من الدرجات حيث يفضي إلى قبو، وهذا هو الوضع في موضع البشارة، والمهد، وفي قانا الجليل هذه، وفي أماكن أخرى كثيرة،كلها مشاهدة تحت الأرض، والسبب الوحيد الذي يمكنني أن أجده لهذا، مرده إلى التدمير المتتابع للكنائس التي بنيت فوق هذه المواضع، فقد سترت الخرائب بالأتربة التي تراكمت فوقها، وبعدما جرت تسوية الخرائب بلا عناية، تمت إقامة أبنية جديدة فوقها، وبناء عليه بات على المسيحيين الذين تشوقوا لزيارة هذه الأماكن، ورغبوا بالوصول إلى البقعة نفسها التي شهدت وقوع الحدث، أن يقوموا بأعمال تنظيف الأماكن هذه، وإقامة سلالم تقود نزولاً إليها، ولهذا السبب بدت غالبية هذه الأماكن على شكل أقبية، وإلى الشمال من قانا الجليل هناك جبل مرتفع وطويل، وعلى سفوح هذا الجبل تقوم هذه البلدة، وفي أسفل الجبل، يوجد على الجانب الجنوبي سهل جميل جداً، أطلق عليه يوسفيوس اسم سهل الكرمل(وادي الملك)، وهو يمتد بعيداً حتى الصفورية، وهو فائق الخصوبة والجمال.

وعلى بعد حوالي الفرسخين إلى الجنوب من قانا الجليل، وذلك على الطريق من الصفورية إلى طبرية، هناك قرية اسمها رومه(شمال المشهد) فيها يقال جرى دفن النبي يونه، وتقف هذه القرية تحت الجبل المقبل من الناصرة، ويحدها الوادي المتقدم ذكره، أي وادي الكرمل من الجانب الجنوبي.

وعلى بعد حوالي الفرسخ إلى الشرق من رومه هناك قرية واسعة،

يبدو أنها دعيت فيما مضى آبل — محولة، حيث نقرأ في سفر يودث بأن هولوفرنس قد قدم إليها عندما كان متوجهاً إلى بيت أوليا، ولابد أنه فعل ذلك، فبسبب وعورة تلك الأماكن لم يكن متوفراً طريق آخر هناك، ومن المعتقد أن هذه القرية قد كانت موضع مسقط رأس النبي إيليا، وذلك حسبما نقرأ في سفر الملوك الأول، وهي قائمة في المنطقة التي كان اسمها دوثان، وذلك على بعد نصف فرسخ إلى الغرب من تلك القرية، ويوجد فيها عدد كبير من الأعمدة الرخامية، وخرائب كثيرة، وكلها يدلل على أنها كانت فيما مضى مدينة رائعة، وهي قائمة فوق مكان مرتفع وحصين.

وعلى بعد فرسخ واحد من آبل — محولة يقوم جبل بيت أوليا، حيث قتلت يودث هولوفرنس، ومن الممكن رؤية هذا الجبل من خلال الجليل كله تقريباً، وهو جبل فائق الجمال وحصين، ومازال عليه هناك كثيراً من البيوت وكثيراً من الخرائب، وعند نهاية هذا الجبل هناك قرية قد بنيت لحماية الجبل،وهناك آثار معسكر هولوفرنس موجودة حتى هذا اليوم في حقل قرب دوثان، وهناك أيضاً الوادي الذي غسلت فيه يودث نفسها، وهو الذي عبرته في طريق عودتها إلى بيت أوليا، وقد تفحصت هذا كله بقدر ما أمكنني من دقة، لأنني أمضيت في دوثان ليلة واحدة.

وعلى بعد فرسخين طويلين إلى الجنوب الشرقي من بيت أوليا، وذلك على شاطىء بحر الجليل، هناك مدينة طبرية الجليل الرائعة،التي من اسمها عرفت البحيرة وأطلق عليها اسمها أحياناً، وكانت هذه المدينة تعرف في العصور القديمة باسم جنسارث، ولهذا السبب ومن اسمها أطلق على هذا البحر اسم بحر جنسارث، لكنها مع الأيام، استولى عليها هيرود، طيطراخ الجليل، وأطلق عليها اسم طبرية تشريفاً للقيصر طايبيروس، وهي مدينة طويلة جداً، وقائمة فوق طرف طويل

من شاطىء البحر، وعند نهايتها الجنوبية هناك حمامات طبية، وخرائب كثيرة، وتنمو هناك أشجار نخل عظيمة، وكروم عنب، وبساتين زيتون، والتربة هناك خصبة جداً.

واعلم أن المنطقة التي تعرف باسم منطقة المدن العشرة تنتهي عند مدينة طبرية هذه، وقد كتب اللورد جيمس دي فيتري، الذي كان بطريرك القدس، ونائب كرسي روما، في كتابه الذي كتبه حول الاستيلاء على هذه المنطقة يقول مايلي:«إن حدود أونهايات بلاد المدن العشرة موجودة على البحر في الشرق، وصيدا الكبرى في الغرب، وبناء عليه كان هذا هو عرضها، أما طولها فيمتد من مدينة طبرية، وجميع الشاطىء الشمالي لبحر الجليل حتى دمشق، وعرفت باسم المدن العشرة صدوراً عن المدن الرئيسية الموجودة هناك، وهي:طبرية،وصفد،وقادش، ونفتالي، وحاصورة، وقيسارية فيليب، وكفر ناحوم(التي يدعوها يوسفيوس باسم جوليا) ولوتاباتا، وبيت صيدا، وكورزين، وبيسان، التي كان اسمها أيضاً سكيزوبولس، هذا وهناك مدن أخرى كثيرة إلى جانب هذه المدن.

ولنلاحظ على كل حال، أن هذه البلاد قد عرفت بأسماء مختلفة حتى هذا اليوم، وكما تقدم القول عرفت أحياناً باسم الايطورية، وأحياناً أخرى باسم بلاد الراحوب، وأحياناً باسم كابول، وهي كلها واحد، والمنطقة نفسها، ومع أنها دعيت بأسماء عديدة ومتنوعة، هي لاتتجاوز رحلة سفر يوم واحد في الطول، أو في العرض، كما أنني لاأظن أنها طويلة كثيراً في عرضها، لكن فيما وراء بلاد صيدا، والجبال التي بيننا وبين المسلمين الذين يعرفون باسم البقاعية، وأيضاً الذين يسكنون حول ممر الكلب، تقوم الايطورية الأصيلة، وذلك في واد اسمه وادي البقاع، وبسبب طوله، نجده يمتد حتى سفح جبل لبنان، ويعرف باسم غابة لبنان.

وفي عـودة مـن طبرية، وعلى مسافـة ستـة فـراسخ نحـو الغـرب، وفرسخين إلى جنوب قانا الجليل توجد صفورية، وهي بلدة جميلة جداً مع قلعة مـوجودة فـوقها، ويقال بأن يواكيم، والد العـذراء المباركـة قد ولد هناك، وهي قائمة في ديار سبط آشر، على مقربة من وادي الكرمل.

وعلى مسـافة فـرسخين إلى الجنوب من الصفـورية، أو بالحري باتجاه الشرق، توجد الناصرة، التي هي المدينة المباركة للجليل، حيث كان فيها فـرع من أبناء يسي، فبعدمـا تلقت التحية من الروح القـدس، حملت في رحمهـا المبارك يسـوعـاً المسيح، وتبعد الناصرة سبعـة فـراسخ عن عكا، وفيهـا مـايزال مـوجـوداً المكان حيث جلب الملاك جبرائيل بشـارة الخلاص إلى العـذراء المباركـة قائـلاً:«حييت أيتها المليئة بالنعمـة، الرب معك، بوركـت أنت من بين النســاء»، وقـد رتّلتْ هناك عـدداً من القـداسـات، وكـان بعضهـا حتى في اليـوم نفســه، أعني يوم البشـارة المقـدسـة، وذلك عندمـا صار الرب جسـداً، ليبـارك اسم الرب يسـوع المسيح، إلى الأبد، وإلى الأبد.

وهناك ثلاثة مذابح في البيعة، التي نحتت من قلب الصخر، مثلها في ذلك مثل مكان الـولادة، والآلام والقيـامـة، وفي القـديـم جـرى نحت الجزء الأكبر من الناصرة من الصخـر، وهذا مـا يمكن رؤيتـه في هذا اليوم، ومـايزال حتى هذا اليوم الكنيس قائم هناك، بعدمـا جرى تحويله الآن إلى كنيسـة، وهو الذي عندمـا كان يسـوع يعلم فيـه، قرأ من سفـر إشعيـا النبي، وذلك لدى مناولتـه إياه، والذي قـرأه هو:«روح الرب فوقـي، لأن الرب مسحني»الخ، فضلاً عن هذا يوجـد عند نهاية المدينة، في كنيسة جبرائيل، جب، هو مبجل من قبل السكان، حيث يقال: غالباً ما قام الطفل يسوع بنضح الماء منه عندما كان يخدم أمه.

وعلى بعـد مسافـة أربع رميـات سهم، إلى الجنوب من المدينة يوجـد المكان المعروف باسم«قفزة الرب»، وذلك حيث أرادوا رمي يسوع نحو

الأسفل، غير أنه مـرّ من بين أيديهم، وشـوهد فجـأة — حسبما مـرئي هناك — على طرف الجبل، على مسافة رمية سهم، ومن الممكن أن يرى الانسان هناك على الصخرة طبعة مـلامحه وملابسه، ويمكن للانسان أن يرى من ذلك الجبل، جبل الطور، ورابيـة حرمـون الصغيرة(جبل النبي ضاحي)، وقـرى:عين دور، ونين، ويزرعيل، ورؤية كل مـا حواه سهل ابن عامر.

وعلى بعـد فـرسخين من النـاصرة، باتجاه الشرق، هناك جبل الطور، حيث تحول شكل الـرب، وهناك من الممكن حتى الآن رؤيـة خـرائب ثلاث بيع، أو مزارات، كانت قد بنيت تنفيذاً لرغبة بطرس، وفضلاً عن هذا هناك خـرائب على غاية مـن العظمة هناك، تشمل أمـاكن، وأبراج، وأبنية عادية، هي الآن أماكن مأوى للأسود وللحيونات الضارية، وعلى هذا يتـوفـر هناك مكـان للصيـد الملكي، والجبـل صعب التسلق، وهو شاهق الارتفاع، وهو موائم لبناء قلعة عليه.

ويوجد على سفحه، على الجانب الجنوبي، هناك مقابل قرية عين دور، وذلك إلى جانب الطـريق الذي يقود من سوريـة إلى مصر، يوجد المكان الذي يقـال بأن مليكصـادق قـابل فيـه إبراهيم، وذلك لدى عـودته من القتال ضد الملوك الأربعة قرب دمشـق، وعند سفحه، في الجهة الغربية، في مـواجهـة الناصرة، هناك بيعـة بنيـت في المكان الذي قـال الرب فيـه لحوارييـه، لدى نزوله من الجبل:«لاتخبروا أحـداً بالذي رأيتمـوه»، ومن سفحـه في الشرق يجري جدول قيشـون، وذلك حيث قـاتل باراق ضـد سيسرا، وغلبه، وأرغمه على الفرار، ويتشكل هذا الجدول من مياه جبلي الطور، وحـرمـون، وتجري هذه الميـاة باتجاه بحـر الجليل، وتصب على مقـربة من قلعـة كـوكب الهوا(بلفيـور Belvior)، التي هي من ممتلكات فرسان مشفى القديس يوحنا.

وعلى مسافـة فرسخ واحـد إلى الشرق من جبل الطور، توجد قـرية

عين دور، القائمة على هضبة حرمون الصغيرة(كذا)، وهذه الحرمونية ليست جبلاً مستقلاً بذاته، بل كتلة مرتفعة من الأرض، نازلة من جبل حرمون، وهي باتجاه جبل الطور وملتصقة به، وفوقها تقوم قرية عين دور، حيث نقرأ في المزمور:«بادوا في عين دور»[مزمور:٨٣/ ١٠]، وسكنت في هذه القرية المرأة التي كانت صاحبة جان، والتي لدى حادثة شاؤول أصعدت صموئيل، وذلك حسبما نقرأ في سفر صموئيل[الأول:٢٨/ ٧ — ١٨]، وصموئيل يرقد الآن مدفوناً في راماثيم — زوفيم، الموجودة على مسافة سفر يومين من ذلك المكان.

وعلى بعد فرسخين من الناصرة، وأكثر من فرسخ واحد عن جبل الطور، توجد رابية حرمون الصغيرة، الموجود على طرفها الشمالي مدينة نين، التي أقام الرب أمام بابها ابن الأرملة من الموت.

ويبلغ طول هذا الجبل وامتداده أربعة فراسخ في مقابل بحر الجليل، وينتهي ليس بعيداً عن المكان الذي يتدفق فيه نهر الأردن خارجاً من بحر الجليل.

هنا بداية القسم الثالث من الربع الثالث

٧ — في القسم الثالث من الربع الثالث، الذي يسير باتجاه الجنوب، إن المكان الذي يصادفه الانسان بعد مغادرته لعكا، هو الجزء الأول من جبل الكرمل، وذلك على بعد مسافة أربعة فراسخ من عكا، وهنا يوجد المكان الذي قتل فيه النبي إيليا كهنة بعل، عند جدول قيشون، وذلك حسبما نقرأ في سفر الملوك الأول:١٨/ ٤٠، وعلى بعد مسافة قصيرة يصب جدول قدرون في البحر المتوسط، وذلك على مسافة فرسخ واحد عن مدينة حيفا، إنما على بعد حوالي الثلاثة فراسخ عن مدينة عكا.

وفيما يتعلق بجدول قيشون هذا، يلاحظ أنه وإن بدا في الحقيقة أنه جدول واحد، وهكذا جرى الكلام عنه أنه واحد، مع ذلك ينبغي عدّه

مـزدوجـاً، لأنه يجري باتجاهين، فــالفـرع الأول منه يجري باتجاه الشرق ليصب في بحـر الجليل، ويجري الفـرع الآخــر باتجاه الغـرب ليصب في البحر المتـوسط، ويقوم هذا المجرى المزدوج من جبلي الطور وحـرمون، لأنهما ليسـا بعيـدان عن بعضهما بعضـاً، وكل واحـد منهما له رابيـة قـد أرسلهـا باتجاه الآخـر، وعلى هذا بدا الجبلان وكـأنهما متصلان أحـدهما بالآخـر عند السفح، والرابية هي أعلى من جـانب جبل حرمـون، وهي تعرف باسم الحرمـونية، وقـد تقدمت الاشارة إليهـا، فعليها تقـوم قرية عين دور، وتعيق هذه الرابيـة مياه الأمطار التي تتساقـط على كل واحد من الجبلين، والتي تجري نـازلة بالاتجاه نفســه، لكن شطراً منهــا يجري باتجاه الشرق، ويصب في بحـر الجليل، ليـس بعيـداً عن مـدينة بيســان، وعند جـدول قيشون هذا تحارب باراق مع سيسرا، وذلك حسبما قـرأنا في سفر القضاة: ٥، ويجري الشطر الآخر باتجاه الغرب ليصب في البحر المتوسط، وعند فرع قيشـون هذا قتل إيليا كهنة بعل، وذلك حسبما قرأنا في سفـر الملوك الأول:١٨/ ٤٠، وهو الشطـر الذي يجري باتجاه الغـرب وترفده مياه من جبل عفريم والمناطق المجاورة له في السامرة، ومن جميع بقاع سهل ابن عامر، وجبل قابيل، ومجيدو،[في عزبوبة قرب التعنه].

وعلى بعـد ثلاثة فـراسخ من المكـان الذي قتل فيـه كهنة بعل، تقـوم القلعـة المبنيـة فـوق جبل قـابيـل، واسمهـا تل كمـون، وفي نهاية جبل الكرمل تماماً، هنـاك المكان الذي قتل فيه لامخ قـابيل حين رماه بسهـم، وذلك حسبما جــاء الخبر في سفـر التكـوين:٤/ ٢٣، قـولـه:«فإني قتلت رجلاً لجرحي».

وعلى بعـد ثلاثة فـراسخ إلى الجنوب من جبل قابيـل، توجد مجيـدو، التي اسمها في هذه الأيام سبورب Suburbe ، فهناك مات أحازيا ملك يهوذا، الذي أصـابه ياهو ملك إسرائيل بوسـاطة سهم، ورمـاه في حصـة حقل نابوت اليزرعيلي، وفي مجيـدو هذه نفسها جـرى قتل يوشع

ملك يهوذا من قبل فرعون ملك مصر، عندما كان زاحفاً نحو نهر الفرات.

واعرف هنا أن حقل مجيدو، وسهل ابن عامر، وسهل الجليل هم واحد والشيء نفسه، وكل هذه الأسماء قد زالت من الوجود، وهي الآن تعرف باسم سهل الفابا(الفولة) الذي يقوم على بعد ثلاث رميات سهم عن مدينة أفيق، ولكن في الحقيقة الكاملة أن هذا هو سهل الجليل الذي يحده من الشرق بحر الجليل والأردن، ومن الجنوب جبل عفريم والسامرة، ومن الغرب جزئياً من قبل جبل الكرمل، ومن الشمال بحر فينيقيا ولبنان، ويبدو أن طول هذا السهل هو عشرة فراسخ، وعرضه ستة فراسخ أو أكثر،وهو في بعض الأماكن خصب جداً بالقمح، والزيت، والخمرة، ومليء بجميع الأشياء الجيدة في العالم، وبناء عليه لا أعتقد أنني رأيت قط أرضاً أفضل، لولا أن مساوئنا وذنوبنا حالت دون زراعتها من قبل الصليبيين.

وعلى بعد أكثر من فرسخين إلى الشرق من جبل قابيل توجد قرية المزرعة(قرب الفولة) وهي قائمة على شاطىء جدول قيشون، وذلك على بعد فرسخ واحد من سفح جبل حرمون.

وعلى بعد فرسخ إلى الجنوب من المزرعة تقوم قلعة اسمها قلعة الفولة، وعلى الطرف الغربي وعلى بعد ثلاث رميات سهم، وذلك على جهة اليمين من طريق يزرعيل، من الممكن رؤية خرائب مدينة أفيق، فهناك قاتل السوريون ضد أخاب، ملك إسرائيل، وقالوا في ذلك الحين:«إن آلهتهم آلهة جبال.... وإذا حاربناهم في السهل فإننا نقوى عليهم»(الملوك الأول:٢٠/ ٢٣).

وعلى بعد فرسخ إلى الشرق من أفيق، وذلك على الجهة اليسارية من الطريق إلى يزرعيل، وعلى الجهة الجنوبية من جبل حرمون، يمكن

للانسان أن يرى مدينة شونيم(سولم إلى الشرق من الفولة)، فإلى هناك غالباً ما ذهب إيليا عندما كان على طريقه من الكرمل إلى الجلجال، أو الأردن، لأن هذا الطريق كان الطريق الأقل وعورة وارتفاعاً بالنسبة له عندما كان يريد الذهاب إلى أريحا، حيث أقام مع أبناء الأنبياء، وكان يذهب من الكرمل، أي أن تقول من خلال شونيم إلى بيسان، ومن هناك على طول سهل الأردن إلى الجلجال، ولهذا نقرأ في سفر الملوك الثاني:٤/ ٨، كيف أنه احتاج كلما ذهب إلى الأردن إلى المرور بشونيم، ولهذا اعتاد على الاقامة مع المرأة الشونيمية، وحدث أنه من هذه المدينة نفسها، جاءت إليه هذه المرأة ذاتها عندما توفي ولدها، جاءت إليه إلى الكرمل، التي تبعد مسافة أربعة فراسخ عن ذلك المكان، وقام إيليا بإقامة ولدها من الموت، وهنا نصب الفلسطينيون معسكرهم عندما جاء شاؤول من جلبوع، ومن مدينة شونيم هذه جاءت أبيشاغ Ab-ishag الشونيمية التي رعت الملك داوود العجوز، واحتضنته ومددته على صدرها.

وعلى بعد فرسخين إلى الشرق من شونيم، أو بالحري إلى الجنوب الشرقي، تقوم مدينة بيسان، الموجودة بين جبل جلبوع والأردن، إنما على بعد نصف فرسخ عن الأردن، فعلى أسوارها علق الفلسطينيون جثث شاؤول وأولاده بعدما قتلوهم على جبل جلبوع، وكانت بيسان هذه تعرف من قبل باسم سكيزوبولس، وذلك حسبما أخبرنا يوسفيوس، لكن الناس جميعاً يدعونها الآن باسم بيسان، وهي موقع فائق الجمال والبهاء.

وفوقها، على الجانب الغربي، يقوم جبل جلبوع، الذي يمتد حتى يزرعيل، وذلك على بعد فرسخين نحو الغرب.

وعلى بعد فرسخين إلى الغرب من بيسان هناك ينابيع، ونبع عظيم على فرسخين فوق بيسان، وهذا هو«النبع الموجود في يزرعيل»[عين

جـــالوت دون يزرعيل إلى الشرق]، الـذي ورد ذكـره في صمـــوئيل الأول:٢٩/ ١، حيث ضرب الفلسطينيــون مخيمهم، عندمــا كــانوا في جلبوع، بين ذلك النبع وبيسان.

وعلى مسافـة قريبـة، هي حوالي رميتي سهم، عن ذلك النبـع، توجد مـدينة يزرعيل(زرعين)، وهي قائمـة فوق رابيـة مرتفعـة بعض الشيء، وقـد كــانت فيها مضى إحـدى المدن الملكيــة في إسرائيل، لكن في هذه الأيام ليس فيهـا أكثر من ثلاثين بيتـاً، واسمهـا الآن الذي تدعى به هو زرعين، وهي قـائمـة عند سفح جبل جلبـوع، على الجهة الغـربيـة منه، وتبعـد عن مدينة شـونيم فرسخين قصيرين، وشـونيم قائمـة إلى الشمال منها، وذلك على الطرف الجنوبي من جبل حرمون.

وهذان الجبلان — أعني جبل حـرمون وجبل جلبوع — متـوضعان بشكل جاء فيه موقع جبل جلبوع إلى الجنوب منها، وحرمون إلى الشمال منها، مـع وجود فـراغ بينهما قدره فرسخين قصـار، وهما يمتدان طـولياً من الشرق إلى الغـرب، وكـلاهما ينتهي في الشرق عند الأردن، وطولهما فرسخان أو أكثر.

وفيما بينهما جرت معارك كبيرة، فهنا قاتل جدعون ضد مدين، وقاتل شـاؤول ضد الفلسطينيين، وأخـاب ضـد السوريين، وفي الأيام الحاليـة قاتل التتار ضد المسلمين هناك.

[وليلاحظ فيما يتعلق بجبل حـرمون هذا، أن هناك جبـلاً آخر يحمل الاسم نفسـه، يقع وراء الطرخـونيـة، وعلى مقـربة من جبل سنير، وهو أعظم بكثير وأعلى من هذا الجبل، وفي كثير مـن الأمـاكن من الكتـابات المقدسة، الإشارة إلى حرمون هذا وليس إلى حرمون[الصغير] ذاك.

وفي السهل فيما بين هـذين الجبلين يبـــدأ الوادي الـذي يعـــرف باسـم«الوادي المشرق»[مـــوره أو وادي يزرعيل]، وذلك بسبـب جماله

وخصبه، وهو يمتد من ذلك المكان مسايراً نهر الأردن نزولاً حتى البحر الميت، وقبل أن يدمر الرب سدوم وعموره، كان هذا الوادي المشرق«مروياً بشكل جيد في كل مكان، وكأنه بستان الرب، وذلك مثل أرض مصر»، فهذا ما نقرأه في سفر التكوين:١٣/ ١٠.

ومن يزرعيل هناك مشهد جميل يغطي جميع الجليل، حتى الكرمل، وجبال فينيقية، وجبل الطور، وجبل جلعاد، والمناطق الواقعة عبر الأردن، وجميع جبل إفرايم حتى الكرمل.

ويساير الطريق من جبل جلعاد إلى يزرعيل، الطرف الجنوبي من جبل جلبوع، وذلك من الأردن، ويمر عبر عين نون وساليم[يوحنا:٣/ ٢٣]، حيث أجرى يوحنا التعميد، وحدث أيضاً أنه عبر هذا الطريق جاء ياهو من راموت جلعاد(الملوك الثاني:٩/ ١٧)، عندما قال الرقيب:«إني أرى جماعة»الخ، وليس صحيحاً ما يقوله بعضهم من أنه لا الندى ولا المطر يتساقط على جبال جلبوع، لأنني عندما كنت هناك في يوم عيد القديس مارتن[١١— تشرين ثاني] تساقطت الأمطار حتى تبللت ثيابي كلها ووصل البلل إلى الجسد، فضلاً عن هذا امتلأ الوادي بمياه تلك الأمطار، ومع هذا صحيح هناك بعض الأماكن في هذه الجبال هي صخرية، وجافة، وجرداء، مثل بقية جبال اسرائيل.

وعلى بعد أربعة فراسخ إلى الجنوب من يزرعيل توجد عين جنيم(جنين)، وهي بلدة كانت فيما مضى مسورة، لكن أسوارها قد تداعت، وهي قائمة عند سفح جبل إفرايم، وتنتهي عند هذه البلدة منطقة الجليل، وتبدأ منطقة السامرة، وتقع جنين على بعد حوالي السبعة فراسخ إلى الغرب من الأردن.

وتُحد هذه المنطقة من الجنوب ببلاد تمّون[إلى الشمال — الشرقي من شكيم]، التي فيها جبال مرتفعة جداً.

وعلى بعد أربعة فراسخ إلى الجنوب من مدينة جنين تقوم مدينة سبسطية، التي عرفت فيما مضى باسم السامرة، وذلك عندما كانت عاصمة لمملكة الأسباط العشرة، التي عرفت باسم إسرائيل، وجعلتها ذنوبها لاتمتلك ما يساوي مقدار بيت واحد، لكن هناك كنيستان بنيتا على شرف القديس يوحنا المعمدان، ولقد قام المسلمون بتحويل واحدة من هاتين الكنيستين إلى مسجد، وكانت تلك التي كانت هي الكنيسة الرئيسية، وكانت فيما مضى كاتدرائية الأسقف، وفعلوا هذا بشكل خاص بضريح يوحنا المعمدان نفسه، الذي كان معمولاً من الرخام، ويشبه ضريح الرب، ذلك أنه رقد مدفوناً هناك بين إيليا وعوبيدا، وتقوم هذه الكنيسة على طرف الجبل، في المكان الذي ينحدر الانسان منه وينزل، ويقدر المسلمون القديس يوحنا المعمدان تقديراً عظيماً، ومكانته لديهم هي التالية لمكانة المسيح والعذراء المباركة، وهم يولونه اهتماماً عظيماً، وهم عن حق يعلنون بأن المسيح هو كلمة الله، لكنهم يقولون إنه ليس رباً، وهم يقولون بأن العذراء المباركة قد حملت من روح القدس، وقد حملت به كعذراء وبقيت عذراء، وهم يقولون بأن يحيى كان نبياً عظيماً وفائق القداسة، ويقولون أيضاً بأن محمداً(ﷺ) كان رسول الله، وقد أرسل من قبله لهم فقط،وقد قرأت شخصياً هذا في القرآن [الكريم] الذي هو كتاب شريعتهم.

وتقف الكنيسة الثانية على حافة الرابية، وذلك حيث قام قصر الملك فيما مضى، ويقطن هناك رهبان إغريق، ومسيحيون، استقبلوني بلطف، وأعطوني طعاماً، وأراني أولئك الإغريق أنفسهم في تلك الكنيسة، المكان الذي قالوا بأن يوحنا قد سجن فيه، ثم قتل فيه صبراً، وهذا ما بينت أنه خطأ جسيم، لأن المؤرخين، ويوسفيوس، وحكايات القديسين، وكاتب التواريخ، والتاريخ اللاهوتي، كلهم مجمعون على القول بأنه قتل صبراً في مخرونتا Macherunta [مخور شرقي البحر الميت]، التي

تعرف الآن باسم هيلون Haylon ، عبر الأردن، زيادة على هذا، كـان هيرود الذي أعـدم يوحنا طيطراخ الجليل، والبـلاد الواقعـة عبر النهر، وهي بلاد جلعاد، أو بالحري بلاد السبطين، ولم تكن له سلطة في السـامـرة، التي كـانت تحت إدارة بيـلايطس، وذلك حتى القـدس، أو اليهودية، وبناء عليـه لم يكن بإمكانه لاسجن يوحنا ولا إعـدامه، لأنه لم تكن لديه سلطة هناك، لكن بعد إعـدامه في مخرونتا — كما قلنا من قبل — دفن جسده في السامرة من قبل حوارييه، بين النبيين المتقدمي الذكر، غير أن رأســه قــد دفن في القــدس، هذا ولم أشهــد في أي مكان من الأرض المقـدسـة خـرائب عظيمـة مثل التي في السـامـرة، فهناك رأيت خرائب كبيرة جداً، ووضع هذه المدينة لايتوافـق مع ما ذهب إليه كاتب التواريخ، في تعليقه على قول النص التالي:«هكذا تفعل بي الآلهة، وهكذا تزيدني، إن كــان تراب الســامــرة يكفي قبضـات لكـل الشعب الذي يتبعني»[الملوك الأول:٢٠/ ١٠]، ويبــدو أنه قـد خيل إليـه أن أسـوار المدينة وقمة الجبل كـانا على ارتفاع واحـد، وأن الأبنية قد شيـدت فوق القمـة، لكن الحال لم يكن كـذلك، لأن أسـوار المدينة كـانت عند سفح الجبل، وكانت حصينـة ومدعمة بأبراج فـائقة الحصـانة، وكان الجبل في داخلهـا، ويرتفع بشكل تدريجي، وقـد انتشرت عليـه الأبنيـة وتوزعت مثلها في ذلك مثل عنقـود من العنب، وكانت الأبنيـة مرتفعـة إلى درجة قاربت فيها القمة، وكان القصر على قمة الجبل، وكان فائق الجمال، ومن الممكن أن يشـاهد حتى هذا اليــوم كثيراً من الأعمـدة الرخـاميـة التي دعمت أماكنــه وأروقته، وحول الجبل كلـه، وتحت القصر، ودون بيوت الأعيـان، وفي مـوقع السـاحــة العـامـة، أو السـوق للبيع والشراء، يجد الانسان حتى في هذه الأيام، من حول الجبل كله، أعمـدة رخامية واقفة في داخل الأســوار، وكــانت هذه الأعمــدة، فيما مضى، تدعـم قناطر الشوارع، لأن شـوارع هذه المدينة كانت مقنطرة، وفقـاً لعادات الأرض المقـدسـة، وباختصـار ليس لدي المزيـد لأقـوله حـول هذه المدينة، التي

أصبحت الآن في حالة بائسة، حيث غدت في الحقيقة حديقة للأعشاب، مثلما أراد أخـاب ملكها، وطلب أن يعمل كـرم نابوت اليـزرعيلي،لأنه كـان قـريباً من بيتـه[الملوك الأول:٢١/ ٢]، وفي الحقيقـة، تحول في هذه الأيام، بسبب قضـاء الرب العـدل، ليس ذلك الكـرم، بل قصر الملك نفسه أيضـاً، إلى حديقـة أعشاب، وكـان وضع هذه المدينة وضعـاً رائعاً للغاية، حيث منها من الممكن رؤية البحـر قرب يافا، حتى رأس العين، وقيسـارية فلسطين، وعبر كل جبال إفـرايم إلى رامـات — زوفيم، وإلى الكرمل بـوسـاطة البحـر قـرب عكا، وهو مليء بالينـابيع، والحدائق، والكروم، وجميع الأشياء الجيدة التي يطلبها الانسان في هذا العالم.

وعلى بعد أربعة فراسخ إلى الشرق من السامرة، تقوم مدينة تيرزه Ti-razah (لعلهـا التيـاسير إلى الشمال الشرقي من شكيم) فـوق رابيـة عاليـة، وقد حكم هنا ملوك إسرائيل لبعض الوقت قبل بناء السـامرة، وقد كانت في حصة سبط منشا.

وعلى بعد ستة فراسخ إلى الشرق من تيرزه، وعلى الطريق الذي يقود إلى الأردن، تقوم بلاد تفوه Tappuah [عين تفوح]، التي تحتوي على عدد من الجبال، بينهـا جبل مرتفع جداً، وكان هـذا أيضاً في حصة منشـا، ويمتـد حتى سهـول الأردن عبر مـواجهـة مخرونتـا(مخور شرقي البحر الميت).

وعلى بعد فـرسخين جنوبي السامرة، وذلك قـرب الطريق الذي يقود إلى شكيم وعلى الجهـة اليمنى لجبل مرتفع، يقـوم جبل بيت إيل(بيتين)، الذي عليـه وضع يربعـام بن نبـط، ونصب العجلين الذهبيين، مما جعل إسرائيل تقع في الاثم، ويصحف المسلمـون اسـم هذا الموقع، ويدعـونه بوثيل Bothil لأنهم لايقدرون على تلفظ كلمة بيت إيل.

ويوجـد على بعد نصف فـرسخ من هناك، وذلك على الجانب الأيسر

من الطريق، جبل أكثر ارتفاعاً من الأول، ويدعى هذا الجبل باسم دان، وهو قائم فوق مـدينة شكيم، ويقول بعضهم بأن العجل الذهبي الآخر قد نصب هناك فـوقه، هذا ويقول بعض آخـر بأنه نصب في مدينة دان، التي اسمها الآن بلنيـاس، أو قيسارية فيليب، ويبـدو أن هذا بالحري ما قصده جيروم، ويمكن للانسان أن يختـار ما يرضيه، والذي هو على كل حال مؤكد، أن هذا الجبل، عرف باسم جبل دان.

وتقوم بين هذين الجبلين مدينة شكيم، التي اسمها الآن نابلس، وهي مدينة فائقة الجمال، ومليئة بالأشياء الجيدة، لكنها غير محصنة، كما أنه من غير الممكن تحصينها بأية وسيلة من الوسائل، وكل ما يمكن للسكان أن يفعلوه هو أنه إذا جـاء عـدو إلى أول البـابين، القيـام بالهرب إلى البـاب الآخـر، وذلك إذا كانوا أقل عـدداً: لأن المدينة قائمـة في واد بين جبلين عاليين جداً، ولذلك يمكن لأي إنسان أن يرميهابالحجارة بيده.

وعلى بعد حوالي رميتي سهم من بـابها الجنوبي، يوجد جب يعقوب، وذلك إلى جـانب الطريق الـذي يقـود إلى القـدس، وهنا يوجـد مقعـد يعقوب، وذلك حين جلـس إلى جانب الجب، وسأل المرأة السـامرية أن تعطيه شربة ماء.

وفـوق هذا الجب، على جهـة اليمين، يوجـد جبل مـرتفع له قمتين، تعرف أولاهما باسم جبل جـرزيم، وتعرف الأخـرى باسم جبل عيبال، وقد بنى يوشع مذبحاً على جبل جـرزيم، وكتب سفر التثنية(؟) ووقفوا يبـاركون ويلعنـون، ويجيبون من جبل إلى آخـر، وذلك حسبما أمـروا في سفر التثنيـة:٢٧، ويشاهد فوق جبل جـرزيم هناك في هذه الأيام هيكل قديم جداً، كان قد بناه سنبلاّت Sanballat ، حاكم المنطقة الواقعة عبر الأردن، تكريماً لجوبتير أولمبيوس، وجعله شبيهـاً بالهيكل الموجود في القـدس، وقـد بناه من أجل صهـره منسّـه، الذي أراد أن يكون كـاهناً أعلى، ومـايزال هذا الهيكل قـائماً هناك، حتـى أيام الدمـار الذي قـام به

الرومان، وآثاره وخرائبه ماتزال مـرئية حتى هذا اليوم، ومن المعتقد أن هذا الجبل وهذا الهيكل هو ما عنته المرأة السامـرية وأشارت إليه، عندما قالت للرب:«أباؤنا سجدوا في هذا الجبل»[يوحنا:٤/ ٢٠].

ويوجـد على جهـة اليسـار لهذا الجب بلدة كبيرة، غير أنها خـرائب ، وهي التي أعتقـد أنها كانت شكيم القـديمـة، لأنه يوجد هناك خـرائب عظيمة جداً لقصور رخامية، وأعمدة تستحق الاعجاب، واقعة على بعد رميتي سهم من جب يعقـوب، ومكان الاستراحـة، وذلك فـوق مـوقع جميل جـداً، ســوى أنها بدون مـاء، هذا وإنني لم أشـاهـد قط مثل هذه البقعة بخصبها وغناها، وهي تبعـد رميتي سهـم عن المدينة، التي اسمها نابلس، وإنني أعتقـد أن نابلس هـذه قد كـانـت بلدة تاباص(طوباس)، ويقع إلى جـانب هذا الجب قطعـة الأرض التي أعطاها يعقـوب إلى ابنه يوسف، خصيصـاً له دون إخـوته[يوحنا:٤/ ٥]، وإنها طويلة وخصبـة، وهي في الحقيقة واد جميل جداً، وأنا لا أعرف أي واد آخر مساوياً له في غناه.

وفي شكيم دفنت عظام يوسف، وقد جلبت إلى هناك من مصر.

وعلى بعد أربعـة فراسخ إلى الجنوب من شكيم، قـرب الطريق، وعلى جهتك اليمنى وأنت ذاهب إلى القدس، تقع قـرية لبنه(خان لبّن)، وهي مـوضع جميـل جـداً، وهناك لبنه أخـرى في ديـار سبط يهوذا، لكن هذه كانت موجودة في ديار سبط إفرايم.

وعلى بعد خمسة فراسخ إلى الجنوب من لبنه توجد بلدة مخماس، وهي بلدة واسعـة نسبيـاً، وقد كـانت تشكل حـدود ديار سبط إفـرايم باتجاه الجنوب، واسمهـا الآن البيرة(وهم) وكـانت فيما مضى مـن أيام ملكاً لفرسـان الداوية، وعلى مقربة من طرفهـا الجنوبي، تقوم الحدود بين ديار سبط إفرايم، وديار سبط بنيامين.

وعلى بعد فرسخ واحد إلى الجنوب مـن مخماس توجد جبعة شاؤول، حيث جـرى إغضـاب زوجـة اللاوي التي جـاءت من بيت لحم، ومن أجل هذه الفعلة جرى تدمير تقريباً كل سبط بنيامين، وقد كانت مسقط رأس شاؤول بن قيس، الذي كان أول ملك لإسرائيل.

وعلى بعد فرسخ واحد إلى الجنوب من جبعـة، تقوم قرية(رامه)الرام، وهي قائمة فوق رابية، وذلك ليس بعيداً عن طرف الطريق، وذلك على جهة اليسـار، وأنت ذاهب إلى القدس، ومن المعتقد أن إرميـا قصد هذا المكان بقوله:«سمع صوت في رامه».

وعلى بعد فرسخين إلى الجنوب من رام، تقوم مـدينة القدس الرائعة، التي لن أقول عنهـا هنا شيئاً، لأنني أرغب بالعـودة إلى شكيم، وسوف أذكـر أولاً المدن القائمـة عند زاوية جبل إفـرايم، وأوقف وصفي حيث أتجاوزها.

واعـرف على كل حال أن هناك كثيراً من القـرى في الأرض المقدسـة اسمها رامه، واحدة منها قرب تقوع، على الطريق من هناك إلى حبرون، وأخـرى في ديار سبط نفتـالي، والثـالثة ليست بعيـدة عن قلعـة صفـد، والرابعة هي شيلوه، التي تعـرف أيضاً باسم رامـه، وفسر اسم رامه بأنه يعني«ارتفاع»، وفي الحقيقـة تقوم جميع هذه القرى فوق هضـاب مرتفعة جداً.

والآن، إذا مـا مضى الانسـان جنوباً(كـذا) من شكيم باتجاه الأردن، فإن المكان الأول الذي سـوف يلقاه هو إيمـون(كفرعـانا إلى الشمال من بيت إيل)(كفر العموني)[يشوع:١٩/ ٢٤]، وهي بلدة جيـدة جداً، قائمة في مكان جميل، فيه وفرة من جميع سلع الدنيا، وقد كانت في حصة سبط إفرايم.

وعلى بعـد أربعة فـراسخ من إيمـون، لدى نزولك من جبل إفـرايم،

على السهل، وعلى بعد فرسخين عن الأردن، توجد قرية الفصيل Phe-sech، وذلك عند المكـان الذي يجري فيـه جـدول كيرث Che-rith لدى نزوله من الجبل، وهنا أقام إيليا عندما جلبت الصقـور الطعام له في الصباح وفي المساء.

وعلى بعـد فرسـخ واحد من الفصيل، على جهـة اليسـار، باتجاه بلاد تفوه، توجـد قلعة عين دوك Docus ، حيث قتل بطليموس بن أبوبوس، سمعان المكابي بشكل خياني، ويستطيع الانسان من هذا المكان أن يرى بوضـوح بلاد جلعـاد، وبلاد السبطين ونصـف السبط، وبلاد هشبون والمنطقة المرتفعة لبلاد مآب، وجبال عبريم، وفسغه، ونبو.

ومن هناك ينزل الانسـان إلى سهل الأردن، ويمتـد هذا السهل حتى أريحا، وعبرها، طـوال الطريق نـزولاً مع الأردن حتى البحـر المالح، ويقوم جبل عبريم، وفيغير Pheger ، وفسغه مباشرة في مواجهـة هذا المكان، وذلك عبر الأردن، وعليك أن تعـرف أيضـاً أن نهر الأردن يمتلك سهـولاً جميلة على ضفتيـه، وذلك امتـداداً من منابعـه عند سفح جبل لبنان حتى برية فـاران، بطول حـوالي مائـة ميلٍ وأكثر، فضـلاً عن هذا، هناك فوق هذه السهول نفسها جبال عالية جداً، على كلا الجانبين، ممتدة حتى البحر الأحمر.

وعلى بعد خمسـة فراسخ باتجاه الجنوب، لكن مع انحـراف قليل نحو الشرق من فسغـه، يقـوم مـوقع الجلجـال، حيث أقـام بنو إسرائيل معسكرين لمدة طويلة، بعد عبور الأردن، وهناك جرى ختن بعضهم.

وعلى بعـد نصف فرسخ عن الجلجـال، على الطريق إلى أريحا، وذلك على جهـة اليمين من الطـريق، هناك جبل يدعى جبل القـرنطل، فهناك صام الرب أربعين يـوماً وأربعين ليلة، وهو جبل مرتفـع جداً، وصعب التسلق، وقـد أغوي على جبل آخـر،يبعد ثلاثة فـراسخ عن هذا الجبل،

وهو قائم في القفار، على الجانب الجنوبي لبيت ايل وعاي.

وعلى بعد حوالي الرميتي سهم تحت القرنطل، ينبع نبع إيليا[رأس العين]، وتتدفق مياهه وتسير، وهي المياه التي عالجها إيليا، لأنها كانت مالحة، وعقيمة، ويجري هذا الجدول قرب الجلجال، على الجانب الجنوبي، ويدير طواحين كبيرة، ويتوزع بعد هذا على عدة أقنية، ويسقي قصب السكر، والحدائق والبساتين حتى أريحا، وماوراء أريحا، ثم يصب في الأردن.

وعلى مقربة من الجلجال، وعلى بعد نصف فرسخ إلى الجنوب، يوجد وادي عكور (وادي القلط) وذلك عند سفح جبل، وفي هذا الوادي جرى رجم عاخان، لأنه سرق أشياء ملعونة.

وعلى بعد فرسخ واحد إلى الشرق من الجلجال تقوم أريحا، التي كانت فيما مضى مدينة مجيدة، في حين لايوجد فيها الآن أكثر من ثمانية بيوت، ويوجد هناك آثارقرية بائسة، هذا وقد جرى هناك تدمير جميع الأوابد والأماكن المقدسة، تدميراً كاملاً.

ويوجد على بعد فرسخين من أريحا، إلى جانب الأردن، بيعة[قصر اليهود]، التي بنيت على شرف القديس يوحنا المعمدان، وذلك فوق البقعة التي من المعتقد أن تعميد الرب قد جرى فوقها، ومع هذا يرى بعضهم بأن التعميد كان في ساليم[يوحنا:٣/ ٢٣]، غير أن التقاليد الكنسية تنكر هذا.

هذا وإن الذي حدث في أريحا معروف كثيراً، ولهذا لاأرى تدوينه هنا.

وعلى بعد فرسخين من أريحا، وذلك على مقربة من البحر الميت توجد بيت أوله(قصر حجله) حيث ناح بنو إسرائيل لوفاة يعقوب أباهم، وذلك بعدما جلبوا جسده من مصر، ويبعد هذا المكان فرسخاً

واحداً عن الأردن، وهناك يسكن رهبان إغريق(أرثوذكس).

وعلى بعد ثلاثة فراسخ من أريحا، وفرسخ واحد عن بيعة القديس يوحنا القائمة قرب الأردن، يوجد البحر الميت، الذي يدعى أيضاً باسم بحيرة اسفلت، أي بحر الحمر، أو بحر الملح، وهو يفصل العربية عن اليهودية، ويوجد على شواطئه الشرقية بلاد مآب، وعمون، وجبل سعير، وهو مما حدثتكم عنه من قبل، وهو يمتد حتى قادش بارينا(القفار)، وبرية فاران.

وفي حوالي منتصف الطريق، على شاطئه الشرقي من الممكن رؤية الشوبك(الكرك)، التي كانت تعرف في القديم باسم البتراء في القفار، وتعرف الآن باسم الكرك، وهي قلعة فائقة الحصانة بنيت من قبل بلدوين ملك القدس، بقصد توسيع حدود مملكة القدس، لكنها مملوكة الآن من قبل السلطان، ويضع فيها جميع خزائن مصر والعربية.

وعلى مسافة سفر يومين إلى الجنوب الشرقي من الكرك توجد ايريوبولس(ربّه) التي اسمها الآن البتراء، وهي المدينة الحاضرة لجميع العربية الثانية، وذلك حسبما أوضحنا من قبل، وكانت في القديم تعرف باسم عار، وهي قائمة على جدول أرنون، على حدود المآبيين، والعمونيين، والعموريين، وعلى هذا الشاطىء نفسه، يوجد الموضع الذي اقتيد منه بلعام إلى جبل مآب ليتولى لعن بني إسرائيل.

وعلى بعد خمسة فراسخ إلى الجنوب الغربي من أريحا توجد بلدة صغور(الزويرة)، وذلك عند سفح جبل عين الجدي، ويقوم بين هذا الجبل والبحر الميت عمود الملح، الذي يحدثنا سفر التكوين بأن امرأة لوط قد تحولت إليه، ولقد حاولت مراراً رؤية هذا العمود، لكن المسلمين أخبروني بأن المكان غير آمن، بسبب الحيوانات الضارية والأفاعي، والهوام، وبشكل خاص بسبب البدو الذين يسكنون في تلك

الأجـزاء، وهـم شجعــان جـداً وذوي جـرأة عظيمــة، ورجـال أشرار، وأبقتني هذه المناقشـات متشـوقـاً للـذهاب إلى هناك، لكن علمت بعـد ذلك أن الأمر لم يكن كذلك.

وقياس عـرض البحر الميت هو ستـة فراسخ مـن الشرق إلى الغرب، أمـا طولـه من الشمال إلى الجنوب فهـو سفـر خمســة أيام، وذلك حسبما أخبرني المسلمون، وهو دائماً يصـدر الأبخرة الدخانيـة، وهو مظلم جداً مثل مـدخنة الجحيم، وقـد كتب حـول هـذا وقيل كثيراً من قبل مختلف الناس، وقد تعـرفت على كثير مما هو متداول، ومع هذا عليك أن تعلم بأنني لن أخـاف إخبـاركم بالذي رأيتـه بأم عيني، ومعي آخـرون كثـر، والذي وضح لي أن جميع الوادي، الذي كـان يـدعى بحق باسم الوادي المشرق، وذلك من نهاية هذا البحـر التي هي برية فاران حتى إلى سفـر نصف يوم، أو مـا يقـارب ذلـك، وراء أريحا، قـد صـار قـاحـلاً بسبب الأبخـرة الدخانيـة لهذا البحـر، وهكذا هو لاتنمـو فيه لاالنبـاتات ولا الأعشـاب من أي نوع من الأنواع، في جميـع عـرضـه، الذي هو خمسـة فـراسخ وفي بعض الأمـاكن ستة فـراسخ، وذلك باستثناء مـدينة أريحا، حيث يوجــد قصـب السكر، والبســاتين والحدائق المروية مـن قبل نبع إيليا، وهذا في الحقيقـة قضاء مرعب من قبـل الرب، الذي عاقب هكذا منذ قرون كثيرة ذنوب السدوميين، ذلك أنه حتى الأرض نفسها دفعت ومازالت تدفع العقوبة منذ عدد كبير من آلاف السنين.

وفوق البحر، على جهة اليمين، وكـذلك على جهة اليسار هناك جبال جرداء، وقـاحلة مشعثة، وهي مسكونة فقط من البرابـرة، وذلك امتداداً لأميـال كثيرة، وذلك بعيداً حتى أقصى مكان يمكن أن تصله الأبخـرة الدخانية عندما تساق من قبل الريح.

وأعلن بعضهم أن نهر الأردن لايمـزج مياهـه بمياه ذلك البحـر، بل تتولى الأرض ابتـلاع مياه هذا النهـر قبل أن يصل إلى مياه البحـر، لكن

المسلمين أخبروني أن الحقيقة هي أن كلاهما يدخلان البحر، ويتركانه كذلك، لكن بعد مغادرتهما له بوقت قصير يبتلعان من قبل الأرض.

ويفيض هذا البحر في بعض الأوقات، ومرد ذلك إلى ذوبان الثلوج من على جبل لبنان والجبال الأخرى، وفيضان اليرموك، وجداول كل من:يبوق، وحرمون(اقرأ:أرنون) وزارد(العدد:٢١/ ١٢)، وكذلك مياه الأمطار المتساقطة على الجليل، وعلى جبل جلعاد، وفي بلاد مآب، وعمون، وسعير، فالمياه تتجمع من هذه الأماكن كلها وترفد نهر الأردن، الذي يصب في هذا البحر، فضلاً عن هذا يتم العثور على الحُمر فيه، ويستخرج من داخله، ويتجمع هذا الحُمر عندما تحرك الرياح مياه البحر، ويتعلق ببعضه، ومن ثم يقذف إلى الشواطىء بكميات كبيرة، وهذا الحمر قوي، ودوائي، ولايمكن إذابته إلاّ بدماء الطمث، ويطلق اسم الحمر اليهودي عليه، ولهذا دعيت البحيرة باسم بحيرة اليهودية، أو بحيرة اسفلت، أي أن تقول بحيرة الحمر، وقد أخبرنا سفر التكوين:١٤، أنه كان هناك كثيراً من«آبار حُمر» أو الحفر الطينية، في وادي سدوم،الذي هو الآن بحر الملح، ويوجد الآن كثير منها على شاطئه، ويوجد هناك دوماً أهرام مبني قرب كل بئر، وهذه الأمور رأيتها بنفسي، وليكن ما قلته عن هذا البحر فيه كفاية.

وعلى بعد ثلاثة فراسخ من موقع الجلجال المتقدم الذكر، والمسافة نفسها من نبع إيليا، نحو الشمال، في الجبال، وذلك على الجانب الشمالي من جبل القرنطل، تقوم مدينة عاي، التي استولى عليها يوشع عنوة، وقتل ملكها، وذلك حسبما أُخبرنافي سفر يشوع(٨).

وعلى بعد فرسخ واحد إلى الشمال، إنما قليلاً إلى الغرب من عاي،توجد مدينة بيت إيل(بيتين)، التي حملت فيما مضى اسم لوز، وذلك في ديار سبط بنيامين، وقد حدث هناك أنه عندما كان يعقوب ذاهباً باتجاه الشرق، وهارباً من أمام وجه أخيه عيسو، أن نام متخذاً

صخرة وسادة له، ورأى سلماً مقاماً فوق وجه الأرض، وذروته ممتدة حتى السماء وواصلة إليها، وهكذا إلى آخر ما رآه، حسبما نقرأ في سفر التكوين، وقد نصب هناك صخرة، لتكون بمثابة عمود، وأطلق على المكان اسم بيت إيل، هذا وإن الذين يقولون بأن هذا قد حدث في القدس مخطئون، لأن مليكصادق كان آنذاك يحكم في القدس، وكانت وقتذاك مدينة جليلة، وكذلك لم يكن من الضروري بالنسبة ليعقوب أن ينام هناك في الحقل، ولا أن ينام مطلقاً على جبل موريا، الذي كان آنذاك — كما هو الآن — متصلاً بالمدينة، زيادة على ما تقدم إن البراهين على هذا الأمر مرئية في بيت إيل في هذا اليوم:فهناك الصخرة المقامة بمثابة عمود، وقبر كل من دبورة ومرضعة رفقة[التكوين:٣٥/٨] وذلك تحت المدينة في الوادي، ومع هذا يقول بعضهم:لقد أطلق على القدس اسم بيت إيل، ويستندون بحماقة على ما جاء في هذين البيتين:

«سوليما، وبيت إيل، وأورشليم، ويبوس، وإيلياء،

بهذه الأسماء دعيت مدينة القدس المقدسة، وباسم سالم أيضاً».

ولسوف أكون مسروراً أن أتعلم من هؤلاء الناس، في أية أماكن من العهدين القديم والجديد، قد وجدوا برهاناً على أن القدس قد دعيت باسم لوز، أو بيت إيل، اللهم مالم يكونوا قد قصدوا تسمية الهيكل ببيت إيل، أي بيت الرب، وزيادة على ما تقدم إننا عندما نقرأ ما جاء في سفر التكوين:١٣/ ٣ قوله:«وسار إبراهيم في رحلاته من الجنوب إلى بيت إيل»، نجد أن جيروم الذي شاهد المكان، قدم الشرح التالي:«بيت إيل مدينة تبعد إثني عشر ميلاً عن القدس، وواقعة في ديار سبط بنيامين، على يدك اليمين وأنت ذاهب إلى نابلس»، ونابلس هي شكيم، قرب لوز، الواقعة في ديار سبط إفرايم، وتمر الحدود فيما بين سبطي بنيامين وإفرايم من خلال الوسط هناك.

وعلى بعد فرسخ واحد إلى الشمال من بيت إيل، باتجاه رامه، توجد نخلة دبورة، زوجة لفدوت Lapidoth ، التي كانت قاضية إسرائيل، وأرسلت باراق للقتال ضد سيسرا على جبل الطور.

وعلى بعد فرسخين من بيت إيل، وفرسخ واحد من القدس، وليس بعيداً عن رامة بنيامين، توجد عناتا Anathoth ، وهي قرية كهنة صغيرة، وكانت مسقط رأس النبي إرميا.

وإلى الشرق والجنوب من عناتا تبدأ القفار القائمة بين القدس وأريحا، والتي يطلق الآن عليها اسم قفار القرنطل، وتمتد إلى ما وراء الجلجال حتى القفار الموجودة مقابل تقوع وعين الجدي.

وعلى مقربة من البحر الميت، على شاطئه الغربي، وعلى بعد فرسخ واحد عن الزويرة Zoar ، تصعد إلى جبل عين الجدي، إلى حيث تخبأ داوود، عندما بحث شاؤول عنه ليقتله، وذلك حسبما قرأنا عن ذلك.

وكان على هذا الجبل ومن حوله حديقة بلسم، لكن في أيام هيرود الكبير، قامت كليوباترا ملكة مصر، كراهية منها لهيرود ،وإيثاراً لمارك أنتوني، فنقلت هذه البستان إلى بابليون في مصر، ولقد رأيتها هناك عندما أتيت إلى مصر إلى السلطان، الذي أخذني إلى هناك، وقد جلبت معي كثيراً من خشب البلسم، واغتسلت بمياه البئر الذي يسقي الحديقة، وقد أخبرني الحدائقي أن الثيران لا تقوم بنضح الماء من ذلك البئر، من ظهيرة السبت حتى الاثنين، ولو قطعت تقطيعاً.

وطول هذه الحديقة رميتي سهم، ورمية حجر أو أكثر عرضاً، وتفلح حديقة البلسم في مصر من قبل حدائقيين مسيحيين فقط، وتسقى من البئر الذي هو هناك، وهو الذي يقال بأن العذراء مريم غالباً ما قامت بتغطيس الطفل يسوعاً فيه.

ومع هذا ما يزال هناك حتى هذا اليوم فوق عين الجدي بعض الكروم الرائعة الصالحة لإنتاج النبيذ، لكن المسلمين لا يدعونهم، ولا يوجد هناك مسيحيين ليتولوا رعايتهم.

وتحت عين الجدي، وعلى جانب البحر الميت هناك أشجار فائقة الجمال، لكن ثمارها عندما تقطف تكتشف بأنها كلها رماد ومجرد غبار في داخلها.

وجبال عين الجدي مرتفعة جداً، وذات شكل غريب ولها شعاب صعبة وعرة، ووديان، بشكل أنا لم أشاهد نظيراً له، وهي تبعث الرعب إلى الذي ينظر إليها ويتأملها.

وعلى بعد أربعة فراسخ إلى الغرب من أريحا، وذلك على الطريق إلى القدس، إلى اليسارمن القرنطل تقوم قلعة أدوميم Adummim [عند طلعة الدم]، وذلك في المكان الذي وقع فيه الرجل بأيدي اللصوص عندما كان نازلاً من القدس إلى أريحا، وقد حدث مثل هذا مراراً فوق البقعة نفسها في الأيام الحالية، وقد نال المكان اسمه من الدم الذي سفك مراراً هناك، وفي الحقيقة إنه لأمر مرعب أن يكون الإنسان هناك، وخطر جداً ، مالم يرتحل الإنسان ويسافر برفقة حراسة.

وعلى بعد فرسخين إلى الغرب من أدوميم توجد بحوريم Bo-hurim في ديار سبط بنيامين، وكانت هذه مدينة شمعي بن جيرا، الذي شتم داوود عندما هرب من أمام أبشالوم، وذلك حسبما قرأنا في سفر صموئيل الثاني: ١٦/ ٥، وهي قلعة جميلة، وقائمة فوق هضبة عالية.

وفي الوادي تحت، يوجد على الجهة الشرقية من الطريق السلطاني العام، الذي يخرج من أدوميم، صخرة بيئون Beon (بوحان Bo-han)(دبوس العبد، حجر لتحديد المسافات من العصر

الروماني)العائد لأبناء سبط رأوبين، وهي كبيرة مثل قِدْر، ويبدو أنها من الرخام.

وعلى بعد رميتي سهم إلى الغرب من بحوريم، تقوم بيت عنيا، على منحدر رابية هناك، وبيت عنيا هي قرية:مرثا، ومريم، وقبل بابها، وعلى بعد أقل من رمية حجر، وعلى مقربة من بركة هناك في حقل، من الممكن مشاهدة المكان الذي جاءت إليه مرثا أولاً، ثم تبعتها إليه مريم- بناء على دعوتها- وذلك للقاء الرب عندما جاء الى بيت عنيا.

وما برحوا يرون في بيت عنيا، بيت سمعان المجذوم- الذي جلس فيه معه الى المائدة، ومثل ذلك بيت مرثا،الذي كان فيه ضيفاً مراراً،وقد عمل هذا البيت الآن وصار كنيسة مكرسة لهما،ويشاهد هناك أيضاً قبر العازر،الذي قام منه، وهو ليس بعيداً عن الكنيسة،وقد بني في هذا المكان بيعة بهية وجميلة من الرخام، وآبدة ضريح مغطاة بالرخام، كنت قد نزلت إليها، ويبجل المسلمون هذا الضريح كثيراً، بسبب معجزة القيام من الموت التي صنعها الرب هناك.

ولدى مغادرتك لبيت عنيا، لايمكنك رؤية القدس أولاً، بسبب وجود جبل الزيتون، الذي يقف بينهما،والذي عليك هو الارتقاء الى مكان مرتفع، وعندها يمكنك رؤية جزء من المدينة المحبوبة وجبل صهيون، يا إلهي، كم من الدموع التقية سكبت في هذا المكان من قبل الذين قدموا إليه، ثم تملكوا بهجة الدنيا كلها، حيث رأوا مدينة الملك العظيم،وكم هو ممتع أن ترى مكان مجدك، أيها اليسوع المبارك،وكذلك عندما نرى مكان خجلك واضطرابك بمثل هذا السرور! لكن دعونا الآن نضع هذه الأمور كلها جانباً، ونمضي بقدر ما نستطيع من سرعة الى القدس .

وعندما ننزل الآن من الجبل، ستكون المدينة ثانية محجوبة عن

أنظارنا،فضلاً عن هذا، هناك على الجهة الشرقية من جبل الزيتون، قرب بيت فاجي، قرية صغيرة جداً، نمر من قربها من على مسافة رمية حجر، وذلك على جهـــة اليســـار في الـوادي، وذلك عند سفح جبل العـدوان[الجزء الجنوبي من جبل الزيتـون]،ونأخـذ الطريق الذي يسـاير الجهة الجنوبيـة من جبل الزيتون، ونستـدير حوله،فنصل الآن الى المكان الذي ركب فيه ربنا ظهر أتان،وعلى الفور تشرق أمامنا وتشع المدينة،مع الهيكل، وكنيسـة الضريح المقدس،والأمـاكن المقـدسةالأخـرى، ونكون الآن قـد وصلنا الى نهاية الانحـدار من جبل الزيتـون، حيث رأى الرب المدينة، وبكى بحرقـة عليها،في حين مضت الحشـود وسارت من أمـامه ومن خلفــه، وهي تصرخ«المجـد لابـن داوود»، وهي أيضـاً مبتهجـــة لقـدومه المبـارك، ودعـونا نتـابع سيرنا، ونمـر عبر جدول قـدرون، بين مكان صـــلاته عندمـــا كـــان يعـــاني من آلامــــه ومن أسره في جيسماني،ولنتبعـه،إذا صـدف وتمكنا من معـــاناة الوصـول إلى الجلجلة، حيث سمـرت قـدمـاه على الصليب، وكـــان الدم يسيل منهما،فـدعـونا نموت هناك مع المسيح، حتى يمكن أن نبعث معه ثانية.

القدس

٨ — والآن، القدس، المدينة الأسمى لدى الـرب، حيث هناك أشياء رائعة جـداً، قد جرى الحديث حـولها، وما يجري يومياً، وهي متـوضعة على أرض جبلية، فالجبال قـائمة من حولها، ومع هذا تمتلك بلاداً جيدة وخصبة في أحوازها، وذلك مـا عدا في الشرق باتجاه الأردن، وهي تبعد ستة وثلاثين فـرسخاً عن عكا، القـائمة إلى الشمال، وستة عشر فـرسخاً عن سبسطية أو السـامرة، وثلاثة عشر عن شكيم، وسبعـة وثلاثين عن الناصرة، وجميع هذه الأمـاكن واقعـة إلى الشمال منهـا، وهي تبعـد ثلاثة عشر فرسخاً عن يافـا، القائمة قليلاً إلى الشمال الغـربي منها، وهي أيضاً تبعد ستـة فراسخ عن أريحا، القـائمة إلى الشرق منهـا، وكذلك هي على

فرسخين عن بيت لحم، وثمانية عن تقوع، وثمانية عن حبرون، وهذه الأماكن واقعة إلى الجنوب منها.

وهي قائمة على شكل مزدوج على منحدر رابية، أي أن تقول على طرفيها الجنوبي والغربي، ففي الاتجاه الجنوبي هي قائمة على امتداد طرف جبل صهيون، أو بالحري جزء منها هو على جبل صهيون نفسه، وجزء على سفوحه هناك، ويمتد طولها من جبل صهيون باتجاه الشمال، ويوجد على جانبها الغربي جبل جيحون، ومنه تمتد عرضياً باتجاه الشرق، حتى تصل إلى جدول قدرون، أو وادي شعفاط، الذي هو الشيء نفسه.

وهي مدينة واسعة إلى حد ما، وذلك حسبما سأحدثكم فيمايلي، وهي لاتقوم —كما يحاول عبثاً بعضهم أن يقول — في مكان مختلف عما كانت عليه في أيام آلام الرب، وهم يحاججون قائلين بها أن معاناة الرب كانت خارج الباب، والمكان الآن هو في داخل أسوار المدينة، وبناء عليه لابد أن المدينة كانت قائمة في مكان مختلف، غير أنهم لايعرفون ما الذي يقولونه، ويريدون أن يظهر ما لم يرونه، فالمدينة قائمة الآن حيث قامت دوماً، لأنه بما أن هيكل الرب قائم داخل أسوار المدينة، سيكون من الحماقة، لابل من غير الممكن مطلقاً نقله إلى مكان آخر بسبب أسواره المحيطة به من كل جانب، فضلاً عن هذا من غير الممكن كونه في مكان مناسب آخر، لكن الحقيقة المقررة هي إن المدينة توسعت نحو الخارج، وذلك بالعرض وليس بالطول، وجميع المدينة القديمة مع جبل صهيون موجودان الآن داخل الأسوار، ومسكونان، لكن في هذه الأيام عدد السكان قليل بالنسبة لمدينة من هذا الحجم الكبير، لأن السكان فيها يعيشون في رعب متواصل، ولقد قمت، بقدر ما أستطيع بالبحث والتقصي عن وضعها القديم.

ففي الزمن القديم، مثلما الحال في هذه الأيام، يشرف جبل صهيون جزئياً فوق المدينة، لأنه مكان رحب، من الممكن في داخله استيعاب

مدينة واسعة إلى حد ما، وهذا الجبل موجود عند باب الماء، أو باب نبع سلوان، على الطرف الشرقي، وهويشكل نصف دائرة حولها بوساطة الطريق الممتد من الجنوب إلى الطرف الغربي، حيث كان برج داوود موجوداً، وكان موجوداً خلال جميع هذه الدائرة صخوراً منحدرة، وقناطر تشبه القناطر نصف الدائرية والمسماة ميلو Mello ، ولكي يتم ملء ما كان بين جبل صهيون والجزء المنخفض من المدينة نقرأ بأن ملوك اليهودية بذلوا جهوداً كبيرة، ويقوم برج داوود على الطرف الغربي، وذلك فوق رابية مرتفعة بعض الشيء أكثر من سور الصخرة المنحدر، أما بشأن مجرى السيل الذي يأتي من الجانب الجنوبي لجبل صهيون، ويتدفق جارياً نحو الطرف الغربي، فإنه ينعطف مباشرة، ويستدير من الغرب إلى الشرق مباشرة، فور وصوله إلى البرج وتطويقه له، وعلى هذا يقوم البرج فوق صخرة موجودة عند منعطف مجرى السيل، وانقسم الوادي، أو مجرى السيل، الذي التف دائرياً هناك، إلى واديين عميقين، يمضي أولهما باتجاه الشمال، ويمضي الآخر باتجاه الشرق، ويصنع هذان الواديان قرنة أخرى في مقابل القرنة حيث يقوم برج داوود، وهي التي كانت قرنة المدينة التحتا، حسبما سنوضح فيمايلي:

ويمر هذا الوادي الذي يقبل منحدراً من برج داوود، ويسير على طول الطرف الشمالي لجبل صهيون حتى جبل موريا، حيث كان الهيكل، فاصلاً بذلك جبل موريا والمدينة التحتا كلها عن جبل صهيون، ويمضي مجرى السيل هذا أبعد بعد ليصل حتى جدول قدرون، وذلك من خلال المكان الذي يقوم فيه باب الماء الآن، فيما بين جبل صهيون وقصر سليمان، الذي كان قد بني على الطرف الجنوبي من جبل موريا، وعلى هذا كان مجرى السيل هذا يطوق في العصور القديمة جبل صهيون من كل جانب، وهذه كانت مدينة داوود، وفي هذه الأيام جميع مجرى السيل ممتلىء، ومع ذلك فإن آثاره يمكن تحديدها وفق هذه الطريقة.

ويجري مجرى السيل الثـاني، أو الذي انفصل عنـه، عند برج داوود، حسبما قيـل من قبـل، يجري بـاتجاه الشمال، ويشكـل خندق المدينـة على الجهـة الغـربية، وذلك على طول امتـداد المدينة، حتى نهايتهـا الشماليـة، وكان الطريق كله على طولها معـاقاً من الجانب الداخلي بوسـاطة صخرة اسمها عند يوسفيـوس أكرا Acra ، وعلى هذه الصخرة جـــرى بناء سـور المدينة، ويحيط هذا السور بالمدينـة من الغرب، حتى باب إفـرايم، حيث ينعطف ويلتف ثانيـة إلى الشرق، وذلك حتـى باب الزاوية، وهو الذي كـــان قـــائماً عند زاوية المدينـة، وهي الزاوية الشماليـــة الشرقيـــة، وينعطف السور هنا ثانيـة من الشمال مستديراً شرقـاً إلى الجنوب، ويجتاز خارج منطقة الهيكل، ويحيط بها وببيت الملك، وبباب النبع أو الماء قرب جبل صهيون في الشرق، وهذا هو إطار المدينة، وبما أن الصخرة المتقدمة الذكـر، أي التي بني عليهـا سـور المدينة الغـربي، كـانت عـاليـة جـداً، وخـاصـة عند الزاوية التـي يلتقي فيهـا الجزء الغـربي من السـور بالجزء الشمالي، فقـد غـدا هذا المكان أعلى بكثير من البقيـة، وهنـا جـرى بناء برج[قلعـة جـالوت — أو قلعـة البيـازنة] دعي باسم نبـولوسـا -Neb ulosa وذلك مع قلعة حصينة جداً، ماتزال خـرائبها موجودة هناك، ومنها يمكـن للانسان مشـاهدة العربية، والبحـر الميت، وأماكـن أخرى كثيرة، ومع هذا قـد يقول بعضهم بأن برج نبـولوسا كـان قرب الهيكل، بيـد أن هذا أمـر ينفيه شكـل الأرض والسفوح والمنحـدرات الموجـودة هناك، ومن هذه الصخرة العاليـة جداً والقائمة في الجهـة الغربية، حسبما قلنا من قبل، يـأخـذ عـرض المدينة بالانحـــدار تدريجيـا نحـــو السـور الشرقي، القائم فـوق جدول قـدرون (وادي جهنم)، وكان هذا المكان، وكذلك هو الآن، الجزء الأعظم انخفاضاً في المدينة، ولهذا من المعتاد أن تجري فضلات المدينة وتعبر باب الروث لتصب في بركة قدرون.

وعبر مجرى السيل، أ و الوادي، المتقدم الذكـر على الجهة الغـربية من

المدينة، وذلك على جهة يسارك وأنت خارج من الباب القديم أو باب القضاء، هناك جرى صلب الرب، وبعد آلامه بوقت طويل امتلأ مجرى السيل، وأقيم سور جديد حول برج داود، ويمتد إلى باب إفرايم، الذي يعرف الآن باسم باب اسطفان.

وعلى هذا يمكنك أن ترى أن المدينة معلقة ناتئة على جهة الجنوب بوساطة جبل صهيون وعلى جهة الغرب بوساطة تلك الصخرة، وجزء من جبل جيحون، الذي ينبعث مرتفعاً ارتفاعاً عالياً على طول الجهة الغربية، وعلى هذا فإن المدينة كلها قائمة— كما كانت— على السفوح نحو الاتجاه الشرقي والاتجاه الشمالي، عند أسفل هذين الجبلين.

وكان جبل موريا— حيث قام هيكل الرب، وحيث كان قصر الملك قد بني— أعلى بعض الشيء من المدينة، وهذا ما هو مرئي بوضوح من وضع الهيكل وساحاته، وذلك حسبما وصفهم يوسفيوس، فكل منهم موصوف في تواريخه، غير أنه من المعتقد أن جميع هذه الأماكن هي الآن مسواة تماماً ومهدمة، وهي جميعاً تقريباً أكثر انخفاضاً من أي جزء من المدينة، لأن الجبل قد هدم من قبل الرومان ورمي في جدول قدرون [وادي جهنم] وذلك مع جميع خرائب الهيكل وساحاته، وذلك حسبما هو مرئي في هذا اليوم، ومنطقة الهيكل مربعة، وهي أكثر من رمية سهم طولاً وعرضاً، ويلامس الهيكل المبني الآن هناك سور المدينة تقريباً، وهو ليس الهيكل الحقيقي والقديم، لأنه وجدت أربعة هياكل بينه وبين السور، وهو الآن لايبعد تقريباً أكثر من مائة قدم عن السور وعن جدول قدرون.

وليس بعيداً، كأن تقول، أقل من رمية حجر إلى الشمال من منطقة الهيكل، يوجد باب الوادي الذي دعي هكذا لأن الانسان يذهب منه وينزل إلى وادي شعفاط، وقد عرف هذا الباب أيضاً باسم باب الضأن، لأن من خلاله كان يؤتى بالمواشي للتضحية في الهيكل، وإلى جانبه يقوم

برج اعتقد بعضهم بأنه برج نبولوسا، أو برج حنانئيل Hananeel، غير أنه في الحقيقة هو برج فاسليوس Phaselus، الذي من الممكن مشاهدة خرائبه حتى الآن.

وبالدخـــول مـن باب الوادي أو باب الضأن، ومـن ثم السير بشكل مستقيم، سيجد الانسان على مقربة من منطقة الهيكل بركة الضأن حيث اعتـاد الـ Nethinims على غسل قـرابينهم ومن ثـــم اعطاءهم إلى الكهنة لتقـديمهم في الهيكل، ومن الممكن رؤية استمرار هذا من خـلال وجـود القناطر الخمسـة التي — حسبما حدثنا القـديس يوحنا— اعتـاد الناس المرضى على الرقود تحتها، انتظاراً لاضطراب الماء وتحركه.

وعلى الجهة اليمنى للطريق، ولدى دخولك عبر الباب المتقدم الذكر إلى كنيسـة القـديسة حنة، ترى هناك بـركة أخـرى كبيرة تدعى «البركـة الداخليـة»، وقد صنع هذه حـزقيا وفق الطريقـة التالية: أوقـف المجرى العالي لوادي جيحـون، وساق ميـاهه تحت الأرض إلى غربي برج داود، وذلك من خلال الوادي المتقدم الذكر، بحفره الصخر الصلب بالحديد، وذلك حسبما نقـرأ في الإلهيات، وسـاق الماء من خـلال وسط المدينة إلى هذه البركة، وكـانت الغاية من ذلك أن يتـوفر الماء لشرب الناس في أيام الحصار، ولكي لايتمكن الآشوريون من اعاقتهم [إشعيا:٧/ ٣، ٢٦/ ٢. الملوك الثاني: ١٨/ ١٧]، أما بالنسبة لنبع ماء جيحون، القائم قرب حقل القصار، فقد ساق مياهه إلى البركـة العليا، الموجودة فوق بركة سلوان [إشعيا: ٧/ ٣]، ذلك أن هذه البركـة عرفت باسم البركة العليـا، بالنسبة لموضع بركـة سلوان للاغتسال، التـي كانت تتلقى الماء من هذه البركـة، ومن نبع سلوان، ذلك أنها منخفضة بوضعها أكثر منهما.

واعرف الآن هـذه البرك المختلفة وأسمائها، وكـانت البركة الـرئيسية التي هي البركـة الأولى في القدس، بركة الضأن، وكـان لها خمس قناطر، وقد عمل سليمان هذه البركـة، من أجل خدمة الهيكل ، وكـانت البركة

الثانية على مقربة منها، في الجهة الشمالية، في كنيسة القديسة هيلانة، وقد دعيت باسم البركة الداخلية، والذي صنعها هو حزقيا، وقد تقدم وصفها الآن من قبل، والبركة الثالثة هي بركة سلوان للاغتسال، التي كانت قائمة عند سفح جبل الزيتون مع جبل صهيون، قرب حق الدم، وهي تحصل على مياهها من نبع سلوان، وحزقيا هو الذي صنع هذه البركة أيضاً، والبركة الرابعة هي البركة العليا، التي ذكرناها قبل قليل، والتي صنعها حزقيا أيضاً، وإذا ما وجدت في أي مكان قد ذكر بأن هذه البركة الرابعة قد كانت في داخل المدينة فإن ذلك غير صحيح، لأن ذلك كله غير ممكن، وأعرف أن الانسان يقرأ في شرح وفي نص: «فتستقون مياها بفرح من ينابيع الخلاص» [اشعيا: ١٢]، بأن البركة العليا كانت في المدينة، وأن مياهها كانت تأتي إليها من نبع سلوان، لكن هذا من غير الممكن مطلقاً، لأن المدينة أعلى بأكثر من أربعمائة ذراع من نبع سلوان، ولايمكن للماء أن يجري نحو مثل هذا العلو العظيم، ومع هذا صحيح أن مياهها تحصل عليها من نبع سلوان، ومن نبع جيحون المنخفض، ليس بعيداً عن بركة سلوان للاغتسال، هذا ولم أر بركاً أخرى، كما أنني لم أقرأ عن وجود شيء من هذا القبيل، أو أنه وجد في القديم أية برك أخرى في القدس، ما لم يرغب انسان في عدّ «البحر النحاسي» القائم أمام الهيكل، بركة من البرك، وجرى على كل حال، في الأيام المعاصرة بناء بعض أماكن الاستحمام في داخل المدينة، وذلك ليس بعيداً عن بيت البطريرك، ومشفى القديس يوحنا، وهما لم يرد ذكرهما في الكتابات المقدسة.

ويحيط وادي شعفاط أيضاً بالمدينة، ويسير على طول الجانب الشرقي عند سفح جبل الزيتون، ومع أن هذا الوادي عميق نسبياً، هو بالفعل ممتلىء تماماً، لأن الرومان— وفق ما أخبرنا به يوسفيوس— قاموا، عندما كانوا يحاصرون المدينة من ذلك الجانب، بقطع أشجار الزيتون

والأشجار الأخرى، وصنعوا منها سواتر دفاعية لأنفسهم، وقد ملأوا الوادي بالسواتر الدفاعية، فضلاً عن هذا، بعد ما جرى الاستيلاء على المدينة،أمر إليوس هدر يانوس بجميع الخرائب العائدة لساحات الهيكل، فرميت في وادي قدرون، وأمر أيضاً بتسوية جبل موريا، حتى لايمكن تحصين المكان مرة ثانية، كما أمر أيضاً بفلاحة المدينة بالملح، وهذه الأشياء كلها بديهية بالنسبة لأي إنسان يكون في الموقع، لأن ضريح العذراء الرائعة، القائم في وادي شعفاط، ليس في قعره، لكن عند سفح جبل الزيتون، لم يكن أبداً أعلى من قعر الوادي، أو فوق وجهه، وذلك في الأيام التي كانت القدس فيها مسكونة، أي قبل التدمير، وهو الآن عميق جداً تحت الأرض، وهكذا فإن الكنيسة كلها، مع أنها كانت عالية ومقنطرة، هي الآن تحت الأرض تماماً، ومغطاة كليا، والوادي فوقها كامل الاستواء، وهكذا هناك طريق يمكن للانسان أن يمشي عليه فوق سطح الكنيسة وهناك على كل حال على وجه الأرض بناء على شكل بيعة، تدخلها، وتنزل من خلالها درجات كثيرة تحت الأرض إلى الكنيسة نفسها، وبذلك تأتي إلى ضريح العذراء الرائعة، وأعتقد أن هناك ستين درجة، والضريح قائم في وسط السدّة، أمام المذبح، وهو من الرخام ومزين بشكل رائع، ولقد دخلت إلى هذه الكنيسة، وكنت بها، ورأيت الضريح، لكن هذه الكنيسة رطبة جداً في داخلها، لأن وادي قدرون يجري تحتها، وهو مغطى بالركام الذي أشرنا إليه أعلاه، وفي أي وقت يكون هناك فيضان من مياه الأمطار، يتفجر هذا الوادي الذي مايزال يجري في القناة القديمة تحت الركام، وينبع، وبذلك يملأ الكنيسة، وهكذا تجري المياه فوق جميع الدرجات، وتتدفق من فم البيعة فوق ذروتهم، وفي أرض مقبرة الكنيسة، ليس بعيداً عن بابها، ينضح الناس من السكان المحليين الماء من بئر سماه نحميا (٢/ ١٣): «عين التنين»، وهذه العين موجودة أمام باب الوادي، أو باب الضأن، وتضاء كنيسة العذراء المباركة من الداخل بوساطة نوافذ

شرقية، تطل على جبل الزيتون، حيث من طبيعة الأرض يمكن للضوء أن يدخل من خلالهن.

وباتجاه الشرق— ليس بعيداً— أن تقول حوالي الخمسين قدماً عن باب البيعة الذي يقود إلى الكنيسة، هناك باب كنيسة أخرى، اسمها جيسماني، حيث كانت الحديقة التي دخل إليها الرب مع حوارييه، وهي قائمة على طرف الجبل، ومبنية مقابل صخرة مجوفة معلقة وناتئة من الجبل، وتحت هذه الصخرة كان الحواريون جالسين عندما قال الرب لهم: «اجلسوا ههنا حتى أمضي وأصلي هناك» [متى:٢٦/ ٣٦]، والمكان الذي جلسوا فيه مرئي في هذا اليوم، ومرئي أيضاً المكان الذي أُعتقل فيه من قبل الحشد، وحيث قام يهوذا بخيانته بوساطة قبلة، ومن الممكن رؤية طبعة جمجمته فوق الصخرة النائته، وعلامات رأسه وشعره، ويحكى بأنه عمل هذه العلامات، لدى امساكه بالصخرة، عندما اعتقله الحشد، واعرف أنه من غير الممكن استخراج غبار من هذه الصخرة، أو اقتطاع جزء منها، فلقد عملت طويلاً بوساطة أدوات حديدية، حتى أتمكن من اقتطاع شظية منها، ومع هذا فإن الطبعات المشار إليهن أعلاه من الممكن رؤيتهن بكل وضوح، وكأن الصخرة قد كانت عجيناً.

وعلى رمية حجر إلى الجنوب من جيسماني يوجد المكان الذي صلى فيه بعيداً عنهم، وأخذ عرقه يتصبب على الأرض مثل نقاط من دم، وهنا أيضاً توجد صخرة من النوع نفسه عليها أيضاً طبعات لركبتيه ويديه.

وبين هذا المكان وبين جيسماني، وفي مقابل كنيسة العذراء المباركة، يمر الطريق الذي يقود إلى جبل الزيتون، وبيت عنيا، والأردن.

وعلى أكثر من رمية حجر نحو جنوب المكان الذي صلى الرب فيه، في مقابل الهيكل، وعند سفح جبل الزيتون، في وادي شعفاط، يقوم قبر

ذلك الملك، الذي يمتلك آبدة فائقة الجمال قد بنيت فوقه.

وعند سفح جبل صهيــون، وفي مقــابـل قصر سليمان، وذلك على الجانب الغربي من وادي شعفـاط، يوجد نبع سلوان ، الذي تتـدفق منه الميـاه من خـلال أنابيب إلى البركـة العليـا، وإلى بركـة استحمام سلوان، ويكون هذا عندما يفيض النبع بالمياه، لأنه لايتدفق بشكل متواصل، بل بين آونة وأخرى.

وكل من هاتين البركتين مـوجـودتين عنـد سفح جبل صهيـون، بينه وبين حق الدم، وتصب الميـاه كذلك في هاتين البركتين من نبع جيحـون المنخفض (بركـة السلطان)، الـذي ينبع تحت حقل القصـار، وذلك على مقربة من المكان الذي وقف فيه ربشكا Rabshakeh، وجدف ضد الرب.

وعلى مقربة من هاتين البركتين، أي على مسافة لاتتجاوز رمية حجر، على طول الـوادي إلى الجنوب، يوجـــد حقـل حق الدم، وذلـك حيث يجري دفن الحجاج، وهـوالذي شري بالثلاثين قطعة فضيـة التي باع بها يهوذا الرب، ويوجـد في هذا الحقـل كثيراً من الاضرحـة ذات النفقـات العالية.

ودون البركتين وحقل حق الدم، وذلـك على الجهـة الشرقيـة منهم، يجري جدول قدرون، وذلك مع المياه التي يجلبها معه من أجزاء علوية، نذكـر منها: رامـه، وعناتا Anathoth، وضريح ملكة عبادين، ومن الممكن سماع أصـوات خـرير الميـاه الجارية عميقاً تحت كنيسـة العـذراء المباركـة، وهي تتدفق إلى هذا المكان، فضلاً عن هذا نجـد أن المياه التي تفيض من هاتين البركتين تلتحـق بها، وهكذا تتـدفق هذه الميــاه جميعـاً لتصب في وادي جيسماني، الذي عرف أيضاً بمـوضع توفت، ويوجد في هذا الوادي صخـرة زوحلت، وكـذلـك بئر روجل(عين أيوب)، حيث

أقام أدونيا حفلاً عندما حاول أن يكون ملكاً، وهناك أيضاً جرى دفن إشعيا، الذي قطع إلى نصفين قرب نبع سلوان، والموقع على بعد أكثر من رمية حجر عنه، وكل هذه الأماكن فائقة الجمال، مع حدائق ونباتات خضراء، وهي مليئة بالفواكه الجيدة، وتسقى بمياه جدول قدرون.

وفوق هذا المكان يوجد جبل العدوان، وكان في هذا الوادي حديقة، وكانوا قد اعتادوا على تعبير أولادهم هناك من خلال النار، وعبادة الأصنام.

وليكن ما قيل فيه كفاية بالنسبة لوصف الأماكن حول المدينة.

واعلم الآن أن هناك كثيراً من الأماكن المقدسة في المدينة، تحرك الانسان نحو التقوى، وهي كثيرة إلى حد أن يوماً واحداً لايكفي لزيارتها جميعاً، ومهما يكن من أمر، تحتل كنيسة الضريح المقدس المكان الأول بين جميع هذه الأماكن.

وهذه الكنيسة مستديرة، ومقاييس قطرها بين الأعمدة هو ثلاثة وسبعين قدماً، دون حساب النتوءات الخارجية، التي قياسها ثلاثين قدماً من حول سور الكنيسة، ويوجد فوق ضريح الرب، القائم في وسط الكنيسة، هناك فتحة مستديرة، وعلى هذا فإن مجمل قبو الضريح قائم في الهواء الطلق.

وإلى جوار هذه توجد كنيسة الجلجلة، وهي مستطيلة، ومتصلة بشرفة كنيسة الضريح المقدس، غير أنها منخفضة عنها بعض الشيء، لكنهما معاً قائمتان تحت سقف واحد.

وطول الكهف الذي يوجد فيه ضريح الرب ثمانية أقدام، ومثل ذلك ثمانية أقدام عرضه، وهو مغلف كلياً بالرخام في الخارج، لكنه في الداخل مجرد صخرة عارية، كما كانت أيام دفنه، والباب الذي يؤدي إلى مدخل هذا الكهف موجود من الجانب الشرقي، وهو منخفض كثيراً،

وصغير.

ويجد الانسان لدى دخوله على جهته اليمنى قبر الضريح المقدس، وذلك مقابل الجدار الشمالي، وهو من الرخام الرمادي، وعلوه ثلاثة أشبار فوق سطح الأرض المبلطة، وطوله ثمانية أقدام، ومثله مثل القبو أوالكهف نفسه القائم في داخله، مغلق من كل جانب، ولايوجد ضوء خارجي يتسرب إلى داخله، لانعدام وجود نافذة تجلب الضوء إلى الداخل، لكن هناك تسعة مصابيح معلقة فوق ضريح الرب، وهي تعطي الضوء في داخل المكان، وهناك أيضاً كهف آخر خارج هذا الكهف، له الطول نفسه والعرض والاعداد والتنظيم في كل من الخارج والداخل، ويبدو أن هذان الكهفان من الخارج كأنهما كهف واحد، لكن عندما تدخل سوف تجد أنهما منقسمان ومنفصلان في الوسط أحدهما عن الآخر، ويدخل الانسان أولاً إلى الأول، ومن ثم إلى الثاني، الذي يوجد فيه الضريح، وإلى الأول دخلت النسوة عندما قلن:«من سيدحرج هذه الصخرة لنا»الخ، وقد دحرجت هذه الصخرة نحو مواجهة الباب في الكهف الداخلي، وفي هذه الأيام قسم كبير منها ممدد أمام باب الكهف الداخلي، الذي نحوه وإلى مقابله قد دحرجت، وذلك في الوسط هناك، وقد نقل الجزء الآخر منها إلى جبل صهيون لدعم المذبح هناك، وقد رأيت هذه القطعة أيضاً هناك، في ذلك المكان.

ويبعد جبل أكرا(الجمجمة) حيث جرى صلب الرب فوقه، سبعين قدماً عن مكان الضريح، ويصعد الانسان ثمانية عشر قدماً فوق سقف الكنيسة المبلط إلى المكان الذي ثُبت فيه في الصخرة، والفتحة —أو الصدع — في هذه الصخرة نفسها التي فيها جرى تثبيت الصليب واسعة بقدر رأس إنسان، وتمتد طولياً ثمانية عشر قدماً، وذلك من مكان الصلب نزولاً حتى البلاط في الأسفل، وإلى هذا اليوم من الممكن رؤية لون دم مولانا يسوع المسيح في صدع الصخرة، وكان هذا الصدع

تحت يده اليسرى، وقد بني في هذا المكان، حيث كانت يده اليسرى ،مذبح رخامي جميل جداً، وقد رتلت هناك قداساً حول الآلام، وقرأت خبر الآلام وفقاً لرواية القديس يوحنا، في قداس جرى الاحتفال به في المكان نفسه لآلام المسيح.

وهذه البيعة مبلطة كلها بالرخام، وجدرانها مغطاة بالرخام، ومزينة بأعمال الفسيفساء من الذهب الخالص،

وعلى بعد أربعة وعشرين قدماً إلى الشرق من الجمجمة، هناك مذبح، يوجد تحته قطعة من العمود، الذي جُلد الرب عنده، وقد حملت إلى ها هنا وجلبت من بيت بيلايطس، وهي مغطاة بحجارة المذبح، إنما بطريقة يمكن بها لمسها، ورؤيتها، وتقبيلها من قبل المؤمنين، والعمود قطعة من صخرة رخامية سماقية داكنة، فيها نقاط حمراء طبيعية، يعتقد العامة أنها لطخ من دم المسيح.

ويقال بأن شطراً آخر من هذا العمود قد نقل إلى القسطنطينية.

وعلى بعد عشرة أقدام إلى الشرق من مذبح هذا العمود، ينزل الانسان أربعين درجة إلى المكان الذي وجدت فيه هيلانة الصليب.

ويوجد هنا بيعة مع مذبحين عميقاً تحت الأرض.

ويبدو لي أن المكان الذي استخرج منه الصليب قد كان واحداً من خنادق المدينة، فيه كانت ترمى الصلبان، بعد إنزال الأجساد عنها، وفيه أيضاً كانت ترمى جميع فضلات المدينة التي تراكمت فوق الصلبان، وبقي الأمر كذلك حتى جاءت هيلانة فنظفت المكان ووجدت الصليب، لأن مكان الآلام كان على مقربة من المدينة، وكانت هناك حديقة في ذلك المكان.

هذا وإن المكان الذي وقفت فيه العذراء المباركة على مقربة من

الصليب مع المرأتين الأخرتين، لم يكن ذراع الصليب في جهة الشمال، بل أمام وجه ابنها في الجهة الغربية، أو قريب من هناك، والمكان الذي وقفت فيه أمام وجه ابنها، وهو معلق فوق الصليب، مرئي عند سفح الجبل مع الصخرة التي جرى تثبيت الصليب عليها، وهو مبجل من قبل المؤمنين، وغالباً ما رأيت هذا المكان، فضلاً عن هذا، عندما كان المسيح معلقاً فوق الصليب أدار وجهه نحو الغرب،وليس نحو الشرق، كما ذهب بعضهم إلى القول، وهذا واضح لأن مجرى السيل الذي تقدم ذكره، والذي خدم بمثابة خندق للمدينة على الجهة الغربية، كان خلف الصليب، وقد ألقي الصليب فيه، وفيما بعد تم العثور عليه هناك حسبما تقدم القول.

وهناك عدد كبير من المذابح المزينة في هذه الكنيسة.

وقبل الباب الغربي لهذه الكنيسة، يوجد المكان، الذي صلت فيه مريم المصرية أمام تمثال العذراء المباركة، وذلك بعدما حاولت دخول الكنيسة، فدفعت بشكل اعجازي ولم تمكن من الدخول إليها، ثم تمت تعزيتها باستجابة العذراء المباركة لصلواتها.

وبالذهاب من هناك نحو برج داود وجبل صهيون، يوجد المكان الذي قتل فيه صبراً القديس جيمس من قبل هيرود أغريبا، وذلك حيث المكان الذي سخر فيه اليهود من المسيح، وأيضاً المكان الذي سجنوه فيه حتى الصباح، وهو المكان صار يعرف باسم سجن الرب، وعلى رمية حجر من هذا المكان يوجد الموضع الذي انتقلت إليه مريم العذراء المباركة وسكنت فيه طوال المدة التي عاشتها، بعد صعود الرب إلى السماء، وعلى مقربة من هذا المكان الذي القاعة الكبرى للعشاء، حيث تعشى الرب مع حوارييه، وغسل أقدامهم، وأعطاهم جسده ودمه، وظهر لهم مرات عديدة بعد قيامته، وحيث جرى اختيار متى رسولاً من قبل الجميع، وحيث نزل الروح القدس، وتم أيضاً صنع أشياء

رائعة كثيرة.

واعلم أن مدينة القـدس قائمة فوق أرض عظيمـة الارتفاع، يمكنك منهـا رؤية جميع العـربية، وجبل عبريم، ونبـو، وبسغـة، وسهل الأردن، وأريحا، والبحر الميت، حتى البتراء في الفيافي، وأنا لم أشهد قط أية مدينة أو مكان، امتلك مشهـداً أجمل، ويمضي الانسـان صعـوداً إليهـا من كل جهة، لأنها قـائمة فـوق البقعة الأعلى في البـلاد، وذلك باستثناء شيلوه، الموجودة على بعد فرسخين من هناك.

وبالنسبـة لحجم المدينة المقـدسـة، عليك أن تعـرف، أن قيـاس محيط المدينة حـــوالي ثـلاث وثلاثين غلوة، وذلك مـن دون حســـاب جبل صهيون، فهذ ا ما ذكره يوسفيوس، أما هي كلها مع جبل صهيون: فإن السور الخارجي— أي أن تقـول السور الثالـث، أيضاً تبعاً ليـوسفيوس نفسه— فيـه تسعين برجاً، ويقع كل برج على مسافـة مائتي ذراع— أي أربعمائـة قدم— مما يجعل بين كل بـرج وبرج مسافـة ستين خطوة، وإذا ضربنا هذه الستين خطوة بـالتسعين برجـاً، فإن النتيجـة سـوف تكون خمسـة آلاف وأربعمائـة خطوة، وتشكل هذه إطار الدائـرة حـول المدينة، وإذا حسبنا الآن أن خمسمائـــة خطوة وخمس وعشرين خطوة تســـاوي غلوة، فإننا إذا قسمنا خمسـة آلاف وأربعمائة على مـائة وخمس وعشرين، فإن المحصلة هي أربعين غلوة، وهذه تسـاوي خمسـة أميـال، فهذا كـان محيط المدينة في أيام تدميرها من قبل الرومان، حسبما أخبرنا يوسفيوس، لكن منذ ذلك الوقت قـام المسيحيـون بتـوسعـة المدينة، وأدخلوا مكان ضريح الرب إلى داخل الأسوار، وقـال اللورد المبجل الأب جيمس دي فيتري، بطريرك القدس في كتـابه حول الاستيلاء على الارض المقـدسة، بين أشياء وقضايا أخرى: «غالباً ماذكر، وعلينا أن نذكر دوماً، أن المدينة قائمة كلها فوق جبل مرتفع، وهي محاطة من جميع الجوانب بسور قوي، وهي ليست منزعجة بضيق المساحة الشديد، ومثل هذا ليست مضطربة

بسبب وجود فائض بالحجم، فمقاسها أربع رميات سهم من السور إلى السور المقابل، وتمتلك على الجهة الغربية حصنا قد بني بالحجارة المربعة، وهذه الحجارة ملتصقة مع بعضها بعضاً بشكل غير قابل للكسر، وجاء ذلك بوساطة الملاط والرصاص، ويقوم هذا الحصن من أحد الجوانب بدور سور المدينة، وهو يعرف باسم حصن برج داوود، وهو الذي يسميه بعضهم باسم برج أنطوني، وهناك على جانبه الجنوبي جبل صهيون، وذلك حيث بنى داود لنفسه بيتاً، وحيث أيضاً جرى دفنه مع الملوك الآخرين، وهو الذي أطلق عليها اسم مدينة داوود، غير أن جبل أكرا، الذي صلب فوقه الرب، قد قام خارج أسوار المدينة، على الجانب الغربي، وتولى على كل حال إيليوس هدريانوس إعادة بناء المدينة التي هدمها تيتوس وفسبسيان، وقد وسعها كثيراً، بحيث أنها شملت موضع الصلب والضريح، وباتت هذه الأماكن داخل إطار الأسوار، ومع هذا بقي الشكل العام كما كان من قبل»، وبهذا أكون قد فرغت من اقتباس كلمات اللورد جيمس.

ودعونا الآن نتولى وصف أبوابها، ووصف الجبال المحيطة بها، مع أهم أماكنها البارزة:

وكان أول أبوابها هو باب داوود، وهو الباب الذي كان موجوداً في الجهة الغربية لجبل صهيون، وذلك حيث توجد قرنة المدينة التحتا، في مقابل برج داوود، عند المكان الذي يتشعب فيه مجريا السيل، وينفصل أحدهما عن الآخر، حيث اتجه أولهما نحو الشمال، واتجه الآخر نحو الشرق، وكان هناك بناء مقنطر قبل الباب، إنما على الجانب الأقصى من الوادي، الذي من خلاله كان الطريق يقود الى خارج المدينة، وعلى الجانب الأيمن لهذا البناء المقنطر شنق يهوذا نفسه على شجرة جميز، وكان هذا الباب يعرف باسم باب السمك، لأن من خلاله يمر الطريق من يافا واللد، وشاطىء البحر، الذي اعتادوا على جلب السمك عبره،

وعرف هذا البـاب أيضاً باسم باب التجـار، لأن من خلاله مـرّ الطريق إلى بيت لحم، وحبرون، وغزة، ومصر وإثيوبيا، كما أطلق عليه اسم باب داوود، لأن برج داوود مشرف عليه، وكذلك مدينة داوود مطلة عليه.

وكان البـاب الثاني الذي تلا في التعداد موجـوداً في الجانب نفسه من السور — أي أنه متجـه نحو الغرب — غير أنه كان على مسـافة ضئيلة إلى الشمال من الأول، وقد عـرف باسم الباب القديم،لأنه كان مـوجوداً هناك منذ أيام اليبوسيين، وكان يطلق أيضـاً عليه اسم باب القضاء،لأن أحكام القضـاء كانت تصـدر أمامـه، وبعد إصدار الأحكـام كان يجري تنفيذها خـارج هذا الباب، وخارج هذا البـاب جرى صلب الرب، لأن البـلاط، أو موضع القضـاء، في داخل سـور المدينة القديم، وفي السـور الجديد الذي أحاط بضريح الرب بالسور الجديد، واسم هذا الباب الآن باب القـديس اسطفـان، حيث أن هناك باباً جـديـداً حل محل القـديم، وأطلق عليـه الاسـم نفسـه، وهو يقـود إلى شيلـوه وبيت حـورون، وجبعون.

ويقوم البـاب الثالث إلى الشمال من هذا، ويدعى باسـم باب إفرايم، لأن الطريق إلى جبل إفـرايم يمـر مـن خـلاله، وعند هذا البـاب يلتقي السور الجديـد الذي بنيٰ للإحاطة بضريح الرب، لأنه رجم خـارج هذا الباب، وهو يقود إلى: شكيم، والسامرة، والجليل.

ويقوم الباب الرابع إلى الشرق من هذا الباب، وهو موجود عند قرنة المدينة فـوق جدول قـدرون، واسمـه باب الزاوية، ويدعى أيضـاً باسم باب بنيامين، لأن من خـلاله يمر الطريق إلى عناتـا وبيت إيل، والقفار، والمدن الأخرى القائمة في ديار(سبط) بنيامين.

وكان البـاب الخامس قائماً إلى الجنوب مـن هذا الباب، وكـان اسمه باب تلة الروث، أو بـاب الروث، وهو قـائـم فـوق جـدول قـدرون،

والطريق مـن خـلاله يقـود إلى الصحـراء، ولم يكن هذا البـاب كثير الاستخدام، بسبب أن الأماكن التي يقود إليها كانت غير حضارية.

ومثل هذا كـان البـاب السـادس إلى الجنوب من هذا البـاب، وكـان اسمـه بـاب الضأن، لأن الأغنام التي كـانت تستخـدم للأضـاحي في الهيكل، كانت تسـاق من خلاله، وذلك بسبب وجـود بركة الضأن على مقـربة منه، وكـان يعـرف أيضاً باسم بـاب الوادي، بسبب أن الطريق الذي يمر من خـلاله يقود إلى وادي شعفـاط، وضريح العذراء المبـاركة قائم على بعد رمية حجر عنه، وكان يشرف عليه البرج الذي اسمه برج فاسيلوس، الذي بني من قبل الملك هيرود، وعرف أيضاً باسم باب بئر التنين، لأن في خارجـه كان هناك بئر اسمـه بئر التنين، ويمضي الانسان عبر هذا الطريق إلى بيت عنيا، وإلى جبل الزيتون، وإلى الأردن.

والباب السـابع قائم أيضاً إلى الجنوب من هذا الباب، ويعـرف أيضاً باسم البـاب الـذهبي، وهو قـائم فـوق جـدول قـدرون، غير أنه كـان موجوداً في ساحـة الهيكل، لكن انتبه أن هذا لم يكن باباً للمدينة، بل باباً للهيكل، وعلى كل حـال يمر من خـلاله طريق يقـود بانقطاع قصير من جبل الزيتـون على الطرف الأقصى لوادي شعفـاط، يمـر من خـلال قنطرة، وفي داخله كـان باب الهيكل الـذي عـرف باسم البـاب الجميل، ومن هذا الباب هناك طريق يقود إلى بيت عنيا، وأريحا والأردن.

وكان البـاب الثامن إلى الجنوب من هذا الباب الذي قام فـوقه، وهو كان قـائماً في الوادي فوق جدول قـدرون، فيما بين جبل صهيون، وجبل الهيكل، وكـان اسمه باب نبع سلـوان، أو باب الماء، لأنه كان يقـود إلى نبع وبركـة سلوان لـلاستحمام، ووادي جهنم، وحق الدم، وحـديقـة الملك، وعلي أن أميل إلى الاعتقـاد أن هذا كـان بـاب الروث، وليس البـاب المتقدم ذكـره، وذلك بسبب وضعـه، كما أنني لاأعتقد أنه وجـد المزيد من الأبـواب في القـدس، لأنه من خـلال وضـع المدينة، لم تكن

هناك حاجة إلى المزيد منهم حول جبل صهيون كله، وإذا كان قد توفرت الحاجة إلى باب، لم يكن من الممكن امتلاك باب هناك،لأن شكل الأرض التي هي شديدة الميلان من كل جانب، تحول دون ذلك.

وكانت الجبال من حول القدس كمايلي:

كان هناك إلى الشرق من المدينة جبل الزيتون، المشرف عليها، ذلك أنه أكبر وأعلى من الجبال الأخرى، الموجودة من حولها، وقد بنيت على قمته كنيسة، فوق المكان الذي صعد منه الرب إلى السماء، وهذا المكان في وسط الكنيسة، وفوقه توجد فتحة، حيث يبقى الفراغ الهوائي الذي من خلاله صعد مفتوحاً أيضاً، وصحيح أن الصخرة التي وقف عليها أثناء صعوده، والتي تحتوي على طبعات قدميه، قد وضعت هناك للذكرى، أيضاً إن هذه الصخرة قد وضعت بقصد إغلاق الباب الشرقي، لكن من دون ملاط، لذلك يمكن للانسان أن يضع يده بسهولة، ويلمس طبعات القدمين، غير أنه يستطيع رؤيتهم، ويوجد على الجهة الجنوبية بيعة متصلة بهذه الكنيسة، حيث دفنت في داخل كهف هناك بيليجيا، التي كانت محظية معروفة، عليها أضفى الرب مراراً نعمة المغفرة، وجعلها مثلاً للمذنبات، ولقد قيل بأن ما من إنسان يعيش مع ذنب عظيم يمكنه أن يمر فيما بين ضريحها وبين السور بجانبها، لكنني لاأعرف مدى صحة هذا، فلقد رأيت كثيرين يمرون من هناك.

ويوجد على هذا الجبل نفسه، على أقل من رمية حجر نحو الجنوب، كنيسة أخرى، اسمها بيت الخبز، فهناك علّم الرب حوارييه الصلاة، وكتب صلاة الرب على صخرة هناك.

وجبل العدوان مجاور لجبل الزيتون في الجنوب، وهو مرتفع إلى حد ما، والجبلان منفصلان عن بعضهما بوساطة واد قائم بينهما، وأطلق عليه اسم جبل العدوان بسبب أن سليمان أنشأ هناك هيكلاً لمردوخ

Moloch في مواجهة الهيكل، وبذلك أثار غضب الرب.

وعند سفحه في الجهة الجنوبيــة، يوجد موضع توفت، أو جهنم Ge-hinnon وإلى الجنوب الشرقي من المدينة يقـــوم حقل حق الدم، مع جبل مـرتفع جداً فـوقـه، يدعى بالاسم نفســه، وهو يغطي تقريبـاً جميع الطريق الممتد في مقابل الجانب الجنوبي من المدينة.

وحقل القصار متصل بهذا الحقل من الجهة الغرية، ويوجد فوقه جبل يساوي بالارتفاع الجبل المتقدم الذكر.

ويوجـد على الجهـة الغـربيـة من المدينـة جبل جيحـون، وهو متصل بحقل القصار، هذا ويمـر بينهما الطريق القادم من باب داوود، ويشرف جبل جيحون هذا على الطـرف الغربي من المدينة، لكن ارتفاعـه يتناقص بالتدريج، حتى يصبح في مقابل الباب القديم ليس كبير الارتفاع.

وعلى كل حال، الأرض باتجاه الغرب والشمال هضبية، وذلك امتداداً حتى ضريح هيـلانة، القائم في مـواجهة باب بنيـامين، الذي يتجه نحـو جدول قدرون ويشرف عليه.

وعبر جدول قدرون، في الجهـة الشمالية من جبل الزيتون، هناك جبل آخر، هو أيضـاً مرتفع جداً مثله مثل جبل الزيتـون، وهو على بعد أربع غلوات عـن القـــدس، وهناك بنى سليمان هيكـلاً لشمش، وهـو وثن المآبيين، وقـد بني عليـه في أيام المكابيين والـرومـان قلعـة، انزعج منهـا سكان القدس وغضبوا كثيراً، وماتزال آثارها هناك حتى هذا اليوم.

وهذه الجبـال جميعاًعلى مقـربة من أسـوار المدينة، لكن ليس كثيراً إلى حد يمكن فيه الهجوم على المدينة منهم بوساطة الآلات الحربية.

وليكن الذيَ قلناه عن وضع القدس، فيـه كفاية، وكذلك عن أبوابها وعن الجبال التي من حـولها، ودعونا نلتفت عـائدين إلى وصف المتبقي

من البلاد.

٩ — وعلى بعد فرسخين نحو الشمال — الغربي للقدس يوجد جبل شيلوه[سيلون]، الذي اسمه الآن جبل القديس صموئيل، وهو أعلى الجبال في الأرض المقدسة، وقمته أعلى من قممهم جميعاً، وهو على بعد أكثر من فرسخ من جبعة شاؤول، وأقام هنا لمدة طويلة تابوه الرب، وخيمة العهد، أي العهد الذي عمله موسى في القفار.

وعلى بعد فرسخ من هناك توجد جبعة[الجيب]، وهي مدينة بنيامين، وهي قائمة على الجبل نفسه، وعلى هذا كان مقدّم الأماكن المرتفعة قد وجد — كما قيل — هناك، وقد أرسل أهل هذه المدينة رسلاً إلى يوشع في الجلجال، وأقاموا سلماً معه بالبراعة، حيث تظاهروا بأنهم كانوا يسكنون في بلاد نائية.

وعلى بعد أربعة فراسخ إلى الغرب من القدس، توجد عمواس، حيث سار الرب مع الحواريين كغرباء، وصار معروفاًبالنسبة لهم عن طريق كسر الخبز، واسمها الآن نيكوبولس Nicopolis .

وعلى بعد ثلاثة فراسخ إلى الغرب من القدس، وعند سفح جبل شيلوه، توجد بيت حورون التحتا(بيت عور التحتا)، التي ورد ذكرها في سفر المكابيين(الأول:٧/ ٣٩).

وعلى بعد أربعة فراسخ ونصف الفرسخ إلى الغرب من القدس، وعلى الطريق إلى اللد، توجد قرية بيت جيريم(عرما)، التي كانت إحدى مدن الجبعونيين، حيث أقام التابوه لمدة عشرين سنة، بعدما أخذ إلى بلاد الفلسطينيين، وفي الغرب من قرية جيريم توجد لكش(تل الحسي)، التي كانت أيضاً إحدى مدن الجبعونيين، وقد حوصرت من قبل سنحريب في أيام حزقيال.

وعلى بعد فرسخين إلى الجنوب، أو ما يقارب ذلك، من قرية بيت

جيريم، توجـد بلدة بيت شمش، التي علينا أن نميزها عن الأخرى الموجـودة في ديار سبط نفتـالي، والتي عـرفت باسم بيت شمش اليهودية[عين شمش]، مع أنها في الحقيقة، قد كانت في ديار سبط دان.

وإلى الحقل العائد لتلك البلدة تولت البقرتان الحلوبان جر العجلة التي كان عليهـا تابوت الرب، وذلك عندما كـان أهالي بيت شمس يحصدون موسم الحنطة في الوادي، وقد مات سبعون ألفاً من الناس، لأنهم رأوا تابوت الرب مكشوفاً.

وعلى عشرة فراسخ من القدس توجد راماثيم زوفيم(الرملة)، التي كانت جزئياً في ديار سبط بنيامين، وجزئياً في ديار سبط إفرايم، وهي قائمة فوق جبل إفرايم، وبناء عليه أطلق هذا الاسم على السهل، ومهما يكن من أمر، هو ليس جبلاً بل سهلاً، وقد عرفت باسم أريمثا Ar-imathea ، فمنهـا جاء يوسف المستشـار الشريف، الذي تولى دفن الرب، وكان النبي صموئيل قد ولد هنا ودفن أيضاً هنا، وهي تعرف في هذه الأيام باسم الرملة.

وعلى بعد ثلاثة فراسخ إلى الغرب من الرملة تقوم مدينةيافا، التي منها ذهب يونه على ظهر سفينة إلى ترشيش، أي إلى جزائر البحر، منذ حضور الرب.

ودون يافا توجد يبنا، التي هي ميناء آخر لليهودية على بعد فرسخين، نحو الجنوب، وقد استولى يهوذا المكابي على هذا الميناء وأحرقه.

وعلى بعد فرسخين إلى الجنوب من القدس توجد بيت لحم، المدينة التي تشرفت بميلاد داوود الحقيقي، وهي قائمة على جهة يسار الطريق الذي يقود إلى حبرون، إنما على بعد رمية سهم عن الطريق، وقبل هذا، يصل الانسان — على كل حال — إلى ضريح راحيل، على جهة اليمين لطرف الطريق، وهناك في مقابل بيت لحم برج عدر، أو القطعان، حيث

أقـام يعقوب لبعض الوقت، وأطعم قطعـانه بعد وفـاة راحيل، وفي هذا المكان، عندما كان الرعاة أيضـاً يحرسون قطيعهم خلال الليل، في ساعة ميـلاد المسيح، رأوا الملائكة وسمعـوهم وهم يغنون«المجـد للرب في الأعالي»، وكانوا يبشرون بميلاد المخلص.

وتقـوم بيت لحم فـوق جبل، هو مـرتفـع بعض الشيء، لكنه ضيق، ويمتـد من الشرق إلى الغـرب، ولها باب على الجانـب الغـربي، ويوجـد هناك على مقـربة من البـاب البئر الذي تشـوق داوود إلى الشرب منه، عندما كان محاصراً هناك.

ويوجـد عند النهاية الشرقيـة للمـدينة، تحت الصخرة القـائمة قـرب سـور المدينة، مـابدا — تبعـاً لعـادات تلـك البـلاد — مكاناً جـرى استخـدامـه بمثـابة اسطبل، تمّ نحت معلفـه بـالصخـر، وذلك حسب عـادات تلك المناطق، وولد يسـوع المسيح، شمس العـدالة المشرقـة على الدنيـا، من أم عـذراء، وباختيـاره لمثل هذا المكان القـذر، لأن يلد فيـه، ولأن يشرق منه، أظهر بميلاده بأنه سوف يزيل قذارة العالم وظلامه.

وعلى مقـربة من تلك الصخرة المتقـدمة الذكـر، توجد صخـرة أكبر، وذلك على بعـد أربعـة أقـدام عنها، كـان تحتهـا المعلف الذي مـدد فيـه الطفل الحلو، المولود حـديثاً، أمام الثـور والأتان، وهو ملفوف بـأقمشة بالية، هذا ويبـدو لي من المؤكد أنه كان هناك في البداية صخـرة واحدة، لكن جرى فتح طريق في وسط الصخـرة، من خلاله يذهب الانسان إلى سدّة هـذه البيعة، ويذهب الانسـان من الكنيسة إلى مكان ميـلاد الأكثر حلاوة بالنزول بالدرجات، وذلك لأسبـاب جرى شرحها أعلاه، وهذه البيعة مغطاة بأكملها بأعمال الفسيفساء، ومبلطة بالرخام، وبنيت بسخاء كبير، وفوق المكان الذي ولدت فيـه العذراء المبـاركة، من الممكن تلاوة قـداس هناك، فـوق لوح من الرخـام ممـدد هناك، ومن الممكن أن يرى الانسان هناك الصخـرة العارية التي ولد عليهـا المسيح، ومثل هذا ترك

جزء من المعلف، الذي ولد فيه المسيح، غير مغطى، ويجري تقبيل هذين المكانين بتقوى عظيمة من قبل المؤمنين، ومررت في إحدى الليالي بهذين المكانين، وتوليت تقبيل المكان الأول ثم المكان الآخر، وأنا لم أشاهد، أو سمعت أحداً قط يقول بأنه رأى كنيسة أكثر قداسة من هذه في أي مكان في العالم، ويوجد هناك أربعة صفوف من الأعمدة تستحق الاعجاب، ليس فقط بسبب عددها، بل بسبب حجمها الرائع، فضلاً عن هذا، فإن صحن الكنيسة كله الموجود فوق الأعمدة حتى السقف، مزين بأجمل أعمال الفسيفساء[حيث عرض فيها جميع أحداث التاريخ منذ خلق الدنيا حتى قدوم الرب إلى يوم الحساب]، ومثل هذا فإن الكنيسة كلها مبلطة برخام من مختلف الألوان، وهي مزينة برسوم تحتوي جميع أحداث التاريخ منذ خلق الدنيا حتى قدوم الرب يوم الحساب، وقال رجل بأن تكاليف هذه الرسوم لايمكن تقديرها، ويمكن للانسان أن يكتب أشياء تفوق التصور حول عمل هذه الكنيسة، ويجل المسلمون جميع الكنائس المكرسة للعذراء المباركة، لكنهم يجلون هذه الكنيسة فوق الجميع، ورأيت في هذه الكنيسة معجزة تستحق الذكر، فعندما رأى السلطان التزيينات الثمينة جداً، وألواح الرخام وأعمدة الكنيسة، أمر بنزعهم جميعاً وحملهم إلى القاهرة، ذلك أنه رغب ببناء قصر بهم لنفسه، وياللمعجزة، فعندما جاء العمال مع أدواتهم، وكان السلطان نفسه مع آخرين كثر واقفاً هناك يراقب، خرج من الجدار السليم الأصم، الذي لايمكن للإبرة أن تخرقه، ثعبان بحجم هائل، وقام بعض أول لوح وصل إليه، فتحطم اللوح، وفعل الشيء نفسه باللوح الثاني، ثم بالثالث فالرابع، حتى الثلاثة عشر، وقد ألم بالألواح جميعاً الشيء نفسه، واستولت الدهشة على الجميع، فأقلع السلطان نفسه مباشرة وتخلى عما نواه، وهنا اختفى الثعبان، وهكذا بقيت الكنيسة، ومازالت باقية حتى هذا اليوم، كما كانت من قبل، ومع هذا من الممكن رؤية بعض آثار جسد الثعبان حتى هذا اليوم على كل

لوح مرّ عليـه، فقد بدت الألواح وكأنها قـد أحرقت بالنـار، وفوق هذا كله يبـدو أنه أمر خـارق، كيف تمكن هذا الثعبـان من النفاذ من خـلال الجدار، الذي هو ناعم وملمع كأنه زجاج.

وعند البـاب الشمالي لهذه الكنيسـة هناك دير مغلق للرهبـان، وذلك حيث يوجـد بئر القـديس جيروم، وفـراشـه، وضريحه، وغرفـة المخـزن العـائـد للدير، الذي نقرأ بـأن القديس جيروم كـان رئيسـه، ويمكن أن يرى على الجانب الجنوبي للسـدة مكـاناً — كما قيل — جـرى فيـه قتل شطر كبير من الأبرياء ودفنهم.

وعلى بعد حوالي رمية حجر إلى الشرق من هذه الكنيسة هناك كنيسة القديستين: باولا، ويوستوخيوم، وهناك أيضاً ضريحهما.

وعلى بعد نصف فـرسخ إلى الغرب من بيت لحم توجد قـرية اسمها بزق Bezek التي فيها وفرة من النبيذ الفاخر، الذي لايمكن أن تجد أفضل منه في البـلاد، والنـاس في هذه القـرية مسيحيين جميعـاً، وهم يتولون العناية بكرومهم وبكروم قـرى جيرانهم في وادي رفائيم، وذلك حتى جدول أشكول،[العدد:١٣/ ٢٤]، وقد تسلموا من السلطان امتياز السكنى هناك والعناية بهم، ومنهم يدفعون إلى السلطان مبلغاً كبيراً.

وعلى بعـد ستة فـراسخ شرقي بيت لحم، على شـاطىء البحـر الميت، يوجد جبل عين الجدي الذي تقدم وصفه أعلاه.

وعلى بعـد ثلاثة فـراسخ إلى الجنوب من عين الجدي، توجـد هضبـة أخيـلا Achila وهي التي عـرفت فيها بعـد باسم مسعـده، وذلك عندما بنى هيرود هناك قلعـة لاترام، ويحكى أنه هناك أقام داوود مختبئاً، عندما هرب من أمام شاؤول.

وعلى بعد فرسخين عن بيت لحم، وباتجاه أخيـلا، توجد مدينة تقوع، وهي قائمة فـوق جبل، وهذه كانت مدينة النبي عـاموس، الذي جرى

دفنه هناك أيضاً، وعـاموس هو الذي ضربه آحـازيا ملك القدس، أثناء الليل، ضربة على صدغيه وقتله.

وبجوار هذه المدينة، توجد قفار تقوع.

وفيما بين تقــوع وعين الجدي يمتـد وادي بـريكوت، حيث تحارب يهوشافاط، ملك اليهودية مع الأدوميين، وبني عمون، وهزمهم.

وعلى بعد فرسخ عن هناك، تـوجد قلعة بنيت من قبل هيرود الكبير، واسمهـا هيروديـوم[عند جبل الفـريديـس]، وهي قـائمــة فـوق أرض مرتفعة، وفيها — تبعاً ليوسفيوس — جرى دفن هيرود نفسه.

وعلى خمسة فـراسـخ إلى الجنوب الشرقي من تقـوع، توجـد مـدينة الزيف[تل الزيـف]، وذلك قـرب قفـار تحمل الاسم نفسـه، فهناك — حسبما قرأنا — أقام داوود مختبئاً.

وبجـوار هذه المدينة، في جهة اليمين، تـوجد قفـار[تل] معين، وذلك حيث يوجــد جبل الكرمل، وأيضـاً حيث سكن نـابال الكرملي، الذي طرد رسل داوود.

وبجــوار قفـــار معين، في جهـة الجنـوب، هناك بلاد أمـــالك Am-alek ، وفي مقابل لسان للبحر الميت، توجد قادش بارينا(القفار)، التي منها أرسل موسى اثني عشر جاسوساً.

وعلى بعد ثلاثة فراسخ إلى الجنوب من بيت لحم، على الطريق الذي يقـود إلى حبرون، يوجـد بيت — حكريم Haccerem، وهي قرية قائمة فوق بقعة مرتفعـة، وبجوارها في الجنوب هناك قرية أخرى اسمها رامة(رامـة الخليل،) وهي على درجة عظيمـة من الارتفاع، وقـد وقفت هناك فوق رابيـة عاليـة مع كثير من المرافقين، ورأيت جميع بلاد العـربية حتى جبل سعير، وجميع الأمـــاكن الموجــودة من حـول البحــر الميت،

وكـذلك جميع مخابىء داوود، وأيضاً الأردن حتى شطيم(عـدد:٢٥/ ١)، وجبل عبريم، ورأيت باتجاه الغرب جميع شاطىء البحر المتوسط من يافا إلى غزة، وبير السبع، حتى فيـافي شور Shur ، وزيادة على هذا جميع بلاد الفلسطينيين من الرملة مروراً بغث Gath ، وعقرون، وأشدود، ويبنا وعسقـلان، مع جميع السهل الموجـود عند سفـح المنطقـة التليـة لليهودية.

وعلى بعد أكثر من فرسخ مـن رامه، وعلى جهة اليمين، قرب الطريق السلطاني العام الذي يقود إلى حبرون، توجد ممرا، حيث سكن إبراهيم لمدة طويلة، وحيث عندما جلس أمام بيت خيمته إلى جانب بلوطة ممرا، رأى الرجال الثلاثة واقفين إلى جانبـه، وهكذا نجد حسبما قرأنا في سفر التكوين، بأن شجـرة البلوط مـاتزال مـرئية حتى هذا اليـوم، أمـام باب خيمـة إبراهيم، وعلى كل حال، لقـد ماتت الشجـرة القديمـة، ونبع من جذورها شجرة بلوط جديدة.

وعلى بعد نصف فرسخ من بلوطة ممرا، وعلى جهة اليمين، إلى جانب الطريق، تـوجـد حبرون، وهي المدينة القـديمـة، التي عـرفت مـرة باسم«قرية أربعة»، فهناك حكم داوود لمدة سبع سنوات، وكـانت قائمة فـوق يمين جبل مرتفع، وحصين، لكنهـا الآن مـدمرة كليـاً، وخرائبهـا كثيرة، ويبدو أنها كانت مدينة جليلة!.

وعلى بعد رمية سهم جنوبي هذه المدينة، توجد حبرون الجديدة، وقد بنيت فـوق المكان الذي كـان فيـه الكهف المزدوج، المدفـون فيـه: آدم ، وحـواء، وإبراهيم، وسارا، واسحق، ورفقـة ويعقـوب، وليه، وقـد بنى المسلمـون حصناً قوياً جـداً حـول الكهف المزدوج هذا، وفي داخل هذا الحصن هناك الكنيسـة الكاتدرائيـة، ولقـد رأيت في أسـوارها حجـارة مقياس كل منهـا ستة وعشرين، وثمانية وعشرين، وثلاثين قـدماً، وأنا لم أشاهد مكاناً بمثل هذه الحصـانة، قد بني فوق أرض مسطحـة بلا ماء،

ولقد زرت قبور الآباء هناك، وأمضيت ليلة في ذلك المكان.

وعلى بعد رمية سهم إلى الغرب من الكهف المزدوج، يوجد حقل دمشق، الذي من ترابه جرى تشكيل آدم، وفي الحقيقة التربة في هذا الحقل شديدة الحمرة، ومن الممكن قولبتها مثل الشمع، وقد أخذت منها كمية كبيرة معي، ومثل ذلك يفعل الحجاج الآخرون والمسيحيون الذين يزورون هذه الأماكن، فضلاً عن هذا يحمل المسلمون هذه التربة على ظهور الجمال إلى مصر، وأثيوبيا، والهند، وأماكن أخرى، ويبيعونها مقابل توابل ثمينة، ومع هذا يبدو هناك أن كل ما حفر هو مجرد حفرة صغيرة في ذلك المكان، ويقال إنه مع نهاية السنة، قد تكون حفرة كبيرة قد حفرت، نجدها قد امتلأت بشكل إعجازي ثانية، ولقد نسيت أن أبحث عن مصداقية هذا الأمر، والذي يمكنني قوله هو هذا فقط: فعندما كنت هناك، كانت الحفرة حفرة صغيرة، إلى حد أنه كان من الصعب لأربعة رجال الجلوس فيها، ولم تكن أعمق من حد الوصول إلى كتفي، ويقال بأن ما من حيوان يهاجم أو يعتدي على الذي يحمل أياً من هذه التربة، وأنها تحمي الانسان من السقوط، وهذا الوادي القائم في مقابل حبرون خصب جداً وجميل.

وعلى بعد رمية سهم إلى الجنوب من المكان الذي تحفر فيه الأرض، يوجد الموضع الذي قتل فيه قابيل أخاه هابيل، وكذلك على بعد رميتي سهم إلى الغرب من المكان الذي تحفر به الأرض، وعلى رابية على طرف حبرون، هناك كهف في الصخور، هو المكان الذي بكى فيه آدم وحواء على ابنهما هابيل لمدة مائة سنة، ففي الكهف يوجد فراشهما حتى هذا اليوم، ونبع ماء في داخل الكهف، منه كانا يشربان.

وعلى بعد فرسخين إلى الجنوب من حبرون توجد دبير Debir (عند الظاهرية) أو قرية سفر، أي مدينة كتاب، التي استولى عليها عثنئيل بن قناز أخو كالب، فأعطاه عكسة ابنته زوجة(يشوع: ١٥/ ١٥ — ١٧).

وعلى بعد فرسخين إلى الشمال من حبرون، توجد نيل[ناحال]إشكول، التي معناها جدول العنقود، أو وادي الدموع، الذي منه جلب الجواسيس الغصن مع عنقود واحد من العنب، وقد حملوه بين اثنين على عصا،[العدد:١٣/ ٢٣].

وعلى بعد نصف فرسخ إلى اليسار من هذا الوادي، يجري الجدول[عين حنينا]، الذي عمّد فيه فيليب الخصي.

وعلى بعد أربعة فراسخ من نيل إشكول، باتجاه القدس، يوجد بيت زكريا[عين كارم]، الذي دخلته العذراء المباركة، حيث حيّت هناك ايزابل، وهناك أيضاً ولد القديس يوحنا المعمدان.

وعلى بعد فرسخين إلى الشمال من هذا البيت توجد بيت نوبة، وهي مدينة الكهنة، ففيها أعطى الكاهن أبيمالك إلى داوود سيف جالوت صاحب غث Gath .

وعلى بعد أكثر من فرسخ عن بيت لحم، على الطريق الذي يقود إلى تقوع، يوجد ضريح القديس كريوث Karioth (القديس شارتون)، راعي دير(خريتون) وذلك مع رهبانه، الذين فارقوا الحياة جميعاً معه، وقد اعتادت حشود من الناس على زيارة هذا المكان.

هنا بداية القسم الأول من الربع الجنوبي

١٠ — ويبدأ القسم الأول من الربع الجنوبي من هنا، مثله في ذلك مثل بقية الأقسام، ونجد أولاً أنه على بعد أربعة فراسخ عن عكا، تأتي مدينة حيفا، وذلك عند سفح جبل الكرمل.

وعلى بعد أربعة فراسخ إلى الجنوب من حيفا توجد قلعة الحجاج(عثليت) وهي بأيدي فرسان الداوية، وهي من أكثر الأماكن حصانة بين جميع الأماكن التي استولى عليها الصليبيون، فهي قائمة في

قلب البحر، ومحاطة بأسوار، ودفاعات أخرى مثل السواتر الحصينة والشرافات والأبراج، حتى أن العالم كله قد يعجز عن الاستيلاء عليها.

وعلى بعد فرسخ عن حيفا، على جهة اليسار للطريق إلى عثليت، وفوق جبل الكرمل، يوجد كهف إيليا ومسكن يوشع وبئره، وذلك حيث عاش أبناء الأنبياء، وحيث يعيش الآن الرهبان الكرمليون، فلقد سكنت معهم هناك.

وعلى بعد خمسة فراسخ من قلعة عثليت، توجد قيسارية، التي هي حاضرة فلسطين، والتي كانت فيما مضى مقر رئاسة أساقفة، وكان اسم هذا المكان أولاً دور Dor، وبعد ذلك فرغوس ستراتون Pyrgos Stratonis، وقد أعاد هيرود الكبير عمارتها، وسماها قيسارية، وقد كتب يوسفيوس مطولاً حول أبنيتها ودفاعاتها، ويحدها من جهة الغرب البحر المتوسط، ومن الشرق سباخ لمياه عذبة عميقة، فيها أعداد كبيرة من التماسيح، ووقعت في هذا المكان في خطر عظيم، لكن الرب برحمته أنقذني، وللمدينة وضع دفاعي قوي، لكنها في هذه الأيام مدمرة كلياً، وكان لفيليب وبناته دار هناك، ومثل هذا فيها عمّد بطرس قائد المائة كورنليوس، الذي كان أول أسقف لقيسارية، فضلاً عن هذا، في هذه المدينة حاجج بولص ببراعة وفصاحة عظيمة ضد الخطيب تيرتولوس Tertullus، بحضور الملك أغريبا وفيلكس.

وعلى بعد ثلاثة فراسخ إلى الجنوب من قيسارية، توجد قرية اسمها أرسوف، وقد عرفت من قبل باسم أنتيباتر، صدوراً عن أنتيباتر، والد هيرود الكبير، وكان هذا المكان بأيدي فرسان الاسبتارية، غير أنهم فقدوه، ومع هذا يدفعون سنوياً مبلغ ثمانية وثلاثين ألف دينار ذهبي إلى صاحب أرسوف وإلى ورثته.

وعلى بعد أربعة فراسخ إلى الشرق من أرسوف توجد مكمثة -Mic

methah، التي اسمها الآن قـاقون، وهي قائمة فـوق السهل الموجود عند سفح جبل إفرايم، وذلك ليس بعيـداً عن جبل شارون، وقد شحن المسلمون هذا المكان بالجند لمراقبة قلعة عثليت.

وعلى بعد أربعة فراسخ من هذه تـوجد بلدة سارون التي ورد ذكرها في أعمال الرسل:[٩/ ٣٥].

هذا والمسـافـة فيما بين أرسوف ويـافا هي ثمانيـة فـراسخ، ويافـا هي القائمة على شاطىء البحر، والتي تقدم وصفها أعلاه.

وعلى بعد أربعة فراسخ من يافا توجد غث(قرب يبنا أوابلين)، وهي قائمة ليس بعيداً عن لمبحر، وقد كانت إحدى مدن الفلسطينيين.

وعلى بعد فرسخين عن غث توجـد بيتشمش[عين شمس] اليهودية، التي تقدم وصفها.

وعلى بعـد فـرسخين إلى الجنـوب من بيتشمش، وليس بعيـداً عن البحـر، توجـد عكـرون(عكر)، التي هي المدينـة الثـانيـة بين مـدن الفلسطينيين الخمس، وهي الآن قرية صغيرة.

وعلى بعد أربعة فـراسخ إلى الجنوب من عكرون توجد أشدود، التي هي المدينة الثالثة بين مدن الفلسطينيين الخمسة، وهي الآن قرية صغيرة.

وعلى بعـد فرسخين عن يافـا توجـد اللد أو ديوسبولس، التي تقـدم وصفها أعلاه، وعلى بعد فرسخين إلى الشرق من هذه توجد لبنه، التي كـان يوشع قـد استـولى عليهـا[يشـوع:١٢/ ١٥]، والتي حـاصرها سنحريب، وهناك على بعد فرسخ من هنا، على الطريق إلى جبعة، توجد بلدة عـزيقة وبلدة مقيـدة، وهاتان البلدتان استـولى عليهما يوشع بعدمـا فـرج عن أهل جبعة، وهنا المكان الـذي اختبأ فيه الملوك الخمسـة داخل كهف[يشوع:١٠/ ٥ — ٢٥]، وعلى بعد ثلاثة فراسخ إلى الشرق من ها

هنا، وليس بعيداً عن بيت نوبه توجد شويكة اليهودية، وذلك على مقربة من وادي تربنت، وذلك حيث قتل الفتى داوود جالوت صاحب غث بمقلاعه وحجره.

وعلى بعد ثلاثة فراسخ من بيت نوبه توجد عمواس، التي تعرف الآن باسم نيكوبولس.

وعلى بعد فرسخ ونصف الفرسخ عن عمواس يمضي الانسان عبر وادي رفائيم، مروراً بجانب بيت زكريا، الذي يودعه المسافرون إلى القدس على يسارهم، وعلى فرسخ ونصف الفرسخ من ذلك البيت هناك قلعة حصينة جداً، هي قلعة بيت صورا(صوبا)، القائمة على طرف جبل في مقابل بيت سيخ وبيت لحم.

وعلى بعد ستة فراسخ إلى الجنوب من أشدود توجد عسقلان، التي كانت المدينة الرابعة بين مدن الفلسطينيين، وهي قائمة على شاطىء البحر، على شكل نصف دائرة، وهي محصنة بشكل قوي جداً.

وعلى بعد خمسة فراسخ إلى الجنوب من عسقلان توجد مدينة غزة، على شاطىء البحر، وهي تعرف بشكل عام باسم تل الجزر Gazara ، (تداخل).

وعلى بعد خمسة فراسخ من غزة توجد بئر السبع، التي اسمها الآن جبلين، وهي تشكل حدود اليهودية وأرض الميعاد، وذلك في الجنوب.

وبعد هذه الأجزاء من أرض الميعاد التي وقعت في حصة سبط يهوذا، تأتي القفار الكبيرة، التي تمتد حتى نهر مصر، وأقام بنو إسرائيل في هذه القفار لمدة طويلة، ينتقلون من مكان إلى مكان.

وليكن ما قيل عن البلاد وعن الأماكن التي فيها، فيه كفاية.

طول الأرض المقدسة وعرضها

١١ — دعوني أضيف الآن عرضاً عن طولها وعن عرضها محسوباً وفق أفضل ما أستطيعه.

وعليك أن تعلم، بعدئذ، أن طول الأرض المقدسة يبدأ من سفح جبل لبنان، حيث تقوم قيسارية فيليب، ويمتد جنوباً حتى بير السبع في اليهودية، الموجودة في الجنوب، وطولها وعرضها هو حيث سكنت الأسباط الاثني عشر، وهو ليس عظيماً جداً، وذلك وفقاً لأفضل مالاحظته عندما رأيتها بأم عيني، ومشيت فوقها بقدمي، وقد بدت لي من حيث الاتساع بقدر ماسأبين فيمايلي، إنما لابد من القول أنني مضيت فقط قليلاً فيما وراء الأردن، ولم أعبر خلال بلاد السبطين ونصف السبط، ولهذا لم أقم بذكر ذلك وتبيانه، ويبدو لي أن طولها الذي يمتد من رأس بحر الجليل في الشمال حتى جدول أرنون، حيث تنتهي، هو حوالي سبعة وأربعين فرسخاً، وأما بالنسبة لبلاد الأسباط العشرة على هذا الجانب من الأردن، فقد تولى يوسفيوس وصف طولها وعرضها:

فلقد امتلك سبط يهوذا المنطقة الفوقا، التي تمتد طولياً من مصر إلى القدس، وقد قيل إنها تحتاج إلى سفر اثني عشر يوماً، ويمتد عرضها من البحر الميت حتى البحر المتوسط في الغرب، والمسافة هي خمسة عشر فرسخاً.

وأعطي سبط شمعون شطراً من حصة سبط يهوذا، هو القريب من مصر، فوق جبل عبريم.

وحصل البنياميون على البلاد الواقعة فيما بين الأردن والبحر المتوسط، وطولها خمسة عشر فرسخاً، وعرضها من القدس إلى بيت إيل(بيتين) ما يساوي أربعة فراسخ.

وحصل سبط إفرايم على البلاد الواقعة فيما بين نهر الأردن وجدرة،

وطولها خمسة عشر فرسخاً، وعرضها حتى السهل الكبير، حيث بداية الجليل، ويساوي ذلك ثلاثة عشر فرسخاً.

وامتلك نصف سبط منشا حصته على هذا الطرف من الأردن فيما بين نهر الأردن والبحر المتوسط، وطول هذه الحصة اثني عشر فرسخاً، وعرضها حتى بيسان، ويساوي ذلك خمسة فراسخ.

وحصل سبط زبولون على مابين الكرمل قرب جبل قابيل إلى جنسارث، وطول ذلك تسعة فراسخ، أما عرضها فهو من جبل الطور عبر وادي الكرمل، ويساوي ذلك خمسة فراسخ.

وحصل سبط أشير على جميع البلاد الممتدة من الكرمل إلى صيدا، وهي منطقة طولها عشرين فرسخاً، وعرضها تسعة فراسخ، ويمتد من البحر المتوسط إلى نعسون وكابول.

وحصل سبط نفتالي على الأجزاء الممتدة باتجاه الشرق حتى دمشق والجليل، وطولها عشرة فراسخ، وعرضها من بحر الجليل حتى لبنان، ويساوي ذلك سبعة فراسخ.

وحصل سبط دان على الوادي الممتد نحو غروب الشمس قرب البحر المتوسط، وحدوده هي أشدود في الجنوب ودورا في الشمال، وهذا كان طوله، ولم أذكر قياس عرضه.

وتبعاً للوصف المتقدم أعلاه لجميع الأرض المقدسة على هذا الجانب من الأردن، نجد أن عرضها لم يتجاوز في أي مكان الأربعين فرسخاً، أي فيما بين الأردن والبحر المتوسط، وذلك من الشرق إلى الغرب، أما طولها من الشمال إلى الجنوب فقياسه أقل من تسعين فرسخاً، فهذا كان حسب قياسي وحسابي.

واعرف أنك تمتلك هنا وصفاً صادقاً لجميع البلاد، بطولها وبعرضها،

وبكل ما هو موجود فيها.

وأعتقد أن هذا الوصف عظيم الفائدة بالنسبة لقراءة الأسفار التاريخية، لابل في الحقيقة، لجميع الكتاب المقدس، وذلك إذا ما أريد فهم ذلك كله، وأيضاً من أجل تحديد كل مكان على حده، ومعرفة كل شيء حول جميع الأماكن.

ثمار الأرض المقدسة وحيواناتها

١٢ — وعلينا أن نعرف الآن كيف كانت جميع الأرض المقدسة، وكيف هي في هذا اليوم، ذلك أنها أفضل جميع البلدان، وعلى كل حال يقول بعضهم، ممن لم يقدروها حق قدرها، العكس، فهي خصبة جداً بالنسبة للقمح، الذي ينمو بعد فلاحة قليلة ودونما تعب، وتنتج التربة كثيراً من الأعشاب، وتنبت الشمرة، والمريمية، والسذاب، والورود، في كل مكان من قبل نفسها في السهول.

وينمو القطن فوق بعض الشجيرات، التي يبلغ طولها حتى ركبة الانسان، وهي نبتة سنوية، وأوراقها مثل أوراق الكرمة، لكنها أصغر، وينمو فوقهم جوزات في داخلهن القطن، ويتم جنيهن في أيام عيد القديس ميكائيل(٢٩ — أيلول).

وينمو قصب السكر أيضاً هناك، وهن مثل القصب العادي، لكنهن أكبر، ويوجد في قلبهن تجويف، لكنه مليء بمواد ليفية تشبه ما يجده الانسان في الأخشاب القديمة، وهذه الألياف كثيرة الماء، ويجمع القصب ويشطر طولياً ويقطع إلى قطع تساوي إحداها نصف شبر، ثم تعصر بالمعصرة، وبعد هذا يتم غلي العصير المستخرج منهن في غلايات نحاسية وعندما يصبح سميكاً يجمع في سلال ويصنع على شكل قوالب مستديرة، وعلى الفور يصبح بعد هذا جافاً وقاسياً، وهذه هي الطريقة التي يصنّع بها السكر، وقبل أن يجف يترسب منه سائل لزج اسمه عسل

السكر، وهو لذيذ جداً، وجيد من أجل تحلية أنواع الحلوى، فضلاً عن هذا إنهم يقطعون القصب قطعاً كل منها بطول إصبع الانسان، ويفعلون ذلك لتكون العقدة في وسط كل قطعة، لأنه يوجد في كل قصبة سكر عدداً كبيراً من العقد، ويدفنون هذه القطع في أيام الربيع في أرض رطبة، ومن هذه القطع تنمو القصبات الجديدة، اثنتين من كل قطعة، وذلك من كل جانب من جانبي العقدة، فهذه هي الطريقة التي يزرعوهن بها.

وعليك أن تعرف أن الانسان لايكاد يجد في هذه البلاد: الاجاص، والتفاح، والكرز، مثلما الحال على هذا الطرف من البحر، ويتم جلب بعض الفواكه من دمشق، غير أنها تكون لينة تماماً وطرية، بسبب الحر العظيم عندما تكون الثمار على الأشجار، وبسبب حرارة البلاد.

ومع هذا هناك بعض الفواكه التي تبقى على الأشجار طوال السنة، ويأكل الناس منهن في جميع الفصول السنة، ويجد الاسنان على الأشجار في الوقت نفسه كل من أزهار الثمار، والثمار نصف الناضجة، والناضجة، والناضجة فوق حدها، وعلى هذا قد يمتلكون في بعض الأحيان، أربعة أنواع من الثمار معاً، وهذه الثمار هو مايدعونه باسم البرتقال والليمون، وتفاح آدم، الذي يصنع منه السكان المحليون المخلل ليأكلوه مع الفراخ، والسمك، والأطعمة الأخرى، ويصنعون أطعمة لذيذة المذاق جداً.

وهناك أيضاً فاكهة اسمها الدراق، يصنعون منها في عكا محفوظات فاخرة جداً.

وهناك أيضاً فاكهة أخرى اسمها تفاح الجنة(الموز)، وهي فاكهة رائعة جداً، وهي تنمو مثل عناقيد العنب، فيها حبات كثيرة، وحجم العنقود أحياناً وكبره مثل سلة كبيرة الحجم، وفيه أحياناً ستون حبة أو

أكثر، وهـذه الحبات مستطيلة في شكلها، وطـول واحدتها ستة أصـابع، وهي سميكة مثل بيضــة الدجــاجـة، ولهذه الثمــرة قشرة سميكة مثل غـلاف الفــول، إنما ذات لون أصفـر لطيف، ويرمـي الانســان القشرة، ويتناول الثمرة ويأكلها، ذلك أن مـذاقها كثير الحلاوة، مثلما زبدة جيدة وعسل من قرص العسل، ولايوجـد في هذه الثمار بذور، بل تؤكل كلياً، وتحتـاج هذه الثمـرة إلى أكثر من سنـة واحدة للنمـو، ولاتعيش الثمـرة سوى وقت قصير — سنتان في أبعد الحدود — ثم تذبل وتجف، ولكن عندما تبـدأ بالذبول تنبع منهـا مباشرة شجرة أخـرى، ويكون ذلك من جـذورها، وتفعل مثلما فعلت الشجـرة الماضيـة، وأوراق هذه الشجـرة طويلة، قد تبلغ طول إنسان، وهي كذلك عراض بحيث يمكن لورقتين أن تغلفا جسم إنسان بشكل كامل.

ويوجد في الأرض المقدسة كثيراً من الكروم، ويمكن أن يكون هناك أكثر، لكن بما أن المسلمين الذين يتملكون البلاد الآن، لايشربون الخمرة — باستثناء بعضهم بشكل سري — لـذلك يقـومـون بتـدمير الكروم، باستثنـاء القليل منهــا، ربما كـــروم الذين يسكنـون على مقــربـة من الصليبيين، فهم يزرعـونهم من أجل الفائـدة، وكـروم الأرض المقدسـة جيـدة جداً، ومشهـورة، وبشكل خـاص كروم المناطق حـول بيت لحم، وفي وادي رافـائيم، وهكذا، وذلك من حيث حمل بنو إسرائيل العنقـود على عصا، وهناك كروم جيدة حول صيدا، وعبرها على طول لبنان، وفي طرطوس والمرقب، وعلى طـول شـاطىء البحـر، وذلك حتى كليكيـا وكبـدوكيـة، واليــونان، وهنغــاريا، هذا ولقــد رأيت شيئاً رائعــاً في طرطوس، حيـث أخبرني سكان البــلاد هناك أنهم يجنون مـن الكرمــة الواحـدة نفسها ثلاثة مـواسم في السنة الواحـدة، وفق الطريقـة التاليـة: عندمـا يرى في وقت الربيع الذين يتـولون خـدمـة الكروم، أن الداليـة الواحـدة قـد أعطت كميـة من عناقيـد العنب كما تفعل كل داليـة وكل

غصن حسب العادة، يقومون عندها بقطع جميع الأغصان المتبقية والزائدة على العناقيد ورميها جانباً، ويفعلون هذا في آذار، وفي نيسان تنمو أغصان جديدة تحمل عناقيد من العنب جديدة، وعندما يرون ذلك يقومون بقطع جميع الأغصان التي تتعدى بنموها عناقيد العنب هذه، ويعطي جذع الكرمة في أيار أغصاناً جديدة للمرة الثالثة مع عناقيد جديدة من العنب، وعلى هذه الصورة يحصلون على ثلاثة مواسم من العنب، كلها تنمو مثل بعضها، ولكن الذي يزهر في آذار يجمع في آب، والذي أزهر في نيسان يجمع في أيلول، وما أزهر في أيار يجمع في تشرين أول، وبذلك يحصلون على ثلاثة مواسم من العنب في سنة واحدة.

والتين والرمان، والعسل والزيت، والأعشاب والخضار من جميع الأنواع مثل:اليقطين والخيار وأنواع أخرى من الثمار متوفرة بكثرة هناك.

وهناك كثرة كثيرة من الخنازير المتوحشة ،والظباء، والأرانب، والحجل، والسلوي، وإنه لشيء ممتع أن تنظر إليهم، وهناك أيضاً الكثير من الأسود ، والدببة، ومختلف أنواع الوحوش الضارية، فضلاً عن هذا توجد أعداد لاتحصى من الجمال، والجمال وحيدة السنام، والوعول، والجواميس، وباختصار يوجد هناك جميع الأشياء الجيدة المتوفرة في العالم، والبلاد تتدفق بالحليب والعسل، غير أن الذين يسكنون هناك لايمكن أن أدعوهم رجالاً شجعان، بل تحتوي البلاد على أسوأ الأنواع وأحطها من المذنبين، وبناء عليه إنه لأمر رائع أن تستطيع البلاد تحملهم.

أنواع الديانات في الأرض المقدسة

١٣ — يسكن في داخل الأرض المقدسة أناس من كل أمة تحت

السماء، ويتبع كل إنسان عقيدته، وفي الحقيقة لابد أن أذكر، أن قومنا، من اللاتين، هم أسوأ من الشعوب الأخرى كلها في البلاد، وسبب هذا كما أعتقد هو أن أي إنسان اقترف إثماً أو جريمة مثل:اللواطة، والنهب،والسرقة، والزنا، يعبر البحر كعقوبة، أو لخوفه على نفسه، حيث لايتجرأ على البقاء في موطنه، ولهذا يقدم الناس إلى ها هنا من جميع الأصقاع: من ألمانيا، وإيطاليا، وفرنسا، وإنكلترا، واسبانيا، وهنغاريا، ومن جميع أجزاء العالم، ومع هذا فإن كل الذي يفعلونه هو مجرد تغيير أجوائهم المناخية، لكن ليس عقلياتهم، لأنهم بعدما يصبحون هناك وينفقون ما جلبوه معهم، يبات عليهم كسب المال، ولهذا يعودون ثانية إلى دنسهم، ويقترفون آثاماً أسوأ مما اقترفوه من قبل، حيث يتولون إسكان الحجاج الذين هم من شعوبهم في بيوتهم، وإذا لم يعرف هؤلاء الناس كيف يعتنون بأنفسهم، يثقون بهم، فيفقدون كل من مقتنياتهم وشرفهم، ويقومون أيضاً بإنجاب أولاد، يتولون تقليد جرائم آبائهم، وهكذا ينجب الآباء السيئون أبناء أعظم سوءً منهم، ومن هؤلاء ينحدر أحفادهم الأكثر شروراً وفساداً، وهؤلاء يدوسون على الأماكن المقدسة بأقدام ملوثة، ولهذا السبب كان ما وقع، هو أنه لذنوب السكان في البلاد ضد الرب، تعرضت البلاد نفسها، وموضع مخلصنا إلى العار والشنار.

وإلى جانب اللاتين عدد كبير آخر من مختلف الأجناس، من ذلك على سبيل المثال: المسلمون، الذين يؤمنون(بنبوة) محمد(ﷺ) ويطبقون شريعته، وهم يقولون بأن ربنا يسوع المسيح كان أعظم الأنبياء، ويعتقدون بأن حمله جاء بوساطة روح القدس، وأنه ولد من العذراء مريم، غير أنهم ينكرون بأنه قد تألم ودفن، بل اختاروا أن يقولوا بأنه صعد إلى السماء، وأنه يجلس على يمين الآب، لأنهم يعترفون به أنه ابن الرب(كذا)، وهم أيضاً يقولون بأن محمداً(ﷺ) يجلس على يساره، وهم

غير نظيفين كثيراً، ويتخـذون عـدداً كبيراً من الزوجـات بقـدر مـا يستطيعون إطعـامهن، وهم يمارسون ذنوباً غير طبيعية، ولديهم مـاخور في كل مدينة، هذا وهم كرماء جداً ومضيافين، وأدباء ولطفاء.

وإلى جـانب هؤلاء هناك السريـان، والبـلاد كلهـا مليئة بهؤلاء، وهم مسيحيون، لكنهم على غير وئـام مع اللاتين، وهم يلبسون بشكل بائس جـداً، وبخـلاء لايقدمـون صـدقـات، وهم يسكنون بين المسلمين، وفي معظم الأحيـان كـأنهم خـدم لهم، ويرتدون من الملابـس مثلما يرتدي المسلمون، ويتميزون عنهم فقط بحزام صوفي.

ومثل هذا نجـد أن الاغـريـق مسيحيين، لكنهم هراطقـة منشقين، باستثناء أن عـدداً كبيراً منهم قـد عـادوا إلى طاعـة الكنيسـة إثر المجمع المسكوني الذي عقده مولانا غريغوري العاشر(مجمع ليون ١٢٧٤)، وفي الكنيسـة الاغريقيـة جميع رجـال الدين رهبـان، وهم رجال ذوي حيـاة صارمة جداً وأصحاب فضائل رائعة.

والاغـريق أتقيـاء بشكل كبير ويحترمـون في غـالب الأحيـان رجـال الكنيسـة لديهم ويبجلونهم، ولقـد سمعت واحـداً من بطاركتهم يقـول بحضـوري:«إننا على استعداد لأن نعيش تحت طاعـة كنيسة رومـا، وأن نحترمها، لكنني مندهش إزاء ترتيبنا بالدرجات دون أدنى رجال الدين، مثل رؤساء الأسـاقفة والأسـاقفة، فبعض رؤساء الأسـاقفة والأسـاقفة يريدون مني وأنا بطـريرك، أن أقبل أقـدامهم، وأن أكـون خـادمـاً لهم، الأمر الذي لاأجد نفسي متوجب عليها القيام بذلك، وعلى كل حال أنا على استعداد للقيام بهذا مع البابا، لكن ليس مع أي إنسان آخر».

وهناك أيضاً الأرمـن والجورجيين، والنساطرة، والنوبيين، واليعـاقبة، والكلدانيين، والميـديين، والفـرس، والإثيـوبيين، والمصريين، وشعـوب أخرى كثيرة، كلهـا مسيحية، ويوجد مـن هؤلاء أعداد لاتحصى، ولكل

منهم بطريرك خـاص بهم يطيعـونه، وأعلن رجـال الكنيسـة لديهم أنهم على استعـداد للانضمام إلى كنيسـة رومـا عن طواعيـة، وبين هؤلاء نال النسـاطرة، واليعـاقبة أسماءهم من خـلال بعض الهراطقـة، الذين تقـدم وكانـوا رؤساءهم، فضلاً عـن هذا يوجد في الأرض المقـدسة المدينيين، الذين يعـرفون في هذه الأيام بـاسم البدو والتركمان، وقـد أوقف هؤلاء أنفسهم على رعـاية قطعـان الماشية والجمال، التي يمتلكـون منها أعـداداً كبيرة جداً، ولايمتلك هؤلاء الناس مكاناً دائماً للإقامة، بل حيثما علموا بوجـود مراعي يقصـدونها وينصبـون خيمهم، وهـم مقـاتلون متفوقـون ويحبـون الحرب، مع أنهم يستخـدمـون السيف والرمح في المعـركـة، ولايستخـدمون النشـاب، ويقولون إنها دناءة بلا حـدود أن تنتزع حيـاة إنسـان بوساطة سهم، وهـم شجعان في الحرب، ويرتدون فقط قميصـاً أحمر، وفـوقـه عبـاءة فضفـاضـة، ويغطون رؤوسهم بقطع قماش فقط، وسورية كلهـا مليئة بهم، لكن أكثريتهم يسكنـون من حول نهر الأردن، ومن لبنان حتى قفـار فـاران، لأنه يوجد هناك جبـال للأغنام والماعـز، وسهـول للقطعان وللجمال، والأغنام في هذه المناطق، ولاسيما الكبـاش كبيرة جداً، ولهم أذناب ذات حجم كبير إلى حد أن ذيلاً واحداً يبلغ من الكبر أنه يحتاج إلى اثنين أو ثلاثة ليستطيعوا أكله.

ومن حـول قلعـة عـرقـة، عبر طرابلس، حتى قلعـة الحصن، يسكن مسلمـون اسمهم البـاطنية، ويجاورهـم المسلمـون الذين يعـرفـون باسم الحشيشية، الذين يسكنون الجبـال القائمـة وراء طرطوس على مقربة من قلعة المرقب، وهم يمتلكون عـدداً من القلاع والمدن مع أرض خصبة، ويقال إن لديهم أربعين ألـف رجل مقاتل، ولديهم مقـدم واحد، لايلي منصبـه بحق الوراثة، بل بحق الفضـائل الشخصيـة، ويطلق عليـه اسم شيخ الجبل، وذلـك ليس بسبب سنه، بل بسبب حكمتـه، ويقـال بأن هؤلاء الناس كانوا من أصل فـارسي، ولقد مررت خـلال جزء من هذه

البلاد، وهم مطيعون إلى درجة الموت، ويقومون بناء على أوامر مقدمهم بقتل أي إنسان مهما كان، ويقولون إنهم بفعلهم ذلك يحصلون على الجنة، حتى وإن قتلوا، قبل أن ينفذوا أوامرهم، ورغبوا قبل عدة سنوات مضت أن يصبحوا مطيعين لكنيسة روما، ومن أجل هذا المقصد أرسلوا سفيراً إلى عكا، الذي حقق بالمباحثات كل ما رغب به، لكنه قتل، وهو على طريق عودته إلى موطنه، من قبل مرافقيه، وكان ذلك قبل دخوله إلى بلاده، مما سبب خسارة للكنيسة ككل، لأن الآخرين عندما رأوا بأن الصليبيين لايمكن الوثوق بهم، انسحبوا على الفور وتراجعوا، والحدود بين بلاد هؤلاء القوم وبلاد الصليبيين معلمة ببعض الأحجار، محفور عليها من جهة الصليبيين صلبان، وعلى جهة الحشيشية خناجر، ولم يستطع أي واحد من السلاطين حتى الآن إخضاعهم، بل إنهم اتخذوا لأنفسهم شرائع وعادات يتبعونها كما يرغبون، وهم مرعبون بالنسبة إلى جميع الأقوام من حولهم، بسبب حدتهم المتناهية العظمة.

ولابد أن نعرف الآن مسألة حقيقية، أن بعض الناس الذين يروق لهم الحديث عما لم يروه قط، قد أعلنوا أن الشرق كله الواقع عبر البحر المتوسط وخلفه، وذلك امتداداً حتى الهند وإثيوبيا يعترفون بالمسيح ويبشرون باسمه، وذلك باستثناء المسلمين فقط، وبعض التركمان الذين يسكنون في كبدوكيا، وبناء عليه أعلن بكل تأكيد، حسبما رأيت أنا شخصياً، وسمعت من آخرين يعرفون،إنه يوجد دوماً مسيحيين في كل مكان ومملكة إلى جانب مصر والعربية، حيث يسكن المسلمون والأتباع الآخرون لمحمد(ﷺ) بشكل رئيسي، ولسوف تجد ثلاثين مسيحياً مقابل مسلم واحد، لكن الحقيقة هي أن جميع المسيحيين وراء البحر هم مشارقة من حيث الأمم، وصحيح أنهم مسيحيين، غير أنهم بوضعهم الحالي غير معتادين كثيراً على استخدام السلاح، وعندما يهاجمون من

قبل المسلمين،أو الأتراك، أو أي شعب آخر مهما كان، يستسلمون لهم، ويشترون السلام ويدفعون الجزية بكل هدوء، ويعين المسلمون والسادة الآخرون نوابهم عليهم، ويجمعون منهم الضرائب، ولهذا راج بين الناس وقيل بأن ممالكهم عائدة إلى المسلمين، مع أن الحقيقة الواقعية هي أن جميع الناس مسيحيين، باستثناء هؤلاء النواب وجباة الضرائب وأسرهم، فهذا مارأيته بنفسي في كليكيا، وفي أرمينيا الصغرى، اللتان الآن تحت حكم التتار، فلقد عشت مدة ثلاثة أسابيع في قصر ملك أرمينيا وكليكيا، وقد كان في بلاطه عدد ضئيل من التتار لكن بقية حاشيته وأهل بيته من المسيحيين، ويصل عدد هؤلاء حتى قرابة المائتين، فلقد اعتدت على رؤيتهم مراراً في الكنيسة، يستمعون إلى القداسات، ويجثون على ركبهم، ويصلون بتقوى، فضلاً عن هذا، كان كلما رآني واحد منهم ومعي مرافقي كان يبدي نحوي احتراماً عظيماً بنزع قبعته والانحناء باحترام لنا، والتسليم، والقيام باحترام لنا لدى اقترابنا، كما أن كثيراً منهم يخافون عندما يعلمون أنه في البلدان فيما وراء البحار، يسكن النساطرة، واليعاقبة، والموارنة، والجورجيين، وطوائف أخرى نالت تسمياتها من هراطقة أدانتهم الكنيسة، ولهذا السبب من المعتقد أن هؤلاء الناس هم هراطقة، ويتبعون آثام الذين نالوا تسمياتهم منهم، وليس هذا صحيحاً بأي شكل من الأشكال، والرب يحرمه:ذلك أنهم أناس بسطاء، أتقياء في حياتهم، مع أنني لاأنكر وجود حمقى كثر بينهم، رائياً أنه حتى كنيسة روما نفسها ليست خلوة من الحمقى، ولنعلم أن جميع الشعوب المتقدمة الذكر، وشعوب أخرى كثيرة، يحتاج أمر الكتابة عنهم إلى وقت طويل، لهم رؤساء أساقفة، وأساقفة، ورعاة ديرة، ورجال دين آخرين، مثلما لدينا نحن أنفسنا، ويدعونهم بالأسماء نفسها، وذلك باستثناء النساطرة، الذين يدعى رئيسهم الديني باسم الجاثليق، فهو البابا الخاص بهم، وقد علمت بشكل مؤكد أن سلطان رعويته يمتد عميقاً في الشرق، أكثر من كل أملاك الكنيسة الغربية،

ويدعى بقية رجال الدين لدى هذه الطائفة باسم رؤساء أساقفة، مثلما الحال في تسمية رجال الدين لدينا.

ويطلق على الرئيس الديني للأرمن والجورجيين، اسم الجاثليق، وقد مكثت معه مدة أربعة عشر يوماً، وهو معه عدد كبير من رؤساء الأساقفة، والأساقفة، ورعاة الديرة، ورجال دين آخرين، وبالنسبة لمأكله وملبسه وأسلوب حياته، هو مثالي تماماً، فأنا لم أر قط أي إنسان مثله سواء بين رجال الدين أو العلمانيين، وأعلنت بكل صدق، أن جميع ما يرتديه من ملابس هو بتقديري لايساوي أكثر من خمسة دراهم، مع أنه يمتلك قلعة حصينة جداً، وموارد مالية عظيمة، وكان ثرياً أكثر مما يحسبه أي إنسان، وكان يرتدي فروة جلد غنم خشنة حمراء، ومهلهلة وقذرة جداً، ولها كمين واسعين، وارتدى تحتها قميصاً رمادياً، عتيقاً جداً، وقد اهترأ تقريباً، وارتدى فوق هذا وشاحاً أسود، وعباءة رخيصة خشنة، ولقد رأيت ملك أرمينيا وكليكيا مع نبلائه جالساً بتواضع وباحترام عند قدميه، وغالباً ما اصطحب الملك معه أكبر أبنائه سناً، وكان يستمع بكل تقوى لما كان يتفوه به من كلمات الرب، وقد اعتاد هو وجميع رجال الدين لديه على الصوم جميع أيام الصوم الكبير على الخبز والماء، وهكذا فعل الملك وجميع نبلائه، باستثناء يوم عيد البشارة، فوقتها سمح الجاثليق — بحضوري — لنفسه، بأن يأكل السمك وشرب بعض النبيذ، واستمعت في ذلك اليوم إلى قداس بحضور الجاثليق نفسه، والملك والملكة، وطقوس تقوية إلى أبعد الحدود: وقد ارتدى كهنتهم وأساقفتهم ملابس وأردية مثلنا، وقد استخدموا في قداسهم خبزاً غير مخمر (فطير) وأنشدوا في القداس الرسائل، والأناجيل، والمقدمات، والـ Sanctus ، و Pater Noster و Agnus Dei ، وذلك بالكلمات نفسها كما نفعل، إنما بلغاتهم وحروفهم، لأنهم يمتلكون لغة خاصة بهم مع أبجدية أيضاً خاصة بهم، والجاثليق

وجميع رجال الدين الآخرين من ذوي المراتب هم رهبان، وفي جميع بلاد الشرق ما من أحد من أي أمة يمكن أن يكـون رجل دين له مرتبته مالم يكن راهبـاً، وجميـع الرهبـان يحظون باحترام كبير وتشريـف، وليس للقسس والكهنة أية سلطات، ومـا من أحد يوليهم أدنى تقـدير، وليس لديهم من واجبات سـوى أداء بعض الخدمات اللاهوتيـة، فهم ينبهون إلى مرور جميع الساعات الرسمية بالقرع على لوح أو قطعة من الخشب، لأنه لايوجد لديهم نواقيس، وعندما ترسل إشارة حلول الليل، يمضون إلى الدعوة إلى الصـلاة الليلية، ويفعلون ذلك لدى مـرورهم بالطرقات، وينبهون النـاس إلى ذلك، وبعد انقضـاء الصلاة الليلية، لايـذهبون إلى النوم ثانية، بل يجلسون في الكنيسة ويعلمـون الناس حتى الفجر، عندما يرتلون القداس الأول، أوحتى السـاعة الثالثة، إذا كان اليـوم يوم عيد، وليس لديهم سلطات ومسؤوليات غير هذه، بـاستثناء ما يعهد به إليهم من قبل الراهبـات، وجميع الكهنة متـزوجـون، ومـا من أحـد يسمح له بقيـادة قـداس أو عمل تعبـدي آخر، مـا لم يكن متـزوجـاً، ولايقيمـون قداسـات في يوم الاثنين، ولابعد ذلك حتى يوم الجمعـة، ويشمل ذلك أيام الأعيـاد التي تحل في هذه الأيـام مهما كـانت عظيمـة، ولهم الحرية وقتهـا بالتحـادث مع زوجاتهم، إنما في يومي السبـت والأحد فيقيمـون قداسـات بشكل مهيب، وبعد وفـاة زوجة أحـد الكهنة، عليه أن يكون قـانعاً، وأن لايتـزوج زوجة ثانيـة، وإذا ما اقترف إثم الفسـوق أو الزنا، لابد له من فقـدان كنيستـه ومنصبـه، ولايمكن تقـديم أي تعـويض أو غفـران لصالحه، وإذا مـا اقترفت زوجة الكاهن جـريمة الزنا، عليـه أن يقنع بذلك، أو أن يفقد منصبـه وكنيسته، ولابد أن تفقد زوجتـه أنفها، وأن يخصى عشيقها، حتى وإن كـان رجلاً متزوجاً، وقـد نفذ هذا وفعل بحضـوري، وعندما يمـوت أحد الكهنة، على زوجتـه أن تقنع وتعيش حياة عفة، إنما إذا ما تزوجت ثانيـة، فينبغي إحراقها وهي حية، لكن إذا مـا أصبحت بغيـة، فما مـن أذى يمكن أنزاله بها، ولديهم الآن ميثـاق

جديد فيما بينهم يقضي بأن يحصل الكـاهن — مثل أحد الرسل — على زوجـة عذراء، ويتميـز الكهنة الأرمن والجورجيين عن العلمانيين بوضع قطعة من الكتان الأبيض يلفونها حول رقابهم وأكتافهم.

وبالنسبـة إلى اللصـوص الذيـن يدانون باقتراف سرقـات صغيرة، أو باقتراف أعمال شريرة أخـرى، أو جـرائم أدنى نوعـاً، فإنهم يتعـرضـون للخصي، لكي لاينجبـوا أولاداً يقلدون آبـاءهم في اقتراف الآثام، وهذا هو السبب بالنسبـة لي الذي يعلـل وجـود هذا العـدد الهائل من البغـايا هناك، لأنه يوجـد عـدد كبير من الخصيـان، وكلهـم يعمل في خـدمـة سيـدات نبيلات، وأعتقـد أن ملكة أرمينيـا كان لديها أكثـر من أربعين خصيـاً، عندما كنـت في قصرها، وما من إنسـان يتـولى زيارتها إلا بإذن خـاص من الملـك، ويقـوم الملك بتسميـة واحـداً مـن الخصيـان ويعينه لمرافقته ومـراقبته، وهذه هي العادة بالنسبة إلى جميع السيـدات النبيلات سواء المتزوجات منهن أو الأرامل.

ولدى جميع الملوك والأمراء والنبـلاء رغبة عارمـة بالاستماع إلى كلمة الرب، ولهذا اسبب يذهب كل يوم بعض الحكماء أو الرهبان في السـاعة الثـالثة إلى البـلاط، أي بلاط كل ملك أوأمير، ويـأتي الأمراء أو السـادة مباشرة إليهم شخصيـاً مع أولادهم والأعيان لديهم، ويتم جلب بعض أسفار الكتابات المقـدسة، حيث تقرأ بحضورهم بـاللغة الدارجة، لأنهم لايعْرفـون لغة أخرى، أو يتولى الرهبـان شرح النص عليهم، وكلما شعر العلمانيـون بوجـود شك مـا أو يقـومـون بطرح سـؤال، يقـوم الرهبـان بإيضـاح الأمـور لهم وتوجيههـم وفقـاً لكلمات القـديسين، وقـد سألت هؤلاء الرهبـان عن أسماء الشخصيـات المرجعيـة، التي يتبعـونها، وقـد أجـابـوني بأن مـراجعهم الـرئيسيـة المعتمـدة هـم: جـون خـريستـوم، وغـريغـوري الناصري، وسيريل الاسكندري، وكـل من رجـال الدين والعلمانيين أتقياء جداً في الكنيسـة، ولايفعلون هناك شيئاً سوى الصلاة

أو الانشـاد، أو أي شيء آخر عليهم أن يعملوه هناك، ولم أشهـد هناك قط إنساناً يضحك أو يتصرف شخصياً بشكل غير لائق في الكنيسة.

ويتم أداء القـداس في كنيستهم بشكل تقـوي ، ويوضع الكأس على الجهـة اليسرى من المذبح في مكان أعـدّ خصيصـاً له في الجدار، ولدى صـلاة التقـدمـة يرفعهـا الخوري، المرتدي لثيـاب حـريرية ثمينة، بكل احترام فـوق رأسـه، ويكون هناك معـه شماس يحمل مبخـرة، كما يكون هناك قندلفتين يحملان الشمـوع ويسيران أمامـه، ويدورون حول خلف المذبح وذلك باتجاه الطرف اليمين منه، ويعد هذا يأخذها الأسقف بكل احترام ويقـدمهـا، وذلك مثلما يفعل الكهنة لدينا، ويقف إثنان بشمـوع مضـاءة خلف الكاهن أثناء قـراءة قـانون القـداس، وإلى جـانبهما اثنان بمبـاخـر، وهما يرتديان ثوبـان كهنوتيـان طويلان، ويقف شماسـان على طرفي اليمين واليسار للمذبح، ويصليـان بتقوى وقد ضم كل منهما يديه واتجه بوجهـه نحو جسـد المسيح، وهو يغني بصوت شجي وتقي مـؤثر ويردد مـا يغنيـه مع الآخـر، وفي الحقيقـة إنه لأمـر هو الأكثـر تقـوى وقداسة أن تشاهده وتسمعه.

ولقد رأيت كثيراً من الممارسات العامـة الرائجة كثيراً في تلك البلاد، بين العلمانيين، وبين رجـال الدين، والرهبان، التي من النادر الأخـذ بها أو ممارستها في بلادنا.

ولقـد سافـرت عبر هذه البلاد كلهـا حتى كبدوكيـا وسلوقيا، وكـان ذلك بوساطة البحر، وأبحرت من هناك إلى قبرص، وتجولت عبر الجزء الأعظم من تلك المنطقـة، ومن هناك أبحـرت إلى سـورية، وقـدمت إلى صـور، وبعـد مضي عـدة أيـام أبحـرت مـن هناك على طول سـاحل فلسطين، ومـررت بحيفـا، وجبل الكرمل، ودورا، وقيسـارية فلسطين، وأنتباتر، ويافا، وعكرون، وأشـدود، وعسقلان، وغزة، وجميع الصحراء الرملية حتى مصبات نهر النيل، ومن هناك مضيت إلى دمياط، التي كان

اسمهـا القديم ممفيس، وهذه هي بلاد جـوشن Goshen ، حيث أقام بنو إسرائيـل في القــديم، وخــدمــوا الفــرعــون في عمل الملاط واللبن[الخروج:١/ ١٤]، وفي هذه البلاد جرى فيها بعد رجم إرميا.

مبارك هو الرب، والقديس متى، آمين.

— ٤ —

لودولف فون سوخم
وصف الأرض المقدسة
١٣٥٠م

تمهيد للودولف دي سوخم

ما من شيء كما يبدو هو معروف عن لودولف، زيادة عما يمكن جمعه من كتابه، ففي تكريسه الاهدائي أخبرنا بأن كان قسيساً في أبرشية كنيسة سوخم، في أسقفية بادربورن، لكن أين كانت سوخم، وهل علينا أن نلفظها سودهيم Sudheim؟ وقد أعلن الدكتور ف. دايك Deycks أنها بالحري راثل Rathsel ، وكان الدكتور دايك أستاذاً في الأكاديمية الملكية في مونستر Munster ، وهو الذي تولى تحقيق كتاب لودولف في عام ١٨٥١، لصالح النصوص الأدبية لستوتغارد، وعلى هذه الطبعة اعتمدت هذه الترجمة، فضلاً عن هذا تحدث لودولف عن بلدوين فون ستينفورت Steinfurt أسقف بادربورن، الذي شغل منصبه من سنة ١٣٤٠ حتى سنة ١٣٦١، ووصفه بأنه سيده المنعم عليه، وقال في خاتمة مخطوطه بأنه كتب هذا الكتاب صدوراً عن الحب والاحترام اللذان يكنهما له، ولربما ساعده الأسقف بلدوين على كتابة كتابه، ولعله كان واحداً من السادة النبلاء الذين عاشوا معه أثناء إقامته لمدة خمس سنوات في الأرض المقدسة، فقد كان هناك من سنة ١٣٣٦ حتى سنة ١٣٤١، ولم يعد إلى هناك — كما يخيل لبعضهم — وعاد لودولف إلى الوطن سنة ١٣٤١،

وتعرض مرتين لخطر عظيم وهو في البحر، وأشار في نهاية كتابه إلى مهاجمة اليهود في ألمانيا في سنة ١٣٤٨ — ١٣٤٩، وهذه الحادثة الجديدة، تتماشى مع كتابه على أنه صنف في سنة ١٣٥٠.

ومنهج لودولف يختلف عن منهج الرحالة بورتشارد المتقدم، وهو أقرب إلى منهج فيلكس فابري الذي سماه بالعجائب، فقد ردد أصداء بعض الحكايات التي كانت متداولة في الشرق، بين الفرنجة بشكل

خاص، لاسيما ما تعلق بشخصية برسترجون، التي سوف نتعرض لها بتوسع لدى الحديث عن العلاقات المغولية الفرنجية، ومعروف أن حكاية برسترجون قد تفرعت عنها فروع كثيرة بعد ظهور جنكيز خان، ثم بعد قدوم حفيده هولاكو نحو العراق وبلاد الشام.

ومهما يكن من أمر تأتي ترجمة كتاب لودولف في سياق عملنا في ترجمة نصوص جميع الرحلات المتعلقة بالحروب الصليبية، وآثارها المباشرة في القرن الرابع عشر،هذا ومن المقرر أن كتاب لودولف يحوي أفضل الرحلات الغربية في هذا القرن الهام.

لودولف فون سوخم
وصف الأرض المقدسة
هنا بداية كتاب لودولف حول الحج إلى الأرض المقدسة

إهـداء مع جميـع الاحترام الجدير، إلى الأب المبجـل، والسيـــــد في المسيح، مـولاي المنعم بلدوين أوف ستينفـورت، أسقف بادربورن، من لودولف القسيس في الكنيسة الأبرشية في سوخم، في أسقفية بادربورن.

لقد كتب عدد كبير من الرجال بشكل طويل جداً حول بلاد ما وراء البحر، وحـول أوضاع وأحوال الأرض المقـدسة والمقاطعـات الموجودة فيها، وفعلـوا ذلك بعد مرورهـم بها لمرة واحدة، أما أنا فلقـد أقمت في تلك البلدان مـدة خمس سنوات دونما انقطاع، كنت خـلالها ليـلاً ونهاراً بصحبة الملوك، والأمـراء، والمقدمين، والنبلاء، والأعيـان، وقمت فضلاً عن ذلك بزيـارة بلدان مـاوراء البحـر والسفـر خـلالها عــدة مـرات، وصدوراً مني لاحترامكم وتبجيلاً لمحـاسن أبوتكم، ولأنكم لم تنسوني، امتلكت رغبة عظيمـة لأن أكتب رواية عن أوضاع تلك البلدان، وعن أحـوالها، وقـراها، وأمـاكنهـا الحصينـة، ومـدنها ،وقـلاعهـا، ورجـالها، والأخلاق والطبـاع فيها، وأماكن التعبد، والأمـاكن العجيبة، ولم أكتف بالكتـابة عن بـلاد مـاوراء البحـر، بل عن العجـائب التـي يراها الذين يعبرون البحار، ومع أنـه قد توفرت لـدي الرغبة في تنفيذ هـذه الرغبة، غير أنني لم أستطع فعل ذلك وإنجازه، لأنني كنت معـوقاً بأعمال مختلفة وثقيلة، ومع ذلك بقيـت مفكراً بالكتـابة، والآن وقــد امتلكت الوقت، فقد قـررت أن أصف الأوضاع التي رأيت فيها بلدان مـا وراء البحر في سنة ١٣٣٦، وكـذلك الأوضـاع التي تركتهـا فيهـا في سنة ١٣٤١، وأن أكتب تـاريخاً مختصراً عنهـــا، وبشكل مكثف، وذلـك وفقـــاً لفهمي

المتواضع، ولقدرتي، ولضعف ذاكرتي، وعلى كل حال، يتوجب أن لايفترض إنسان أنني قد رأيت كل واحد من الأماكن العديدة، والأشياء التي أنوي الكتابة عنها في هذا الكتاب، بل إنني قمت سعيداً باستخراج بعض المعلومات من كتب التاريخ القديمة، وذلك مع بعض الأشياء التي سمعتها من شفاه أناس صادقين، وبشأن جميع ما كتبوه عن أي مكان، أووجدوه، لقد قررت الاعتماد على حكم القارىء وعلى فهمه، وفي الحقيقة كان من المفروض أن أكتب أكثر، عندما كنت في تلك البلدان وعملت الرأي أن أكتب عنهم بعض الروايات، وعن أوضاعهم الأبكر، هذا وبإمكاني في هذا اليوم كتابة المزيد،ولكنني تجاوزت ذلك بسبب بعض المعترضين التافهين والساخرين، وخشية أن أتحدث عن أي شيء لايمكن أن يصدقوه، ومن ثم عدّي بسبب ذلك كاذباً، لأن المعترضين التافهين الجاهلين والساخرين الذين لايستحقون أن يعرفوا شيئاً من الأشياء مطلقاً، كل شيء بالنسبة إليهم هو بعيد عن التصديق، ومن غير المعقول الأخذ به، وبناء عليه إنه بسبب مثل هؤلاء الأشخاص، أرغمت من أجلهم على التخلي عن ذكر جميع الأشياء الجيدة، وكذلك أشياء أخرى كثيرة، لولاهم لقمت بالكتابة عنها، وإيداع ذلك في كتابي.

١ — *حول الأرض المقدسة.*

إن الأرض المقدسة، هي أرض الميعاد، التي وعد الرب بأن يعطيها إلى إبراهيم وإلى ذريته، وهي المحبوبة من الرب، والممدوحة من الملائكة، والمعبودة من قبل الناس، لأن ربنا يسوع المسيح قد تلطف في تكريس هذا الشيء نفسه، بدمه الثمين جداً، وأن يشرفها بحضوره في كل من شكل ضعفنا الفاني، وفي الأيام الخوالي — حسبما نقرأ في التاريخ التوراتي — بمجده الرباني وجلالته، وزيادة على هذا بحضوره إلى هناك لتخليص الجنس البشري، من الإدانة واللعنة الدائمة، ومع هذا

فإن هذه البــلاد، قـد ضربت من قبل الـرب بمختلف أنواع الضربات، وذلك بسبب الذنوب المتنوعة لسكانها، ولم تقتصر الضربات التي تلقتها على ما حدث في أيام المسيحيين، بل كان ذلك منذ أقدم العصور، حيث سُكنت من قبل شعوب مختلفـة، وفقدت ثم استردت من قبلهم، وذلك حسبما يمكننا القـراءة في كثير من التواريخ وفي الكتـاب المقدس، ولقـد قـام يسوع المسيح، دون مبـالاة بآلامـه الرائعة، بتقـويم المسيحيين هناك بوســاطة عصــا التقــويم الأبوي، وبنـاء عليــه، عندمــا تنتهي ذنوب المسيحيين، وعندما يكون راضياً في إرجاع البلاد وردها إلينا، فإنه سوف يحفظ جميع أماكنهـا، ومدنها، وقراها، وقـلاعها، ومعـابدها، كأن نقول: بدون أذى، حتى هذا اليــوم، وذلك من أجل إمكانيــة الدفــاع عنهـا، وسكناها، واستردادها، وإعادة كل ما فيهـا إلى أوضاعه الأصيلة، وذلك على الرغم من أن بعض الأماكن والمعابد قـد تعرضت للتشويه والتغيير بشكل مـؤلم من قبل المسلمين، لأنه مثلما العين هي أغلى جـزء في جسم الانسان وأكثـره لطفاً، ولايمكنها أن تتحمل وجود جسم غـريب فيها، كـذلك الأرض المقـدسـة، هـي مثل العين للرب، ولهذا السبب لايمكنه تحمل ذنوب لايمكن غفرانها فيها.

وعلى كل من يود السفــر إلى الأرض المقـدسـة المذكــورة، أن يكون متنبهاً، حتى لايسافـر إلى هناك من دون إذن من الأب الرسولي، لأنه ما أن يلمس شـواطىء بلاد السلطان سيكون عـرضـة لأن يغدو مشمـولاً بقـرار البـابا، لأنه منذ أن أصبحت الأرض المقـدسـة في أيدي السلطان كانت، ومـازالت محرومة كنسيـاً، ومثلها جميع الذين يسـافرون إلى هناك من دون إذن بابوي، وذلك خشيـة أن المسلمين لدى أخذهم جـزية من المسيحيين، أن يندفعوا نحـو الاستخفاف بالكنيسـة، ولهذا السبب عندما يتسلم أي مسافـر جوازه للسفر إلى هناك من الأب الرسـولي، يوجد إلى جـانب الأذن الذي منح له، هناك شرط في المرسـوم يقضي أنه يتـوجب

عليــه أن لا يشتري أي شيء أو أن يبيع أي شيء مهما كـان في الدنيــا، باستثناء الطعام واللباس، والحاجات الجسدية، وإذا ما خالف هذا، عليه أن يعرف أنه انتكـس ثانية ووقع تحت عقوبـة الحرمان الكنسي، ويمكن لبعض الناس أن يسـافـروا إلى هنـاك من دون أذن، من ذلك على سبيل المثال إذا كان المسافر رجل دين أو عضواً في إحدى الطوائف الدينية، أو والداً، أو والدة، أو صــديقـاً لرجل مــريض هنـاك، أو رجل واقع في الأسر، فـوقتها يمكنه السفـر إلى هناك بدون أذن،حتى يعمل على فكاك أسرهم، كما يحق السفــر بدون أذن لأي واحــد بعـث إلى هناك لصنع ســلام، أو للإعـــداد لاسترداد أي شيء آخـر مفيــد، وفي عـــودة إلى موضـوعي، إنه يتوجب على أي إنسان يود السفر إلى الأرض المقـدسة، أن يذهب إلى هناك إما براً أو بحراً،فإذا أراد السفر براً، فقد سمعت من بعض الذين يعرفون الطريق جيداً، أن أفضل الطرق هو الذي يمر من خـلال هنغـاريا، فبلغـاريا، فمملكة تـراقيـا، غير أنهم يقـولون بأن هذا الطريق طريق متعب جداً، وعلى كل حـال إن الذي يمكنه تحمل المشاق والوصول سالماً، سوف يصل بوسـاطة البر — وليس بوساطة البحر — إلى القسطنطينية، ولسوف أذكر بعض الشيء حول هذه المدينة.

٢— *القسطنطينية.*

القسطنطينية فائقـة الجمال، ومدينة عظيمة جداً، وقيـاس محيطها ثمانية أميـال، وقد بنيت على شكل مثلث، وأبنيتهـا في شكلهـا وهيكلها تشبـه أبنيـة روما، ويمتـد جانبـان منهـا على ضفتي ذراع بحري، اسمـه ذراع القديس جرجس(البوسفـور) في حين يقوم الجانب الثالث على الأرض، والمدينة مــزينة بتــزيينات متنوعــة ومختلفــة، وهي قـد بنيـت من قبل الامبراطور قسطنطين، الذي سماها القسطنطينيـة، ويدعوها الاغـريق في هذه الأيام باسم بولوس Bolos ويوجـد في هذه المدينة كنيســة ذات حجم رائع وجمال فائق، ولاأعتقد أنه يوجد في العالم كنيسة أعظم منها،

لأن سفينة مع جميع أشرعتها ممدودة تستطيع أن تدير نفسها أمامها هناك، وأنا لاأجرؤ على الكتابة عن اتساعها بشكل كامل، وهذه الكنيسة مكرسة على شرف القديسة صوفيا وذلك بالاغريقية، ومعنى ذلك باللاتينية«تغيير الرب لشكله»، وهي مزينة بكثير من الآثار المهيبة من مختلف الأنواع، من ذلك:المعطف الذي لانظير له، ومسامير ربنا(العائدة للصليب)، والليفة، والقصبات، وهي متوجة بآثار أخرى لمختلف القديسين، ويقف في وسط هذه الكنيسة، عمودكبير من الرخام، عليه تمثال برونزي جيد التذهيب للامبراطور جستنيان على ظهر حصان،وهو مزين بالتاج الامبراطوري، وبالملابس الملكية، ويوجد في يده اليسرى صولجان ذهبي، وفقاً للطريقة الامبراطورية، ويشير إلى الشرق بيمناه، وذلك بمثابة تهديد للعصاة الذين في ذلك المكان، ويوجد في هذه الكنيسة قطعة من العمود الذي جلد المسيح عنده، وعدد لايحصى من أجساد القديسين، والبابوات الرومان الراقدين هناك، وقد يكون هذا صحيحاً لأنه في أيامي جاء بعض السادة من كاتالونياإلى هناك، وخدموا امبراطور القسطنطينيةمقابل أجر، وعندما غادروا سألوا الامبراطور منحهم قبل كل شيء آثاراً مقدسة، وقد وافق على التماسهم، وفرز عدداً من أجساد القديسين بقدر عددهم، ووقف السادة على بعد، واختار كل منهم جسداً بدوره، وذلك وفقاً لمراتبهم، ونال كل واحد منهم ما استحقه، وكان ذلك جسداً كاملاً لواحد من القديسين، وعادوا جميعاً راضين وإلى بلادهم مسرورين، وأنا لاأتجرأ على قول المزيد حول التزيينات الأخرى العائدة لهذه الكنيسة، ويعيش في هذه المدينة امبراطور الاغريق بشكل دائم، والذي كان امبراطوراً في أيامي(أندرونيكوس الثالث) كان قد اتخذ قرينة له أخت الدوق هنري أوف برونزوك Brunswick، وبعد وفاتها تزوج من ابنة كونت سافوي، ويسكن في هذه المدينة أيضاً بطريرك الاغريق، الذي يطيعه الاغريق في كل شيء، مثلما يطيع اللاتين البابا، كما أنهم لايقيمون أدنى تقدير للأب الرسولي،

كما أنهم لايهتمون بأي من أوامره، باستثناء مايرضيهم أنفسهم، فمنذ أن انفصل الاغريق عن كنيسة روما من خلال الهرطقة، أقدموا على اختيار هذا البطريرك، وهم يطيعونه مثل إطاعة البابا حتى هذا اليوم، وفي القسطنطينية تباع جميع الأشياء مثل: الخبز، واللحم، والسمك، ومايشبه ذلك بأزهد الأسعار، ذلك أن ما من شيء غالي الثمن فيها سوى النبيذ، الذي يجلب إليها من نابولي، ويسكن في هذه المدينة عدد من الشعوب المختلفة، ويوجد هناك أيضاً كثيراً من المناخ البارد، ولهذا السبب يجري تمليح اللحم هناك، الأمر الذي لايمكن القيام به في أي مكان آخر في آسيا بسبب الحر، وهناك أيضاً أسماك التربوت حيث تصطاد وتجفف، وتصدر من هناك إلى جميع أجزاء آسيا، ويوجد في هذه المدينة أيضاً قصر الامبراطور القديم، الذي فيه بعض الكؤوس الحجرية التي تمتلىء من قبل نفسها بالماء، ثم تفرغ نفسها مباشرة، ثم تملأ نفسها ومن ثم تصبح فارغة، وبالإضافة إلى هذا هناك كثيراً من اللآلىء الممتازة، بكميات كبيرة، وهي رخيصة جداً، وينبغي أن يعرف القارىء أن امبراطور الاغريق والشعب الاغريقي حكموا فيما مضى جميع آسيا، أي كل من آسيا الصغرى، وآسيا الكبرى، وتملكوها، لكن منذ أن انشقوا عن كنيسة روما بالهرطقة، فقدوا تقريباً جميع هذه المناطق،لأن حكماً قد صدر بحقهم قضى أن كل واحد يأخذ أيّا منهم أسيراً، يمكنه قانونياً أن يبيعه وكأنه من السائمة، وكل لاتيني يمكنه أن يستولي على أرض هناك، يمكنه أن يتمسك بها حتى يعودوا إلى صدر الكنيسة الأم ويتحولوا، ولهذا السبب فقدوا أجزاء واسعة من أراضيهم وممالكهم، وذلك حسبما سأحدثكم فيما بعد.

٣ — الطريق(إلى الأرض المقدسة) براً، ومملكة الغرب

وفي عودة إلى موضوعي ، وتاركاً القسطنطينية، التي يمكن للانسان أن يذهب منها إلى الأرض المقدسة براً، وذلك إذا كان الترحال من بين

الأتراك والتتار آمناً، ولاتوجد معيقات أخرى، هذا وعلى المسافر بحراً من القسطنطينية أن يعبر إلى مملكة قبرص، وذلك حسبما سأخبركم فيما بعد، ويقود الطريق الذي أتيت على ذكره، إذا ما اتجه الانسان براً دوماً نحو الشمال، إلى القسطنطينية، ومن القسطنطينية، إذا ما توفر الأمن والتسهيلات، يمكن للانسان أن يسافر براً إلى أي جزء من أجزاء العالم كله، وذلك باتجاه الجنوب، وعلى هذا لن تكون هناك حاجة للذهاب بوساطة البحر.

وبطريقة مماثلة، يمكن للانسان أن يكون قادراً على الذهاب(إلى الأرض المقدسة) من خلال الشمال الأفريقي، والمملكة الغربية، ومملكة غرناطة، غير أن المغاربة لن يسمحوا للمسيحيين بالمرور من ديارهم، مع أن المسلمين الذين يسكنون في إسبانيا وأراغون يرتحلون عبر هذا الطريق عندما يودون زيارة مقامات نبيهم محمد(ﷺ)، لكن المسيحيين لايمكنهم العبور من خلال هاتين المملكتين، لأن مملكتي المغرب وغرناطة قويتان جداً وغنيتان، وهما مسكونتان من قبل مسلمين لايكترثون بالسلطان، وهم على خلاف دائم مع ملك إسبانيا، ويقدمون العون دائماً إلى ملك المغرب، الذي هو مسلم، والذي تقوم مملكته على حدود إسبانيا، أي على ذلك الجزء من البحر الممتد في مواجهة ملك إسبانيا، وعليك أن تعرف أن مملكة المسلمين على ذلك الطرف من البحر ما تزال قائمة، وهي معروفة باسم مملكة الغرب، وهي فائقة القوة، وقائمة على الحدود الاسبانية، كما تقدم القول، وهي تمتلك عدداً من المدن العظيمة وأماكن حصينة، وبلدات، والذي أعتقده أن ملك الغرب أكثر قوة من السلطان، لأنه إذا ما توفرت حاجة، يمكنه أن يحشد في نصف ساعة أكثر من مائة ألف رجل مسلح قوي، وهو الذي تصارع ومايزال يتصارع حتى هذا اليوم مع ملوك إسبانيا وكاستيل، كما غالباً سمعت وعرفت، ومثل هذا في جميع مدن أراغون وبلداتها

مسلمون ساكنون فيها، وفي كل واحدة من المدن والبلدات يمتلك الملك قلعة عالية مشحونة بالجند الذين يبقون متيقظين، حتى لايقوم المسلمون بإثارة أي مشكلة أو القيام بعمل مضر، وعندما يرغب حاكم أية بلدة في إرغام المسلمين على تنفيذ أي عمل، يعطيهم خنازير لإطعامهم وسوقهم إلى المرعى، وهو أمر محرم في شريعتهم، وبهذه الوسيلة وبوسائل أخرى كان يرغم المسلمين على تنفيذ أوامره.

٤ — *بلاد ساحل الجزائر وباجة*

بلاد ساحل الجزائرهي بلاد معظمها رمال وصحراء، والذين يسكنون فيها هم أثيوبيون سود، ويوجد على مقربة من بلاد ساحل الجزائر بلاد أخرى صغيرة، ليست أكثر من ستة أميال(ألمانية؟) من حيث الاتساع، اسمها باجة، حيث يجري تربية القردة وامساكها، وجميع السكان هناك لهم وجوه مثل وجوه القردة، ويشمل ذلك كل من النساء والرجال، وهم يحتفظون بالقردة في بيوتهم، مثلما يفعل الذين هم من هذه المناطق باحتفاظهم بالكلاب والطيور، وينتجون من هذه القردة، قردة صغار، يتولون بيعها، وبثمنها ينفقون على عيشهم، ولهذا السبب يقومون بخصي صغار القردة حتى لايجري تربيتها في مكان آخر، ومع هذا فإنني غالباً ما رأيت قردة صغار في مناطق مختلفة، وينبغي أن نعرف أن البحر المتوسط يتدفق إلى المحيط، فيما بين إسبانيا والمغرب، ويأتي تدفقه خلال مضيق لايتجاوز عرضه ربع ميل(الزقاق)، ولضيقه تقف على ضفته هنا امرأة مسيحية، وتقف على الضفة المقابلة امرأة كافرة، تقومان بغسل ملابسهما، وتتشاتمان وتتخاصم إحداهن مع الأخرى، ويطلق على هذا المضيق البحري من قبل السكان المحليين اسم مضيق جبل طارق، أو مضيق المغرب.

وبعدما يعبر الانسان هذا المضيق الصغير يمكنه الذهاب إلى جميع أنحاء الدنيا،براً، باتجاه الجنوب، وكما قلنا من قبل لاتوجد معيقات على

هذا الطريق، وبعبـور هذا المضيق البحري يقدم كل مـن ملكي الغرب، وغرناطة لتقـديم المساعدة إلى ملك الغـرب، لأنهما يعبرانه بكل سهولة، ومثلما يصب البحر المتوسط في المحيط مـن خلال هذا المضيق القائم فيما بين إسبانيا والمغرب، يقوم هذا المتـوسط بالطريقة نفسها فيصب في بحر بنطش، قرب أسـوار القسطنطينية، وذلك من خـلال مضيق اسمه ذراع القديس جـورج(البوسفـور)، الذي بالعرض نفســه، مثل المضيق المتقدم الذكـر، وينبغي أن يكـون معلومـاً، أنه لاتوجـد أية مناطـق جـافـة من الأرض في بحـر بنطش ولا أحد يعـرف بوجـود مثل ذلك، إلاّ باستثناء جزيرة واحدة اسمها خيرسون Cherson ، إليها نُفي البابا القديس كليمنت، وقد أُغـرق بالبحر نفسه، ولقـد قرأنا أنه يوجـد في هذا البحر هيكل رخـامي ينفتح إليه ممر في يوم عيـده، لكن في هذه الأيام لاينفتح، إنما في الأيام الغوابر كـان كذلك، ذلك أن جسد القـديس كليمنت راقد في رومـا، والجزيرة مهجـورة، وعلى كل حال يجري منهـا تصـدير أجمل الرخام وأفخـره، [وهناك بحر آخر باتجاه الشرق وراء مدينة مـدينة غارا Gara ، التي هي بأيدي تتـار بلاد الكومان، واسم هذا البحـر «بحر الخزر»، وهذا البحر غير متصل بكل من المحيط، أو البحـر المتوسط، أو بحـر بنطش بوســاطة أي مضيق مــرئي، ويقـول بعضهـم بأنه متصل بالبحـرين الآخـرين، ويفصل ذراع القـديس جـورج الذي تحدثت عنه أوربا عن آسية الصغرى، التي هي مقاطعـة من آسيا العظمى، وغالباً ما يطلق على هذا المضيق اسم فـم القسطنطينيـة، لأنه هناك على الشـاطىء الأوربي، تقوم مـدينة القسطنطينية الجليلة، التي تعرف أيضـاً باسم روما الجديدة، كما تقدم القول].

٥ — *البحر المتوسط*

البحـر المتــوسط هو البحـر الذي يبحــر الانســان عبره إلى الأرض المقدســة، ويطلق عليه اسم البحر المتـوسط لأنه يمتد نحـو شرقي آسيا،

حيث يشكل حـدودها، وأيضـاً إلى غـرب وشمالي أوربا، وإلى الجنوب الأفـريقي، حيث تنفصل بلدانهم عن بعضهـا بوسـاطة مضـائقه، ولقـد سمعت بأن أفريقيا وأوربا تنفصـلان عن بعضهما بوساطة نهر اسمه اندا Inda ، الذي فيـه أُغـرق الأربعين شهيـداً،ويمـر هذا النهـر نفسـه بمدينة اسمهـا بتريس Biterris وقد أطلق عليهـا هذا الاسم لأنها قائمة فيما بين برين، والمعني بذلك: أفريقيا، وأوربا، ويطلق على أسقفها اسم أسقف بتريس، ولقـد قـام الفلاسفـة الرومـان الذين قسموا العـالم ووزعـوه بين الـرومـان، ببناء هذه المدينة منذ أيـام خلت، وذلك في أيام هانيبال، وقاموا أيضاً ببناء مدينة أخرى إلى جانبها اسمها نربونة، ويطلق على أسقفهـا اسم أسقـف نربونه، وكثيراً مـا زرت تلـك البـلاد، ولكن دعونا نعـود إلى موضـوعي، حيث عليك أن تعرف بأن البحـر المتوسط تتحـرك مياهه نحـو الداخل والخارج، وذلك حسبما سمعت، وفيه مـد وجـزر، وبلا شك هو لايعـرف الاستقـرار، كما هو واضح بالرؤية، فيما بين كالبيرا(قلورية) وصقلية، ففيما بينهما يتدفـق البحر بشدة بلغت حداً، أن ما من بحـار يجرؤ على الابحار هناك من دون مـرشد مختص، ومثلما يمكن رؤية مثل هذا بوضوح في أمـاكن أخرى كثيرة، وينبغي أن نعرف أن البحـر المتوسط ليـس له العرض نفسـه في جميع الأجـزاء، بل هو في بعض المواضع أعـرض وفي بعضها أضيق من أمـاكن أخرى، وأعـرض مكان فيـه من الغـرب إلى الشرق هو الممتـد من اسبـانيـا إلى غـاليشيـا، وقطلونيا وجزئياً إلى بروفـانس، وأضيق مكان فيه من الغرب إلى الشرق هو الممتد من كالبيرا، وأبوليا، ونابولي، والبندقية، وأحواز هذه الأماكن.

٦ — *مخاطر البحر المتنوعة*

وهكذا يتـوجب على الذي يود السفـر إلى الأرض المقـدسة بحـراً أن يركب سفينة من أية منطقـة أو مـدينة، أو ميناء، يقع اختياره عليـه،وأنا أدع هذه المسألة إلى حـريةاختياره، أمـا بالنسبة إلى الطعـام، فليأخذ معـه

بقـدر مـايستطيع، أو بقـدر مـالديـه، وعلى العمـوم اعتـاد الناس الذين يبحـرون من الغـرب إلى الشرق على التـزود بأطعمـة تكفي لمدة خمسين يومـاً، على أنهم عندما يبحـرون من الشرق إلى الغـرب قد اعتـادوا على التـزود بأطعمة تكفي لمدة مـائـة يوم، لأن السفينة تطير وهي قادمـة من الغـرب إلى الشرق بريح طيبة، حيـث أنها تقطع في الليل مسافـات أكبر منها في النهار، حيث أنها تقطع مسافة خمسـة عشر ميلاً في كل ساعة من اليـوم، وسبب هذا أن البـلاد الغـربيـة باردة جـداً، وكثيرة الرياح، وفي المقابل فإن البـلاد الشرقية حارة جداً، وهي جميعـاً بلا رياح، وبناء عليه يبحر الانسان ببطء أكثر على سطح البحر عندما يكون عائداً، منه عندما يكون ذاهباً إلى هناك، وخاصـة أن السفن الكبيرة الذاهبة من الغرب إلى الشرق اعتـادت على العـودة في شهـري أيلول وتشرين أول، وتبـدأ الغـلايين والمراكب من هذا النوع بالاقـلاع من هناك شروعاً من شهـر آب، عندما يكون البحـر هادئاً، لأن ما من مـركـب يمكنه أن يعبر البحر في تشرين الثاني، وكانون الأول، وكانون الثاني، بسبب العواصف، وعلى كل حـال مـا من مـركب يستطيع — إلا بالنـادر — العـودة من دون تعب، ورعب، وخوف، وانزعـاج، وحول هذا أنا متأكد وعـارف تماماً، لأنني عشت مـراراً ورأيت نفسي وسـط العـواصف العنيفـة في البحـر، وهي عواصف يصعب وصفها كلياً[لأن ما من إنسان يمكنه أن يصف ذلك تمامـاً، كما أن مـا من إنسـان يمكنه أن يصـدق بوجـود مثل هذه العـواصف الشديدة جـداً في البحـر]، وفي الحقيقة إنني أعـرف أن ذلك صحيحاً، لأن ما من صخرة أو رمل في قاع البحر إلاّ ويتحرك، إذا كان قـابلاً للتحرك، وذلك عندمـا يثور البحـر ويتقاذف هكذا، وقـد تبرهن على صحة هذا الأمر بين الجزر، حيث يكون البحر ضيقاً، وحيث يكون هنالك عـدداً هائلاً من الصخـور يجري قذفهـا من شاطىء إلى شـاطىء أثناء العواصف، وحـدث في إحدى المرات أن رجلاً كان مسـافراً قرب الساحل الأرمني بوساطة غليون، فثـارت فجأة عاصفة في الليل، بسببها

جرى فقدان ثلاثة رجال، ووجدوا في الصباح أن الغليون كان مغطى برمل سماكته أكثر من ذراع، مما رماه البحر أثناء هياجه، وفيما يخص برعب البحر ومخاوفه التي تنشأ من أسباب متنوعة، رأيت من المفيد الحديث بعض الشيء حولهم.

٧ — *الخطر الذي اسمه غولف* Gulph

وتصدر المخاوف أولاً عن الرياح الطبيعية، وذلك كما سلف القول، ومثل ذلك عن الرياح الشديدة جداً، التي يطلق البحارة عليها في البحر اسم«غولف»، وهي التي تسير من الفجوات في الجبال، وهي لاتؤذي السفن مالم تكن قريبة جداً، ففي سنة ١٣٤١ لتجسيد ربنا، وفي ليلة أحد، حيث كان يجري غناء Laetare Jerusalem (الأحد الرابع من الصوم الكبير)، وكنا وقتها مبحرين من الشرق، وكان لدينا ريح شرقية جيدة جداً، وبناء عليه انطلقت السفينة بأشرعة ستة منشورة، تطير طوال الليل، لكن حدث عند الصباح المبكر، وكنا مبحرين نحو جبال أضاليا، وكان البحارة جميعاً نيام، أن قذف هذا الغولف نفسه السفينة مع أشرعتها وضربها بعنف على جانبها، ودفعها نحو البحر، بحيث أن جميع الأشرعة تبللت، وسارت السفينة مائلة على طرفها إلى مسافة طويلة، ولو أن السفينة دفعت أكثر وجنحت على طرفها، لغرقنا جميعاً، وقطعنا على كل حال جميع الحبال، وربطنا جميع الأشرعة ، حتى وازنت السفينة نفسها بعض الشيء، وهكذا نجونا بفضل نعمة الرب من ذلك الخطر العظيم.

٨ — *الخطر الذي اسمه غروب* Grup

وهناك أيضاً مخاطر أخرى في البحر، تصدر عن رياح غير طبيعية، ويطلق عليها البحارة اسم«غروب»، وهي تنشأ عن التقاء ريحين، وبسهولة يراها الرحالة قادمة، هذا ولقد ارتعبت كثيراً منها حتى بعد

انتهـاء رحلتي، فضــلاً عن هذا هناك مخاوف أخـرى في البحـر، من القـرصـان أو لصـوص البحـر، الذين يهاجمون واحـدة من السفن مثلما يهاجم المقاتلون قلعـة من القلاع، لكن هذا الرعب تناقص كثيراً منذ أن اختارت مدينة جنوا لنفسها دوجاً.

٩ — *الرعب من الأماكن القليلة العمق*

وهناك أيضاً مخاوف أخرى في البحر، يدعـوها البحارة باسم الأماكن الضحلة، وبالنسبـة لهذا الموضوع عليك أن تعلم أن البحـر ليس بالعمق نفسه في كل مكان منه، لأنه يوجد في البحـر جبال، وصخور، ونباتات، وحشائش خضراء مثلما هو موجود على اليابسة، وهذه الجبال والصخور هي عـالية في بعض الأمـاكن، ومنخفضـة في أماكن أخـرى، ففي بعض الأماكن نادراً ما تكـون الصخور والجبال مغطاة بشبر أو ذراع من الماء، ولهذا السبب مـا من أحـد يتجـرأ على الابحـار جنوياً باتجاه بلاد البربر، لوجـود صخـور كثيرة، وأماكـن ضحلة قليلة العمق مغطاة بالماء، وهذه المخـاطر مرعبـة بشكل كبير في البحـر، لأنه في مثل هذه الأوقـات يتم العثور على كتل من أنواع النباتات مرمية على الشاطىء، وكذلك بعض المرجان، مما تقـرص فروعـه عندما تقـذف من قاع البحـر، لكنها تصقل بعـد ذلك مـن قبل معلمي الحرف، والمرجـان في البـدايـة هو أبيض ويقـرص، لكن جاذبيـة الشمس وأشعتها على قعـر البحر، حيث ينمـو، تجعله أحمر، والمرجان ينمو على شكل نبتة صغيرة لها ثمرة واحدة عالية، وعندمـا يجري رمي المرجـان هكذا بكميات كبيرة وقـذفهم من البحـر، يقـوم الناس بجمعهم وبيعهم وهم مايزالون يقـرصون، ولقـد رأيت في أحد البيـوت من المرجان أكثر ممـا يستطيع خمسين حصاناً حمله، ولاأتجرأ أن أقول المزيد.

١٠ — المخاوف من السمك

ومثل هذا يوجد في البحر مخاوف أخرى، نادراً ما تقع إلاّ للسفن الصغيرة، والمعني بهذا المخاوف من الأسماك الكبار، وحول هذه الأسماك عليك أن تعرف سمكة خاصة يدعوها الاغريق باسم ترويا Troya البحر، ومعنى هذا الاسم أفعى البحر،وهي ينبغي أن تخاف كثيراً من قبل المراكب الصغيرة، لأن هذه نادراً — أو مطلقاً — ما تسبب أي أذى للسفن الكبيرة، ما لم يكن مضغوط عليها بسبب الجوع، وفي الحقيقة إذا ما أعطاها البحارة خبزاً تفارق وهي راضية، لكنها إذا لم تفارق، فوقتها يمكن أن تكون مخيفة، ومن الممكن جعلها تهرب برؤية إنسان غاضب وله وجه متجهم، وعلى كل حال على الانسان أن يكون على درجة عالية من الحذر، عندما ينظر إلى السمكة هكذا، وأن لايكون خائفاً منها، بل عليه أن يحدق بها بوجه جريء ومظهر مرعب، لأن السمكة إذا ما رأت الانسان خائفاً فإنها لن تفارق، بل تقوم بعضّ السفينة وتمزيقها بقدر ما تستطيع، وعلى كل حال، إذا ما نظر الانسان بجرأة، وبتوحش نحو السمكة مع ملامح وجه غاضب، فإن السمكة تشعر بالرعب وتغادر وتبتعد عن السفينة، ولقد حدثني بحار متميز جداً، أنه عندما كان شاباً، واجه الرعب مع هذه السمكة في مركب صغير، وكان معه في السفينة شاب اعتقد بنفسه أنه فائق الشجاعة وحاد، وبناء عليه عندما قابل السمكة لم يعطها خبزاً، بسبب الشجاعة التي اعتقد أنه يمتلكها، وأنزل نفسه بوساطة حبل من السفينة إلى الماء، ليحدق بالسمكة بوجه غاضب، كما هي العادة، غير أنه عندما رأى السمكة ارتعب على الفور وصرخ لرفاقه ليسحبوه ويرفعوه بوساطة الحبل، ولدى رؤية السمكة الرجل الخائف، قفزت من الماء وهو يسحب نحو الأعلى، وبعضة واحدة التهمت نصف الرجل من أمعائه نحو الأسفل، ومن ثم ابتعدت عن السفينة، ومع هذا قد قيل بأن هذه

السمكة ليست طويلة بقدر ما يستطيع أن يرمي إنسان حجرة، كما أنها ليست عريضة لكن رأسها ضخم جداً وعريض، وكل الأذى الذي تلحقه بالسفن تلحقه بعضها وبتمزيقها.

وسمعت أيضاً من بحار آخر صادق جداً، كان يعرف جميع ممرات البحر تقريباً، وهو أيضاً كان قد تعرض إلى عدد لايحصى من المخاوف المرعبة، من مختلف الأنواع في البحر، وقد أخبرني هذا الرجل نفسه أنه قد أرغم بوساطة ريح معاكسة، على الابحار في أماكن كان الابحار فيها مرعب جداً، وذلك بسبب الصخور، وقرب قاع الأرض التي كانت بالكاد مغطاة بالماء، وعندما لم يكن بعيداً عن مثل هذه الأماكن، لم يكن قادراً على ايجاد قعر عميق على بعد عشرة آلاف ذراع، وعندما كانت السفينة مبحرة في هذه الأماكن مع أعظم قدر ممكن من الخوف والخطر، حدث أن السفينة مرت على سمكة اسمها عند الفرنسيين Melar ، كانت مختبئة بين الصخور هناك، وعندما شعرت السمكة أن السفينة مقبلة نحوها، تصورت أنها وحش عظيم من الممكن ابتلاعه، وفتحت فمها، وأعطت السفينة عضة كبيرة جداً، ومع أن السفينة كانت محملة كثيراً، فقد دفعت إلى الخلف مسافة كبيرة. واستفاق الناس، الذين كانوا على ظهرها بسبب تلك العضة والصدمة، وعندما أدرك البحار أن السفينة اصطدمت بعقبة لايمكن تجاوزها، صرخ إلى الناس الذين كانوا في السفينة ليصلوا إلى الرب من أجل أرواحهم، وكان قد اعتقد بأنه لم يكن هناك أمل ببقائهم أحياء، حيث كان موقناً بأن السفينة لابد أنها اصطدمت بصخرة عظيمة، وعلى الفور نزل البحارة والخدم التابعين للسفينة إلى قبوها، راغبين في أن يروا المكان الذي خرقت فيه السفينة، فوجدوا أن سن سمكة سميك عريض مثل جذع شجرة، وطوله ثلاثة أذرعة قد خرق السفينة، وقد حاولوا أن ينتزعوا ذلك الجزء من السن بأدوات معدنية، فلم يستطيعوا، فقاموا بقطعه بالمنشار على سوية طرف

السفينة، وليس هنالك من شك أن السفينة كانت ستتحطم لولا أن هذا السن كان حاداً إلى درجة مكنتـه من خرقها بذلك الشكل المدهش، وفي الوقت الذي أتأمل فيـه حول طول وعـرض مثل هذه السمكة، أخبرني البحار نفسه بأن لا أندهش، لأن في البحـر سمكة طولها ميل، وعرضها أربعـة آلاف وستمائـة ميل(ذراع؟) وذلـك في أضيق مكان فيهـا، وهناك أيضاً في بركـة صغيرة لايتجاوز عرضها رميـة سهم توجد سمكة طولها ذراع، وهي غـالباً مـا تصاد، ولقـد رأيت ثلاث سمكات من هذا النوع خـارج سردينيـا، وكانـوا يندفعون خـارج الماء أثناء تنفسهم إلى مسـافـة بعيدة، أكثر مما يستطيع قوس أن يرمي نشـابته، وكانوا يصدرون صراخاً مثل الرعـد، فضـلاً عن هذا، في أيامي، عندمـا كنت قـريبـاً من جـزيرة طرطوس، كـــانت هناك سمكة، حينما أخـــذت بـالاصطدام بسمكات أصغر رمت بنفسها على اليابسة، وساقـت أمامها موجة عظيمة من الماء، وعندمـا عادت الميـاه إلى البحـر، بقيت السمكة على اليابســة، وأطعمت جميع السكان هناك في تلك المناطق بلحمها ودهنهـا، لكن ليس بعد أمد طويل، عندما ازدادت درجة حرارة الشمس، تسممت المنطقة كلها بنتن السمكة عنـدمـــا تعفنـت، ولمدة طويلة كـــان من الممكن رؤيـة الهيكل العظمي للسمكة عن بعد، مثل بيـت كبير، وأطراف منه تحركها الرياح، وبعـد بعض الوقت تحطم هذا الهيكل ونقلتـه العواصف والزوابع نحـو الأسفل ولقد سمعت مـن كثير من الناس من أهل المعرفـة أنه يوجد في البحر حوت طويل جداً.

١١ — أنواع الأسماك

ومثل هـذا يوجـــد في البحـــر كثير من أنواع السمك، مـن مختلف الأشكال، من الكبير والصغير، بعضهـــا لها ألوان واحـــدة، ومظهـــر، وشكل، وترتيب، وبعضها بأجنحة، وبعضها بلا أجنحة، ولايمكن فهم طبيعـــة هؤلاء جميعـاً مـن قبل العقل البشري، وبين هذه الأنواع جميعـــاً

هناك أنواع بالفعل مدهشة جداً،يرفعن أنفسهن مسافة طويلة جداً خارج الماء، ويمكن لبعضهن أن يجرين طائرات على مستوى وجه الماء لمسافات طويلة مثل الخفاشات، لكنني لست متأكداً كم يستطعن أن يطرن، وإلى أية مسافة.

ولقد سألت بإلحاح البحارة العارفين: من أين تأتي هذه الأسماك؟ وقد أجابوني أنه ينمو على شاطىء البحر في إنكلترا وايرلندا أشجار جميلة جداً تحمل فاكهة تشبه التفاح، ويعيش في هذه التفاحات حشرات، وعندما تنضج التفاحات، يسقطن على الأرض، فيتحطمن بعملية السقوط هذه، وتطير من داخلها حشرات، لأن لها أجنحة مثل النحل، والحشرات اللائي يلمسن الأرض أولاً يغدون مخلوقات هوائية، ويطرن هنا وهناك مع الطيور السماوية الأخرى، لكن ما أن تلمس هذه المخلوقات الماء حتى يتحولن إلى مخلوقات مائية ويسبحن مثل الأسماك، غير أنهن يجلن في أماكن أخرى ويدربن أنفسهن على الطيران، لكن يبقى هل يخلقن هكذا على الأشجار، إنني لاأعرف أكثر مما سمعته في هذه الحكاية، إنما هن يؤكلن مثل الأسماك، ويرون وهن طائرات من قبل الناس الذين يرتحلون في البحر.

١٢ — *هجرة الطيور*

وعليك أن تعرف أنه في موسم محدد، تقوم أعداد عظيمة من الطيور من جميع الأنواع، من كبير وصغير، بالارتحال عبر البحر من الغرب إلى الشرق، وتعود ثانية، وبشكل خاص طيور: السنونو، والسلوى والغرنوق، وأعداد لاتحصى من الطيور من جميع الأنواع والألوان، سواء ما كان منها كبيراً أو صغيراً، الله وحده يعرف أسماءها وأعدادها، وهم يطيرون على طريقهم من جزيرة إلى جزيرة، ويصبحوا ليسوا أكثر من عظم وريش، ويبلغ بهم حد الانهاك إلى عدم الاهتمام بالحجارة والنشاب، وقد أمسكت بعضاً من طيور السنونو ... على ظهر السفينة،

لكن سرعـان ما مـاتوا، ومع هذا إنني لم أر مطلقـاً في جميع المناطق التي كنت فيها فيما وراء البحار طائر اللقلق، لكن رأيت مرة في دير للموارنة لقلقاً، عددته مـدهشاً في حجمه، ولقد سُئلت دومـاً عما إذا كانت طيور السنونو تقضي الشتـاء في بلادي، فأجبت: لا، إنما بالنسبة لبـلادي، تأتي هذه الطيور إليها في آذار، إنما وهذه الطيور هنـاك ما من أحد يعرف من أين جاءت، وقد حدث في مرة من المرات، أنه في واحد من قصور أحد السادة الكبار، كان الحاجب نائماً فوق منضدة عندما جاء اثنان من طيور السنونو، وهما يتخاصمان حول عش، ووصـلا في التخاصم إلى حد أنهما أخذا بعضّ بعضهما بعضـاً، وهكذا سقط كلاهما على وجهـه وهو نائم، فأمسك بهما بشـدة، ثم وضع حـول كل واحـد منهما طوقـاً، وقـد كـانا يأتيـــان في كل سنة ويعــودان إلى عشهما مع هذيـن الطوقين نفسيهما، وبإمكاني أن أروي حكايات طويلة جداً حـول أنواع أخرى من الطيور، من الصغير والكبير، ممن يقوم بعبور البحر في أوقاتهم الخاصة، إنما لابد لي من العودة إلى موضوعي، وأن لاأكتب المزيد حول مثل هذه المسائل.

١٣ — الرحلة عبر البحر — طروادة والجزر

وعلى هذا كل من يود زيارة الأرض المقـدسة، أو أي مكان من بلاد ما وراء البحـار، لابد له من السفر إلى هناك بسفينة أو بغليـون، وإذا ما سافـر في سفينة، فإنه وقتها يجوز مباشرة عبر البحـر، دون أن يتوقف في أي ميناء مـالم يكن مرغماً على فعل ذلـك، بسبب رياح مضادة، أو طلبـاً للأطعمة، أو وجود قضية ضرورية جداً، وهكذا فإنه يخلّف بلاد الجزائر على يمينه باتجاه الجنوب، ويترك بلاد الاغـريق على يساره باتجاه الشمال، ويحصل على مشهـــد عن بعـــد لكثير من الجزر الشهيرة من ذلك: كورسيكا، وسردينيـا، وصقلية، ومـالطة، وغوي Goy ، وسكارب Scarpe، وكـريت ورودس، وجزر أخـرى كثيرة، صغيرة وكبيرة، لكنه إذا ما أراد العبور في غليـون، عليك أن تعرف أن الغليون هو نوع

من المراكب المستطيلة، التي ترتحل من شاطىء إلى آخر، وتبقى مبحرة على مقربة من الشاطىء، وتتوقف في مرسى على الشاطىء في الليل، ولها ستين مقعداً على كل جانب، ولكل مقعد ثلاثة من البحارة معهم ثلاثة مجاذيف، ورامي قوس واحد، وعلى ظهر الغليون يجري دوماً أكل أطعمة جديدة، وهذا أمر لايمكن القيام به على ظهر السفينة، وعندما يكون الغليون على هذه الصورة على محاذاة الشاطىء، يمكن للانسان أن يرى مالايحصى من الأماكن الفائقة الجمال، والمدن، والبلدات، والقلاع، وخاصة تلك الأماكن كلها التي يمكن رؤيتها من السفينة عن بعد، فهي الآن تشاهد من خلال الغليون عن قرب، وهي تمر أمام العين دقيقة دقيقة، وعلى هذا، من الممكن القول تقريباً، أنه في الغليون من الممكن رؤية شواطىء ما حول الجزء الشمالي من العالم، وذلك كما سنرى فيما بعد، وأما والانسان مسافر هكذا في غليون من مكان إلى مكان آخر، ومن ميناء إلى مياء آخر، يمكنه الوصول الى القسطنطينية التي كنت قد حدثتكم عنها، وبعد مغادرة تلك المدينة، يصل الانسان وهو نازل على محاذاة ساحل آسيا الصغرى إلى المكان الذي قامت فيه فيما مضى مدينة طروادة الجليلة جداً، والتي لم يبق منها أثر يمكن رؤيته، اللهم إلا باستثناء بعض الأساسات تحت ماء البحر، وكذلك في بعض الأماكن بعض الحجارة القليلة وبعض الأعمدة الرخامية المدفونة في الأرض، التي عندما يعثر عليها يجري نقلها وأخذها إلى أماكن أخرى، وفي هذا المقام عليك أن تعرف، أنه لايوجد في البندقية عمود حجري أو أي حجرة جيدة القطع والصنعة لم تكن قد جلبت إليها من طروادة، هذا وقد بني إلى جانب المكان الذي قامت فيه طروادة فيما مضى مدينة صغيرة، اسمها أيوس ياموس Ayos Yamos، وذلك باللغة الاغريقية، وكانت مدينة طروادة قائمة على شاطىء البحر في منطقة اسمها فريجيا، وهي ليست بعيدة عن خلقدونية، لكن كما يبدو لم تملك ميناء جيداً، وعندما يسافر الانسان في غليون من طروادة يرى شواطىء

لومبارديا، وشمبانيا، وكلبيرا، وأبوليا، ويصل الانسان إلى جزيرة اسمها كورسيكا، وحدث أنه قرب هذه الجزيرة جرى اغراق سفينة القديس بولس الرسول، وذلك بعدما قدم التماساً إلى قيصر، بعد ما جرى اعتقاله في اليهودية، وهناك أيضاً، حدث في المساء، عندما كان جالساً أمام النار في النزل جرى قرصه من قبل أفعى خبيثة، ونجا دون أن يصاب بأذى، وذلك كما نقرأ في أعمال الرسل، ومازال يسكن في تلك الجزيرة أناس يتفاخرون بأنهم من أسرة صاحب النزل، الذي نزل في نزله ما نزل من هذه الأشياء بالقديس بولس، وهؤلاء الناس قد منحوا القدرة على الشفاء ببصاقهم أي واحد جرى قرصه من قبل أفعى أو صلّ، وعندما يريدون ممارسة هذه القدرة مع أي انسان، يأخذون أولاً كاساً مليئاً من الخمرة، ويشربون منها أولاً ثم يضعون فيها كمية من البصاق، وإذا ما كان الذي أعطيت الكأس له قد رفضتها نفسه وأصيب بالغثيان، يمزجون تربة مع الخمرة، ويعطونها إلى المحتاج إليها، حيث يتلقى هذه القدرة، أو النعمة وهو يقول: «خذ ياهذا القدرة والنعمة التي أضفيت علينا من قبل الرب وعلى أولادنا، تشريفاً لبولس الرسول، الأمر الذي نمنحك إياه ونضفيه عليك باسمه، حتى يكون بمقدورك إذا ما قرصت من قبل أفعى أو صلّ، أو من قبل أي من الهوام السامة والمؤذية، أن تشفي نفسك ببصاقك، وتعالجها، إنما دون أن تعالج شخصاً آخر، ونقوم بمنحك هذا من دون أخذ أية مكافأة مقابل ذلك، ونحن نعطيك ذلك من أجل الرب، باسم الآب والابن وروح القدس، آمين»، وإذا ما قام أي انسان بمعالجة انسان آخر إلى جانب نفسه يفقد على الفور قدرته، إنما في الوقت نفسه تفيد الذي تولى معالجته، ويبحر الانسان من جزيرة كورسيكا هذه إلى سردينية، وهي جزيرة جليلة جداً، ذات تربة جيدة وخصبة، مليئة بالقطعان، والسائمة، لكنها من دون خمرة، حيث تجلب إليها من أماكن أخرى، ومن المقرر أن جسد القديس اوغسطين يرقد في هذه الجزيرة، لكن (لوتبراند Luitprand)نقله

(في سنة ٧٢٥) إلى بافيا Pavia ، وقد ولد في هـذه الجزيرة أيضاً القـديس مكاريـوس الذي كـان بارزاً جـداً بين النسـاك، وكـانت هذه الجزيرة تابعـة للبيازنة، لكن ملك أراغـون انتـزعها منهم بالقـوة، وهي لاتحتوي على كثير من المدن، بل فيها مدينة واحـدة اسمها قلعة دي كال Cal، وإلى جـانب هذه المدينة قلعة اسمهـا بونايـر Bonayr، وكنا في يوم الصعـود من سنة ١٣٤١، قد دفعنـا بقوة نحـو هذه الجزيرة، وذلك من قبل ريح عاصفة شديدة وقـاسية ثارت بشكل مفاجىء، وكنا وقتها في سفينة كبيرة جـداً، وإثر هذا اقتضى منا الأمـر خمسة عشر يومـاً حتى عوضنا المسـافة التي كنا قد سرناها قبل العـاصفة منذ الساعة السـادسة حتى وقت العشـاء، ولايتذكـر الشيـوخ في أيامنا هذه عاصفـة مثل هذه العاصفـة العظيمة في البحـر، وفي الليلة التي دفعنا فيها إلى هنـاك، وجد ثلاث وأربعـون سفينـة أخـرى كبيرة قـد تجمعت هناك، وكـانت مثلنا أنفسنا، قـد دفعت إلى هناك من مختلف أطراف البحـر، وذلك مع عـدد لايحصى من المراكب الأخرى، من الأحجام الصغيرة والكبيرة، وبعضها كان قد رمى بحمولته، وبعضهـا الآخر كان قد تحطم، وبين تلك السفن جميعاً جاءت أعظم سفينة في العـالم من نابل، وكانت محملة بألف برميل من الخمر، وذلك من ذوات الحجم الأكبر من نوعه، مع أكثر من ستمائة رجل ومختلف أنواع التجارات، وكـانت آخذه طريقهـا إلى القسطنطينية، غير أنها صـدت بقوة العـاصفـة وعنفها، وجـزيرة سردينيـا هذه مجاورة لجزيرة أخرى صغيرة اسمهـا سوبر Sauper ، أي أن تقول جزيرة القديس بطرس، حيث يوجـد عليها خيول وحشيـة، وهي صغيرة جداً، وعظيمـة الجمال، ولسرعتهـم من غير الممكن امسـاكهـم، إلاّ من قبل اللصـوص الذين يطلقـون السهـام عليهم ويأكلـونهم من أجل التمتع بلحم الطرائـد، والبحر بين هذه الجزيرة وبروفانـس خطير جداً، ويطلق البحـارة على هـذه المنطقـة اسم خليـج ليـون، ومعنى ذلـك «غضب الأسـد»، لأنه إذا كان من الممكن أن تستطيع سفينة مـا الابحار بسـلام

على ظهر بقية البحر، إنها لن تتمكن من عبور هذا المضيق البحري من دون مواجهة عواصف عظيمة، ومخاطر، ورعب، ولهذا السبب أطلق على هذا المكان نفسه اسم خليج ليون، ومن جزيرة سردينية هذه يستطيع الناس الإبحار إلى جزيرة صقلية، وهي بلاد جليلة جداً، مساحتها حوالي الثمانين ميلاً، وهذه مملكة عظيمة جداً، وهذه الجزيرة أعظم خصباً من جميع البلاد المجاورة، لأنه عندما يكون هناك انحباس للمطر، وجفاف وقحط في جميع بلدان وأقطار ما وراء البحر، نجد هذه المناطق يجري اطعامها ومساعدتها من قبل صقلية لوحدها.

١٤— جزيرة صقلية

وفي مملكة صقلية سبع أسقفيات ومطرانية واحدة، مطرانها رئيس أساقفة مونريال، الذي هو في أيامي راهب ماروني، فضلاً عن هذا تمتلك صقلية عدداً كبيراً من المدن الحصينة جداً والجليلة، والمواقع الحصينة والبلدات، ولاسيما المدن الأكثر جمالاً والأعظم حصانة الموجودة على شاطىء البحر،فكل واحدة من هذه المدن لها ميناء، ومن هذه المدن: مسينا، وبلرم، وطبرمين، والقنطرة، ويسكن في القنطرة رهبان دومينكان، لديهم صورة للعذراء مريم المباركة في أيام البشارة، وهذه الصورة يبجلها أهل المدينة كثيراً، ومثلهم يفعل الذين يبحرون على ظهر البحر، لأن ما من سفينة تعبر من هناك إلاّ وتقف على مسافة محددة لتقدم التبجيل لهذه الصورة ولزيارتها، ويخبرون الانسان— ويعتقدون بشكل حازم— أن أية سفينة ستعبر دون تحية هذه الصورة أو زيارتها، سوف لن تصل إلى وطنها، من دون أن تواجه عاصفة، وواجهت القديسة أغاثا في مدينة القنطرة الشهادة، وجسدها كله راقد هناك، وهي محترمة كثيراً، وتحرس بعناية كبيرة، لأنه بفضل محاسنها يصنع الرب يومياً كثيراً من المعجزات في جميع أرجاء صقلية، وعلى مقربة من مدينة القنطرة هذه يقوم جبل منفرد عالي الارتفاع كثيراً،

ويطلق عليه الذين يسكنون هناك اسم جبل بيل Bel، أي أن تقول الجبل الجميل، ولايتوقف هذا الجبل عن اصدار اللهب والدخان وكأنه فرن ناري، ويقذف صخوراً محترقة بحجم بيت صغير، ويطلق عليها سكان تلك المناطق اسم أحجار الخفاف، وبها يجري صقل الرق للكتابة، وهذه مع المقذوفات الأخرى التي يرمي بها الجبل تتجمع وتتكوم بوساطة الريح، حتى تشكل ما يمكن دعوته جبالاً عظيمة وطويلة، ومن هذا الجبل تدفق نهر النار الذي قرأنا عنه في آلام القديسة أغاثا، حيث قالوا: «وقد أقاموا ظلة حاجزة لإبقاء النار بعيداً»، ومن الممكن رؤية مجرى هذا النهر بوضوح في هذه الأيام، وعلى كل حال لقد تدفق نهر من النار مشابه مراراً منذ أيام القديسة أغاثا، وإلى هذه الأيام نجده يتدفق أحياناً، وفي الحقيقة جرى دمار جزء كبير من صقلية بأنهار النار هذه، وبأحجار الخفاف، التي قذفت من الجبل، لأنه عندما يبرد النهر، تصبح هذه الأحجار قاسية، من غير الممكن تكسيرها بأدوات حديدية أو أية أدوات مهما كان نوعها، ولقد قيل يوجد في هذا الجبل فم الجحيم، وما من شك يوجد بعض الحقيقة في هذه الحكاية، فلقد تبرهن وتقرر بوساطة عدد من الأصوات، والمعجزات، والأمثلة في اليوم الحاضر، وفي التواريخ القديمة للمملكة، أنه في أي وقت وجدت فيه أية معارك كبيرة، في أي مكان، يرسل الجبل نفسه اللهب عالياً حتى عنان السماء نفسها، وبناء عليه فإن الذين يسكنون صقلية يعرفون أن هناك معارك حقيقية يجري القتال فيها في بعض أقطار العالم.

ولقد أخبرني راهب ماروني، قد سكن لوقت طويل في جزيرة صقلية، أن فيما لديه من معلومات حدث أنه عندما كان الامبراطور هنري [السابع]، صاحب الذكرى الطيبة والبيازنة يقاتلان ضد الملك روبرت في جبل كاشيم Cachym [سنة ١٣١٥]، وهي الحرب التي قتل فيها أخو الملك روبرت، وهو مدفون حتى هذا اليوم في بيزا تحت

ضريح الامبراطور المتقـدم الذكـر، ففي تلك الليلـة التهب هذا الجبل، وكـان مضيئاً طوال ليلة المعركـة إلى حـد أن رهبان مسينا، الواقعـة على مسافـة عشرين ميلاً عن هذا الجبل، قد قـرأوا نصوص قداسـات المساء لديهم على ضوء ذلك اللهب.

وقد أعلن أن الشيء نفسـه قد وقع بالذات عندما كـانت هناك حرب بين الفلورنسيين والبيـازنة في جبـال الألب، وقـد حـدثني هذا الراهب بكثير من الحكايات المدهشـة حـول هذا الجبل، تحتـاج إلى وقت طويل لحكايتها، ولهذا السبب هناك مثل سائر في صقلية يقول: «إنني أفضل أن أكـون في جبـل بيل مع الملوك والأمـراء على أن أكـون في السماء مع المعـاقين والعميـان»، والمعنى هنا واضح، لأن الرجـال هنا أشرار بالمرة، لكن النساء جميلات جداً، وموضع اعجاب عظيم، ويمارسون في صقلية ثلاثة أنواع من العبـادات مختلفـة: ففي القسم الأول يمارسون الطقـوس اللاتينيـة، وفي القسم الثـاني يمارسـون طقـوس الاغـريق، وفي الثـالث يمارسون شعـائر المسلمين، ومع أنهم جميعـاً مسيحيين، هم على كل حال مختلفون وغير متفقين في عقـائدهم وممارساتهم، وإنه لأمـر مدهش كثيراً أن تكون صقليـة إلى هذه الدرجـة بلاداً خصبة وجـذابة، مع أنها تعـاني دومـاً من مثل هذا الدمار المرعب من هذا الجبل، لأنه يحدث أن يقـذف كميـات هائلة من الرمـاد في يوم أو يومين، فـلاتستطيع السـائمـة لمدة طويلة أن تجد أي مرعى، وزيـادة على هذا، يحدث في بعض الأحيان أن تتـدفـق عـدة أنهار من النار واللهب، وكـذلك من الأشيـاء الأخـرى المرعبـة، وتنحـدر من الجبل، ولهذا يقـوم الذين يسكنون هناك بالصـوم وتقـديم النـذور، متـوقعين أنهم سـوف يؤخـذون سريعـاً إلى الجحيم، وتجري هذه الأنهار منحـدرة من الجبل مثل نحـاس ذائب يغلي، وتتـولى النار استهلاك كل شيء تجده على طريقهـا، سواء أكان حجـراً أم خشباً، وذلك مثلما تتـولى الميـاه الحارة تذويب الثلج وإزالته، وتـدمر البـلاد في

بعض الأمـاكن لمسـافـة ميلين، وذلك حسب طبيعـة الأرض منخفضـة كـانت أو مـرتفعة، وتجعلهـا صحـراء، لايمكن سكناها إلى الأبد، وعلى هذا إن صقلية بلاداً فائقة الجودة، ومع هذا هي مرعبة أن تسكن فيها.

١٥ — جبل البركان

ومثل هذا يوجـد على مقربة من صقليـة جزيرة أخـرى صغيرة، فيها جبل واحد فقط، وعنـد سفح هذا الجبل هناك حديقـة هي الأكثر جمالاً وبهاءً، واسم هذا الجبل لدى السكان المحليين جبل البركـان، وهو يقوم فجأة مثل فرن بصـب اللهب المحرق، بشكل أكثر إرعـاباً من جبل بيل، وقد قرأنا بأن هذا الجبل كان يقوم فيما مضى في صقلية، غير أنه بفضائل الرسول القديـس برثلميو رمى نفسه في البحر، ونقل نفسـه من اليابسة، ولهبـه مرعب إلى أقصى الحدود والعنف، وهو يقـذف بصخور الخفـاف التي من حجم بيوت صغيرة في الهواء، مثلما يفعل المنجنيق، وذلك بقوة هائلة إلى حد أنهن يتفجـرن بالهواء مثل التفاح، وتسقط بعض القطع في البحـر على بعـد حوالي النصف ميل عـن هناك، فتقذفهـا الأمـواج على الشـاطىء، وتتجمع هناك، وحجـارة الخفاف هذه هي التـي يستخدمهـا الكتـاب في صقل الرق للكتـابة، والذي يـذكـره بعضهم أنه يتشكل من زبد البحر، هو غير صحيح، حسبما جرى اخبـارك، وحدث مرة قبل أن أذهب إلى صقلية، أن النار تفجرت في الحديقـة عند سفح جبل البركان، وكـان مقـدار اتسـاعها رميـة حجـر، ولمدة أربعـة أيام وأربع ليـال ظل اللهب يتصـاعـد إلى السماء، مـن الطول ومن العـرض، وذلك بشكل مرعب إلى حد أن جميع الناس خيل اليهم أن السماء حقـاً والأرض كانتا تشتعـلان، وأنه جـاء ميعـاد اليوم الذي سيفـارقـون به الحيـاة، وعندمـا توقف اللهب، استمر الرماد يتسـاقط لمدة أربعة أيام وأربع ليال أخرى، إلى حد أن كثيراً من الأماكن والبلدات والمدن هجرها الناس، وغادروها مع كل مـا يملكون، وهربوا إلى الجبـال ليخبئوا أنفسهم وليحمـوها من

الرماد حسب أفضل ما هو بإمكاناتهم، ولقد هلكت جميع القطعان وأعداد كبيرة جداً من الناس في السهول بفعل الرماد، وغدت مدن كثيرة، لايمكن رؤيتها البته، لأنها غطيت بكثافة بالرماد، وجف كثير من الانهار بفعل الرماد، وكان لذلك حزن وأسى في صقلية كلها في ذلك الحين، بشكل لايمكن لانسان أن يتذكر مثيله، أو تحدث التاريخ القديم عن مثله، ولهذا قام الصقليون فعقدوا النذور للرب، وأعلنوا الصيام، وأسلموا أنفسهم إلى أعمال التوبة، وصلوا إلى الرب حتى يزيل عنهم غضبه، وأن يقوم من أجل فضائل القديسة أغاثا بتحريرهم من هذا الغضب العظيم، وبناء عليه انتهى الرعب والاضطراب على الفور، ولم يشعروا بعد ذلك بأي من هذا النوع، وقاموا بعد ذلك بتحريم صنع عدد كبير من الأعمال الشريرة التي كان مسموحاً بها حتى ذلك الحين تحت تهديد إنزال أقسى العقوبات.

١٦ — *مدينة سرقوسة*

ويوجد في صقلية مدينة أخرى، اسمها سرقوسة، فيها واجهت القديسة لوسيا Lucia الشهادة، وفيها يرقد جسدها كله، هذا ويوجد هناك أيضاً عدد لايحصى من آثار القديسين المبجلين، ولسوف أحتاج إلى وقت طويل جداً لأحدثكم عن المزيد من عجائب صقلية، وعن أمجاد وقصور الامبراطور فردريك، وعن اصطياد السمك الذي اسمه الطون، وعن المصادر الأخرى لثرواتها وازدهارها.

وعلى مقربة من صقلية هناك جزائر أخرى كثيرة، كبيرة وصغيرة، مسكونة من قبل المسلمين، ويوجد على مقربة منها هناك جزيرة أخرى اسمها مالطة، وفيها أسقفية واحدة، وقد زرتها مراراً أثناء العبور، وعلى مقربة منها هناك جزيرة أخرى اسمها كولمات Colmat، فيها حفر كثيرة للأرانب، إلى حد أنه لم يبق للسكان ما يكفيهم من أرض للعيش عليها، وعلى مقربة منها هناك ايضاً جزيرة أخرى صغيرة اسمها سكولا

وما من أحد يزور هاتين الجزيرتين الصغيرتين إلاّ الذي Scola يقوم برحلة خاصة إليهما، وإلى جانب هاتين الجزيرتين، هناك أيضاً جزيرة أخرى اسمها غوي Goy (غوزو Gozo) يوجد فيها كثير من القطعان، ومنتجات الحليب، وقد أبحرت مرة بين هذه الجزيرة والجزيرة الأخرى في حالة رعب كبيرة، وكنت في سفينة كبيرة، في أثناء أكثر العواصف عنفاً، وما من أحد يتذكر أن سفينة بمثل هذا الحجم الكبير قد سارت قط خلال ذلك الطريق.

١٧ — آخيا

ولدى متابعة السفر من صقلية، يعبر الانسان خليج البندقية، الذي يفصل البندقية عن اليونان، ولدى ابحار الانسان على محاذاة شواطىء بلاد اليونان وملتفاً حولها، يصل إلى آخيا ومقدونية، ومناطق أخرى من بلاد الاغريق، يطلق عليها اسم رومانيا، وعليك أن تعرف أن البلاد التي كانت تعرف باسم آخيا اسمها الآن المورة، وقد استولى القطالونيون على هذه البلاد بالقوة، وفصلوها عن بلاد الاغريق، ويوجد هناك مدينة جميلة اسمها بتراس Patras فيها واجه القديس أندرو الشهادة، فضلاً عن هذا فإن القديس انطوني وعدد كبير آخر من القديسين قد سكنوا فيما مضى هناك، أو ولدوا في تلك البلاد، وليس بعيداً عن بتراس توجد أثينا، التي ازدهرت فيها فيما مضى مدارس الاغريق، ولقد كانت هذه في الأيام الخوالي مدينة جليلة جداً، لكنها الآن تكاد أن تكون مهجورة، هذا ومن النادر أن تجد في أي مكان في جنوا عموداً رخامياً أو قطعة جيدة من الحجر المنحوت، هي لم تجلب إلى هناك من أثينا، فالمدينة كلها قد بنيت من أحجار أثينا، مثلما بنيت البندقية من حجارة طروادة، ويوجد في أراضي آخيا هذه نفسها مدينة كورنثا الفائقة الجمال والحصانة، وهي قائمة على ذروة جبل، ومثل هذه المدينة بحصانتها وقوتها نادراً ما سمع بشبيه لها، لأنه لو قام العالم كله

بحصارها، لن تشعر مطلقاً بالحاجة إلى القمح، والخمر، والزيت والماء، وإلى هذه المدينة كان القديس بولس قد كتب عدداً من الرسائل، وليس بعيداً عن كورنثا تقوم مدينة غلاطية التي إليها كتب القديس بولس رسائلاً، و«غلا» بالاغريقية تعني ما تعنيه كلمة لاك Lac (حليب) باللاتينية، ذلك أن الذين يسكنون هناك هم أكثر بياضاً من الأناس الآخرين من حولهم، وذلك من طبيعة المكان، هذا وإن هذه المدينة التي عرفت فيما مضى باسم غلاطية، تعرف الآن باسم بيرا Pera، فضلاً عن هذا يسكن في آخيا— أو المورة— رهبان من طائفة التيوتون، وهم يمتلكون هناك قلاعاً في غاية الحصانة، وهم دوماً على خلاف مع دوق أثينا والاغريق، وعندما يتابع الانسان ترحاله من آخيا، أو المورة، يمر بعدد من الجزر الاغريقية، وذلك لدى ابحاره على طول ساحل آسيا الصغرى، ويصل الانسان إلى جزيرة اسمها كيوس، التي هي جزيرة متميزة بشكل خاص، فهناك ينمو المسطكي، ولاينمو في مكان آخر في العالم، حيث صحيح أن أشجارها تنمو بها فيه الكفاية في أماكن أخرى، لكن لايوجد عليها ثمار، وينمو المسطكي مثل الصمغ، ويتساقط من الأشجار، ومن هناك يرسل إلى جميع أنحاء العالم، ولهذه الجزيرة أسقف، كان في أيامي من طائفة الدومينيكان، وقد انتزعت هذه الجزيرة بالقوة من امبراطور القسطنطينية من قبل أخوين جنويين، وفيما بعد وقع خصام بين هذين الأخوين، فتخلى واحد منهما سراً عن حصته وأعادها إلى الامبراطور، واعتقل أخاه، وأبقاه لمدة طويلة في السجن، فانتزع الامبراطور الجزيرة منهما معاً، لكنه في أيامي أدخل الأخ السجين في حظوته، وجعله قائداً لجيشه، وأعطاه بعض القلاع، ومن كيوس يبحر الانسان إلى جزيرة بطمس Patmos، التي إليها جرى نفي القديس يوحنا الانجيلي من قبل دوميشيان، وهناك رأى السموات مفتوحة فكتب سفر الرؤيا، ويمكنك الابحار من بطمس على محاذاة ساحل آسيا الصغرى، والوصول إلى إفسوس إذا كنت ترغب بذلك، وهذه البلاد

التي كانت تعرف من قبل باسم آسيا الصغرى، تعرف الآن باسم تركيا، لأن الاتراك انتزعوها من الاغريق، وعليك أن تعرف أن الأتراك رجال سود طوال، وهم مسلمون متحمسون، مع انهم ليسوا من أصل عربي، وهم بالحري مسيحيون مرتدون، وهم يشبهون من جميع الجوانب الفريزيين، ويسكنون إلى جانب شواطيء بحر الشمال (كذا) في قلاع حصينة جداً، انتزعوها من الاغريق، وليس لديهم سلاح سوى القوس والنشاب، ويعيشون على الحليب وما شابهه، ويتجولون هنا وهناك مع قطعانهم، وفي كل اتجاه، وهم لهم عادات الفريزيين نفسها.

١٨ — *مدينة إفسوس*

عليك أن تعرف أن مدينة إفسوس الحقيقية تبعد أربعة أميال قصيرة عن البحر، ويوجد في هذه المدينة كنيسة جميلة بنيت على شكل صليب، وهي مسقوفة بالرصاص، وهي مزينة بشكل بهي بأعمال الفسيفساء والرخام، وهي موجودة حتى هذا اليوم، وهنا حدث أن ذلك الرسول المحبوب عندما تخبأ لعيد من الأعياد، دخل إلى ضريح، كان الظلام مخيماً عليه، ولم ير بعد ذلك مطلقاً، وهذا الضريح على مقربة من مذبح مرتفع، والمكان الذي حفر فيه الصخر ونحت ظاهر مرئي للذين يريدون الدخول إليه شرط أن يدفعوا أولاً فلساً إلى الأتراك، ويبيع الأتراك الآن في الكنيسة الحرير، والصوف، والقمح وماشابه ذلك من البضائع، وكانت مدينة إفسوس تقوم فيما مضى وفق شكل غريب، وذلك بين جبلين،وعلى هذا فإن طرفيها كانا على جبلين ووسطهما وادي، والكنيسة التي فيها ضريح القديس يوحنا، كانت على بعد رمية سهم عن هذه المدينة وكانت قائمة على رأس جبل، وبما أن البقعة القريبة من الكنيسة هي أكثر حصانة، فقد جرى نقل مدينة إفسوس من قبل الأتراك خوفاً من المسيحيين، والمدينة القديمة هي مهجورة الآن، وفي أيامي كان يسكن هناك سيدة نبيلة كان زوجها يمتلك المدينة كلها،

وكان هناك رجلاً اسمه زلابين Zalabin ، وهو تركي، انتزع المدينة منها، وبموافقة منه سكنت السيدة النبيلة تحت قلعة إفسوس، وقد حصلت على إجازة منه لبيع الخمر إلى التجار، وبحزن وأسى عظيم أباحت لنا عن أحزان قلبها لفقدانها زوجها ومدينتها، وعلى مقربة من مدينة إفسوس هناك نبع صغير مستدير، فيه أسماك رائعة بأعداد كبيرة، ويندفع الماء من هذا النبع بكميات كبيرة كافية لسقاية جميع المروج والحدائق والأراضي التي هي هناك، وعليك أن تعرف أن المدينة التي عرفت فيما مضى باسم مدينة إفسوس، أطلق عليها من قبل الاغريق اسم ثيولوغوس Theologos(آيا سلوق)، وهي تعرف الآن باسم ألتيلوت Alttelot ، أي المكان المرتفع(Altus - Locus) ، لأن المدينة — كما أخبرتكم قد نقلت إلى مكان مرتفع حول الكنيسة، وعلى بعد حوالي أربعة أميال من هذه المدينة القديمة، أعني مدينة إفسوس، قد جرى بناء مدينة جديدة، وذلك على شاطىء البحر ، حيث يوجد الميناء، وقد سكنت من قبل مسيحيين،كانوا قد طردوا من لومبارديا أثناء نزاع، ولدى هؤلاء الناس كنائس، ورهبان فرنسيسكان، ويعيشون مثل المسيحيين، وعلى كل حال كانوا قد أنزلوا فيما مضى من أيام بالمسيحيين أضراراً كبيرة بالتعاون مع الأتراك، وعلى مقربة من مدينة إفسوس الجديدة هناك نهر مثله بالاتساع مثل نهر الراين، وهو يجري خلال بلاد تركيا قادماً من بلاد التتر، وتنحدر على هذا النهر ويجري نقل كثيراً من التجارات من مختلف الأنواع، وذلك مثلما يفعل على ظهر الراين في هذه المناطق، وفي هذا النهر اعتاد الأتراك، والذين يدعون زيفاً باسم المسيحيين، على جمع سفنهم، وأسلحتهم، وعتادهم، عندما يقررون القتال ضد المسيحيين، وعلى هذا النهر و عبره يلحق بالمسيحيين كثير من الأذى والضرر.

١٩ ـــجزر متنوعة في البحر وأولها جزيرة رودس

من إفسوس يمكن للانسان أن يستأنف إبحاره إلى عدد كبير من الجزر الأخرى المختلفة، وعليك أن تعرف أنه يوجد في تلك المنطقة من البحر أكثر من سبعمائة جزيرة صغيرة وكبيرة، مسكونة ومهجورة، لبعضها فضائل خاصة، وبعضها مليء بجميع أشكال الأشياء الجيدة، بينما بعضها مليء بينابيع سامة، ومخلوقات ضارة جداً، وبين هذه الجزر هناك جزيرة صغيرة فيها نبع مياه حارة جداً، وهي تغلي مثل مياه في قدر، وهي سامة إلى حد لو أن طائراً طار فقط فوقها لمات، وإلى جانب هذه الجزيرة هناك جزيرة أخرى، لايتجاوز قياس محيطها الميلين، تقوم عليها كنيسة صغيرة، وعلى هذه الجزيرة وعول وحيوانات برية أخرى، وهم من الكثافة بمكان إلى حد أنه لايخلو مكان في الجزيرة منهم، ونزل رفاقي في إحدى المرات في هذه الجزيرة، فوجدوا في الكنيسة رماحاً وترسة، وقسياً عقارة مع كثير من السلاح، ومخزوناً كبيراً من اللحوم المجففة، كانت قد جلبت إلى هناك من قبل قرصان البحر واللصوص فيه، ولعل ذلك كان بعد الاستيلاء عليها مرة إثر أخرى، فقد خزنوها هناك، وقد انتظر رفاقي هناك طوال اليوم متوقعين قدوم اللصوص، وذهبوا إلى الصيد، لكنهم لم يمسكوا أي شيء، ولكن صدف عند حلول المساء، أن واحداً منهم كان جالساً بين صخرتين، فجاء وعل ليمر من فوقه، فقطع رجله اليمنى وجرح اليسرى بضربة من سيفه، وهكذا حصلوا على الوعل وغادروا، ويوجد إلى جانب هذه الجزيرة جزيرة أخرى، لايوجد فيها أية حيوانات باستثناء بعض الحمير الوحشية، وهي تعطي فرصة جيدة لرياضة صيدها، لكن ليس لديها لحوم جيدة للأكل مثل لحوم الطرائد الأخرى، وليس بعيداً عن هذه الجزيرة هناك جزيرة أخرى اسمها بيرا Peyra ، وهي جزيرة جيدة، يوجد فيها ثلاثة أشكال من الحجارة اسمها Alun ، بكميات كبيرة جداً، ولهذا تصدر

هذه الحجارة من هناك إلى جميع أنحاء العالم، ومنذ وقت غير طويل استولى الجنويون على هذه الجزيرة وانتزعوها من الأتراك بالقوة، وفعلوا خيراً بإعادتها إلى أسقفيتها وإلى أحوالها الأصيلة، وهذه الجزيرة على مقربة من تركيا، وبينها وبين تركيا جسر، لو استطاع الأتراك لما سمحوا لأحد بعبوره، سواء أكان الحال فيما بينهم حالة حرب أو سلم، وتجدهم عدوانيين كثيراً لدى خسارتهم للجزيرة، ويحتاج الأمر إلى وقت طويل لإخباركم حول الجزر الأخرى، وإذا ما ترك الإنسان هذه الجزر، يبحر ثانية عائداً إلى شواطىء آسيا الصغرى أو تركيا، ويصل إلى باترا Pa-tara ،التي كانت فيما مضى مدينة جليلة، وفائقة الجمال، وقد جرى تدميرها الآن من قبل الأتراك، وولد في هذه الجزيرة البابا التقي نيقولا، ويبحر الانسان من باترا ليصل إلى مدينة أخرى كانت جليلة جداً أيضاً، غير أنها مدمرة الآن، اسمها ميرا Mirrhea ، فيها جرى انتخاب البابا نيقولا المجيد بشكل رائع أسقفاً، وهو الذي أنار تلك البلاد كلها بمعجزاته الكثيرة وبمحاسنه وفضائله، ومن ميرا — إذا ما اخترت — يمكنك متابعة الابحار، ولسوف تصل إلى جزيرة جيدة جداً ومشهورة اسمها كريت، وهي التي كانت فيما مضى مملكة قائمة بنفسها، غير أنها لاتحتوي على كثير من المدن المحصنة، واسم أعظم مدنها الخندق ويحرق في الجزء الأعظم من هذه الجزيرة القصعين من أجل استخدامات نار الحطب، وقد استولى البنادقة على هذه الجزيرة بالقوة، وانتزعوها من الاغريق، ومن كريت يبحر الانسان إلى جزيرة أخرى جميلة جداً ومتميزة، وصحية ولطيفة، وقد كان اسمها فيما مضى كولوس Co-los، ولها حاضرة اسمها كولوسينسيس Colossensis ، ولهذه الجزيرة كان القديس بولس قد كتب رسالته(إلى أهل كولوسي)، وتعرف هذه الجزيرة باسم رودوس، بسبب إقليم المناخ السابع للعالم، الذي تقف هذه الجزيرة لوحدها فيه، وهي تفصل بين أقاليم المناخات وتميزها.

ومن هذه الجزيرة كان قـد جاء الدمـار أولاً إلى مدينة طروادة النبيلة، لأنهم قـالوا عاش هناك الكبش مع الخاروف الذهبي، الذي قـرأنا عنهما مطولاً في تواريخ طروادة، وجزيرة رودس هذه جزيرة ثمينة جداً، ذلك أنها جبلية، وقـائمة وسط رياح صحية جـداً، وهي مليئة بحيوانات برية اسم واحـدهـا الأيل الأسمـر، فضـلاً عن هذا، إنـك من أي مكان من البحر أبحرت لابد من أن تمر برودس أو بالقرب منها، وفي هذه الجزيرة هناك مـدينة اسمهـا رودس، وهي فـائقـة الجمال وحصينة، ولها أسـوار عـاليـة وأبراج منيعـة بنيت من أحجـار كبيرة جـداً، تبعث على العجب كيف استطاعت اليد البشرية وضعها في أماكنها، ولدى فقدان عكا، قام مقـدم فرسـان اسبتارية القـدس مع رهبانه بالاستيـلاء على هذه الجزيرة بالقـوة، وانتزعـوها من الاغـريق، وقـد حاصروهـا لمدة سنة، وما كـان بإمكانهم الاستيلاء على المدينة، لولا أنهم كسبـوا سكانها إلى جانبهـم عن طريق الرشوة، وهكذا سلموا الجزيرة برضاهم، ولهذا قام رهبان الطائفة باتخاذها مقراً قيادياً لهم، وفيها سكنوا ومازالوا حتى هذا اليوم، وهناك ثلاثمائـــة وخمسين راهبـاً مع مقـــدم الطـائفـــة، الذي كـــان في أيامي ايلينوس(دي فيـلانوفي ١٣٢٧ — ١٣٤٦)، وهو رجـل متقـدم بالسن كثيراً، وبالغ الشـح، وقـــد جمع ثروة لاتحصـى، وبنى كثيراً في رودس، وحرر الطائفـة من جميع ديونها الواسعة، وتقوم هذه الجزيرة على مسـافة عن تركيا تسـاوي قدر مايبلغـه صوت إنسان، فهي مفصـولة عن تركيا بوسـاطة مضيق بحـري وتجبي الجزية مـن كل المناطق المحيطة بها، ومن تركيا ثلث منتجات تلك البلاد، ولها في تركيا قلعة صغيرة، لكن حصينة جداً، وبين هؤلاء الرهبان وبقية تركيـا هدنة على اليابسة، ولكن ليس في البحـر، ولا في الأمـــاكن التي يؤذون فيهـا المسيحيين، ويمتلـك رهبـان فـرسان الاسبتـارية هؤلاء أنفسهم جزيرة أخـرى حصينة اسمها لانغـو Lango ، مليئة بـالقمح، والخمـــــرة، والـزيت مـع كثير من الثمار ويسكن فيهـــا خمسين من فـــرســـان الاسبتـاريــة، من رودس، ويمتلك

الفرسان جزيرة ثالثة كـذلك صغيرة، وخصبة اسمها قلعة روسو Ros-so ، التي تولى الأتراك نهبها في إحدى المرات، غير أنها مسكونة الآن بشكل جيـد من قبل الفرسـان ومرتزقتهم، ويوجـد فيها قلعـة حصينة جداً وعـالية، منها يمكن رؤية كل سفينة تبحر إلى أية جهـة من جهات البحر لمسافـة خمسين ميلاً تقريباً، ووقتها يرسلون الشـارات إلى الفرسان في رودس ولانغـو، وإلى المسيحيين الآخـرين في ذلـك المحيط، وذلك باستخـدام الدخـان بالنهـار، واللهب في الليل، ويخبرونهم بعـدد السفن الموجـودة في البحـر، وبنـاء عليـه يقـوم الفـرســان والمسيحيـون باتخاذ اجـراءات الاستعـداد للقتـال والدفـاع وفقـاً لعـدد السفن التي تلقـوا شـارات عنها، وهـذه الجزيرة نافعة جـداً بالنسبـة للمسيحيين، فمنذ أن امتلك الاسبتـاريـة الجزيرة والقلعـة، لم يقم الأتـراك بإلحاق الأذى بالمسيحيين بسفنهم، فضـلاً عن هذا اعتـادت جزيرة رودس مع جـزيرة لانغـو، وجميع الجزر، والبلاد المسيحيـة هناك على دفع الجزية إلى الأتراك قبل أيام الاسبتـارية في رودس، لكـن الآن بفضل نعمـة الرب عكس الاسبتارية الوضع تماماً، وكان الأتـراك عندما سمعوا بأن جزيرة رودس جرى الاستيـلاء عليها من قبـل فرسان القـديس يوحنا، حشـدوا جيشاً كبيراً، وأرسلوا أولاً سفـارة مهيبـة تطالب في البـدايـة بشكل لطيف وبعرض سلمي بـدفع الجزية المستحقة لهم على الاسبتاريـة، مع الاعلان أنهم سيقومـون عن طواعية بإبرام سـلام وعقد معاهـدة مع الاسبتارية، وفي جميع الأحـوال عليهم دفع الجزيـة لهم، ولم يكن للطائفـة في ذلك الوقت مقدم لأن الراهب فـولك دي فيلارت Villaret ، الذي كان مقدم الطائفة،كـان قد جرى خلعه من قبل الفـرسان إثر خلاف ونزاع، غير أن واحداً من الرهبـان من بازل Basle وكان شجـاعاً جـداً، وفارساً أميناً، كان وقتذلك الوصي على الطائفة، عمل الجواب وتقدم به إلى الأتراك، راجيـاً منحه فـرصـة ثلاثة أيام من أجل التفكير والتقـدير، وأن تكون هـذه الأيام بمثـابـة هدنة، الأمـر الذي رحب بـه الأتراك

ومنحـوه إياه، وأمروا جيشهم بأن يكون على أهبة الاستعـداد، وفي الوقت نفسه تابع هذا الوصي ذاته الاحتفال يومياً مع الأتراك، ووجد ببراعة كل ما كان بحاجة إليه حول جيشهم، وأحواله ووضعه، وما الذي ينوي فعله، وحشد في الوقت نفسه أكبر عدد من السفن والرجال أمكنه توفيرهم، وتظاهر في اليوم الثالث أنه على وشك مغادرة رودس للقتال ضد الاغريق، وسأل الرسل الأتراك بالدخول إلى بيته خشية أن يلحقهم بعض الأذى على أيدي المسيحيين، والبقاء هناك حتى عودته، وفعل الرسل ما طلب منهم، وقام إثر ذلك هذا الفارس، الذي هو الوصي على الطائفة بوضع حرس حول الرسل بشكل سري من ثقاته، وأقلع إثر هذا مع جيشه وبات في وسط البحر، وانقض في فجر اليوم التالي على جيش الأتراك، وفتك به وقتل أفراده من دون تمييز بين رجل وامرأة، وشاب وشيخ، لأن من عادة الأتراك والتتار اصطحاب أزواجهم وأولادهم الصغار وجميع مقتنياتهم معهم في الجيش، إلى حيثما توجهوا وقصدوا، وهكذا بعدما قتلوا جميع الناس وحصلوا على جميع مقتنياتهم وقطعانهم، عاد هؤلاء الفرسان إلى رودس في اليوم الثالث وسط بهجة عارمة.

ولقد سمعت من بعض الذين كانوا حضوراً، أنهم حصلوا على كثير من الأسلاب، حتى أنهم حزموا هذه الأسلاب وجروها في البحر بوساطة حبال، شدوها إلى السفن، وعندما كمل هذا كله، استدعى الوصي على الطائفة الرسل الأتراك، وأخبرهم بأن الاسبتارية على استعداد لإقامة هدنة ولعقد معاهدة مع الأتراك، ثم تركهم يغادرون على الفور، فقاموا باليوم نفسه، وسط بهجة عظيمة، بالرسو بالمكان الذي تركوا فيه جيشهم، غير أنهم وجدوا أن جيشهم قد قتل كله حديثاً، وأجساد أفراده معراة ومسلوبة، وأن جميع الممتلكات قد أخذت بعدما سلبت، وعندما رأوا هذا كله، ذهبوا إلى موطنهم حزينين بقدر ما

كانوا مسرورين، ونقلوا ما لديهم من أخبار إلى بقية الأتراك، ومنذ ذلك الحين لم يطلب الأتراك الجزية من التتار من فرسان القديس يوحنا أو من المسيحيين في رودس حتى هذا اليوم.

وفي رودس هناك الكثير من الآثار المبجلة، من بينها الصليب النحاسي، المعتقد أنه صنع من الجرن الذي غسل فيه المسيح أقدام حوارييه، هذا وللقوالب الشمعية المصنوعة بوساطة هذا الصليب قوة هائلة في تهدئة العواصف في البحر، وكان هذا الصليب مع آثار أخرى مبجلة، هي الآن لدى فرسان الاسبتارية، كانت ملكاً فيما مضى لفرسان الداوية، ذلك أن جميع مقتنياتهم وقلاعهم هي الآن ملكاً للفرسان المتقدم ذكرهم، ويحتاج الأمر إلى وقت طويل للحديث عن بقية أمجاد رودس الأخرى، وكذلك عن جميع الانتصارات المتنوعة للفرسان المتقدمي الذكر، ويبحر الانسان من رودس إلى قبرص.

٢٠ — *قبرص*

قبرص جزيرة جليلة جداً، وشهيرة، وفي غاية الثراء، إلى درجة لايمكن مقارنتها مع جميع جزائر البحر الأخرى، وهي خصبة بجميع الأشياء الجيدة، ومتفوقة على سواها، وقد قرأنا بأنها سكنت أولاً من قبل يافث بن نوح، وبالنسبة إلى حجمها، هي متفوقة على جميع البلدان الأخرى، والمدن الساحلية في الجوار، ذلك أنها محاطة بما يشبه الطوق ببلاد مصر، وسورية وأرمينية، وبلاد الاغريق، والمسافة من قبرص إلى جميع هذه البلاد ليست أكثر من سفر نصف يوم بالبحر، وذلك كما سأذكر فيمايلي.

وكانت هذه الجزيرة المجيدة فيما مضى ملكاً للداوية، الذين باعوها إلى ملك القدس، ثم إنه عندما فقدت عكا مع الأرض المقدسة، وجرى تدميرها، انتقل ملك القدس، والأمراء،والنبلاء وبارونات مملكة القدس

إلى قبرص وسكنوا هناك، وهم يسكنون هنـاك حتى هذا اليـوم، وهكذا غدت قبرص مملكة، وفي قبرص ثلاثة أسقفيات هي أسقفيات: بافوس، وليماسول، وفيماغوستـا، وفيها مطرانية واحدة، رئيسهـا أسقف نيقوسيا، الذي هو في أيامي راهب ماروني اسمـه الياس، وقد صـار كاردينالاً من قبل البابا كليمنت السـادس(١٣٤٢ — ١٣٥٣)، وأقدم مدينةفي قبرص هي مـدينة بافـوس، التي كـانت فيما مضـى مـدينة جليلة جـداً، ومكاناً عظيماً، وهي قائمـة على شاطىء البحر مباشرة في مـواجهة الاسكندرية، وقـد تولى بولـس وبرنابا هداية هذه المدينة إلى الايمان بـالمسيح، ومنهـا اهتدت الأرض كلهـا وتحولت إلى العقيدة، وذلـك حسبما جاء في أعمال الرسل(١٥/ ٣٩)، وقـــام فيما مضى على مقـــربـة من بافـــوس قلعـــة فينوس،حيث اعتـــادوا على عبـادة صنـم فينوس، وكـانـوا يرتحلون من بلدان نائيـة لزيارة أبوابها، وهناك كـان يجتمع نبـلاء السادة والسيـدات، والشـابات مع بعضهم في تلـك القلعـة، وفي هذا المعبـد اتخذت الخطوة الأولى نحو تدمير طروادة، لأن هيلين قد أسرت عندما كانت في طريقها إلى هذا الهيكل، فضـلاً عن هذا اعتـادت جميع الشـابات والفتيـات على قطع العهـود في هذا المعبد بالنسبـة للزواج وللأزواج، ولهذا السبب فإن الرجـال في قبرص جنسيين بـالطبيعـة أكثـر من ســواهم في البلدان الأخـرى، لأنه إذا مـــا وضع تراب من قبرص، وبشكـل خـــاص من الموضع الذي كـانت قلعـة فينوس قـائمـة فيـه، تحت رأس إنسـان لدى نومه، فإن ذلك سوف يدفعه إلى ممارسة الجنس طوال الليل، وعلى مقربة من بافـوس يوجـد المكان الذي اعتاد القـديس هيـلاري Hilary أن يسكن فيه، وهناك صنع كثيراً من المعجزات، وهناك أماكن أخرى كثيرة اعتـاد قـديســون آخـرون على السكنى فيهـا، وبشكل خـاص القـديس زيزونيمـوس Zyzonimus ، والقـــديس مما Mamma ، الذي ولد في ألمانيا، وإليـه اعتاد الاغريق على الصلاة بتقـوى عظيمة من أجل التخلص من الدمامل.

٢١ — كرم عين الجدي

ويوجد في أسقفية بافوس هذه نفسها كرم عين الجدي، الذي لانظير له في العالم، وهذا الكرم قائم فوق جبل عظيم الارتفاع، وطوله ميلان، وهناك شعاب شاهقة تحيط به من كل جانب مثل سور، وله مدخل واحد ضيق، وهو منبسط تماماً على الذروة تماماً، وينمو في هذا الكرم كثير من العنب، وهناك دوالي من مختلف الأنواع، وبعضها ينتج عنباً الحبة الواحدة كبيرة بحجم حبة الكمثرى الكبيرة، وينتج بعضها الآخر عنباً الحبة منه صغيرة مثل حبة الكمثرى الصغيرة، وتنتج بعض الدوالي عناقيد عنب واحدها كبير مثل عدة جرار، وبعضها الآخر عناقيد صغيرة جداً، وتعطي بعض الدوالي عنباً أبيض، وبعضها الآخر عنباً أسود، وبعضها عنباً أحمر، وتعطي بعض الدوالي عنباً من دون بذور، وبعضها الآخر أعناباً مستطيلة، شكلها مثل شكل جوزة البلوط، وبعضها شفافاً، كما هناك أنواع أخرى لاتحصى من الدوالي والأعناب من الممكن رؤيتها في هذا الكرم، وكان هذا الكرم فيما مضى ملكاً لفرسان الداوية، لكنه الآن ملكاً لفرسان القديس يوحنا في رودس، وكان هناك في أيام الداوية دوماً مائة من الرقيق — أعني من أسرى المسلمين — موجودين بشكل دائم، ليس لهم من واجبات أو عمل مفروض عليهم، غير العناية بهذا الكرم ورعايته، ولقد سمعت من عدد كبير من الرجال ذوي الخبرة العظيمة، أنه لايوجد تحت الشمس أكثر جمالاً من هذه الجوهرة، وأعظم جلالاً، أو روعة ، وقد خلقها الله من أجل فائدة الانسان، وذلك مثلما نقرأ عن الشيء نفسه في نشيد إنشاد سليمان قوله:«حبيبي بالنسبة لي مثل عنقود كافور في كروم عين جدي»(١/ ١٤).

وليس بعيداً عن بافوس تقوم ليماسول، التي كانت فيما مضى مدينة جميلة، غير أنها الآن مدمرة كثيراً بسبب الزلازل، وتدفق المياه بشكل

مفاجىء من الجبال، وهذه المدينة قائمة على الساحل، وهي تقابل بشكل مباشر، صور، وصيدا، وبيروت، وعندما فقدت عكا سكن هذه المدينة فرسان مشفى القديس يوحنا، وفرسان الداوية، والنبلاء الآخرون، ومن الممكن رؤية قصورهم الكثيرة وقلاعهم حتى هذا اليوم، وعلى مقربة من ليماسول هناك كرم آخر اسمه كرم عين الجدي الصغير، وفيه ينمو كثير من الدوالي، لايمكن للانسان أن يقيسها بذراعيه، غير أنها ليست طويلة جداً، ولاتعطي كثيراً من الثمار، وفي موضع من هذه الأسقفية اسمه برافيمانت Pravimunt(بنينانت Peninunt) يسكن رهبان من فرسان طائفة التيوتون، وكذلك بعض الانكليز من طائفة القديس توماس أوف كانتربري، ويوجد في هذه الأسقفية أيضاً جبل عظيم الارتفاع، قائم منفرد بذاته، يشبه كثيراً جبل الطور، ويقوم على ذروته دير جميل، فيه رهبان من طائفة القديس بندكت، وفي هذا الدير الصليب الكامل الذي صلب عليه اللص على يمين المسيح، وقد أحضر إلى ها هنا من قبل القديسة هيلانة، وهي أيضاً تولت بناء هذا الدير مع تكريسه، وتجري تحية هذا الصليب والسلام عليه بكل تقوى من قبل جميع البحارة وهم في البحر، وذلك عندما يقتربون من هذا الجبل، وقد صنع الرب كثيراً من المعجزات على الجبل، بسبب فضائل الصليب المذكور، ومن الممكن رؤية جبل لبنان بوضوح من هذا الجبل.

٢٢ — *مدينة فيماغوستا*

واسم المدينة الثالثة في قبرص هو فيماغوستا، وهي قائمة على شاطىء البحر، وفيها الآن ميناء لجميع البحر، وللمملكة كلها، وهناك لابد من تجمع التجار والحجاج، وتقوم هذه المدينة مباشرة في مواجهة أرمينيا وتركيا،وعكا، وهذه أغنى جميع المدن في قبرص، وسكانها أثرياء إلى أبعد الحدود، وفي إحدى المرات كان واحداً من أهالي فيماغوستا يزوج ابنته، وقد قال الفرسان الفرنسيون الذين كانوا يبحرون معنا بأن

الجواهر التي وضعتهم فوق رأسها كانوا أفضل من جميع جواهر فرنسا، وكـان في هذه المدينة تاجـراً باع إلى السلطان كرة سلطـانية ذهبيـة بمبلغ ستين ألف فلورين، وتحتـوي هذه الكرة على أربعة أحجـار كريمـة فقط هي من: العقيق الأحمر، والياقوت الأزرق، واللؤلؤ، والزمرد، ومع هذا ذهب إليه فيما بعـد والتمس أن يسمح له بشراء تلك الكرة ثانيـة مقابل مـائـة ألف فلوريـن، لكن التماسـه رفض، فضـلاً عن هذا كـان لدى قسطلان القدس أربع لآلىء، كـانت زوجته ترتديهم على شكل«بروش»، كـان بإمكانه متى أراد، وحيثما رغب، أن يـرهنهم مقـابل ثلاثمائـة ألف فلورين، وكـان في مخزن هذه المدينة أكثـر من حمولة خمس عـربات من خشب الصبر، ولن أقـول شيئاً عن التـوابل، لكثـرة تداولها وانتشـارها، فهي مثل الخبز هنا، وهي تمزج بشكـل عادي وتباع، وكـذلك لن أجرؤ على أن أقول شيئاً أكثر حول الأحجار الكريمة، والثياب المذهبة، وأنواع الثـروات الأخـرى، لأنه يـوجـد في تلك المنـاطق مخازن منهم لم يسمع بمثلهـا، ولايمكن تصـديقهـا، ويسكن في هذه المدينة عـدد كبير من المومسات الثريات جـداً بشكل لايحصى، ذلك أن بعضهن يمتلكن أكثر من مائة ألف فلورين، وعن ثرواتهن لا أتجرأ على قول المزيد.

٢٣ — *سلامينا ونيقوسيا*

وعلى مقـربة من فيماغـوستـا هنـاك مـدينة سـاحليـة أخـرى اسمهـا كونستـانتيا، أو سلامينا، وهذه كـانت فيما مضى مدينة جليلة، وشهيرة، وجميلة، فعلى ذلك تدلك خـرائبها، وقد عـاش في هذه المدينة رجل رائع في قداستـه، اسمه القديس ايبيفـانيوس Epiphanius ، وقد انتخب أسقفـاً بشكل إعجـازي ودفن هناك، وولدت في المدينة نفسهـا العـذراء القـديسة كـاترين، وتقوم بيعتهـا حتى هذا اليـوم فوق مـوضع ولادتها، وواجه في هذه المدينة القديس برنابا الرسـول الشهادة، وعلى مقربة منها جـرى إحراق جسـده ودفنه، وقد مجد القـديس ايبيفانيـوس هذه المدينة

وجميع المنطقة من حولها بكثير من المعجزات، غير أن هذه المدينة مدمرة الآن بشكل كلي.

ويوجد في قبرص مدينة أخرى عظيمة جداً اسمها نيقوسيا، وهذه المدينة هي حاضرة قبرص، وهي قائمة وسط سهل هناك عند سفح الجبال، وفي وسط هواء صحي جداً، ويسكن في هذه المدينة ملك قبرص والأساقفة ورجال الكنيسة الآخرون، الذين هم من أهل المملكة، وذلك بسبب هوائها الصحي، ويعيش أيضاً هناك القسم الأكبر من الأمراء الآخرين، والكونتات، والبارونات، والفرسان، ويمتعون أنفسهم كل يوم بالمباريات والمنازلات، وبالصيد بشكل خاص، ويوجد في قبرص كباش برية، ليست موجودة في مكان آخر في العالم، ومن الممكن اصطيادهم بوساطة الفهود، ومن غير الممكن اصطيادهم بأية وسيلة أخرى.

والأمراء والنبلاء، والبارونات، والشعب في قبرص هم الأغنى في العالم، لأن الانسان الذي يمتلك فيها مورداً قدره ثلاثة آلاف فلورين، ينظر إليه أقل من الانسان الذي دخله في هذه المناطق أقل من ثلاثة ماركات، غير أنهم ينفقون ثرواتهم على الصيد، فأنا أعرف واحداً من كونتات يافا لديه أكثر من خمسمائة كلب صيد، وكل زوج من هذه الكلاب له خادم خاص بهما، — كما جرت العادة في هذه البلاد — ويحافظ الخادم عليهما نظيفين، ويحممهما، ويدهنهما، فهذا مايحتاج للقيام به بالنسبة لكلاب الصيد في هذه البلاد، وكان أيضاً أحد النبلاء لديه على الأقل عشرة صقور، أو اثني عشر صقراً، وقد رصد لهم ميزانية خاصة بهم للانفاق عليهم، وأنا أعرف عدداً كبيراً من النبلاء الفرسان في قبرص بإمكان كل واحد منهم تجنيد أكثر من مائتين من الرجال المسلحين والانفاق عليهم مبلغاً أقل من المبلغ الذي ينفقه على كلاب صيده أو صقوره، لأنهم عندما يخرجون إلى الصيد يبقون أحياناً لمدة

شهر في الغابات وفي الجبال، يتجولون مع خيامهم من مكان إلى مكان آخر، يتمتعون ويتسلون بالصيد مع كلابهم وصقورهم، وينامون في الغابات والحقول في خيمهم، ويحملون معهم كل ما يحتاجون إليه من مؤن وعتاد على ظهور الجمال مع حيوانات التحميل.

وعليك أن تعرف أن جميع الأمراء، والنبلاء، والبارونات، والفرسان، وأفراد الشعب في قبرص، هم الأفضل والأغنى في العالم، وهم يسكنون الآن هناك مع أولادهم، وكانوا قد اعتادوا من قبل على السكنى في أراضي سورية ومدنها، وفي اليهودية، وفي مدينة عكا الجليلة، لكن أما والآن قد تمت خسارة الأراضي والمدن السورية وكذلك اليهودية ومدينة عكا الجليلة، فقد هربوا إلى قبرص، وسكنوا هناك ومايزالون يسكنون حتى الآن، ويوجد في قبرص أناس أغنياء جداً، وتجار، ولاعجب في ذلك، لأن قبرص موجودة في أقصى(الشرق) بالنسبة للبلدان المسيحية، ولهذا لابد لجميع السفن الصغيرة والكبيرة، ولجميع التجارات مهما كان نوعها، ومن أي بلد جاءت، لابد أنها محتاجة إلى القدوم أولاً وقبل كل شيء إلى قبرص، حيث لايمكنها بأي شكل من الأشكال تجاوزها، فضلاً عن هذا يحتاج جميع الحجاج القادمين من جميع أنحاء العالم ومن أي بلد كان، عندما يتجهون إلى البلدان القائمة فيما وراء البحار، يحتاجون إلى القدوم إلى قبرص، وفي كل يوم منذ شروق الشمس حتى غيابها يسمع الانسان ببعض الأقاويل وببعض الأخبار هناك، وفي قبرص من الممكن أيضاً سماع جميع اللغات المحكية في العالم والتحدث بها، وكذلك تعليمها في مدارس خاصة، وتنمو في قبرص كروم رائعة فوق الجبال العالية، قد تعرضت لأشعة الشمس، وتكون خمور هذه الأعناب في البداية حمراء،لكن بعد مكوثها في جرار فخارية لمدة أربعة أعوام، أو ستة، أو عشرة، أو عشرين، تغدو بيضاء، ومهما كانت المدة التي مكثت فيها طويلة، لن تفقد قوتها، بل تزداد كل يوم، حتى يبلغ

الأمـر أن تسعـة عيارات مـن الماء تضاف بالعـادة إلى عيـار واحـد من الخمر، وإذا ما أقـدم إنسان على شرب دن من تلك الخمرة هو لن يسكر فقط بل ستحترق أحشـاؤه في الداخل وتتمزق، ومع ذلك مفيـد صحياً أن تتناول بعضـاً من هذه الخمـرة من دون مـزج وتشربها على معـدة فـارغـة، ولايوجـد في أي مكان شـاربي خمرة أفضل أو أكثـر تناولاً من الذين في قبرص، وفي قبرص تنمو جميع الأشجـار والأعشاب مثلما تنمو في الأرض المقـدسـة، وكـان في قبرص في أيـامي عـدد كبير من النبـلاء والبـارونات، والفرسـان، الذين تركـوا ألمانيـا، أذكر من هؤلاء: كـونت فيـــاندن Vianden، وكـــونت سكــــــاورتزنبيرغ Schwart-zenberg ، ولـورد أوف سيلـد Sleyde، وأمير أوف لختنستين Lichtenstein، وعدد كبير آخر.

يضاف إلى هذا أن جميع الأماكن السـاحلية في تركيا والمناطق المحيطة بها تدفـع الجزية إلى ملك قبرص، والمقصـــود بهذا: كـانـديلور Can-delor ، وسكالنون Scalnun ، وسيكي Sicki ، وأضـاليـا، والأماكن الأخرى والأحواز القريبة منهم، ويوجد في مدينة أضاليا هذه ثلاثة شعـوب من الهراطقـة، والمدينة مقسمـة بأسـوار وخنادق إلى ثلاثة أقسام، ويسكن في القسم الأول منهـا الاغريق، الذين يحافظون على يوم الرب المقدس(الأحـد)، ويسكن في القسم الثاني اليهـود الذين يحافظون على يوم السبت المقـــدس، وفي القسم الثـالث الأتـراك، الذين يحافظون على يوم الجمعـة، ويرونه مقـدساً، ويـوجد في القسم الاغـريقي صـورة العذراء مـريم المباركة، مـرسومة على رقيم، ويوجـد في العالم ثلاثة رقم من الشيء نفسه هي: الأول في رومـا، والثاني في القسطنطينيـة، والثالث في أضاليا، وهـم جميعاً بالحجم نفسه، والشكل، والمظهر، ومن المعتقد أن القـديس لوقا قـد رسم هذه الصور الثـلاث مباشرة عن شخص مـريم المبـاركــة، وصـدوراً عن الاحترام لهذه الصـــور، صنع الرب كثيراً من

المعجـزات هناك، ويحتاج إلى زمـن طويل جداً للحـديث عن بقيـة ثراء وجلالة قبرص.

٢٤ — المدن القائمة على شاطىء البحر

وفي عودة إلى مـوضوعي، يبحـر الانسان من قبرص، إلى واحـدة من المدن القـائمـة على شاطىء البحـر، وذلك إمـا إلى مصر أو إلى سـورية، وهذه المدن هـي كمايلي: الاسكندرية، طرابلـس، بيروت، جبيل، يافـــا، صيدا، صور، وعكا، وقبل المضي أكثر سوف أتحدث بعض الشيء حول هذه المدن، حتى يمكنك أن تتعــرف إليهم، وهم جميعــاً أعطيـوا أسماء مختلفة عن الأسماء التي حملوها في الماضي، وذلك بعـدما فقدت الأرض المقدسـة واستردت كثيراً من المرات، ولذلك سوف أتحدث قليـلاً عنهم حتى تعــرف بحصـــة من وقعت هذه المدن عندمـــا استـولى عليهـــا الصليبيون.

وعليك أن تعـرف أن مـا من واحـدة مـن هذه المدن تبعـد أكثـر من سفـــريوم واحـــد عـن قبرص، واعلم أولاً أن الاسكندرية هـي المدينة البحرية الأولى لمصر، وواحدة من أحسن مدن السلطان، وهي قائمة من الجانب الأول على نهر النيل، الذي هو نهر الفـردوس، والذي يصب في البحر بجـوارها، ويقع جانبهـا الآخر على شاطـىء البحر، وهذه المدينة فائقـة الجمال وحصينة، ومحاطة بأبراج عـالية وبأسوار تبـدو أنها لاترام، وقـد سكنت فيما مضى من قبل المسيحيين، وأمـا الآن فهي مسكونة من قبل المسلمين، وهي في الداخل في غـــاية النظافـة، فهي كلهـــا مغسـولة ناصعة، ويوجد في قرنة كل شـارع نبع ماء يجري خلال أنابيب، وجرت المحـافظة على نظافـة المدينة بكل عناية من قبل مـراقبين، الذين واجبهم هو منع رمي أية أوسـاخ في الشـوارع أو بـالينابيع من قبل أي إنسـان، ويبقي السلطان في هذه المدينة على جنود مـرتزقة مع حـرسه الشخصي، حيث يتولون حـراسة المدينة مع الميناء، وكان القـديس مرقص الانجيلي

بطريركـاً في هذه المدينة، وقد استشهد هنـاك، وخلافة له مـايزال هناك بطريرك مسيحي فيها، وفي هذه المدينة مـايزال قائماً حتى هذا اليوم كثيراً من الكنائس الأخـرى، فيهم ترقـد أجساد كثير مـن القديسين، ويوجـد هناك كثيراً من المسيحيين والتجـار يعيشـون فيهـا، وتبـدو هذه المدينة بالنسبـة للعين البشرية أنها لاترام، ومـع ذلك من السهل الاستيـلاء عليها، وأنا لا أجرؤ على قول المزيد حول هذه المسألة.

ومـدينة الاسكندرية هذه، التي عـرفت بـالقـديم باسم الاسكندرية، تـدعى الآن بـاسم اسكنـدرية، مـن قبل سكـانها، وعلى مقـــربة مـن الاسكندرية يوجد الموضع الـذي قطع فيه رأس القديسـة كاترين، ومن هناك حملتهـا الملائكة إلى جبل سيناء، على بعـد سفر حـوالي ثمانيـة أيام، ويوجد في هذه المدينة كثرة كثيرة من الأماكن المقدسة وأماكن العبادة في تلك المدينة.

وليس بعيـداً عن الاسكندرية هناك قـرية سكانها جميعـاً من المسلمين الحرفيين، الذي يتـولون نسج البسط الـرائعـة بأشكال مختلفـة، وببراعـة مدهشة غريبة، ويقـوم في هذا المكان أو القرية كنيسة صغيرة جميلة، فيها قبو صغير، ومن المعتقد أنه في هذا القبو جرى قطع رأس القديس يوحنا المعمـدان، ومن المعتقـد أن هذا القبو كـان سجناً، وهو معـروف بسبب وضع المكان، حيث أنه قـائم على حدود مصر والعـربية، ويتـولى هؤلاء الحرفيـون المسلمون أنفسهم حـراسة القبـو بعناية فائقـة وباحترام كبير، ويقـومون بإضـاءته بمصابيـح وشموع، ويدفع كل واحـد منهم حسب قـدراته ووسائله بعضـاً من دخله الخاص إلى الكنيسة وإلى القبـو، لأنهم يعتقـدون بكل تأكيد، وأنه قـد تبرهن بالتجـربة، أنهم إذا لم يحافظوا على الكنيسـة بمثل هذا الاحترام، وإذا ما تركـوها غير مضاءة لليلة واحـدة، سوف تخرج الجرذان من الأرض وستمـزق إلى قطع وتتلف جميع البسط المعمولة من قبلهم، ويقولون إنه كلما أظهر أي إنسان المزيد من الاحترام

للكنيسة والقبو المتقدمي الذكر، كلما نجح أكثر في عمله، وكان هذا المكان الذي تقوم فيه الكنيسة الآن يدعى قديماً بالعربية باسم النصرونية(؟) Metharonta .

وأقرب مدينة إلى مصر اسمها طرابلس، وهي قائمة على شاطىء البحر، عند سفح جبل لبنان، وهي منطقة، أعطيت إلى كونت طولوز، بعد استرداد الأرض المقدسة من قبل الصليبيين، وهذه المنطقة أو الكونتية خصبة، ومشهورة بسبب مزروعاتها، ومروجها، ومراعيها، وأعشابها وأشجارها وفواكهها، وهي بذلك أكثر شهرة من جميع البلدان من حولها، وأعظم جمالاً، ولهذا تدعى دون سواها من البلدان باسم الجنة الثانية، وفيها ما هو محبوب وجميل فوق تصور البشر وفهمهم، وجرى تدمير هذه البلاد أوالكونتية المكونة من الحدائق بوساطة سيل تدفق من ذرى الجبال العالية للبنان، وذلك باندفاع مخيف، حتى أن صوته كان يمكن سماعه عن بعد أكثر من ميل، والذي كان واقفاً إلى جانبه صار أطرشاً لمدة تزيد على ثلاثة أيام، ومثل هذا هناك بئر ماء يجري خلال هذه المنطقة أو الكونتية، كما وينبع هناك نبع يتدفق دوماً من الأرض المنبسطة، ولم يتناقص قط بكمياته أو شكله، وهو في جميع الجوانب مثله مثل النبع الموجود في مدينة بادربورن، والذي يدعى باسم بادر Padere، وبمياه هذين الجدولين، أي النبع والبئر تتم سقاية جميع الأرض، وهذين هما الجدولين اللذين نقرأ عنهما في[نشيد الانشاد:٤/ ١٥]:«ينبوع جنات بئر مياه حية وسيول من لبنان».

وعليك أن تعرف أن جبل لبنان جبل طويل جداً، وهو في بعض الأماكن مرتفع كثيراً، وباعتقادي هو يشبه من جميع الجوانب الجبل الموجود في هذه المناطق واسمه اوسننغ Osning ، ويمتد جبل لبنان من بداية أرض الميعاد بعيداً حتى كليكيا، وهو جبل مليء بأجمل الأشجار، وأطيب الفواكه، والحشائش ومما يمكن لقلب الإنسان أن

يتصـوره، والجبل كـذلك مليء بها لايحصـى من البلدات والقـرى، فيهـا جميعاً يسكن مسيحيون، يسيرون وفق الطقـوس اللاتينية، وهـم يتطلعون شوقـاً يومياً لقـدوم المسيحيين(بحملة صليبية)، ولقـد رأيت عدداً كبيراً من أساقفتهم يسيرون وفق الطقوس اللاتينية.

وعليك أن تعلم أن البلاد التي يصل إليهـا هذا الجبل، قد عرفت فيما مضى باسم كليكيـا، لكنهـا تعـرف الآن باسم أرمينيـا الصغـرى، لأن الأرمن استــولوا على تلك الأرض وانتـزعــوها من المسلمين بالقــوة، وتحاربوا معهم وتخاصمـــوا لمدة خمسمائــة سنة بـدون انقطاع، وفي هذه المنطقة تقوم مـدينة طرسوس الجبلية، التي كان القـديس بولس الرسول قد ولد فيها.

وفي عودة إلى مـوضوعي: هناك مـدينة بحرية أخـرى اسمها بيروت، وهي مدينة جميلة وكثيرة السكان، وكانت عندمـا استولى الصليبيون على الأرض المقـدســة صـارت من نصيب لـورد أوف ستــاركنبيرغ -Star kenberg، وقد ورد ذكــر هذه المدينة لدى الامبراطور جستنيان في مقدمة مختصر مدونته القانونية، ذلك أن دراسة القانون قد ازدهرت فيها فيما مضى، ويقوم في هذه الكنيسة كنيسة جميلـة مكرسة للقديس نيقولا، وهي كنيســة تحظى باحترام خــاص لدى المسيحيين، وكـان القــديس جورج قد حول هذه الجزيرة إلى عقيدة المسيح، وقتل التنين الذي كانت تعــاني منه، وأنقـذ ابنـة ملك المدينة من التنين، ومجّد البــلاد بكثير من المعجزات، وبئر التنين مـايزال من الممكن رؤيته بوضـوح، ويلتقي جميع الحجاج المتـوجهون إلى القدس مع بعضهـم في هذه المدينة، ويمرون من خلالها.

وليس بعيـداً عـن هذه المدينة، هناك مـدينة أخـرى جيـدة التحصين وقويـة اسمها جبيل، التي آلت بعـد الاستيلاء على الأرض المقـدسة إلى

فـــرســـــان الداويـة، ويقـــرأ الانســـــان عن هذه المدينـة في سفـــر الملوك(الأول:٥/ ١٨) قوله:«والجبليون وهيأوا الأخشاب والحجارة لبناء البيت»، وكانت هذه المدينة تعـرف وقتذاك باسم بيبلوس، واسمها الآن جبيل.

وليس بعيداً عـن هذه المدينة، تقوم مـدينة أخرى على شاطـىء البحر اسمها يافا، التي ماتزال مسكونـة بشكل جيد، وكان طريق الحجاج فيما مضى يمـرعبر هـذه المدينة، لكن قبل أيامي بوقـت قصير قـام السلطان بتخريب مرسى هذه المدينة، خشية من ملك فرنسا.

ويوجـد على مقـربة من هذه المدينة مـدينتـان أخريتـان جمليتـان هما: الرملة، التي ولد فيها النبي صمـوئيل وعسقلان، وتبعد يافـا سفر ثلاثة أيام عن القـدس، أو مايقارب ذلـك، وهي كونتيـة، وكونت يافـا أيضاً مارشـال مملكة القدس، وصاحب الرملة وعسقلان، وهكذا يذكـر نفسه ومـرتبتـه، وفي أيامي تزوج كـونت يافـا وهنري دوق برنزوك Bruns-wick من أختين.

وليس بعيـداً عن يافـا توجـد مـدينة جميلة جـداً، قائمـة على سـاحل البحر، وهي جيدة التحصين بوساطة خمسـة أبراج جيدة وبأسوار، لكنها مـدمـــرة تماماً، واسم هذه المدينة صيـــدا، وإثر الاستيـلاء على الأرض المقـدسـة صـارت من حصـة فـارس اسمـه دي نيبـولي Neapoli ، وكانت هذه المدينة تعـرف فيما مضى باسم صيدون، وتدعى الآن باسم ساغيت Sagette .

وعلى مقربة مـن هذه المدينة توجد مـدينة أخرى فـائقة الجمال، وهي بالوقت نفسه جيدة التحصين بوساطة أبراج جيـدة وأسوار، وهي قائمة بمفردها فوق جزيرة في البحـر، واسم هذه المدينة صور، وهي الآن شبه مهجـورة، وكـانت عندمـا جـرى الاستيلاء على الأرض المقـدسـة، قـد

صارت من حصة بلدوين أخو غودفري دي بولليون، وهذه المدينة التي عرفت فيما مضى باسم Tyre ، تدعى هذه الأيام باسم صور.

ويقوم فيما بين صيدا وصور كنيسة جميلة، بنيت فوق المكان الذي دعت فيه المرأة الكنعانية الرب، ويتحدث الانجيل عن هذا بقوله:«ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحي صور وصيدا، وإذا امرأة كنعانية»الخ،[متى:١٥/ ٢١ — ٢٢].

٢٥ — *مدينة عكا المجيدة*

وعلى مقربة من صور، وعلى مسافة سفر يوم واحد على طول شاطىء البحر، تقوم مدينة عكا المجيدة، التي كانت فيما مضى محط الحجاج، وجميع المسافرين الآخرين، وهي تبعد مسيرة ثلاثة أيام عن القدس، وقبل المضي إلى أي أمر آخر، لابد من أن أقول شيئاً ما حول مدينة عكا هذه، لكن مع هذا عندما أنظر إلى أوضاعها الحالية أفضل النحيب والبكاء على أي شيء آخر، فأي قلب لن يذوب حزناً، ويستطيع أن يصمد، لدى رؤيته لخراب ولدمار هذه المدينة الجليلة والعظيمة؟ وتقوم مدينة عكا المجيدة هذه — كما قلت — على شاطىء البحر، وقد بنيت بحجارة منحوتة مربعة، حجمها أكبر من المعتاد، مع أبراج عالية وفائقة الحصانة والقوة، ولايبعد كل برج عن البرج الآخر أكثر من مسافة رمية سهم، وذلك على طول محيط الأسوار كلها، ويقوم كل باب من أبواب المدينة بين برجين، والأسوار هناك عظيمة إلى حد يمكن لعربتين أن تمر إحداهما بالأخرى بسهولة فوق أعلاها، كما هو الحال في هذه الأيام، ومن الجهة الأخرى أيضاً، باتجاه اليابسة، المدينة محاطة بأسوار متميزة، وبخندق عميق جداً، وهو مجهز بشكل موائم بغطاسين وعمال ومدافعين وبوسائط موائمة للحراسة.

والشوارع في المدينة في داخلها مرتبة جداً ومنظمة، حيث أن جدران

البيوت كلها لها ارتفاع واحد، وكلها متشابهة البناء من حجارة منحوتة، مزينة بشكل رائع بنوافذ زجاجية ورسوم، وفي الوقت نفسه لم تبن جميع القصور والبيوت في المدينة لمجرد تلبية حاجيات الذين يسكنون فيها، وإنما لتزودهم بالرفاه الانساني وبالسرور والمتعة، وكل قصر متفوق بقدر الامكان على القصر الآخر بتزجيجه، وبرسومه، وبقاعاته، وبوسائل التزيين الأخرى، التي أسس فيها في الداخل، والتي جمّل بها في الخارج، وكانت شوارع المدينة مغطاة بأقمشة حريرية، أوبأقمشة ووسائل أخرى جميلة،لتمنع أشعة الشمس وتبقيها نائية، ولقد قام في زاوية كل شارع برج فائق القوة، محاط بباب حديدي وبأسوار حديدية، وسكن جميع النبلاء في قلاع حصينة وفي قصور على طول الطرف الخارجي للمدينة، وذلك تبعاً لحرفتهم ونوع أشغالهم، وعدّ جميع سكان المدينة، مثل النورمان القدماء، أنفسهم نبلاء، وتصرفوا بذواتهم مثل النبلاء، وذلك مثلما كانوا بالفعل فيما مضى، وأول سكان المدينة هناك ملك القدس وأخوانه مع عدد كبير من نبلاء الأسرة، وأمراء الجليل، وأمراء أنطاكية، والقائد الرئيسي لملك فرنسا، ودوق قيسارية وصاحب صور، وصاحب طبرية، وصاحب صيدا، وكونت طرابلس، وكونت يافا، وصاحب بيروت، وصاحب يبنى، وصاحب بيسان، وصاحب أرسوف، وصاحب فوس Vaus ، ونبلاء تل الصافية.

وكان جميع هؤلاء الأمراء، والدوقات، والكونتات، والنبلاء، والبارونات يسيرون في الشوارع ويعرضون أنفسهم بأبهة ملكية،حيث الزينة الذهبية فوق رؤوسهم، وكل واحد منهم كأنه ملك، ومعه فرسانه، وأتباعه، ومرتزقته، وحاشيته، وثيابه وفرسه الحربي وقد تزين بشكل رائع بالذهب والفضة، وكل واحد منهم كان يتبارى مع الآخر بالجمال وبالابداع والاختراع، وقد اعتنى كل رجل منهم باظهار نفسه وعرضها بعناية فائقة، وكانوا في كل يوم يدربون أنفسهم ويشغلونها

بالمبــارزات، وبالصيــد، وبالمنازلات، وبكـل نوع من أنواع العــروض العسكرية، ولقد اختص كل واحد منهم أو امتاز بقطعة من الأرض إلى جانب قصره أو قلعته.

وسكن هناك أيضـاً من أجل القتـال ضد المسلمين، ولصـالح الايمان الكاثوليكي مقـدم رهبان فرسـان الداوية مع فرسـان مسلحين، وكذلك مقدم رهبان طائفة القديس يـوحنا للقدس، مع فرسان مسلحين، وأيضاً مقدم رهبان بيت طائفة التيوتون مع فرسان مسلحين، ومثل ذلك مقدم رهبـان طائفـة القديـس توماس أوف كـانتربري مع فـرسـان مسلحين، وكذلك مقدم وفرسان طائفة القـديس لعازر مع فرسان مسلحين، ولقد سكن هؤلاء جميعـاً في عكا، وكانت مقـار قيادات طوائفهم هناك، وقـد قاتلوا هم وأتباعهم ليل نهار ضد المسلمين.

وسكن أيضاً في عكا هناك أغنى التجـار تحت قبة السماء، وقد تجمع هؤلاء واحتشدوا معاً هناك من جميع أمم الأرض، فقد كان هناك بيازنة، وجنويين، ولومبـارد، الذين ضاعـت المدينة بسبب خصومـاتهم اللعينة، لأنهم عدوا أنفسهم وتصرفـوا مثل النبلاء، وقطن هنـاك أيضاً تجار على درجة عـالية من الثراء من الشعـوب الأخرى، لأنه من شروق الشمس حتى غيابها كانت تجلب جميع أجزاء الدنيا التجارات إلى ها هنا، وجرت العادة بجلب كل شيء كان موجوداً في العالم ونظر إليه على أنه رائع أو غــريب إلى هذه المدينة، وذلك بسبب النبــلاء والأمــراء الذين سكنوا هناك، وسيحتـاج الأمر إلى وقت طويـل للحديث عن الأمجاد الأخـرى لعكا مع مفـاتنهـا ومحاسنهــا هناك، ولايستطيع أي إنسـان أن يتحـدث بشكل كامل عنهم.

ولقد كـانت هذه مدينة عكا الواسعة الشهـرة، التي عرفت فيها مضى باسم بطولميس، التي جـرى فيها قتل يهوذا(؟) المكابي بشكل خيـاني من قبل تريفـون، وذلك حسبما جاء في سفـر المكابيين، وبالوقت نفســه هذه

كانت مدينة عكا التي كان فيها وثن بعل زبوب، وكان ذلك في الوقت الذي سقط فيه آحاز، ملك إسرائيل من عليته التي في السامرة فمرض، فقال لخدمه:«اذهبوا واسألوا بعل زبوب إله عقرون إن كنت أبرأ من هذا المرض»؟ وذلك حسبما جاءت الرواية بالتفصيل في سفر الملوك(الثاني:١/ ٢).

٢٦ — *فقدان مدينة عكا وضياعها*

وبعدما تحدثت عن مجد عكا وجمالها، سوف أتحدث إليكم الآن بشكل موجز عن سقوطها وخرابها، والسبب في خسارتها، وذلك حسبما الحكاية تحكى من قبل رجال مستقيمين وصادقين، وكانوا يتذكرونها بشكل جيد، ففي الوقت الذي كانت فيه الأعمال الكبيرة ماضية في عكا حسبما تحدثت عنها، تفجر بإثارة من الشيطان خلاف في لومبارديا بين حزبي الغولفيين والغيبلينيين، الأمر الذي جلب جميع الشرور على الصليبيين، فاللومبارد الذين كانوا يسكنون في عكا تحزبوا واتخذوا مواقف في هذا الخلاف هي نفسها، ولاسيما البيازنة والجنويين، ذلك أنه لكل واحد من الفريقين كان هناك حزب قوي جداً في عكا.

وعقد هؤلاء الناس معاهدات وهدن مع المسلمين، من أجل أن يتفرغوا بشكل أفضل لقتال بعضهم ضد بعضهم الآخر في داخل المدينة، ولدى سماع البابا أوربان (١) بهذا حزن كثيراً من أجل الصليبيين ومن أجل الأرض المقدسة، وبعث باثني عشر ألفاً من العساكر المرتزقة عبر البحر لمساعدة الأرض المقدسة والمسيحية.

وعندما جاء هؤلاء الرجال عبر البحر إلى عكا، لم يفعلوا شيئاً مفيداً،

١ — حكم أوربان الرابع من ١٢٦١ حتى ١٢٦٤، وعلى هذا لايمكن لهذه الأحداث أن تكون قد وقعت في أيامه، والمقصود هنا هو جيروم دي أسكولي الذي حكم باسم نيقولا الرابع ١٢٨٨ — ١٢٩٢.

بل أقاموا ليلاً ونهاراً في الحانات وفي الأماكن سيئة السمعة، واعتقلوا التجار ونهبوهم وفعلوا الشيء نفسه مع الحجاج في المناطق العامة، وخرقوا المعاهدة، واقترفوا كثيراً من الشرور.

ولدى سماع الأشرف خليل سلطان القاهرة بهذا، وكان قد عرف بالصراع الكريه بين سكان عكا، وبما أنه كان رجلاً حكيماً جداً، و في غاية القدرة والقوة العسكرية، وشجاعاً في أعماله، دعا إلى اجتماع عام لمستشاريه، كما عقد مجلساً عاماً للشورى في القاهرة، حيث تشكى بأن الهدنة قد خرقت مراراً وتم تجاهلها، مما ألحق الضرر به وبشعبه، وبعد نقاش عقد حول هذه القضية، حشد جيشاً عملاقاً، ووصل إلى مدينة عكا دون أن يلقى أية مقاومة، وذلك بسبب خصامات الفرنجة مع بعضهم بعضاً، وقام بقطع جميع الكروم وأشجار الفاكهة، وشعث جميع البساتين والحدائق التي كانت جميلة وممتعة هناك، وعندما رأى مقدم الداوية هذا، وكان رجلاً حكيماً جداً، وفارساً شجاعاً خشي من أن سقوط المدينة بات وشيكاً، بسبب النزاعات بين سكانها، فعقد اجتماعاً مع رهبانه حول إيجاد طريقة، يمكن بها إعادة السلام، وخرج من المدينة لمقابلة السلطان، الذي كان صديقاً خاصاً به وقريباً منه كثيراً، ليسأله عما إذا كان من الممكن بأية وسيلة من الوسائل إعادة العمل بالهدنة المخروقة، وقد حصل على هذه المطالب من السلطان، وكان ذلك بسبب حبه للسلطان، والتقدير الذي أبداه السلطان نحوه، وبات من الممكن إعادة العمل بالهدنة المخروقة شريطة أن يدفع كل إنسان في عكا بنساً بندقياً، وعلى هذا كان مقدم الداوية مسروراً، وترك السلطان، ودعا جميع السكان، وألقى فيهم موعظة في كنيسة القديس الصليب، وبين لهم كيف أنه بالتماساته، تمكن من إقناع السلطان، بالموافقة على إعادة العمل بالمعاهدة المخروقة، بأن يدفع كل واحد من الشعب بنساً بندقياً واحداً، فبذلك يمكن تسوية كل شيء وإعادته إلى السكون، ونصحهم بكل

وسيلة بأن يفعلوا ذلك،وأوضح أن الصراعـات بين سكان المدينة يمكن أن تجلب أسـوأ الشرور على المدينة، لابل أكثـر مـن هذا، وهذا مـا وقع بالفعل.

لكن عندما سمع الناس هذا، صرخوا بصـوت واحد، بأنه كان خائناً للمدينة، وأنه كان مجرماً يستحق الموت، وعنـدما سمع المقدم هذا، غادر الكنيسـة، وبصعـوبة نجـا حيـاً من أيدي الناس، وحمل جـوابهم إلى السلطان، وعنـدمـا سمع السلطان هـذا — وكـان يعلم أنـه بسبب النزاعات بين الناس مـا من أحد منهم، سوف يقدم أية مقـاومة — أمر بنصب خيمـة، وأقـام ستين آلة، وحفـر كثيراً من الانفـاق تحت أسـوار المدينة، وهاجـم المدينة لمدة أربعين يومـاً، ليـلاً ونهاراً، بدون تـوقف، بالنار، والحجارة، والسهام، حتى بدا الهواء يابساً من كثرة السهام، ولقد سمعت واحداً من الفرسان الصـادقين جداً يقول بأن جميع الحراب التي كـانت على وشك الرمي بها من أحـد الأبراج بين المسلمين، قـد عطلت بوسـاطة نشـاب المسلمين، قبل أن تترك يـده، وكـان آنذاك في جيش السلطان ستمائة ألف رجل مسلح، كـانوا مقسمين إلى ثلاث مجموعات، وعلى هذا كان هناك دومـاً مائة ألف تولت حصار المدينة، وعندمـا كان هؤلاء يشعرون بالتعب، كـانت مائة ألف جـديدة تأخذ مكانهم، وهكذا دواليك، ومثل هذا وقف مائتا ألف أمـام أبواب المدينة جاهزين للقتال، وكـان واجب المائتي ألف المتبقين تزويدهـم بكل شيء كـانوا يحتـاجـون إليـه، ولم تكن الأبواب مغلقـة ولَم تغلق أبداً، ولم تكن هناك سـاعـة من النهار من دون بعض القتال الحاد،الذي قـاتلوا به ضد المسلمين، وذلك من قبل الداوية وفـرسـان الطوائف الأخـرى التي كـانت مقيمـة هناك، لكن أعداد المسلمين تزايـدت بسرعة فائقـة، فبعد مقتل مـائة ألف منهم حل محلهم مائتي ألف جدد، ومع هذا ما كـان الفرنجة ليفقدوا المدينة، أمام هذا الحشـد كله، لوأن أحدهـم عاون الآخر بإخـلاص، ذلك أنهم

عندما كانوا يحاربون خارج المدينة،كانت فئة ما تهرب وتترك الفئة الأخرى لتواجه القتل، أما في داخل المدينة فإن إحدى الفئات كانت تتأبى الدفاع عن قلعة أو قصر يعود إلى فئة أخرى، لابل أكثر من هذا كانت عن قصد تترك قلاع الفئة الأخرى، وقصورها، وحصونها، يجري اقتحامها والاستيلاء عليها من قبل الأعداء، وكان كل واحد همه أن يعرف أن قلعته، وموضعه قوي حصين، ولايهمه قلعة أو حصن أي إنسان آخر.

وفي أثناء هذه الفوضى دافع مقدمو الطوائف مع فرسانهم عن أنفسهم، وقاتلوا دونها توقف ضد المسلمين، وذلك حتى قتلوا كلهم تقريباً، وفي الحقيقة سقط مقدم ورهبان طائفة التيوتون مع أتباعهم وأصدقائهم، أمواتاً في وقت واحد، وساعة واحدة كانت هي نفسها.

واستمر هذا، وجرت عدة معارك، ووقع عدة آلاف قتلى على كل طرف من الطرفين، وحل أخيراً وقت الجزاء بالنسبة لذنوبهم، واقترب موعد سقوط المدينة، وحلّ مع مجيء اليوم الأربعين للحصار، وكان ذلك في سنة ألف ومائتين واثنتين وتسعين(الصحيح: إحدى وتسعين) لتجسيد ربنا، وفي اليوم الثاني عشر من شهر أيار، في هذا اليوم جرى الاستيلاء على مدينة عكا، المدينة الأكثر جلالة ومجداً، والتي هي زهرة، ورئيسة، وفخر جميع مدن الشرق، وعندما سمع سكان المدن الأخرى، أي مدن: يافا، وصور، وصيدا، وعسقلان، بهذا تركوا جميع ممتلكاتهم خلفهم، وهربوا إلى قبرص.

وعندما استولى المسلمون على عكا أولاً، دخلوا إليها من خلال ثغرة أحدثوها في السور على مقربة من قلعة ملك القدس، وبعدما صاروا بين الناس في داخل المدينة، ظلت كل فئة تتأبى تقديم المساعدة للفئة الأخرى، بل تابعت كل فئة الدفاع عن قلعتها وقصرها، وواجه المسلمون حصاراً أكثر طولاً،وتوجب عليهم القتال بتقدم أقل، وهم في

داخل المدينة، من تقدمهم عندما كانوا في خارجها، لأنها كانت محصنة بشكل مدهش.

وفي الحقيقة جاء في أخبار سقوط عكا، أنه بسبب ذنوب الناس، قاتلت العناصر الأربعة، إلى جانب المسلمين، فأول كل شيء صار الهواء كثيفاً إلى درجة الظلام، وصار الجو متلبداً مغيماً، إلى حد أنه أثناء اقتحام إحدى القلاع، أو أحد القصور، أو الحصون، أو إحراقه كان من الصعب على الناس الآخرين رؤية القلاع الأخرى والقصور، حتى يجري مهاجمة قلاعهم وقصورهم، وللوهلة الأولى كان بإمكانهم الدفاع عن أنفسهم بشكل جيد، لو أنهم استطاعوا أن يتوحدوا، وقاتلت النار ضد المدينة لأنها ابتلعتها، وقاتلت الأرض ضد المدينة لأنها شربت دماء أهلها، وقاتلت المياه ضد المدينة، لأن الشهر كان شهر أيار، ففي هذا الشهر اعتاد البحر على أن يكون هادئاً جداً.

وعندما رأى أهل عكا بوضوح أنه بسبب ذنوبهم، وظلام الهواء، لم يعد بإمكانهم رؤية أعدائهم، هربوا إلى البحر، راغبين بالابحار إلى قبرص، وفي البداية لم يكن هنالك ريح مطلقاً في البحر، لكن ما لبث أن ثارت عاصفة كبيرة، حالت دون أية سفينة سواء أكانت كبيرة أم صغيرة من الاقتراب من الشاطىء، وكثير ممن كانوا قد شرعوا بالسباحة نحو السفن قد غرقوا، ومهما يكن من أمر، لقد نجا إلى قبرص أكثر من مائة إنسان.

ولقد سمعت من سيد صادق جداً، ومن رجال آخرين موثوق بهم، كانوا آنذاك حضوراً، أن أكثر من خمسمائة من أكثر السيدات نبلاً، ومن الفتيات، ومن بنات الملوك والأمراء، انحدرن نحو شاطىء البحر، عندما كانت المدينة على وشك السقوط، وكن قد حملن معهن على صدورهن أدوات زينتهن من الذهب والحجارة الكريمة التي لايمكن تقدير ثمن لها، وصرخن، ونادين، وسألن هل هناك أي بحار يتولى أخذ

جواهرهن جميعها، واختيار أية واحدة منهن أن تكون زوجة له، شرط أن يأخذهن، ويحملهن، ولوعاريات إلى أي بلد أمين أو جزيرة، واستقبلهن جميعاً أحد البحارة في سفينته، وأخذهن وعبر بهن إلى قبرص، مع جميع أمتعتهن مقابل لاشيء، وذهب بحال سبيله، لكن من كان هو، ومن أين جاء، وإلى أين ذهب، ما من إنسان يعرف حتى هذا اليوم،هذا وتعرض عدد كبير جداً من سيدات نبيلات أُخر وفتيات إلى الغرق أو القتل، ويحتاج الأمر إلى وقت طويل للحديث عن الحزن الكبير والآلام التي كانت هناك.

وعندما كان المسلمون في داخل المدينة — إنما قبل استيلائهم الكامل عليها — استمر القتال من قلعة إلى قلعة، ومن مكان إلى مكان حصين آخر، وبذلك هلكت أعداد كبيرة من الناس على كلا الجانبين، حتى أنهم مشوا فوق جثثهم، وكأنهم يسيرون فوق أحد الجسور، وبعدما جرى فقدان جميع المدينة الداخلية، هرب الذين بقيوا أحياء إلى قلعة الداوية التي كانت حصينة جداً، وقد جرى حصارها على الفور من جميع الجهات من قبل المسلمين، ومع ذلك دافع الصليبيون عنها بشجاعة لمدة شهرين، وسقط أمامها جميع أعيان وقادة جيش السلطان قتلى، لأنه بعدما جرى إحراق المدينة القائمة بين الأسوار كلها، بقيت أبراج المدينة وقلعة الداوية،التي كانت في داخل المدينة، ولذلك تمكن أهل المدينة من إبقاء المسلمين داخل المدينة، ومنعوهم من الخروج منها، مثلما فعلوا من قبل حين حالوا دون دخولهم إليها، وظل الحال هكذا حتى لم يبق أحد من المسلمين الذين دخلوا إلى المدينة أحياء، ذلك أنهم جميعاً سقطوا بالنار أو بفعل السيف، وعندما رأى أعيان المسلمين أن بقيتهم تمددوا أمواتاً، وأنهم هم أنفسهم غير قادرين على النجاة من المدينة، هربوا لاتخاذ ملاجىء لأنفسهم في الأنفاق التي كانوا قد حفروها تحت البرج الكبير، أملاً منهم بأنهم سوف يجدون طريقاً للنجاة إلى الخارج من

خلال السور، لكن الداوية والذين كانوا في القلعة، عندما رأوا أنهم غير قادرين على إيذاء المسلمين بالحجارة وماشابه ذلك بسبب الأنفاق التي كانوا فيها، لغموا ما تحت البرج الكبير العائد للقلعة، وتركوه ينهار فوق الأنفاق وفوق المسلمين هناك في الداخل، وهكذا هلكوا جميعاً سواء، وعندما رأى المسلمون الآخرون الذين كانوا خارج المدينة جميع ما حدث، أسقط بأيديهم تماماً، وعقدوا بشكل خياني هدنة مع الداوية والصليبيين، على شرط أن يتخلوا عن القلعة، مقابل السماح لهم بأخذ جميع مقتنياتهم معهم، وأنه ينبغي تدميرها، وأن يعيدوا بناء المدينة وفق شروط محددة، وأن يعودوا إلى السكن فيها بسلام كما كان الحال من قبل، وصدّق الداوية والصليبيون الآخرون هذا ووثقوا به، وسلموا القلعة وخرجوا منها، ونزلوا من أبراج المدينة، وعندما استحوذ المسلمون بهذه الوسيلة على كل من القلعة وأبراج المدينة، قتلوا جميع الصليبيين سواء، واقتادوا الأسرى إلى القاهرة، وبذلك بقيت عكا فارغة ومهجورة حتى هذا اليوم.

وفي عكا والأماكن الأخرى تم فقدان مايقارب مائة ألف وستة آلاف رجل قتلاً أو أسراً، ونجا من هناك أكثر من مائتي ألف، أما بالنسبة للمسلمين، فقد قتل أكثر من ثلاثمائة ألف، كما هو تماماً معروف حتى هذا اليوم وأمضى المسلمون أربعين يوماً أولاً في حصار المدينة من الخارج، وخمسين يوماً في المدينة في داخلها، قبل الاستيلاء عليها، وشهرين في حصار الداوية.

وعندما سقطت مدينة عكا المجيدة على هذه الصورة، أنشد جميع شعب الشرق لسقوطها أناشيد البكاء والرثاء، مثلما اعتادوا أن ينشدوا على قبور أمواتهم، وبكوا على جمال عكا، وعظمتها، وعلى مجدها، ومازالوا يفعلون ذلك حتى هذا اليوم، ومنذ ذلك اليوم ترتدي النساء المسيحيات — سواء أكن من السادة أو من العاديين البسطاء — ممن

يسكن على الشاطىء الشرقي(للبحر المتوسط) ثياب السواد حزناً، وحداداً، وتفجعاً على فقدان مدينة عكا العظيمة، ومازلن يفعلن ذلك حتى هذا اليوم.

وعمل المسلمون بعد هذا، لعدد كبير من السنين، وبذلوا كل جهد ممكن، لاجتثاث ولتدمير جميع الأسوار تماماً حتى الأساسات، وفعلوا الشيء نفسه بالنسبة للأبراج والقلاع والقصور، خشية من أن يعاود الصليبيون عمارتهم، لكن كان من المستحيل بالنسبة إليهم تمكنهم من تدمير كل شيء واجتثاثه حتى آخر رجل، وهكذا بقيت جميع الكنائس، والأسوار، والأبراج، وعدد كبير جداً من القلاع والقصور، سليمة إلى أبعد الحدود، وإذا ماسمح الرب، من الممكن — بعناية كبيرة — استردادها وترميمها، وإعادتها إلى أوضاعها الماضية.

ويسكن الآن في هذه الأيام حوالي الستين في المرتزقة المسلمين في عكا، بمثابة حامية للمدينة وللميناء، ويؤمن الانفاق على عيشهم من خلال الحرير والطيور، لأنه يوجد في عكا كثير من الدجاج والحمام، إلى حد أن جميع الطيور التي يمكن رؤيتها في المنطقة لايمكن مقارنتها بهم، وهؤلاء المرتزقة لديهم شغف بالألمان، فعندما يلاحظون وجودهم من خلال مظهرهم، يسيرون إليهم مباشرة، ويشربون الخمرة معهم بعمق، على الرغم من أنها محرمة بشريعتهم.

وبهذا أكون قد حدثتكم كيف تم فقدان مدينة عكا المجيدة بسبب الخصام، ومنذ ذلك الحين فصاعداً، انتقلت جميع أمجاد الأرض المقدسة، وأمجاد ملوكها، وأمجاد أمرائها، وبقية أعيانها، إلى قبرص، وذلك حسبما سمعتم من قبل.

٢٧ — حول غزة وأشدود

ولأعد الآن إلى موضوعي: يذهب الانسان من عكا إلى غزة، التي

كـانت فيما مضى مـدينة جميلة جـداً، تابعـة للفلسطينيين، وهي الآن مهجـورة تقـريبـاً، وهـي المدينة التي حطم شمشـوم أبوابها الحديدية، وحملهـا معه إلى الجبل، والمسـافة مـن عكا إلى غزة ثلاثة وعشرين ميـلاً، ويرى الانسان على الطريق الأماكن التالية، لكن قبل المضي بعيداً، أقترح أن أحـدثكم ببعض الشيء حـول مـدن الفلسطينيين، فحول غـزة تقـوم بلاد فلسطين، حيث نرى فيهـا أربع مدن عظيمـة جداً، قـد وجدت فيما مضى، وقد آل الآن مآلها كلها إلى قـرى صغيرة، وذلك باستثناء مدينتان هما: أشـدود وغاث، وعليـك أن تعرف أن البـلاد التي عـرفت من قبل باسم فلسطيا، تعرف الآن باسـم فلسطين، وأن المدينة التي كانت تعرف فيما مضى باسم أشـدود اسمهـا الآن أرسـوف، التي غـالبـاً مـارأيت صـاحبهـا النبيل(بالين دي ايبلن في سنة ١٣٦٨) ، والمدينة التي عـرفت فيما مضى باسم غـاث اسمهـا الآن اسكندرون (جنوب غربي صـور) ، وقد منحها الاسم الجديد بلدوين ملك القـدس، عندما كان يبنيها، ففي هذه المدينة كـان جـالوت قـد ولد، وهـو الذي قتله داود، ومن الممكن قراءة الكثير من العجائب حول هذه المدينة.

ومن هذه المدينة وبجميع الاتجاهـات،نجـد أن جميع المدن، والقـرى، والقـلاع، والأماكن القـائمـة على ساحـل البحر المذكـور، وذلك لعمق أربعة أميـال في داخل اليابسـة، هي جميعاً مشعثـة ومدمرة وبـاقية هكذا حتى هذه الأيام، لأنه بعـدمـا جرى فقـدان الأرض المقـدسة، وسـورية وعكا، ارتأى المسلمـون بأن عليهم الحفـاظ عليهم وتملكهم بسـلام، وأعني بذلك جميع الأمـاكن المتقدم ذكـرها، والمدن، والقرى، والقـلاع، القـائمـة على شاطىء البحـر، إنما في ذلك الوقت كـان شعب غـاث أو اسكندرون قوياً جـداً، ورجالها شجعاناً بارعين باستخـدام السلاح، وفي الحقيقة لقد قيـل بأنه في مثل ذلك المكان الذي امتلك مثل هذه الطبيعة، يلد الرجـال أكثر حـدة وعنفاً من سـواهم من الرجال الآخـرين، وأهل

غـاث هؤلاء أنفسهم مع أن تعـدادهم قليل، حيث هو أقل من ألف انسان، هم نبلاء وشجعان، ويعرفون جميع الطرقات في البلاد مع دروبها، لأنهم اعتادوا على التجول هنا وهناك، والسلاح بأيديهم، ويعملون بالأجرة، ويعرفون طبائع وعادات المسلمين، والداخل إلى هناك، والخارج من البلاد، وهم لايعرفون الراحة، بل يغدون ذهاباً وإياباً، بشكل مستمر، في البر والبحر، وفي الليل والنهار، ويلبسون ثياب المسلمين، ويخفون الأسلحة تحتها، وعندما يكونون بين المسلمين يتصرفون بمثابة تجار مسلمين، ويدخلون معهم إلى مدنهم وقراهم، ويأكلون ويشربون مع بعضهم بعضاً، وعندما يجدون أنهم يمتلكون فرصة جيدة مواتية، يأخذونها ويحرقون البلدة والقرية، التي صدف وكانوا بها، ويقتلون المسلمين أو يبيعونهم رقيقاً، وعندما وجد المسلمون أنفسهم غير قادرين على الوقوف ضد هؤلاء القوم، هجروا مدنهم، وقراهم، وذهبوا بعيداً، لكن نادراً مانجوا، وهكذا فإن جميع الأماكن القائمة على طول ساحل البحر، والمدن، والقرى، والأماكن الأخرى حتى عمق أربعة أميال في داخل اليابسة، قد غدت معزولة تماماً ومهجورة حتى هذا اليوم.

ولقد سمعت من رجال صادقين، كانوا موجودين عندما كانت هذه الأمور تحدث، وسمعت أيضاً مايروج بين الناس والحكايات حولهم التي ماتزال باقية، أن خوفاً عظيماً حل بساح المسلمين، بسبب رجال غاث هؤلاء الذين تقدم ذكرهم، إلى حد أنه حتى مسافة سفر ستة أيام بعيداً عنهم، اعتادت الأمهات على تهدئة أولادهم الباكين بكلمة «اسكندرون» فضلاً عن هذا مامن رجل يتجرأ على مقابلة آخر على الطريق، لأن شعب اسكندرون، لايجعلون انساناً أميناً على نفسه من دون تيقظ وحذر.

وفي عودة إلى موضوعي أقول: على مقربة من عكا هناك نهر ليس

كبير الحجم اسمـه نهر النعامين Belen (نهر بعل)ويجرف هذا النهر نوعـاً من الرمل الزجـاجي، يحمل من هناك إلى بلدان نائيـة، وهناك نهر آخر، على أحد طرفي عكا، لايمكن لأفعى أو لأي من الهوام العيش فيه، مع أن بإمكانهم العيش والازدهـار على الطرف الآخـر، وقـد تبرهن أنه إذا ماجرى رمي أفعى عبر هذا النهر تموت مباشرة.

٢٨ — *جبل الكرمل*

وعلى مقـربة مـن عكا أيضـاً، على الطرف الأيمن، وعلى بعـد ثلاثة أميـال، وليس بعيـداً عن البحـر، يقـوم جبل الكـرمل، الذي هو أملس وعـريض، وعلى غـاية من الجمال في الـذروة، المزينة بكثير من النبـاتات والأمـاكن البهيـة، وقـد سكن هذا الجبل النبي إيليـا، وصنع كثيراً من المعجزات وعلى هذا الجبل، حدث أيضاً، حسبما تحدث إيليا، ابتلعت نار من السماء قائد الخمسين، التـابع لآحاز ملك اسرائيل، وصلى على الجبل إيليا ودعا أن لاتسقط الأمطار على الأرض، وبالفعل لم تسقط لمدة ثلاثة أعوام وستـة أشهر، وذلك حسبما نقـرأ في سفر الملوك، وعلى هذا الجبل من الممكن أن نرى أنه قد قام فيما مضى دير جميل جداً، بني وكرس على اسم القـديسة مـريم، ويعرف الرهبـان الذين جاءت أصـولهم من هناك باسم الكـرمليين حتى هذا اليـــوم، وهم رهبـــان متســـولون، ويمكن للانسان أن يرى أنهم امتلكوا فيما مضى خمسين ديراً في الأرض المقدسة.

ويوجد على أول أطراف الجبل نبع نقي تجري ميـاهه إلى البحر، ومن مياه هذا النبع اعتاد النبي إيليـا على الشرب، ولهذا يعرف باسم نبع إيليا حتى هذا اليوم، وفي مكان آخر عند سفح الجبل يمكن للانسان أن يرى أن مدينة قـد قامت هناك، كـانت ملكاً للداوية، هي الآن مهدمـة تماماً، واسمهـا حيفـا، وليس بعيـداً عن هذه المدينة هناك نبع صغير، هو الآن واحـد من مصـادر نهر الأردن، وعند نهاية جبل الكرمل كـان هناك فيما مضى مدينة جميلة هي الآن مهـدمة، اسمهـا زرعين، فهنا أقدمت إيزابل

على انتزاع كرم نابوت ولهذا رميت في المكان نفسه، حسبما نقرأ في سفر الملوك(الأول :٢١)، وعلى مقربة من هذه المدينة سهل مجيدو، حيث قُتل يوشع ملك يهوذا، وليس بعيداً عن جبل الكرمل، وعلى طرف جهة اليسار، قامت فيما مضى مدينة جميلة، هي الآن مهدمة، اسمها الصفورية، وكانت قائمة على رابية، ففيها ولدت القديسة حنة، أم مريم المباركة.

وبعد العبور فوق جبل الكرمل، يقوم الانسان بعبور نهر، كان واحداً من روافد الأردن، ويصل إلى قيسارية فلسطين، التي كان اسمها فيما مضى دور، واسمها الآن قيسارية فلسطين، غير أنها مدمرة كلياً، وقدكان في هذه المدينة كنيسة جميلة، بنيت من خلال بيت كورنيلوس، الذي حوله بطرس إلى الايمان الصحيح، وكانت هذه المدينة نفسها، قد آلت، بعد الاستيلاء على الأرض المقدسة، إلى ملكية فارس من هذه المناطق[بلاد المؤلف] اسمه دي هورن Horne ، وكانت أرملة ختنه حية حتى أيامي، لأنني غالباً ما تحدثت معها حول هذا الموضوع.

وإذا ما سافر الانسان من قيسارية، يصل أولاً إلى ما كان فيما مضى مدينة جميلة، لكنها الآن مهجورة، واسمها قلعة الحجاج(عثليت)، وكانت هذه تعرف بالقديم باسم أرسوف (كذا)، وكانت هذه المدينة قد أعطيت إلى الداوية من قبل غودفري دي بولليون، الذي كان أول ملك صليبي للقدس، وذلك حفظاً لذكراه نفسه.

وإذا ما سافر الانسان من أرسوف، أو قلعة الحجاج، يصل إلى مدينة جميلة جداً، وهي مليئة بالسكان حتى هذا اليوم، اسمها عسقلان، ويذهب الانسان من عسقلان ليأتي إلى يافا التي هي مدينة قديمة جداً، وجميلة، وهي قائمة على شاطىء البحر، وإلى مرسى هذه المدينة دخل النبي يونه، عندما حاول أن يهرب من وجه الرب، وهي على بعد سفر حوالي اليومين من القدس، لكن الحجاج لايستطيعون النزول في الميناء،

وعلى اليابسة، ليس بعيداً عن يافـا، تقوم مدينة جميلة، عرفت فيما مضى باسم الرملة، لكن اسمها الآن بعل Bael، وهي قـائمة فوق مـوقع جميل جـداً، وبهيج، وممتع، وهي مسكـونة من قبل المسيحيين وحـدهم، ومن المعتقد أن ما من يهودي أو مسلم يستطيع أن يعيش فيها أو يسكن لمدة تزيد على السنـة، وجميع الخمـر الـذي يشرب من قبل المسيحيين في القـدس والأمـاكن الأخـرى يجلب من هناك، وعلى الجانب الأيسر من مـدينة الرملة هذه، أوبعل، تقـوم مدينة جميلة، حسنة الاسكان، اسمهـا ديوسبـولس ولها اسم آخـر هو اللد، وفي هذه المدينـة واجـه الشهيـد المجيـد، القديس جـرجس الشهادة، وقطـع رأسه، وهناك كنيسـة فائقـة الجمال، حسنة التـزيين بأعمال الفسيفســاء والرخـام، وفي داخلهــا، في السـدة، يوجـد المكان الذي جـرى إعـدامـه صبراً فيـه، وهو معـروض للناس عموماً.

وبعـد رؤية هذه الأشيـاء جميعـاً، يصل الانسـان أولاً إلى غـزة، التي تحدثت عنهـا بعض الشيء، لأنني تحدثت إليكم بعض الشيء أيضـاً عن المدن الأخرى في فلسطين، والمسافة بين عكا وغزة هي سفر أربعة أيام، ويزور الانسان خـلال السفر جميع الأمـاكن المتقدمـة الذكر، وبعـد سفر الانسان من غزة يصل إلى قلعة اسمهـا بالعربية دار، وهي آخر مكان في سـورية لدى النزول إلى مصر، وإذا ما ذهب الانسـان بهذا الاتجاه يخّلف القـدس على جهة يسـاره، وذلك على بعـد عشرين ميلاً أو قـرابة ذلك، وهذه الطرق ليست طرقـاً عـامة للحجـاج، غير أنها طرق جيـدة لرؤية أوائل العربيـة ومصر، وكل ما هو مـوجود هناك، ويذهـب الانسان من قلعـة دار إلى مصر عبر صحـراء رملية، وذلك خـلال سبعـة أيام، وفي هذه الصحراء ليس هناك نقص بأي شيء محتاج، باستثناء الماء، الذي من الممكن حمله في أوعيــة جلدية على ظـهور الجمال، وهناك في نهايـة سفـر كل يوم يمكن العثور على نزل إسـلامية جيدة، حيث يجد فيهـا الانسان

كل ما يحتاجه، باستثناء الخمر.

٢٩ — حول مصر

وبعد عبور هذه الصحراء يدخل الانسان إلى مصر، ولدى دخوله إليها يجد فيها أماكن على درجة عظيمة من الجمال والبهجة، مليئة بجميع الأشياء الجيدة، التي يمكن لقلب الانسان أن يتصورها، وهي مليئة بكل شيء يحتاجه الانسان إلاّ الخمر، ولدى متابعة السفر نحو باب اليون(بابل الجديدة — الفسطاط) يصل الانسان إلى قرية جميلة جداً وممتعة اسمها بلبيس، وبذلك يخلف الاسكندرية ودمياط على ساحل البحر، وإذا فعل ذلك يذهب الانسان على طول الطريق السلطاني العام، فيصل إلى القاهرة وباب اليون، التي تضم الآن مدينتين عظيمتين جداً، ليستا بعيدتان عن بعضهما، وتقومان على طرف النيل، نهر الفردوس، والمدينة التي كان اسمها فيما مضى قاهرة، تدعى الآن القاهرة، وسكن في هذه المدينة في القديم فرعون، عندما تولى تعذيب العبرانيين، وهنا أيضاً آيات ومعجزات، صنعت من قبل موسى وهرون، حسبما جاء بالتوراة، وعلى مقربة من القاهرة، فوق الجبل، الذي هو ليس عالياً، لكن صخري، يقوم قصر السلطان، ويوجد هناك أشياء كثيرة جداً غريبة وعجيبة، وأهم شيء يراه الانسان في هاتين المدينتين، هو الفيلة، وحيوانات الغرفين Gryphons وعليك أن تعرف أن القاهرة أكبر من باب اليون(الفسطاط) وتبعد أكثر من رميتي سهم عنها، ذلك أن باب اليون قائمة على ضفة النيل، لكن القاهرة، قائمة على مسافة لابأس بها عن النيل، والقاهرة الآن أكبر من باب اليون، لأنني سمعت من تجار قدروا أن القاهرة أكبر من باريس بسبع مرات، وفي القاهرة أبنية منخفضة مثل الأفران، ويوجد فيهم مدافىء، ويوضع في الداخل بيض فوق روث، وبوساطة هذه الحرارة تفقس الفراخ، وتخرج من البيض، ووقتها يأخذ المعلم هذه الفراخ، ويعطيها إلى امرأة عجوز، تتولى

العناية بهم وإطعامهم، وتضعهم في صدرها، مثلما تضع الدجاجة الفراخ تحت جناحيها، ويوجد في هذه المناطق أعداد لاتحصى من العجائز ليس لديهن أسباب ووسائل للعيش سوى تربية الفراخ والعناية بهم، ولهذا السبب تجد الطيور هناك كثيرة مثل عدد رمال البحر، وغالباً ما يقوم أحد الفلاحين بسوق خمسة آلاف طير إلى السوق مرة كل أسبوع، مثلما يفعل الراعي حين يسوق أغنامه، ويأخذ معه جملاً أو دابة أخرى مع سلال، يتولى ملأها بالبيض الذي تبيضه الطيور وهي على الطريق، وعندما يأتي إلى السوق المخصص للطيور، لايفقد ولاطيراً واحداً، كما لاتمتزج طيور إنسان مع طيور إنسان آخر، وهذا أمر بالحقيقة مدهش، وخاصة عندما تلتقي آلاف كثيرة من الطيور في مكان واحد، فضلاً عن هذا يوجد على مقربة من باب اليون مكان خصب جداً، فيه مراعي غنية جداً، واسم هذا المكان غوشن Goshen ، فهناك سكن البطريرك يعقوب، بناء على توجيه من يوسف، وكان ذلك في أيام فرعون، فهذا ما رواه الكتاب المقدس لنا.

٣٠ — حول بستان البلسم

فضلاً عما تقدم، يوجد على مقربة من القاهرة، باتجاه الصحراء السورية، بستان البلسم، الذي هو من حيث المساحة نصف رمية حجر، وليس مسوراً بشكل جيد، أو كله مسيج، ويوجد في هذا البستان خمسة آبار، تتولى سقاية شجيرات وفروع البلسم، ولكل شجرة أو شجيرة حارس خاص، يتولى تنظيفها، والعناية بها وغسلها، بعناية تامة مثلما يتولى غسل جسده، ولاتنمو شجيرات أو فروع البلسم كثيراً، حيث لايتجاوز طولها الذراعين، ولها أوراق مضاعفة ثلاث مرات، ولدى بداية آذار، عندما يحل وقت النضوج ويصبح قريباً جداً، تصبح العناية بها أكثر، وعندما تصبح ناضجة، يجري قطع الأغصان والفروع وجرحها، وذلك مثل عملية تقليم الدوالي، ويجري ربط الجروح أو

الأماكن المقطوعة بقطع مـن الموصلين، ومن أماكن الجروح والقطع يبدأ البلسـم بالتقـــاطر، مثلما يسيـل الماء من الـدوالي، ويترسب في قطـع الموصلين المربوطة حـول الجروح، ويجري تعليـق كأس من الفضـة تحت كل غصن مجروح، حيث فيه تتقاطر أفضل أنواع البلسم.

وعلى هذا تقطع الأشجــار عندمــا يسيل البلسم، وفي ذلـك الوقت يكون سلطان القـاهرة مشغـولاً جداً، حيث يكـون شخصياً حـاضراً في البستـان، ويتـولى حـراسته بدقـة، حتـى لايتمكن إنسـان، إلاّ هو، من الحصـول على نقطة من البلسم بأية وسيلة من الوسـائل، وعندما يقـدم نواب البابا، وسفراء بعض الملوك والأمراء من مناطق أجنبية، يعطي كل واحـد منهم قارورة صغيرة من الزجـاج، صنعت خصيصاً لهذه الغـاية، ويكون في داخل هذه القارورة بعض البلسـم، ولدى تقديم هذه الهدية، كان يعتقد أنه يعطي أثمن هدية يمكن أن تعطى.

وبعدما يتم ترسيب جميع البلسم الجيـد والحقيقي بهذه الطريقة، يقوم الأوصياء على الأغصـان بقطعها حتى نهاية كل واحد منهـا، ويأخذ كل واحد حصته، ويتولى غليهم بالماء، ووقتها نجد كل الذي بقي من بلسم في نهايات الأغصـــان يذوب مثل الـدهن، ويطوف على وجـه الماء مثل الزيت، ومن هناك يجري جمع هذا البلسم بملعقة، ووضعـه في وعاء، ثم تركه حتى يتماسك، وذلك لبعض الوقت، ويلاحظ أنه حتى هذا البلسم له ثمن مرتفع جداً، ولأن هذا البلسم قد تعرض للغلي، يغدو لونه أحمر مع بعض المزيـج من الأســود، غير أن البلسم الطبيعي الـذي يتقــاطر بشكل طبيعي، له لون النبيذ، وعليـك أن تعرف أن البلسم الطبيعي هو أغلى جوهرة في العـالم، ولهذا السبب نجد البطاركـة المقدسين، كـانوا قد اعتـادوا على مـزجـه بزيت مقـدس من أجل المسح، وأي جسـد لامس بلسماً طبيعياً، لن يتعفن ولن يفسـد مطلقاً، وفي أثناء تقـاطره طازجاً من الشجـرة، إذا وقعت نقطـة بيـد إنسـان، فهي سـوف تسيـل من خـلال

الطرف الآخر، وتمر عبر يده، فضلاً عن هذا، إذا ما جرى وضع أربع نقاط أو خمس من البلسم الطبيعي في عين إنسان، على وشك أن تصبح عمياء، من انعدام الرطوبة، أو تقدم السن، أو أي ضعف آخر، ستبقى هذه العين على الفور، وإلى الأبد، تماماً مثلما كانت لحظة صب البلسم فيها، ولن تتحسن أوضاعها ولن تتدهور، وعلى هذا إنها لمغامرة خطرة أن يحاول الانسان مثل هذا، ما لم يكن الانسان يائساً كلياً من بصره، وهذه الحقيقة واضحة مرئية في عدد كبير من أجساد رجال عظماء من العصور القديمة، التي تمّ العثور عليها سالمة تماماً غير فاسدة، لأنهم جرى دهنهم بالبلسم، ومثل هذا إذا كانت ندبة جرح جديد، عندما يكون قد بدأ ليشفى، إذا مسحت في أحد الأيام بنصف نقطة بلسم، وضع على ريشة، يعود على الفور جلد الجرح كما كان من قبل، ولا يترك أثراً، وما من إنسان يستطيع أن يرى أنه قد كانت هناك آثار ندبة على الاطلاق في ذلك المكان.

وزيادة على ما تقدم، إن البلسم المغلي هذا، هو عقار ممتاز جداً، وهو مفيد جداً من أجل ندب الجروح كما تقدم القول، وهو مفيد جداً بشكل خاص، عندما يسقط إنسان من مكان مرتفع، لأنه إذا ما تناول بعضاً منه، فإن جسده، الذي كان محطماً في الداخل، سوف يعود سالماً ثانية، وللبلسم المغلي أيضاً قدرة عظيمة جداً على العيون، وهو مفيد بدهن اللحوم حتى لاتفسد، ولكنه في جميع الأحوال وبالإجمال أقل قوة من البلسم الطبيعي، لأنه استخرج بالقوة بوساطة الغلي، في حين ترسب البلسم الطبيعي بشكل عادي.

وعليك أن تعرف أن الرجال المسيحيين فقط وحدهم قادرون على العناية ببستان البلسم ورعايتها، لأنه إذا ما حاول رجال آخرون العناية بها ورعايتها، فإنها تذبل على الفور وتموت، كما حدث مراراً وتبرهن على صحته، وسكنت مريم العذراء المباركة مع الطفل عيسى في

الموضع الذي تقــوم فيـه بستـان البلسم الآن، وذلك عندمـا هربت إلى مصر من أمام هيرود، وغسلت بشكل مستمـر أغطيتها ومـلابس يسوع في الآبار التي تسقي البستان، ولهذا السبب من المعتقد بشكل صحيح أن البلسم ينمو هناك، لأنه بقـدر مانعلم لايوجـد البلسم في أي مكان آخر في العالم.

وسـوف يقتضي الحال وقتـاً طويلاً للحـديـث حـول فضـائل البلسم الأخـرى وأمجاده، يضـاف إلى هذا أنني لاأستطيـع أن أتذكـرهـم جميعـاً، وكـان في أيامي بين المشرفين المسيحيين أربعـة من الألمان، كـان أحـدهـم من شوارتزنبورغ Schwartzenburg ، وكان فيما مضى مرتداً عن المسيحية وكان آخـر بعين واحدة اسمه نيقولا، وكان رجـلاً جيداً جداً، فهـذا ما أكـده الأسرى المسيحيون، وكـان قد أخـذ أسيراً في عكا، لكن السلطان أطلق سراحه بسبب جودته، وجعله حارساً لسلالم قاعة نومه.

٣١ — *المسيحيون والقبور القديمة*

وعليك أن تعـرف أنه كـان في أيامـي في القـاهرة والفسطاط حـوالي أربعة آلاف أسير مسيحي، وذلك دون أن نذكر عدد الأطفال، وكان لهؤلاء الرجال ثلاثة بطاركة هناك ، ورجال دين، وكنائس، وآثار مبجلة كثيرة للقديسين، وكان على رأس ذلك، الجسـد الكامل للقديسة بربارة، وهي العذراء التي يتوسل إليهـا في أيامي عدد كبير من الملوك والأمراء، وتقـديراً من السلطان لراحـة الأسرى المسيحيين لم يقبل السلطان بقطع واحـدة من أعضـاء جسـدهـا، ويحتفل الأسرى المسيحيـون هناك بعيـد أمسيـة القـديسـة بربارة، مثلما يحافـظ الناس في هذه الأمـاكن على عيـد القديس مارتن حيث يرسلون إلى بعضهم بعضاً بذور مختلف النباتات.

ويقوم على مقـربة من الفسطاط، على الطرف الآخر من النيل، وذلك باتجاه الصحراء المصرية، كثير من القبور ذات أحجـام مدهشة، من بينها

واحد فائق الجمال بني بحجارة كبيرة مربعة، وبين هذه القبور اثنين، هما ضريحان مربعان كبيران جداً، وقد كانا فيما مضى على درجة فائقة من الجمال، ويوجد على جدار أول واحد منهما كثير من النقوش المحفورة باللاتينية، وبالاغريقية على الآخر، وبالعبرية على الثالث، وبالكلدانية، وبكثير من اللغات غير المعروفة على الرابع، ونقش على الجدار الأول باللاتينية الأبيات الشعرية التالية، وهي محفورة، وليس من السهل قراءتها بسبب قدمها:

Vidi Pyramidas sinete, dulcissime Frater,

Et Tibiquod potui Lacrimas hic moesta profudi.

Et nostri memorem luctus hanc sculpo Querelam -

S(C) it nomen Decimi Pyramidis altra,

Pontics, Comitisque tuis, Trajane, Triumphis,

Lustra Sex intra censoris consulis esse

«وحيداً، يا للأسف، أرى الأهرامات

ولايمكنني غير البكاء، يا أخي العزيز، من أجلك.

ولقد حفرت على الحجر، وأنا حزين، اسمك

ويعرف الأهرام العظيم الآن شهرة

أنيوس دوسيموس، الذي قاتل من أجل روما

مع تراجان، وعاد إلى الوطن منتصراً،

وهو الذي قضى حتى قبل ميلاده الثلاثين

وكان أخيراً، كاهناً أعظم، وقنصلاً، ومراقباً للأخلاق أيضاً».

وأدع تفسير هذه الأبيـات إلى فهم القارىء وحكمـه، ويطلق السكان المحليون على هذه القبـور اسم أهراءات فرعـون، وهناك عجائب كثيرة جـداً من الممكن رؤيتهـا على مقـربة من الفسطاط، وحسبما سمعت من كثير من الرجـال الصادقين والتجـار، كـانت بابل القـديمة، حيث كـان يوجـد برج بابل، تبعد مسـافة سفـر ثلاثين يوماً، عن باب اليـون هذه، وذلك باتجاه الشمال — الشرقي، وهي في بـلاد الكلدان على مقـربة من بغداد، وعليك أن تعلـم أنني قمت خلال مدة خمس سنـوات بالتحدث ليـلاً ونهاراً مع كل الناس الذيـن بإمكانهم التحـدث بأي لسـان بشري، وبعـد البحث يومياً بين مختلف الشعـوب، كان الذي حصلتـه هو بعض المعلومات، وهذه المعلومات لم أستطع تحصيـل سواها من أي واحد من المخلوقـات حـول بابل القـديمـة، حيث كـان برج بابـل، ومعلومـاتي لاتتجاوز مايلي:

٣٢ — *بابل القديمة، أو بغداد.*

يوجد في بلاد الكلدان الشرقيـة، مدينة فائقـة الجمال، وجليلة، وقوية بلا حـدود، وهي في هذه الأيام أفضل المدن في الشرق، اسمهـا بغـداد، وهي قائمة على ضفتي نهر الفرات(كذا) الذي هو واحد من أنهار الجنة، ويقول الذين يسكنون هناك ويعتقـدون، أنه على نصف ميل منها، أو ما يقـارب ذلك، تقـوم بغـداد القـديمـة، وقـد تبرهن هذا أيضـاً بوجـود الخرائب الكثيرة، والأكـــوام الهائلـة من الأبنيـــة من مختلـف الأنواع، وكذلك من الحجارة، التي لها مشاهـد غريبة عن بعد، لاسيما في الموضع الذي قام فيـه برج بابل، حيث اختلفت الألسنة وتبلبلت، وهناك برهان آخـر على هذا وجـود طريـق لايمكن قطعـه بين الخرائب، وبين بغـداد، وأيضاً بسبب وجود مخلوقات سامـة، مع وجود كثير من العلامات التي تظهـر بأن بابل القـديمـة قد قـامت هناك، وبسبب مـا يعتقـده السكان المحليـــون بشكل ثابت تمامـــاً، فهم يؤمنـون أنه بسبب وجـــود هذه

المخلوقات السامة، انتقلت بابل القـديمة، وأطلق عليها اسم جديد، هو بغداد، ولاأستطيع أن أحكي شيئاً آخر صادقاً حول بابل القـديمة، كما أنني لم أعلم أي شيء زيادة، من أي إنسان في هذه المناطق.

ويوجد في مـدينة بغداد الحالية الآن أغنى التجـار وأحسنهم تحت قبة السماء، ولايوجـد في أي مكان من الشرق مثل هذه التجـارات بكثـرتها وتنوعها مما هو مـوجود هناك، واعتـاد أن يسكن في هذه المدينة الخليفة، أي خليفة محمد(ﷺ)، الذي يقدم المسلمون إليه الطاعة في جميع الأمور، مثلما يفعل المسيحيون بالنسبة للبابا، خليفة القديس بطرس.

وسـوف أحدثكم ببعض الأخبـار حـول خسـارة مدينة بغـداد هذه، وذلك حسبما قرأت حول الموضـوع في مصنفات وتواريخ ملوك أرمينيا، وكما سمعت أيضاً من فارس مستقيم صادق كان هناك في ذلك الوقت.

وفي سنة ألف ومـائتين وثمان وستين لتجسيـد ربنـا(كـذا)، وبعـدمـا استولى التتـار على ممالك الشرق، كان آنـذاك هيتوم Ayco ملكاً على أرمينيـا، وقـد قـام بدافع ذاتي بالسفـر إلى الخان العظيم، أي امبراطور التتـار، من أجـل زيارته، واستقبل هيتـوم من قبلـه بلطف، ولأنه أبدى نحـوه احترامـاً ذاتيـاً وتشريفـاً عظيماً، وذلك من أجـل جعل الملوك الآخرين يقـدمون بدافع ذاتي لزيارته ولمقابلته، ولهذا كـان مسروراً جداً، وشرف الملك بإعطائـه كثيراً من الهدايا، وفي تلك الأثناء، وعندمـا كـان ملك أرمينيـا على وشك العودة إلى الوطن، طلب من الامبراطور منحـه خمسـة مطالب، كـان أولاها، وجوب أن يغـدو الامبراطور وشعبـه كله مسيحيين، وثانيها أن يكون هناك سلام دائم بين التتار والأرمن، وثالثها أن يقـوم بتـدمير جميع مسـاجـد محمـد(ﷺ)، وأن يكرسهم على شرف الرب، ورابعها أن يساعده على استرداد الأرض وإعادتها إلى المسيحيين، وخـامسهـا أن يقوم بحصـار بغـداد، وتهديمهـا، وأن يزيل الخليفـة من الوجود، وأعني بذلك خليفة محمـد(ﷺ)، وأن يمحو اسمه، واستجاب

الامبراطور إلى هذه المطالب جميعاً عن رغبة وطواعية، وأكدها، وكذلك نفـذها في كل مجال من المجـالات، وذلك باستثنـاء المطلب الرابع الذي أعيق بسبب موته.

أمـــا فيما يتعلق بالمطلب الخامس، الذي هـو وجـوب تهديم بغــداد، وإزالة الخليفة، فقـد كلف أخاه هولاؤن(هولاكو)، الذي كـان آنذاك قد استـولى على بلاد فارس، وأمـره أنه مـا أن يفـرغ من إقرار أمـور مملكة فارس، ويـؤمن مسألة حمايتها، عليـه الالتحاق بملك أرمينيـا في حصار بغداد، وقد استجاب لهذا بكل رغبة، وبسرعة ما إن فرغ من إقرار أمور بلاد فــارس، حتى نقـل نفســه إلى مــدينـة نينوى العظيمــة(الموصل)، واستراح هناك خـلال الشتـاء، وعندما جـاء شهـر آذار، ذهب مع ملك أرمينيـا إلى بغـداد، وحـاصر الخليفـة، وكلف قـادته الأربعـة الرئيسيين، الذين كـان تحت إمـرة كل واحـد منهـم ثلاثين ألفـاً من التتـار، بالقيـام بحصـار بغـداد، بدون توقف حتـى يتمكنوا من الاستيـلاء على المدينة، وهذا مـا تـم وجـرى تنفيـذه، ذلك أنهم استـولـوا على المدينة في اليـوم الثـلاثين، وقتلـوا جميع السكان من رجل صغير وكبير ســواء، وربحـوا كثيراً من الأسـلاب، من ذهب وفضة، وأحجـار كريمة، وأنـواع أخرى من الثروات، بشكل ومقدار لم يسمع بأن واحداً حصل على مثله من أية مدينة مهما كـانت، وفي الحقيقة صـارت بلاد التتار كلهـا غنية حتى هذا اليوم من هذه الأسـلاب، ولايوجد الآن في بلاد التتـار كأس واحد من الذهب أو الفضة، إلاّ وجلب إليها من بغداد.

وبعـدمـا جـرى قتل جميـع السكان أو أسروا، اعتقلوا الخليفـة حيـاً، وقدموه إلى هولاكـو، مع جميع كنوزه، التي كانت من الكثرة بمكان، أن هولاكو خشي من النظر إليها والتحديق بها، وقال وهو مندهش مخاطباً الخليفـة:«كيف حدث أيها الـرجل التعيس، أن امتلكت مثل هذه الكنوز العظيمة التي خشيت حتى من النظر إليها؟ فبهـا كان بإمكانك أن تقهر

العالم كله، وتضعه تحت نيرك، فلماذا لم تجند ما يكفي من العساكر المأجورة للدفاع عن مدينتك»؟ وأجابه الخليفة قائلاً:«المشورة الفاسدة هي التي جلبت الدمار عليّ، لأنهم قالوا لي : حتى النساء يمكنهن الدفاع عن المدينة ضد التتار»، وعندها قال هولاكو:«إعلم أنك خليفة محمد(ﷺ) والمسؤول عن شريعته، وأنا لاأجرؤ على إلحاق أي أذى بك، كما أنه من غير اللائق أن تعيش أنت وأن تأكل مثل بقية الناس الآخرين، لأنه من فمك تصدر تعاليم شريعة محمد(ﷺ) وعقيدته»، وقد أمر به فوضع في قصر جميل، وصب أمامه الذهب والفضة والحجارة الكريمة، واللآلىء وقال له:«من فمك تصدر تعاليم شريعة عظيمة وعقيدة، ولذلك اللائق بك أن تأكل من طعام ثمين مثل هذا»، وهكذا سجن الخليفة في القصر، وبعد مضي اثني عشر يوماً وجد ميتاً من الجوع، ولم يقم من بعده خليفة لمحمد(ﷺ) في بغداد حتى هذا اليوم.

ويحكم في هذه الأيام امبراطور التتار بغداد، لكن سكانها بشكل رئيسي من المسلمين، وهم يعيشون تحت جزية ثقيلة جداً، وسمعت في هذه المناطق وقرأت كثيراً من الحكايات الحمقاء حول بغداد، وخلاصة ذلك، هو ما حصلت عليه كتابة، من أن ملك بغداد بعث برسائل إلى ملوك هذه البلدان، ودعاهم إلى أجراء منازلات ومبارزات هي زائفة كلها، لأنه ليس هناك من إنسان بإمكانه أن يتذكر منازلات أو مبارزات قد عقدت قط في بغداد، لأن الناس هناك يشغلون أنفسهم بأشياء أخرى.

وعلى مقربة من بغداد وعلى بعد سفر أربعة أيام، توجد مدينة أخرى، كان اسمها سوسة، فيها ازدهر أحاسوروس Ahasuerus ، وهذه المدينة التي كان اسمها فيما مضى سوسة تدعى الآن باسم طوروس Thaurus ، ويوجد في هذه المدينة شجرة جافة، يقال بأنه قد كتب

لامبراطور الرومان أن يعلق ترسه عليها، ويقول سكان هذه المدينة بأن ما من يهودي يمكنه أن يعيش فيها وأن يقيم، وعلى مقربة من طوروس هناك مدينة أخرى اسمها Cambeleth ، هي أيضاً من أملاك امبراطور التتار، ولقد قيل بأن هذه المدينة أغنى وأفضل من جميع مملكة السلطان.

٣٣ — *نهر النيل*

وفي عودة إلى موضوعي: النيل واحد من أنهار الجنة، يجري خلال مصر، ويمر قرب الفسطاط ودمياط، ويصب في البحر المتوسط على مقربة من الاسكندرية، وهو بحر أكبر وأعرض من نهر الراين، وموحل كثيراً، بسبب أنه يجري أحياناً في قلب الأرض، وأحياناً في الجبال، ولايرى مجدداً، لمسافة ميلين أو ثلاثة أميال، ثم يخرج من الأرض ثانية، ويدخلها مجدداً، حتى يصل إلى مصر، حيث يجري بشكل مستقيم، وهو يحتوي على أسماك ممتازة وسمينة، ومياهه مفيدة وصحية تماماً، وعندما تنضح هذه المياه أولاً، تجدها فاترة، ولكن عندما توضع في جرة في الشمس تغدو باردة، وتساعد كثيراً على الهضم، ولم تكتشف ينابيع هذا النهر قط، وذلك باستثناء ماذكرته الكتابات المقدسة حول هذا الموضوع، مع أن محاولات قد جرت مراراً لاكتشافهم، وفي أيامي أبقى السلطان سباحين كانوا قادرين على الحفاظ على أنفسهم في الماء بشكل طبيعي مثل الأسماك، ووعد السلطان هؤلاء الرجال بجوائز كبيرة، إذا ما اكتشفوا نبع النهر، وجلبوا له غصناً أخضر من شجر الصبر Al-ols كعلامة، ومضى هؤلاء السباحون في وقت واحد، ولم يعودوا لمدة ثلاثة أعوام أو أربع سنوات، ومات بعضهم على الطريق، وقال الذين عادوا أن الذي تبين أخيراً أن النهر ينحدر من الجبال بقوة هائلة لم يكن بمقدروهم فعل شيء تجاهها وضدها مطلقاً.

ويوجد في هذا النهر وحش شرير يدعى التمساح، وهو قوي جداً،

وحـاد وسريع، ويسبب كثيراً من الأذى للذين يسكنون على مقـربة منه، وكـذلك لحيـواناتهم، ونظراً للخوف منه، إنـه لأمر خطير الابحـار على ظهر نهر النيل، وهذا الوحش كبير جداً، ولقد رأيت جلد تمساح، يمكن لثور أن يمر من خلاله بسهولة، ولقـد أخبرني واحد من فرسان الداوية أنه حدث في إحـدى المرات أن أمسك الداوية تمساحـاً صغيراً، واقتلعوا أسنانه، وأنهم ربطوا إلى ذيله صخـرة لايستطيع عشرة رجـال تحريكهـا، وقد قـام بجرها لوحده إلى مبنى كـان قيد الاعمار، ومع هذا تراه يُقتل من قبل حيـــوان صغير، يكرهه بشكل طبيعـي، ويتبعــه حيثما ذهب، ويقـوم التمسـاح بابتـلاعـه مع الأطعمـة الأخـرى، وعندها يقـوم هذا الحيـوان بخـرق قلب التمسـاح ويقتله، وهنـاك أيضـاً حيـوانات شريرة أخرى كثيرة في النيل.

٣٤ — *حول بلاد مصر وأرضها*

وأرض مصر غنيـــة، ولطيفـــة، ومبهجـــة، ومليئة أكثــر من البلدان الأخرى في العالم بالأشجار، والفـواكه، والأعشاب، والمروج والمراعي، وطولها يساوي سفـر خمسة عشر يوماً، وسفـر ثلاثة أيام بالعرض، وهي — كما أخبرت — مثل جـزيـرة، محاطة بالصحـراء من ثلاثـة جـوانب، ويحدها البحـر الاغـريقي من الجانـب الرابع، وعـرض الصحـراء سفـر سبعة أيام في أضيق الأماكن، ومصر بلاد حـارة جداً، إلى حد أن الشتاء هناك نادراً مـا يمكن تمييـزه عـن الصيف، والورود والأزهار الأخـرى، لاتتوقف عن التفتح، أو نادراً مـا تفعل ذلك، مع أنها لاتمطر هناك أبداً، ولدى سكانها عمودين من البرونز عليهما علامات، وقد وضعوا العمود الأول(المقس) بينهما، وأقامـوه في وسط النيل، على مقربة من الفسطاط، ونصبوا الآخـر في النيل على مقربة من الاسكندرية، وعندمـا ترتفع مياه النهر إلى مستـوى تلمس فيه العلامات على العمـودين، سوف لن يكون هناك خوف لمدة عامين مقبلين، ويقـوم المصريون هناك بسوق مياه النيل

في ترع وأقنية وممرات، ويدفعون المياه للجري حول أرضهم، وحقولهم، وغاباتهم، وبساتينهم، وحدائقهم، التي تزدهر وتحصل على الري في كل جوانبها، وعندما تتم سقـاية الأرض على هذه الصورة خلال الليل، فإن القمح والأعشاب سوف تنمو أكثر من عرض كف عند الصباح، ويبقى المصريون في ذلك الوقت يراقبـون المياه طوال الليل، ولايغـادرون حتى تتم سقاية الأرض.

ويبـدأ هذا النهـر كل سنة بالازدياد على هذه الصـورة في شهـر آب، ويزداد كل يوم حتى يـوم عيـد القـديس ميخـائيـل، وبذلك يجعل من الأرض الأكثـر قحطاً، أرضـاً مليئة بالبهجـة والخصب، وفي أثناء ازدياد ميـاه النيل يمسك الناس جميع أنواع الأشجار، والأعشـاب، ويلتقطون الطيـور الصغيرة في النهـر، بوسـاطة شباك، وأكثـر مـا يجمعـونه بشكل خـاص خشب الصبر، وطيوراً صغيرة اسمهـا البط Ponoquets ، لكن من أين تأتي هذه الأخشـاب، مـا من إنسـان عـرف بشكل مطلق، ويبـدو أن هذه أشجار قـديمة قـد يبست بسبب السن، وهي تسقط في الماء من الجبال، ويجمعون في ذلك الوقت من النيل خشب السنط أيضاً، الذي يمكن تقطيعـه بسهـولة مثـل الأخشـاب الأخـرى، لكن لايمكن حـرقـه، ويجري إمسـاك طيـور البـط الخضراء الصغيرة، مع الأغصـان والأشجـار التي تعيش عليهـا، وذلك حسبما قيل، ويقـول بعضهم أنهم يلدون في جبـال جلبـوع، وهذا أمـر غير صحيح، ويقـولون أيضـاً أنهم لايتحملون الماء، وهذا أيضـاً غير صحيح، لأنهم ينشأون فـوق الجزر وفوق الميـاه، ولقد رأيتهم يسبحـون فوق البحـر، غير أنهم لايستطيعون تحمل البرد، ولاالطيران أو السبـاحـة لمدة طويلة، ويمتلك نهر النيل هذا جزراً غنيـة فيه، مليئة بأنواع المزروعـات والأشياء الجيـدة الأخرى، وفي مصر أيضـاً أعداد لاتحصى من الطيـور، كما سمعتم من قبل، وهي التي تفقس في الأفـران أوتحت أشعـة الشمسْ، ومثل هذا يـوجـد في مصر

أعداد لاتحصى من الحجل، وذلك أكثر من جميع الطيور في هذه البلاد، لأنه يجلب في بعض الأحيان فلاح أكثر من عشرة آلاف طائر حجل معه إلى السوق، كلهم يطيرون، وعندما يجلس الفلاح يتوقفون جميعاً معه، وعندما يقوم ويصفق بيديه يطيرون جميعاً معه ثانية، وإذا ما أضاع طائراً منهم في بعض الطرقات يصفر في مزماره، فيعود إليه على الفور، وعندما يأتي إلى سوق الدجاج في المدينة، يبيع منهم بقدر ما يستطيع، ويعيد الذين لم يستطع بيعهم معه إلى مقر سكناه، وهناك أعداد لا تحصى هائلة من الحمام التي يمكن أيضاً رؤيتها في مصر، ولاأعتقد أنه يوجد في أي مكان في العالم مثل ما هو موجود من الحمام بمصر وبقدره، ومن المحظور كلياً إمساك الطيور لأن السلطان مع الأمراء الآخرين يرسلون رسائلهم بوساطة الحمام الزاجل، فبذلك يتعرفون في وقت قصير على الأخبار والأسرار للبلدان البعيدة.

ويوجد في مصر أعداد لاتحصى من الغزلان، ومن الماعز، حتى إنه من الممكن رؤيتهم على الطرقات وفي الحدائق مثل الأغنام الأهلية، ومن الممكن إمساكهم وبيعهم من قبل من يمر بهم.

وفي مصر أيضاً، حتى هذه الأيام، كثير من البيع، والديرة، والكنائس، وصوامع النساك، وهي قائمة على حالها، غير أنها مهجورة، ومرسومة بشكل رائع، لكن رسومها قد شوهت بطرق كثيرة من قبل المسلمين، ومثل هذا مايزال يقوم في الصحراء المصرية حتى هذه الأيام كثير من القلايات وصوامع النساك التي تعود إلى الآباء المقدسين، حيث تتوفر في بعض المناطق بكثرة إلى حد أنه انتشر في مساحة ميلين أو ثلاثة أميال(ألمانية) قلايات وصوامع نساك بين الواحدة والأخرى رمية سهم، وفي هذه الأيام كثير منها مسكون من قبل هنود، ونوبيين وسريان، يعيشون في ظل قانون القديس أنطوني مع القديس مكاريوس، وقد صنع الرب في هذه الصحارى عدداً كبيراً من المعجزات على أيدي الآباء

المقدسين، ولاسيما في مكان كان اسمه أخميم، وبشكل خاص على أيدي القديس أنطوني مع القديس مكاريوس، وذلك حسبما جاء الخبر في«حياة الآباء»، ويوجد في هذه الصحراء مكان تحت صخرة طويلة جداً وضيقة، ففي هذا المكان اعتاد القديس أنطوني على السكنى، وينبع من تلك الصخرة هناك وتتدفق مياه جدول صغير لمسافة نصف رمية حجر، حيث تضيع المياه في الرمال، وحالها مثل مياه جارية في الثلج، ولاتشاهد بعد ذلك، ويزار هذا المكان من قبل كثيرين من أجل العبادة والمتعة، ثم إنه بفضل نعمة الرب وتشريفاً للقديس أنطوني يتم شفاء كثير من المرضى حيث يتخلصون من أمراضهم بمياه هذا النبع، ومن المعتقد أن هذه المياه تدفقت من الصخرة استجابة لصلواته، وهذا أمر حقاً صحيح، لأنه من الواضح أنها لاتتدفق أكثر مما فيه كفاية لإعطاء الماء لقلايته الصغيرة، وحديقته المتواضعة، وسوف يحتاج الأمر إلى وقت طويل للحديث عن بقية أمجاد مصر، وخصبها وجمالها، ويمكنني أن أضيف أن جميع الأغنام والماعز، وما شابه ذلك من الحيوانات يحملن في العام الواحد مرتين، ويلدن في غالب الأحيان توائم لدى كل ولادة.

ويوجد في مصر ثلاث مدن عظيمة جداً،قائمة على جانب النيل، الذي هو نهر الجنة، وهذه المدن هي: الفسطاط، والاسكندرية، ودمياط، ودمياط هذه هي المدينة التي كانت تعرف فيما مضى باسم راغس(وهم وتداخل) وفيما بعد باسم إديسا، والآن دمياط، وإلى هذه المدينة بعث توبيت أوف يور Tobit of Yore ابنه إلى جباعيل[الصحيح بعثه إلى الري قرب طهران]، ورقد في هذه المدينة فيما مضى القديس توما، ومن خلاله صنع الرب كثيراً من المعجزات في المكان نفسه، وكان في هذه المدينة الرسالة التي بعث بها يسوع إلى أبجر، ملك هذه المدينة، ولهذا السبب ما من مهرطق أو كافر استطاع أن يبقى طويلاً فيها، لكن فيما بعد، وبسبب ذنوب الناس، تدنست المدينة، وهكذا آلت في هذه

الأيام إلى لاشيء.

ونقلت المدينة في هذه الأيام بعيداً إلى داخل اليابسة وابتعدت عن النيل، ذلك أنه غالباً ما جرى انتزاعها من أيدي المسلمين، من قبل القديس لويس، ملك فرنسا، ومن قبل صليبيين آخرين، لكن القديس لويس أخذ أسيراً هناك، ولهذا السبب أعيدت المدينة إلى المسلمين، والآن عندما سمع المسلمون أن ما أحد يمكنه العيش في المدينة إلاّ المسيحيين، قاموا بنقل المدينة إلى مكان آخر، صدوراً عن كراهيتهم لهم، والمدينة في هذه الأيام مسكونة بشكل رئيسي من قبل صيادين، ويقدم عدد كبير من التجار إليها مع بضائعهم، ومع سفنهم، ويشترون كميات كبيرة من السمك، بأسعار زهيدة جداً، ويتولون شحن الأسماك إلى جميع أجزاء الدنيا، وهناك عجائب كثيرة أخرى حول هذه المدينة يمكن أن نقرأ عنها.

٣٥— *حول الصحراء وجبل سيناء*

وفي عودة إلى موضوعي: إنه إذا ما سافر الانسان من القاهرة والفسطاط، يصل إلى سيناء في اثني عشر يوماً، ففي ستة أيام منها يعبر الانسان على طول الطريق الذي حدثتكم للتو عنه، والذي هو ملىء بالناس، وحيث أن هناك أشياء كثيرة للمشاهدة، ثم يعبر الانسان خلال ستة أيام فوق الصحراء، وعليه أن يحمل معه جميع الأشياء التي إليها حاجة على الجمال وعلى حيوانات التحميل، والمراد بذلك: الخبز، والخمر، والماء، واللحم، والبقسماط، والعنب، والزبيب، والتين، وماشابه ذلك، وفوق ذلك كله فراش للنوم عليه أثناء الليل.

وعليك أن تعرف أن الجمال، التي تعبر هذا الطريق في كل يوم، تعرف تماماً طول سفر اليوم، والمحطات والأماكن المناسبة للراحة، وعندما يصلون إلى هذه الأماكن في المساء يتمددون على الارض

لاجترار الطعــام ومضغـه، ولايسيرون مســافــة أكثـر، وبـذلك كأنهم يقــولون: هـذا يوم حقيقي، وهذا مكان للتــوقـف، وبعــد هذا يجري اطعامهم الخبز والأشـواك، ومن السهل إطعام الجمل، ونادراً ما يشرب مرة واحدة كل ثلاثة أيام، لأنه إذا مـا كان الماء متناسباً مع حجمهم، ما من انسان يستطيع أن يعبر الصحراء معهم.

وبعد عبـورك للصحراء تأتي إلى البحـر الأحمر، وعليك أن تعرف أن الصحـراء ليست سوى ملح وأرض رمليـة، احترقت وجفت إلى أقصى غـاية ممكنة بوسـاطـة حـرارة الشمس، ومن النادر أن تجد شيئاً أخضر فيهـا، وعلى كل حـال ليست الصحـراء كلهـا جـرداء في جميع الأمـاكن سـواء، وإنه لأمـر مدهش وعجيـب أنك تجد صخورها وجبـالها مـالحة جداً، ومع ذلك هناك ينابيع متفجرة فيها مياهها عذبة جداً، وهي ممتازة جداً للشرب، ويوجد الى جانب هذه الينابيع حشائش وأعشاب، وأشياء خضراء مماثلة، ويجد الانســان على مقـربة منهم آثار أســود، وتنينات، وحيـوانات مفترسـة خطيرة أخـرى، وهناك بشكل خـاص أرانب برية، وعندمـا يعبر الانسان هذه الصحـراء في ستة أيام، ويشـاهد ما فيهـا من عجـائب، يصل إلى البحـر الأحمر، كما تقـدم بنا القـول، وذلك إذا كـان قادماً من الفسطاط.

وفي البحـر الأحمر أسماك رائعة بكميـات كبيرة، وميـاهه ليست حمراء بل الأرض، مع قعــره هناك لها لون أحمر، وتبــدو الميـاه للناظر إليهــا حمراء، أي للمحدق نحو الأسفل، وذلك بسبب احمرار القعر، لكنها عن بعـد لها اللون نفســه مثل المياه الأخـرى، وميـاهه نقيـة جداً وصـافيـة، ولذلك من الممكن رؤية بنس مرمي على قعـره من مسافة عشرين غلوة، هذا وإنه بسبب احمرار قعـره وصفاء مـائه، يبدو مثل أصفـى نبيذ أحمر، ويجد الانسان فيه كثيراً من المرجان، وأيضـاً كثيراً من الأحجار الكريمة والأشياء الأخرى، مرمية على شواطئه.

والبحر الأحمر قائم في العربية، وجميع أراضي العربية حمراء، ولهذا السبب فإن الاشياء الحمراء مهما كان نوعها تنشأ هناك فيها وكذلك تلد، وكل شيء هناك أحمر باستثناء الرجال فقط، ولهذا السبب فإن الذهب الخالص يعثر عليه هناك مثل جذور اسطوانية، فضلاً عن هذا يوجد في البحر الأحمر كثيراً من الجزر، فيها تنمو أشجار حمراء من مختلف الأنواع، وبشكل خاص، بين ما يعرف لدينا باسم الشجر البرازيلي Brazil.

والبحر الأحمر ليس بحراً كبيراً جداً، كما أنه ليس طويلاً ولاعريضاً، ولايتجاوز عرضه في المكان الذي عبر منه بنو اسرائيل أربعة أميال أو خمسة، وفي البحر الأحمر هناك قلعة يمتلكها السلطان، فيها مسجون نبلاء أسرى الصليبيين، وفضلاً عن هذا تتولى هذه القلعة الحراسة وتبقى متيقظة، خشية أن يحاول انسان لاتيني، أو رجل من هذه الجهة من البحر، أو واحد ولد في هذه البلدان، العبور بوساطة البحر الأحمر إلى الهند، وذلك خوفاً من أن يجلبوا إلى الوطن أية أخبار عن قوة وأوضاع الشعب في مناطق ماوراء البحر، أو أخباراً عن برسترجون والهنود، أو حمل رسائل منهم، ذلك أنه سوف يكون سهلاً الابحار إلى المحيط والهند من خلال البحر الأحمر، لو أن هذه القلعة لاتقف في الطريق، لكن يمكن للتجار الهنود والتجار المشارقة عبور ذلك الطريق، كلما أرادوا، كما يفعلون غالباً، وعلى كل حال إنني أعرف أساقفة ونبلاء اعتادوا على الدوام على ارسال تقارير عن هذه المنطقة من الشرق، مع جميع أنواع الأخبار، عبر البحر الأحمر إلى برسترجون، ولقد اعتاد رجال هذه القلعة على صنع شباك من أوتار الجلود ورميها في البحر، ثم يدعون المرجان الذي ينمو في البحر، مثل النبات، يتعشعش بين الأوتار، ويسحبونها كل نصف سنة وهي مليئة بما لايحصى عدده من أفضل أنواع المرجان، وبذلك يحصلون على مرابح عظيمة، مقابل لاشيء

مطلقاً، فمن خلال هذا البحر الأحمر، تأتي تجارات ثمينة جداً، من الهند، وتنقل هذه التجارات من خلال فرع البحر، الذي ينطلق من البحر الأحمر، وينزل من خلال النيل إلى جميع أنحاء العالم.

وكما قلت من قبل، بالتجول حول شاطيءالبحر الأحمر، يصل الانسان إلى المكان الذي عبر منه بنو اسرائيل البحر، وكان ذلك لدى مطاردة المصريين لهم، وفي أثناء هذه الرحلة يجد الانسان أشياء نادرة من مختلف الأنواع على الشاطيء، وهكذا بعد ترك عدد من الجبال في الخلف، يصل الانسان الى بئرماره [الخروج: ١٥/ ٢٣] حيث كان الماء مالحاً، وكان ذلك عندما عبر بنو اسرائيل بذلك الطريق، وعندما ألقوا في ذلك الماء غصن شجرة، غدا بأمر من الله عذباً، وبعد مغادرة ماره، والمرور بمناطق مختلفة، وبعد رؤية كثير من الجبال وتوديعها، يصل الانسان إلى إيليم [الخروج: ١٥/ ٢٧]، فهناك عندما عبر بنو اسرائيل ذلك الطريق وجدوا هناك سبعين نخلة، واثني عشر بئراً، وهذا المكان خصب جداً، وفائق الجمال، ويجد الانسان هناك كثيراً من قلايات الآباء المقدسين وصوامع النساك التي كانت فيما مضى قائمة على مقربة من ذلك الموضع، وبعد مغادرة إيليم يصل الانسان إلى قفارسين، وإلى جبل سيناء، وقد بني عند سفح هذا الجبل دير واسع جداً وجميل، وكان ذلك في المكان الذي رأى موسى فيه الشجرة المحترقة (العليقة)، التي لم تستهلكها النار، وقد تكلم الرب إليه من خلال العليقة، والدير مسقوف بالرصاص، ومسيج بأبواب حديدية، ومحصن بشكل جيد من كل جانب، وفيه أكثر من أربعمائة راهب: إغريقي، وجورجي، وعربي، من كل من رجال الكهنوت والعلمانيين، وهم لايقيمون بشكل دائم في الدير، بل تراهم منتشرين في الخارج هنا وهناك، يعملون في مصالح الدير،وبالتعب الكبير، يحصلون على ما هو محتاج لأنفسهم وللحجاج، حيث يقومون بشكل مستقيم وتقوى بتوزيع الشيء نفسه على الحجاج،

وهم يعيشـــون بتقـوى عظيمـة، وبانتظـام شـديد، مع حيــاة متقشفـة، ويقـدمـون الطاعـة بتـواضع إلى أسقفهم وكهنتهم، ويعيشـون بقـداسـة وتواضع في كل شيء، وهم نادراً مـا يشربون الخمـرة، إلاّ في أيام أعيـاد خــاصــة، ولايأكلون اللحـــوم أبـداً، بل يعيشـــون على «السلطة»، والخضروات، والحبـوب، والتمـور، ومـاشــابه ذلك، مع الماء، والخل، والملح، ويأكلون من مـائدة واحدة، من دون منضـدة وأثاث، ويحتفلون بالقداسـات الإلهية بكل تقوى، صبـاحاً ومساءً، وذلك تبعـاً لطقوسهم، وهم يتبعــون في كل شيء قــانون القــديس أنطوني، ويعمل الرهبــان العلمانيـون بنشــاط عظيم، حيث يحرقــون الحطب لتحضير الفحم على رؤوس الجبال، ويجلبون التمور بكميات كبيرة من إيليم، ويحملونها على ظهـور الجمال وحيـوانات التحميل إلى الفسطاط، حيث يتـولون بيعهـا، ويحصلون من هناك على مسـاعـدات كبيرة وهدايا حضرت من أجلهم، من قبل المسيحيين والتجـار الذين يسكنون هناك، وبدون هذا لايستطيع كثير من الناس العيش في مكان صحـراوي، ولايستطيعون الانفـاق على الضيـافـة المكلفــة التي يقـدمـونها بدون مقــابل وبكرم عظيم وبلطف ويعطونها إلى الحجاج، وهم يجلبون التمور من إيليم والفحم من الجبال، أي من مسـافـة تزيد على سفر أكثـر من اثني عشر يومـاً، ويتـولون بيع ذلك كما أخبرتكم.

ويقـوم في هذا الدير كنيسـة فـائقـة الجمال، يحافظون عليهـا ويبقـونها نظيفـة من الداخل، وهي تضـاء بمصـابيـح وبوسـائل إضـاءة متنوعـة، ويقدمون تبجيلاً خاصـاً للمكان حيث يقوم المذبح العالي، وهم يخلعون أحذيتهم قبـل دخولهم إلى هذا المكان، ويجعلون كل واحـد من الحجاج الذين يرغبــون بالدخـول إليهـا يخلع حــذاءه مثلما يفعلون، لأن المكان الذي يقـوم فيه المذبح العالي الآن، قـامت عليه فيما مضى العليقـة، التي كلم الرب من خلالها موسى وقـال له: «اخلع حذاءك من رجليك. لأن

الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة» [الخروج: ٣/ ٥].

وفي هذه الكنيسة، وعلى جهة اليمين للمذبح العالي، إنما في أعلى مكان، يقوم نوع من أنواع الصناديق من الرخام الأبيض، موضوع فيه، ومغلق على رأس وعظام العذراء المجيدة كاترين التي هي مختلطة فيما بينها بشكل فوضوي، وكانت هذه العظام قد نقلت من قمة جبل سيناء، ويجري عرض هذا الرأس والعظام بشكل مهيب جداً من قبل رئيس أساقفة الدير وكهنته، مع مباخر، وشموع، ومساعدي كهنة، وفي هذه الأوقات يطلب الأدلاء المسلمون، وسائقو الجمال، وساسة الخيول الذين يأتون مع الحجاج، ويلتمسون باخلاص أن يسمح لهم أيضاً برؤية هذه العظام المقدسة العجيبة، ويركعون بتقوى عظيمة جداً إلى جانب المسيحيين، ولدى عرض هذه العظام على الحجاج، إذا كان هناك أسقف أو كاهن كبير بين الحجاج، عندما يقوم رئيس الأساقفة أو رئيس الكهنة في الدير، بتناول واحداً من العظام المقدسة بيده، يحكها بشدة بوساطة أداة فضية شكلها مثل شكل عصا، حيث يتدفق بسبب ذلك زيت من المسام مثل العطر، وقد اتخذ في إحدى زوايا الصندوق التي حفظت فيه العظام فجوة فيها يتجمع جميع الزيت الذي يسيل من هذه العظام ويتدفق، ليجمع هناك، وهناك في هذه الفجوة ملعقة فضية، يأخذها بيده الكاهن الذي يتولى عرض العظام، ويملأ قارورة زجاجية صغيرة بالزيت، ويعطي كل واحد من الحجاج قارورة صغيرة فيها زيت.

فضلاً عن هذا، في هذا الدير، هناك آثار مقدسة أخرى كثيرة، ومع ذلك فإن رهبان الدير لايمكنهم الإقامة هناك، إلاّ بنعمة خاصة من الرب، وغيابهم هو لأسباب كثيرة غيرناشئة عن إثارة الشيطان، ولهذا السبب لاتوجد غيرة أو فوضى بينهم، بل تجدهم يؤثرون كل من يراهم، وعلاقاتهم جيدة معهم، وكذلك علاقاتهم مع المسلمين، فهي لاتختلف عن علاقاتهم مع المسيحيين، وبشكل خاص مع السلطان،

الذي يمنحهم كثيراً من الصدقات والمساعدات، وعلى هذا لم يتعرضوا أثناء عملهم أو تجوالهم في الصحـــراء للأذى من قبل أية مخاطر، أو حيوانات مفترسة، كما أنهم لاينزعجون ولايمرضون لا في الصيف ولا في الشتاء، من قبل المناخ غير المتوقع، أو بحرارة الشمس المرتفعة جداً، وأعتقد أنهم حصلوا أيضاً على نعمة خاصة من الرب، بوساطتها لم تدخل المخلوقات القذرة قط داخل جدران الدير، وأعني بهذه الحيوانات أمثال: الذباب، والزنابير، والدبابير، والقمل، وماشابه ذلك، فهذه لايمكنها العيش هناك.

وأخبرني راهب من ذلك الدير، كان ذا تعليم نادر، أنه حدث في يوم من الأيام، بإثارة من الشيطان، وباذن سماوي، أن هذه المخلوقات آذتهم كثيراً، وبقدر ما تستطيع، وعانوا كثيراً جداً من العذاب المضني والأذى الصادر عن هذه المخلوت غير النظيفة من هذه الانواع، إلى حد أنهم فكروا بترك المكان، إنما تشجعوا برأي مقدس لواحد من الرهبان، وصلوا إلى الرب أن يقوم برحمته بطرد وإزالة جميع أمثال هذه المخلوقات وابعادها عنهم، وتمت الاستجابة مباشرة لهذه الصلوات، ومنذ ذلك الوقت فصاعداً، لم يلاحظوا وجود مثل هذه المخلوقات أو أي منها مهما كان داخل أسوار الدير، هذا وفي الوقت نفسه تراهم خارج الأسوار يسببون أذى عظيماً لكل من البشر والحيوانات، فضلاً عن هذا لقد تبرهن مراراً، أن مثل هذه المخلوقات غير النظيفة عندما تحمل حية إلى داخل الأسوار تموت فوراً.

وحصل الرهبان على هذه الامتيازات جميعاً بوساطة حياتهم المقدسة والمستقيمة، لأنهم لايخدمون الحجاج من أجل المال أوطمعاً في شيء، بل إنهم يقدمون الخدمات لكل من يأتي إلى هناك، طوال المدة التي يقيمها مهما كانت، وسواء أكان الزوار أغنياء أم فقراء، عالين أو منخفضين، يعطيهم الرهبان جميعاً كل ما يتملكونه أنفسهم، بكل بساطة ولطف،

وذلك باسم الرب، وإذا ما حاول أحد الناس منحهم أو إعطاءهم، أو أي واحد منهم، أية هدية، يرفضون جميعاً، ويردونها، وإذا ما أخذها أي واحد منهم، سوف يتعرض إلى عقوبة شديدة، ومثل هذا أيضاً عندما يأخذ الحجاج بمغادرتهم، يقدمون لكل واحد منهم، بكل لطف ومن دون أي مقابل، أرغفة من الخبز، وبعض الحبوب، وما شابه ذلك، وفقاً لأفضل ما يقدرون، ويكون ذلك بقدر مايكفي أحدهم كل يوم من أيام سفره، وذلك حتى يصل إلى الأماكن المأهولة بالناس، ويقدمون هذا لكل الناس سواء إلى الغني وإلى الفقير، وإلى العالي والوضيع.

ويحتفل هؤلاء الرهبان بعيد البابا القديس غريغوري، ويولونه عناية فائقة خاصة، ويهتمون به أكثر من الأعياد الأخرى، لأنه في الوقت الذي كان فيه رأساً للكنيسة دعمهم بالهبات من خزانة الكنيسة، وشجعهم على السكنى هناك، ومنذ ذلك الوقت فصاعداً، بقيوا وعددهم أربعمائة، علماً أنهم كانوا قبل ذلك قليلاً عددهم.

ويطل فوق هذا الدير، ويشرف عليه جبل سيناء، الذي يصعد الانسان إلى قمته بوساطة عدد كبير من الدرجات، وبعد تعب شديد لايمكن للكلمات أن تعبر عنه، وتقوم فوق قمة هذا الجبل كنيسة، فوق البقعة، التي قال فيها الرب لإيليا النبي:« لماذا أنت هنا يا إيليا»؟ وذلك حسبما قرأنا في سفر الملوك، وعلى مقربة من هذه الكنيسة، هناك بيعة صغيرة، في المكان الذي أعطى الرب فيه الشريعة إلى موسى، وتجلى مجد الرب عليه، ومايزال يشاهد في هذا المكان فجوة في الصخرة الصماء، فيها محفور صورة موسى كختم، ففي هذه الفجوة مدّ الرب يده اليمنى فوق موسى عندما مرّ من أمام جلالته، وجعل موسى يرى أطرافه المعاقة، لأن موسى لم يكن بإمكانه تحمل رؤية وجهه السامي.

وحدث أنه إلى قمة جبل آخر أعلى من هذا الجبل، إلى جانب وادٍ عميق، في المكان نفسه، تمّ حمل جسد العذراء الرائعة كاترين من قبل

الملائكة من الاسكندرية، وبشكل إعجازي جرى اكتشافه من قبل النساك الذين سكنوا هناك، وهذا الجبل من أكثر الجبال اتعاباً في تسلقه، هذا ولايوجد على قمته بيعة، أو صومعة، أو مكان استقرار، وأعتقد أن سبب هذا أن تسلقه مرهق إلى حد أنه ما من أيدي بشرية يمكنها أن تبني أي شيء هناك، لكن من الممكن رؤية المكان الذي عثر فيه على جسد القديسة كاترين، حيث هناك علامات كتفي إنسان فوق الصخرة، وهذا المكان معلم بوساطة حجارة، وصنع الرب فوق هذا الجبل كثيراً من المعجزات، يحتاج الحديث عنها جميعاً إلى وقت طويل.

وعليك أن تعلم أن جبل سيناء متفوق في ارتفاعه على جميع الجبال في تلك المناطق، وكما قلت يتسلقه الانسان بعد جهد كبير جداً، أكثر من أن يستطيع أي لسان أن يصفه، ذلك أن على المتسلق له صعود عدد كبير من الدرجات الضيقة جداً والمحفورة في الصخر، وهذا الجبل يفقد اسم سيناء باتجاه مصر، ويصبح اسمه حوريب، ومن قمة هذا الجبل، من الممكن رؤية جميع المناطق من حوله، ويمكن بسهولة مشاهدتها، وفي هذا الارتفاع الشديد يتأثر الانسان كثيراً بالهواء، ومن هناك يمكن للانسان أن يتفحص بدقة البحر الأحمر، وإيليم، وهو المكان الذي أمطرت السماء فيه منّاً على بني إسرائيل، كما يمكنه مشاهدة جميع المناطق الأخرى في الجوار، ويوجد عند سفح الجبل سهل جميل، فوقه اعتاد موسى على رعاية قطيع ختنه يثرو Jethro (شعيب) وهناك رأى العليقة، وحدث فوق هذا السهل أن قاتل أيضاً إسرائيل ضد عماليق(الخروج:١٧) في حين كان موسى يدعو بذراعين مرفوعين، ويشوع(هرون) وحور، قد وقفا ممسكين ليديه حتى تبقيا مرتفعتين، ومثل هذا حدث فوق هذا السهل أن صنع بنو إسرائيل لأنفسهم عجلاً مصهوراً، عنه حدثنا الكتاب المقدس،وفوق هذا السهل أيضاً أكلت النار ناداب، وأبيهو(لاويون:١٠/ ١)، وكذلك من الممكن رؤية أماكن

أخرى كثيرة، ورد ذكرها في الكتابات المقدسة.

٣٦ — *حول فيافي سيناء*

ويسافر الانسان من جبل سيناء نحو سورية، عبر الفيافي، خلال ثلاثة عشر يوماً، حيث يأخذ معه بعض الميرة الخاصة به، وذلك مع ما يعطى له من الدير، وهذه الفيافي سيئة جداً وخطيرة، وهي قائمة في العربية، وتدعى هذه البلاد سواء أكانت مسكونة أو مهجورة باسم العربية، وفي هذه الفيافي هناك ندرة عظيمة وشح بالمياه، ويقطن هناك أعداد لاتحصى من الناس هم مثل الحيوانات المتوحشة، وهم يعرفون باسم البدو، ويتجولون هناك على شكل جماعات مكونة من مئات أو آلاف مع بعضهم، وهم يسكنون في خيام مصنوعة من اللباد أو الجلود، وهم يتجولون هنا وهناك إلى الأمام وإلى الخلف حول القفار مع قطعانهم وحيوانات التحميل، حيث ترعى مواشيهم في أية أماكن يمكنهم أن يجدوا فيها ماء، مع أنها مياه قليلة في آبار وفي مجاري، وهم يعيشون على حليب نوقهم ومواشيهم، وهم لايأكلون الخبز، ما لم يصدف ويعطيهم بعض الحجاج بعضاً منه، أو ما لم يجلب إليهم من سفر أكثر من اثني عشر يوماً، ذلك أنهم لايبذرون ولايحصدون، بل يعيشون مثل الحيوانات غير الأليفة، وجوههم مرعبة أن تنظر إليها، حيث هي سوداء وملتحية، وهم شجعان جداً وسريعون، ويمكنهم أن يذهبوا على ظهور جمالهم(وحيدة السنام) إلى أي مكان بعيد يرغبون بالوصول إليه في يوم واحد، حيث ينشدون الأماكن التي من الممكن توفر المياه فيها، وهم يلفون قطعة طويلة جداً من القماش حول رؤوسهم، وذلك بسبب حرارة الشمس التي لاتحتمل، وهم يستخدمون القسي والنشاب، وفي هذه القفار من النادر وجود المياه خلال رحلة يومين أو ثلاثة كاملة، وقد يعثر عليها في مكان في اليوم الأول غير أنها ستجف في اليوم الثاني، فضلاً عن هذا، في هذه القفار، تجد لساعة من

الزمـان أماكـن كلها منبسطة، وفي سـاعـة ثانية، تجد أكـوامـاً من الرمل مـرعبـة قـد تجمعت، أولاً في مكان، ثم في مكان آخـر، ولاتستمـر بالاستقرار في مكـان واحد، وبناء عليه فإن الطريـق عبر القفار لايمكن مطلقـاً معرفتـه، إلاّ بوسـاطة الجبـال، ومن قبل البداة، الـذين يعرفـون ويفهمون الطرقات في القفار مثلما يعرف الناس الطريق حول بيوتهم.

ولايهتم هؤلاء مطلقاً بالسلطان، ولايقـدمون إليه أية طاعـة مهما كان نوعها، لكن السلطان يحاول إغراءهم واسكاتهم بالهدايا حتى وإن كانوا يسكنون بعيداً عنه، ذلك أنهم لو اختاروا لأمكنهم بسهـولة عظيمة جداً أن يستولوا على مملكة السلطان ويخربونها.

وعبرت العذراء مريم هذه الفيـافي مع الطفل يسوع عندما هربت من اليهودية من وجـه هيرود، وينمو على طول الطريق المعتقـد أنها مرت به ورود جافة، يطلق عليهـا في هذه المناطق اسم ورود أريحا، ويجمع البدو هذه الورود من القفـار، ويبيعونها إلى الحجـاج مقابل الخبز، فضـلاً عن هذا، النسـاء المسلمات يكن مسرورات كثيراً، بـأن تكون هذه الورود إلى جـانبهن، وذلك عندما يكن في أوقـات الولادة، فوقتهـا يشربن من الماء الذي جـرى صبه فـوق الورود، وقـد أعلن أن ذلك مفيد جـداً، وثمين أثناء الحمل.

وفي هذه القفار هناك مخاوف أخـرى كثيرة، سوف تحتـاج وقتاً طويلاً لحكايتهـا، وهي صـادرة عن الـرياح، والرمـال، والرجـال المتـوحشين، والأفـاعي، والأسود، والتنينات، والهوام السـامـة الأخرى والحيـوانات المفترسة.

وبعـدمـا يعبر الانسان هذه القفـار، الممتـدة نحـو الجنوب، يصل إلى بداية أرض الميعـاد وذلك إلى مـدينة كـانت فيها مضى جميلة لكنهـا الآن مهجورة، اسمها بير السبع، ويبدو أن هذه المدينة كانت فيها مضى مزينة

بكثير من الكنائس الجميلة، حيث ماتزال بقايا بعضها قائمة حتى هذا اليوم.

٣٧ — حبرون — وادي ممرا — وبيت لحم

وإذا ما انطلق الانسان من بير السبع في منتصف النهار، يصل إلى مدينة جميلة وقديمة، ماتزال مأهولة بشكل لابأس به، اسمها حبرون، وتقوم على جانب رابية قريبة من هذه المدينة، كنيسة جميلة، يوجد في داخلها الكهف المزدوج، حيث دفن فيه البطاركة الثلاثة:إبراهيم، واسحق ويعقوب، مع زوجاتهم، وهذه الكنيسة تعد مقدسة بشكل خاص لدى المسلمين، وهم لايسمحون لأي مسيحي بالدخول إليها، إنما يجعلونهم يصلون عند الباب، ويسمحون لليهود بالدخول حيث كانوا يدفعون في أيامي المال ليفعلوا ذلك، وعلى كل حال من الممكن رؤية هذه الكنيسة من قبل المسيحيين من كل من الداخل والخارج، وهي من داخلها مدهونة بالأبيض، ومزينة بشكل جيد بالحجارة، وينزل الانسان نحو الأسفل وكأنه في قبو، إلى الكهف، حيث قد جرى دفن البطاركة وزوجاتهم.

وعلى مقربة من حبرون يوجد الحقل، الذي صنع آدم من ترابه، وكلما ازداد حفر هذه الأرض ونقل التربة منها، كلما امتلأ مجدداً من قبل نفسه، وتحمل التربة إلى بلدان نائية، ويقول بعضهم إنها تباع، غير أنني لاأعرف شيئاً مؤكداً حول هذا الموضوع.

وعلى مقربة من حبرون أيضاً، يوجد وادي ممرا، حيث جلس إبراهيم عند باب خيمته ورأى ثلاثة، وعبد واحداً.

وكان في حبرون ثلاثة مرتدين من أسقفية Minden حسبما قيل، وكان اثنان منهم من السادة وكان الثالث خادمهما، ويحمل أولهما الماء على كتفيه ويبيعه في الشارع كما هي العادة في تلك المناطق، ويعمل الثاني

بيـديه ليحصل على عيشه حسب أفضل مـايستطيع، وأما الثـالث، الذي كان خادمهما فصار جندياً، لأنه اعتقد أنه أفضل مظهراً للانسان من كل الجوانب أن يكون تابعاً لواحد مـن ضباط السلطان، وعندما سئلوا لماذا تخلوا عن إيمانهم، أجـابوا بأنهم أملوا بـأن يحصل سيـدهم على الثـروة والمكانة، لكنه خيب ظنهم، وأعلنوا، وهم يتنهـدون حزناً، بأنهم يودون لو يخطفون من هذه البلاد إذا كان ذلك ممكناً، لأنهم كانوا يعيشون حياة بائسة جداً، ولم يمتلكوا الجرأة على الاخبـار والكشف من هم كانوا من قبل، وكان هؤلاء الـرجال الثلاثة أصـدقاء مقـربين كثيراً من فارس من هذه المناطق(بلاد المؤلف) اسمـه وليم بولنزسيل Bolensele (كذا) كـان مقيماً في بلاد مـاوراء البحـر قبل أيامي، وكـان محترمـاً بشكل كبير هناك من قبل السلطان، وقد سمعت بأنه مات في كولون Coolgne (١).

وإذا ما سافر الانسان من حبرون، يمكنه أن يصل بسهولة خلال يوم واحد إلى بيت لحم، وقـام فيما مضى على طريق سفر اليـوم الواحد هذا دير الراعي القـديس كريوث Karioth الذي عندمـا حلت ساعـة وفاته، ورأى رهبـانه أنه في آلام الموت قالـوا:«بعد وفاة راعينا القـديس كـريوث، لـن نعيش أبداً على هذه الأرض»، وفي تلك اللحظـة بالذات دخلوا جميعاً في تبـاريح آلام ساعة الموت الأخيرة ومـاتوا، وبقيوا لوقت طويل دون أن تفسد أجسادهم وظلوا واقفين وكأنهم في ساعة آلام لفظ أنفاسهم، هذا ولم يستطع المسلمون تدميرهم، ولقـد حاولوا ذلك مراراً، لكن الدير زال، ولم يبق أدنى أثر منهم.

وبيت لحم جميلة جـداً، وهي قرية ممتعـة، وهي ليست طويلة، قائمـة

١ـ كان وليم فـون بولدنسيل Boldinsel قـد نزل في صور سنة ١٣٣٢، وكـان في القدس في الخامس من أيار سنة ١٣٣٣، وقـد كتب كتابه في ربيع سنة ١٣٣٦، وهناك رسالة كتبها في أفينون يوم عيد القديس ميكائيل سنة ١٣٣٧، وقد تحدث في هذه الرسالة عن نيته بالقدوم إلى كولون.

فـوق شعب جبلي، ومسكونة مـن قبل المسيحيين فقط تقـريبـاً، وهي مسيجة:بمـراعي، ومزروعـات وأعشاب، وهي بالحري مسيجـة بشكل جيـد بوديان من حـولها، وهناك اعتـاد ملوك القـدس والصليبيـون على حشـد جيـوشهم مع بعضها، ولـدى سكانها كميات وافـرة من الخمـرة والأشياء الأخرى الجيدة،ويقـوم في بيت لحم كنيسة عظيمة وجميلة جداً، ومحصنة بشكل رائـع بكثير من الأبراج، وأعمال خـارجيـة، حتى كأنها قلعـة، وهي مسقوفـة بالرصاص، ومـزينة بأعمال الفسيفساء، وأحجـار اليشب، والرخـام، والذهب، وكما أعتقـد هي متفوقـة بزينتهـا على كل كنيسـة مـوجـودة تحت الشمس، فهي قـد بنيـت من كل جـانب بشكل ثري، وجليـل، وملكي، وذلـك حسبما تستحق، وهي تمتلـك حـوالي سبعين عمـوداً من الرخـام النفيس، وهي ليست مقنطرة، بل مسقـوفـة تحت الرصـاص، بأفضل أنواع الخشب، وجذوع وعـوارض من خشب الأرز، وجدران الكنيسـة مذهبة تحت الزجـاج، وقد عملت بشكل رائع بزجاج مرسوم.

وأراد المسلمون قبل أيامي أخذ بعض الأعمدة، لكنهم ارتعبوا كثيراً، برؤيا، جعلتهم يتـوقفون ولم يحاولوا قط منذ ذلك الحين أخـذهم، وأمام السدة في هذه الكنيسـة ينزل الانسان بضع درجـات إلى كهف حجري، ليس مبنيـاً بل هو طبيعي، حيث فيـه تحت المذبح العـالي، يوجـد المكان الذي صنع فيـه الـرب من أجلنا إنسـاناً، من أم عـذراء، ويقـوم فـوق الموضع نفسه هناك مـذبح، وليس بعيداً عن المذبح يقـوم المعلف، الذي مددت فيه مريم العذراء المباركة الطفل يسوع، وهو ملفوف بأثمال بالية، وكان المشهد أن الرب نفسه وإنسـان، يبكيان بحكم الضعف الإنساني، مثلما اعتـاد الأطفال على البكاء، وإلى جـانب المعلف مـازال من الممكن رؤية قطع حديدية مثبتـة في الرخام بوساطة الرصاص، حيث كـان فيها حلقـات حديديـة، بها اعتاد رجـال الريف على ربط حيـوانات التحميل

العائدة إليهم مع المواشي، عندما يقدمون إلى السوق.

والمعلف مصنوع من الحجارة، وطوله حوالي أربعة أشبار، وفي ليلة الميلاد تجتمع هناك جميع الأمم الموجودة تحت قبة السماء، كما ينبغي بشكل صحيح جداً، ولكل أمة مكان محدد في هذه الكنيسة معزول لها ومخصص بشكل دائم، لتقيم فيه قداساتها، وفقاً لطقوسها الخاصة بها، ويمتلك اللاتين الآن الموضع الذي عمل فيه الرب إنساناً، ومثل هذا لكل أمة قائمة بذاتها، مكان قائم بذاته لها، وفي أيامي لم يكن النوبيون قد امتلكوا مكاناً خاصاً بهم، ويقوم قبل هذه الكنيسة الدير الذي سكن فيه القديس جيروم، والقديسة باولا، والقديس يوستوخيوم Eus-tochium، وكثير من القديسين الآخرين، وبفضل نعمة الرب صنعت هناك الكثير من المعجزات.

ويسكن الآن مسلم فوق ذلك الموضع، ويتلقى بنساً بندقياً واحداً من أي واحد يريد أن يدخل إلى الكنيسة.

ويوجد أيضاً في بيت لحم بيعة تحت الصخرة، من الواضح أنها تمتلك بابين، ولهذا يستطيع الانسان أن يعبر مباشرة إليها، لكن الآن جرى إغلاق أحد الأبواب وسدّ بالبناء، ففي هذا الموضع والحفرة، التي هي الآن بيعة،اختبأت العذراء المباركة لمدة ثلاثة أيام خوفاً من هيرود، وأبقت الطفل يسوع مخفياً هناك، وحدث أنها أثناء خوفها أن تقاطر بعض الحليب منها على الصخرة في ذلك المكان، وهذا الحليب مايزال موجوداً هناك حتى هذا اليوم، وقد ترشح الحليب من خارج الحجرمثل شيء رطب، فاللون حليبي مع شيء من اللون الأحمر، وكلما مسح المزيد من الحليب وأزيل، كلما عاد بالكمية نفسها، وليس أكثر، وهذا هو الحليب الذي من الممكن رؤيته، وهو معروض للمشاهدة في كثير من الكنائس المختلفة، لأنه يحمل إلى هنا وهناك من قبل الحجاج.

ويوجد أيضاً على مقربة من بيت لحم كهف كبير في الصخر، فيه جرى إلقاء عدد كبير من أجساد الأبرياء، وقد جرى حمل هذه الصخرة كلها تقريباً، ونقلها من قبل الحجاج، فضلاً عن هذا على بعد ميل واحد من بيت لحم، يوجد المكان الذي اعتاد القديس جيروم بشكل خاص على السكنى فيه، وهناك قام بترجمة عدد كبير من الكتب من العبرية، والكلدانية، والاغريقية إلى اللاتينية، وعلى مقربة من بيت لحم أيضاً، أي على بعد نصف ميل باتجاه سدوم وعموره، يوجد الموضع الذي بشر فيه الملائكة الرعيان بأن الرب قد ولد على شكل إنسان، وقد جرى في هذا المكان بناء كنيسة مزدوجة وفائقة الجمال، اسمها«المجد في الأعالي»، وهو ما أنشده الملائكة هناك، ولهذ السبب تبدأ أيضاً جميع ساعات قداساتها اليومية بـ«المجد في الأعالي»، تماماً مثلما نفعل بقولنا«المجد للرب في الأعالي»، وهم يفتتحون جميع القداسات، حتى القداسات من أجل أرواح الموتى بـ«المجد للرب في الأعالي»، وذلك بطريقة خاصة، حسبما رأيت مراراً في كتاب قداساتهم.

وهذه هي مدينة بيت لحم، المدينة الأسمى عند الرب، حيث ولد فيها داوود، وهي أيضاً كما قال عنها النبي ميخا:«وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا»[ميخا:٥/ ٢ — متى:٢/ ٦]، لأن بيت لحم قائمة في وسط يهوذا، ولهذا السبب أطلق على جميع تلك المنطقة اسم اليهودية، ذلك أن البلاد التي عرفت من قبل باسم اليهودية اسمها الآن سورية، واسم سكانها السريان.

ويذهب الانسان من بيت لحم إلى القدس بوساطة طريق، يوجد على يساره قبر راحيل زوجة يعقوب، وهو المكان الذي حملت فيه بابنها بنيامين، وقد توفيت أثناء الولادة، وعلى مقربة من هذا الطريق الكنيسة المشارر إليها من قبل، أي كنيسة«المجد في الأعالي»، وكان أيضاً إلى جانب هذا الطريق، وما يزال موجوداً، عدد كبير جداً من من صوامع

القديسين، والكنائس والكهوف، والديرة، والقبور، العائدة للمسيحيين، وصنع الرب هنا كثيراً من المعجزات من خلال هؤلاء القديسين، وما يزال هناك حتى هذا اليوم عدداً كبيراً جداً من أجساد القديسين غير البالية، الرب وحده يعرف أسماءهم، وهم موجودون في أماكن متنوعة في الكهوف والأقبية.

وأيضاً على مقربة من هذا الطريق يوجد المكان الذي كان فيه البئر الذي ألقي فيه يوسف من قبل أخوته، ومن ثم بيع إلى الاسماعيليين، وبعد رؤية هذه المشاهد الكثيرة كلها مع المشاهد الأخرى، يصل الانسان إلى القدس، والمسافة فيما بين المكانين هي فقط ثلاثة أميال قصيرة من أميال تلك البلاد.

٣٨ — مدينة القدس المقدسة

القدس، المدينة المقدسة، التي فيها جرى صنع خلاصنا، وهي قائمة على جبل في وسط هواء صحي، وهي محصنة بشكل جيد، من جهة الشمال: بوساطة أسوار، وأبراج وتحصينات خارجية أخرى، ومن جهة الشرق بوساطة وادي شعفاط، ومن جهة الجنوب والغرب بوساطة وديان أخرى عميقة، وهي تفتقر إلى الماء في داخل أسوارها، وبركها مملوءة بالماء المجلوب من حبرون بوساطة مجاري تسير من تحت الأرض مع أقنية، من الممكن رؤيتها على طرف ذلك الطريق، عندما يسافر الانسان عليه، وهذه المدينة المجيدة ليست فائقة الطول ولا فائقة العرض، وهي ليست كبيرة جداً، كما أنها ليست صغيرة جداً، وهي مبنية بشكل مناسب إلى حد ما، وقد انتقلت بعض الشيء إلى شرق ما كانت قائمة عليه أيام صلب المسيح، وقد أعيدت عمارتها من قبل أليوس هدريانوس، وذلك بعدما هدمت من قبل تيتوس وفسبسيان وتمت إعادة العمارة لإظهار التشريف لموضع الجمجمة.

ويقـــوم في القـــدس هيكـل الرب، وهيكل سليمان، ويحتـل هذان الهيكـلان شطراً كبيراً مـن المدينة، ولايسمـح المسلمـــون للمسيحيين بالدخول إلى هذا الهيكل، وإذا مـا دخلوا عليهم إما مـواجهة الموت، أو التخلي عن عقيدتهم، وحـدث هذا في أيامي، لأن بعض الاغريق دخلوا إليه، وداسـوا على كتب المسلمين، وبما أنهم رفضوا التخلي عـن عقيدتهم شطروا إلى قسمين.

وهيكل الرب مستـدير، وقد بني وفق النمط الاغـريقي، فهو مـرتفع جداً، وواسع ومسقوف بالرصـاص، ومعمول من حجارة كبيرة منحوتة ومصقـولة، ووضع المسلمون فـوق ذروته — وفقـاً لطرائقهم — هلال قمـري، ولهذا الهيكل أربع ساحـات كبيرة، هي ليست مسقـوفة، لكنهـا مبلطةبشكل جيد، ومزينة برخام أبيض.

وعلى مقربة من هذا الهيكل، من جهـة اليمين، هناك كنيسة مستطيلة، ذات سقف رصـاصي، اسمهـا رواق سليمان، ويقدم المسلمـون احترامـاً عظيماً لهيكل الرب، ويحفظـونه نظيفـاً جـداً في الـداخل والخارج، وهم جميعـاً عندما يدخلونه يخلعـون أحـذيتهم، ويسمونه الصخـرة المقدسـة، ولايسمـونـه الهيكل، ولهذا يقـول أحـدهـم للآخـر:«دعــونا نذهب إلى الصخـرة المقـدسة»، ولايقـولون:«دعـونا نذهب إلى الهيكل»، ويسمـون الهيكل:«الصخــرة المقـدســة» بسبب وجـود صخـــرة صغيرة في وسط الهيكل، وهي مطوقة بحـاجز حديدي، ولقد سمعت أنه قـد قيل صدقاً من قبل مــرتـدين مسلمين أنه ليس من المفترض بـأن يلمس أي مسلم الصخـرة، وأن المسلمين يرتحلون من بلدان نـائيـة لزيارة الصخـرة بكل تقــوى، وفي الحقيقـــة تلطف الرب بإظهـــار الاحترام لهذه الصخـــرة بمختلف السبل، وصنع كثيراً من المعجزات هناك فوقها، وهذا ما يشهد عليه الكتاب المقدس بعهـديه القديم والجديد، وأول جميع الأمور، وقبل كل شيء، قـدم مليكصادق على هذه الصخـرة قـرباناً من الخبز والنبيـذ،

وكـان مليكصادق هـو أول الكهنة، وفوق هذه الصخـرة نام يعقـوب، ورأى مجد الرب، وسلماً واقفاً فوق هذه الصخرة، حيث وصل رأسه إلى السماء، وكان مـلائكة الرب يصعدون عليه وينزلون سـواء، وفوق هذه الصخـرة أيضاً رأى داوود الملاك واقفـاً، وسيف يقطر دمـاً بيده، وكـان مـرتاحاً مـن قتل الناس، ومن المعتقد أنه في داخـل هذه الصخرة اعتـاد الكهنة على رمي قرابين الحرق، التي غالباً ما أكلتها نار من السماء، ومن المعتقد أنه في داخل هذه الصخرة أخفـى النبي إرميا بشكل إعجازي في قلبهـا خيمة العهـد، عندما جـرى نقل الناس إلى بابل، وفعل ذلك وهو يقول:«بالنسبة لذلك المكان سيظل غير معروف حتى يحين الوقت الذي يجمع فيه الرب شعبه مع بعضهم بعضاً ثانية، ويتلقاهم في الرحمة»، ومن المعتقد أنها ماتزال موجودة هناك حتى هذا اليوم.

وعلى هذه الصخرة جرى تقديم المسيح عندما كان طفلاً، ووضع بين ذراعي سمعـان العدل، وجـرى تقديمـه من قبله، وفوق هذه الصخـرة تجادل المسيح مع اليهـود عندمـا كان صبيـاً في الثـانية عشرة من العمـر، وضيعه أبواه، ومن فوق هذه الصخرة غالباً ما تولى وعظ الناس.

وقد قرأنا بأن الهيكل قـد بني من قبل سليمان فوق أرض بيدر أرنان، وقد تعرض على كل حـال للتهديم على أيدي كثيرين، ومع هذا أعيدت عمارته دوماً فوق البقعة نفسهـا، بالشكل نفسه، وبالحجارة نفسها، زيادة على ما تقدم شرّف الرب هذا الهيكل كثيراً ومجّده، وأحبه كثيراً.

وفي هذا الهيكل رأى سليمان دخـاناً صاعداً نحـو الأعلى، ومجد الرب مقيماً دوماً فـوقه، وفي هذا الهيكل أورقت عصـا هرون، وفي هذا الهيكل جرى تقـديم مريم العـذراء المباركة، وقـدمت قربانها بعـد خطبتها، وفي هذا الهيكل جرى تقديم المسيح، وجلس فوق منارته العليا، وأغوي من قبل روح(الشيطان)، وإلى خارج هذا الهيكل أيضـاً قذف المسيح بالذين كانوا يبيعـون ويشترون، وغالبـاً ماتولى التعليم هناك والمناقشـة، وصنع

كثيراً من المعجزات، وذلك حسبما جاء في الانجيل، وكرس المسيح أيضاً هذا الهيكل بحضوره المجيد، وعانى فيه، وهو على شكلنا الضعيف كثيراً من الاهانات ومن سوء المعاملة على أيدي اليهود، ومن أعلى هذا الهيكل جرى رمي القديس جيمس الأصغر — أخي ربنا — نحو الأسفل حيث استشهد.

وعلى مقربة من هذا الهيكل، على جهة اليسار هناك، يوجد الباب الذهبي، الذي من خلاله دخل يسوع يوم أحد السعف، وهو راكب على ظهر أتان، وإلى هذا الباب يقوم المسيحيون كل يوم أحد سعف بمسيرة مهيبة قبل شروق الشمس، ويغني الأطفال عبر هذا الباب«المجد لابن داوود» الخ، ثم يدخل رئيس أساقفة الأرمن من الباب على ظهر أتان، ويرحب به من قبل الأطفال والناس، وكأن المسيح كان موجوداً هناك، ويرحب به من قبل اليهود.

وعلى مسافة قصيرة إلى الشمال من هذا الهيكل هناك كنيسة بنيت فوق البقعة التي ولدت فيها مريم العذراء المباركة، وفوق هذه البقعة نفسها ترقد القديسة حنة مدفونة هي وزوجها يواكيم في كهف تحت الأرض.

وأمام هذه الكنيسة تقوم بركة الضأن، التي لها خمس قناطر من حولها، وهناك اعتاد المرضى على نيل الشفاء عندما يجري تحريك الماء من قبل أحد الملائكة، وذلك حسبما تحدث الانجيل وأكد ذلك، وفي هذه الأيام هناك كهف، فيه تتجمع — عندما تمطر — كل مياه أمطار المدينة مع بعضها.

وخارج كنيسة القديسة مريم هذه، بنى المسلمون الآن مسجداً خاصاً بهم، ومع ذلك ما تزال قصة حنة ويواكيم وميلاد مريم المباركة، باقية حتى هذا اليوم مرسومة بجلال بشكل كامل على واجهة الكنيسة، وفي أيامي اعتادت امرأة مسلمة عجوز اسمها ياقوتة على شرحها بتقوى

وتديّن إلى المسيحيين، وكـانت تسكن في مقـابل الكنيسـة، وأعلنت أن صـورة يواكيم هي صـورة لمحمـد(ﷺ) وتمثل صـورة الأشجـار الجنة، حيث قبّل فيها محمـد(ﷺ) فتيات، وأشارت إلى الصـورة كلها أن المراد بها محمد(ﷺ)، ولهذا هي باقية إلى الأبد. وتراها تتحـدث بأخبار أخرى كثيرة، مع المزيد من قصص إعجازية حول محمـد(ﷺ) تحكيها والدموع في عينيها.

وليس بعيـداً عن هيكل الرب، وعلى الجانـب الجنوبي، تحت المدينة، توجـد رابية صهيـون، التي هي أعلى بقليل من بقية الأرض التي تقـوم المدينة عليها، وعلى هذا الجبل قامت في القديم مدينة داوود، التي تشير إليها الكتابات المقدسة.

وعلى جبل صهيون هذا، أو في مدينة داوود، بُنـي في القديم دير فائق الجمال اسمـه دير القـديسـة مريم على جبل صهيـون، حيث عـاش فيـه رهبان نظاميون، وكان في داخل هذا الدير جميع الأمـاكن المقدسة التالية وأول كل شيء: في هذا المكان تعشى المسيح مع حوارييه، واحتفل بأول فصح، وعمل عهـده، وكشف خـائنه، بينما تمدد حـواريوه فـوق صـدره وشربوا في أسرار السماء، وفي هذا المكان أيضـاً غسل المسيح بتـواضع أقدام حوارييه، وجففهم بمنديل، ومـع أنه كان مولاهم ومعلمهم، فقد أعطاهم مثلاً بالتواضع، وأيضاً زار المسيـح مراراً هذا المكان عندما كان مـايزال في الجسد،وظهـر في هذا المكان بعـد مـوته وقيـامته، لحوارييـه، وكـانوا جـالسين وراء أبواب مغلقـة، ثم شـوهد هناك ثانيـة، وهناك أدخل تومـا الشاك إصبعه في جنبـه، وهناك أيضاً كـانت مريم المبـاركة جالسـة مع الحواريين، والأبواب موصدة، خوفـاً من اليهود، وذلك في الوقت الذي تلقـوا فيـه المواسـاة من الروح القـدس، وهنا أيضاً غـالبـاً ماسكنت مـريم المباركة بعـد آلام الرب، وفي هذا المكان سلمت روحها إلى ابنها، واجتمع هنا الحواريون جميعـاً بشكل إعجازي، وفي هذا المكان

أيضاً جرى بشكل عجائبي اختيار القديس متى رسولاً، وهنا أيضاً غالباً ما أقام الحواريون المحبوبون قداسات مع مريم المباركة، وسكنوا هنا مع القديسة مريم والقديس لوقا، حتى وفاة مريم المباركة.

وفي هذا المكان أيضاً جرى دفن القديس ستيفن بين نيقوديموس وأبيبوس، وأيضاً جرى في هذا المكان دفن داوود وسليمان وملوك يهوذا الآخرين، ومن الممكن رؤية قبورهم حتى هذا اليوم، ويسكن في هذا الدير الآن رهبان منوارنة، وهو مزود في أيامي بشكل وافر بجميع الضروريات، من قبل ملكة سانيسا Sancea، زوجة الملك روبرت(١)، ويقومون هناك بإقامة القداسات بشكل علني وتقوي، باستثناء أنه غير مسموح لهم بالتبشير بشكل علني إلى المسلمين، ويتولون دفن موتاهم من دون معرفة حكام المدينة، وكان هؤلاء الرهبان في أيامي رجالاً مزدهرين كثيراً، وقد تولى التجار الأجانب، لابل حتى المسلمون، مدحهم كثيراً، لأنهم يقدمون خدمات جيدة إلى جميع الناس.

ويقوم هناك عند سفح هذا الجبل قلعة فائقة الحصانة، اسمها قلعة داوود، حيث من المعتقد أنها ماتزال باقية منذ أيام داوود، لأنه عندما جرى هدم هذه المدينة من قبل تيتوس وفسبسيان كان جبل صهيون وهذه القلعة قائمان خارج المدينة، وكانت هذه القلعة مملوكة فيما مضى من قبل بطريرك القدس، لكنها الآن مسكونة من قبل واحد من قادة السلطان، وهي محروسة بكل عناية من قبله ومن قبل مرتزقته.

وعند سفح هذا الجبل هناك أيضاً كنيسة، اسمها كنيسة القديس

---

١ — يقول بعضهم بأن هذا الملك، لابد أنه كان إما شارل روبرت صاحب أنحو، وملك هنغاريا، أو روبرت بروس ملك سكوتلندا، والأرجح — بعد قراءة رواية فابري، حول الدير الماروني فوق جبل صهيون — أن يكون لودولف أراد روبرت Rupert ملك أبوليا، وكلبيرا، وصقلية، والقدس.

المخلص، وفيها توجد الصخرة التي دحرجها الملاك، وأزاحها من على الضريح، وهي هناك معروضة للمشاهدة بشكل عام، وعلى مقربة من هذا الجبل أيضاً جرى إعدام القديس جيمس الكبير صبراً، وقد بني فوق تلك البقعة كنيسة، فيها الآن رئيس أساقفة الأرمن، ورهبان نظاميون تحت الطاعة للكنيسة الرومانية، ويوجد كذلك في القدس كنية أخرى اسمها كنيسة القديسة مريم للاتين. فضلاً عن هذا يوجد في القدس كثيراً من الكنائس تابعة للمنشقين والهراطقة، وأماكن أخرى كثيرة مقدسة، ومواضع ظهرت فيها نعمة الوحي.

وفوق جبل أكرا، وضريح المسيح، توجد كنيسة جميلة وعظيمة، قد بنيت هناك، وزينت بالرخام، وبأعمال الفسيفساء، والرسوم، وتزيينات أخرى، ولها أبراج أمام السدة، وفوقها وهي مفتوحة من الأعلى، فوق موضع ضريح المسيح، ويشبه داخل هذه الكنيسة كثيراً كاتدرائية مونستر Munster في وستفاليا Westphalia، وبشكل خاص بالسدة، وفي هذه الكنيسة، على مقربة من السدة، يقوم على الجانب الجنوبي جبل الجمجمة(أكرا) حيث جرى صلب يسوع المسيح، ويصعد الانسان في هذه الأيام إلى هذا الجبل بوساطة بعض السلالم في داخل الكنيسة، وكان من المعتاد فيما مضى على الصعود إلى هناك بوساطة سلالم كانت خارج الكنيسة، غير أن هذا الباب مغلق ومسدود من الخارج.

وهذا الجبل مشكل من صخرة قاسية جداً، وفي أسفل هذا الجبل توجد بيعة النوبيين، قد نجرت من الصخر الأصم، ويوجد على قمة جبل أكرا هناك أيضاً بيعة، يصعد الانسان إليها من داخل الكنيسة، وهناك في المكان الذي جرى صلب المسيح فيه، شق فيه وضع الصليب، ومن الممكن حتى في هذا اليوم رؤية التحول الذي ألم بالصخر الأصم أثناء آلام المسيح، بكل وضوح، وفي هذه البيعة نفسها جرى دفن

الأمراء الممجدين: غودفري، دوق أوف بولليون، وبلدوين أخيه، الذي كان أول ملك صليبي للقدس، والذي نال الأرض المقدسة واستولى عليها بجهد كبير جداً، وبقوة استرد هذه الأرض واحتفظ بها، وألحق بالمسلمين أذى لايقدر بحجمه، ومنح المسيحية وأضفى عليها أعظم الأعطيات، وإنه لأمر مدهش حقاً أن تمكن المسلمون من الاستيلاء على قبور الصليبيين والأجساد التي وضعت فيها لترتاح دونما إزعاج، ومع أنهم رأوا كم قد ألحقوا بهم من أضرار، وكيف أنهم انتزعوا منهم حتى الأرض المقدسة كلها، تجد في لومبارديا عندما يتشاجر المسيحيون فيما بينهم، يلقي أحدهم أجساد خصومه المتعفنة إلى الكلاب.

وكان الأمراء الفرنجة الذين تقدم ذكرهم قد اتخذوا قراراً بوجوب عدم لبس تاج ذهبي، بل أن يلبسوا تاجاً من الشوك، وقد حافظ خلفاؤهم على هذا القرار حتى هذا اليوم، ويجري كل يوم على جبل الجمجمة — عندما يكون أي مسيحي ساكن هناك — قراءة قصة آلام المسيح، وذلك حسبما قرأت بكتاب قداساتهم، وعلى مقربة من جبل الجمجمة، حيث يوجد الآن خزانة، هناك الموضع الذي وقفت فيه أمه وحواريوه والنساء الأخريات، وهناك عهد يسوع بأمه لعناية حوارييه، وهو يقول:«انتبهي يا امرأة لابنك»، ويوجد أمام باب السدة، من جهة اليمين، صخرة سوداء، فهناك الموضع الذي مددوا عليه جسد يسوع عندما أنزلوه من على الصليب، ولفوه بأقمشة كتانية، وتقوم أمام السدة، من جهة الغرب، بيعة صغيرة مزدوجة، لها ثلاثة أبواب، وفي داخلها ثلاثة مذابح قائمة هناك، ويدخل الانسان من البيعة الأولى إلى البيعة الثانية، حيث يوجد ضريح المسيح، ويأتي دخوله من خلال باب منخفض وصغير ومقنطر على شكل نصف دائري، وقد عمل على هذا الشكل حتى يرغم الانسان على الدخول وهو منحني الظهر، وطول هذه البيعة مع الضريح حوالي تسعة أشبار، وعرض البيعة حوالي سبعة

أشبـار، وارتفاعهـا حـوالي اثني عشر شبراً، وضريح المسيح منجـور من صخر أصم، وخشية من تدنيسه، أو سرقته من قبل الحجاج، هو مغطى بحجارة أخـرى ورخام، وتحتـوي الحجرة التي تغطيـه من الواجهة على ثلاث فتحـات، حيث جرى خرقهـا، ويستطيع الانسان من خـلال هذه الفتحـات أن يقبل الضريح الحقيقي والحجـر الصحيح هناك، وصنعت الحجـارة التي تغلف الضريح ولصقت ببراعـة فـوق الضريح، جعلتهـا تبدو لمن لايعـرف وكأنها كلها حجـرة واحدة، ولهذا السبـب، كما أعتقد أنه لايوجد في أي كنيسة قطعـة من الحجر الحقيقي لضريح المسيح، لأنه باستثناء الأماكن المفتوحة التي سمعتم للتو عنها، إنه قد حفظ، ومحفوظ بعناية عظيمـة ومحروس، وفي الحقيقـة لو كـان من الممكن حمل ضريح المسيح على شكل حبـات الرمل، لتم الفـراغ مـن نقله منذ زمن طويل، حتى لو أنه كـان كبيراً مثل جبل عظيم، ولما كانت قـد بقيت هناك حبة رمل واحدة في تلك البقعة.

أما فيما يتعلق بالمصـابيح والشمعدانات التي قيل هي موجـودة حول الضريح المقـدس، أعلن أنه لايوجـد أبداً أي مصبـاح أو شمعـدان مهما كان نوعـه حول الضريح، لكن يسكن هناك في كنيسـة الضريح المقدس بعض الشيوخ الجورجيين المتقـدمين بالسن، لديهم مفتـاح بيعة الضريح المقدس، وطعـام، وصدقـات، وشموع، وزيت للمصـابيح حتى تشتعل وتضاء حول الضريح المقدس، وقد أعطي ذلك لهم من قبل الحجاج من خـلال نافـذة صغيرة في البـاب الجنوبي للكنيسـة، وإذا مـا توقف هذا وانقطع، سوف يبقى بـدون ضوء مهما كان نوعـه، وبذلك يكون بدون تشريف أو احترام، لأن لـدى المسلمين من الاحترام للضريح المقـدس للمسيح، بقدر مالدى المسيحيين نحو كنيس يهودي.

ويوجـد في هذه الكنيسة أيضـاً، في مقـابل السـدة، مع مسافـة ضئيلة نحـو الجنوب، هناك الموضع الذي وقفت فيـه المريمات الثلاث، وقـالت

إحـداهن للأخـرى:«من سيـدحـرج هذه الصخـرة لنا ويزيحهـا عن فم الضريح»؟.

وفي هذه الكنيسـة نفسهـا أيضـاً يقـوم شطـر من العمـود الذي ربط المسيح إليه وجلد، والشطر الآخر موجود في القسطنطينية.

وينزل الانسان في هذه الكنيسة أربعين درجة إلى المكان الذي عثر فيه على الصلبـان الثـلاثة، ويوجـد في هذا الجزء المنخفض، في داخل بيعـة هناك، الكرسي الأسقفي لجيمس الأصغـر، الذي اعتـاد أن يجلس عليـه عندما كان أسقفاً للقدس.

وفي هذه الكنيسة أيضـاً توجد الأعمـدة التي كانت مـوجودة في بيت بيـلايطس، أيام آلام المسيح، وهـذه الأعمـدة لم تتـوقف منذ ذلك الحين حتى الوقت الحالي عن رشح مـاء عذب، فضلاً عن هـذا يوجد في هذه الكنيسة الموضع الذي مدد فيه الرجل الميت فوق صليب المسيح، فنهض عائداً إلى الحياة.

وفي هذه الكنيسة يوجـد أيضاً المكان الذي ظهـر فيه يسـوع إلى مريم المجدلية على شكل حـدائقي، وجميع هذه الأماكن مسيجة في داخل هذه الكنيسـة، وتبـدو هذه الكنيسـة كـأنها قصر مستعـد لتلبيـة احتيـاجـات الحجـاج، مع الذين يعيشـون محبوسين في داخلهـا، لأن الحجـاج الذين يزورونها يحبسون هناك في داخلها من السـاعة الأولى لليوم الأول، حتى الساعة نفسها من اليوم التالي، ويمكنهم توقع وجود كل شيء فيه رضى لنفـوسهم، فلمرتين في العـام — أي أن تقول من الجمعـة الحزينة حتى اليـوم التالي للعيـد — يترك المسيحيـون، الذين يسكنون هناك، أنفسهم ويحبسونها في الكنيسـة، بدون شيء، ويغلقون على أنفسهـم، ووقتها يجد الانسان حوانيت في الكنيسة، حيث توجد مختلف الأشياء، وحيث تباع الأطعمـــة، مثلما تجري عمليـات البيع في هـذه البـلاد في الأســـواق

والمعـارض، ووقتهـا يستمع الانسـان إلى أحـاديث وأغـان بمختلف اللغات، وتقوم كل عـدة أمم باحتجاز مكان خاص بها لإقامـة قداساتها وفقـاً لطقوسهـا الخاصـة، ومن بين هذه الأمم يحتجـز اللاتين لأنفسهم المكان الذي ظهر فيه المسيح لمريم المجدلية على شكل حدائقي.

وعلى مقـربة من كنيسـة الضريح المقدس، سكن فيها مضـى فرسـان القـديس يـوحنا للقـدس، وقصرهـم الآن مشفى عـام للحجـاج، وهذا المشفى كبير في حجمـه إلى حـد أنه يستطيع ألف إنسـان أن يعيشوا فيـه بكل سهولة، وأن يحصلوا على كل شيء يريدونه بالدفع مقـابله، وجرت العـادة في هذا القصر أو المشفى، أنه يجب على كل حـاج أن يدفع بنسين بندقيين، وذلك مقـابل استخدام المشفى، وهذا المبلغ لايتغير سـواء أأقام لمدة سنة، فهـو لن يدفع المزيد، أو أقـام لمجرد يوم واحـد فهـو لن يدفع أقل، وفي أيامي كان يسكن هناك في هذا القصر، أو المشفى عقيلة اسمها مـرغـريت الصقليـة، وكـان أخـوها هو الكاهن المسـؤول عن الضريح المقدس واسمـه نيقولا، وكـانت مرغـريت هذه مفيـد ة جداً وخـدومة هناك، ولمعلومـاتي المؤكـدة أنها عانت من شقـاء عظيم ومتـاعب جمة في سبيل محبـة المسيحيين، ولاقت دوماً تقـديراً خاصـاً من السلطان وعناية بسبب فـائـدتها، وعليك أن تعـرف أن الكهنة المسـؤولين عن الضريح المقدس يمتلكون امتيـازات عظيمة وحقوقـاً كبيرة، وذلك حسبما قرأت في كتاب قداساتهم، ويبدأون(القداسـات) لكل ساعة من ساعات النهار بعبارة«المجـد»، وذلك مثلما نفعل عندمـا نقول In adjutorium الخ،علماً بأنهم كـرجال، العـالم كله يشهـد لهم من أقصاه، وهم يقـرأون جميع القضـايـا الرئيسيـة الموجـودة في الانجيـل مع حـركـات جسـدية وإيماءات، وعلى سبيل المثال يقـرأ الشماس في يوم عيد الفصح الانجيل كمايلي:«وجلبت في ذلك الوقـت مـريم المجـدليـة، ومـريم أم جيمس، وسـالومي، بعض الحنوط، حتى يمكنهـن الوصـول إلى هنـاك ومن ثم

دهن يسوع»، وعندما يصلون إلى كلمات:«هو ليس هنا، هو قد قام»، وقتها يشير الشماس بإصبعه إلى ضريح المسيح، ويفعل الشيء نفسه في القضايا الأخرى، وفي مقابل الكنيسة، على الجانب الغربي، هناك الصخرة، التي استراح عليها يسوع لبعض الوقت، عندما كان حاملاً لصليبه، وذلك عندما خانته قواه بسبب عذابه ووزن الصليب وثقله، وهناك أرغم اليهود سمعان القرني، الذي كان قادماً من قريته، أجبروه على حمل الصليب، وقرب الكنيسة، وعلى مسافة ضئيلة نحو الجنوب، توجد الصخرة التي وقف يسوع عليها عندما قال:«يا بنات القدس لاتبكين عليّ، بل ابكين على أنفسكن»الخ»، ومن الممكن رؤية بلاط منزل بيلايطس في القدس حتى هذا اليوم، لكن هذا المنزل كان آنذاك خارج المدينة، ومثله بيت كيفاس، حيث اجتمعوا فيه يتشاورون، وقد تنبأ قائلاً:«إنه لمن الموائم أن يموت رجل واحد من أجل الشعب»، وهذا البيت يبعد عن القدس مسافة ثلاثة أميال من أميال تلك البلاد، فضلاً عن هذا، يمكن للانسان أن يشاهد كثيراً من الأماكن العجيبة والمقدسة، يحتاج الحديث عن كل واحد منها إليكم إلى وقت طويل.

ولدى المضي من القدس، يصل الانسان إلى مدينة كانت فيما مضى جميلة، لكنها الآن مهجورة، وهي قائمة في المنطقة التلية لليهودية، واسمها زكريا، وهي تبعد مسافة خمسة أميال عن القدس،وفي هذه المدينة عاش زكريا وإيزابل، والدا يوحنا المعمدان، وإليها جاءت مريم المباركة من الناصرة، وكان ذلك بعدما تلقت كلمة البشارة من جبرائيل، وعندما قابلتها إيزابل قفز الولد في رحمها، وقالت مريم المباركة«إن روحي تمجد الرب» الخ.

وقد بني فوق المكان الذي التقيتا فيه وعانقت إحداهن الأخرى، كنيسة فائقة الجمال اسمها«الممجدة» حتى هذا اليوم، ويبعد هذا المكان عن الناصرة سفر ثلاثة أيام ونصف اليوم، بالسفر المستعجل، وهو ما

قـامت به وقتهـا أم ربنـا، وذلك حسب رواية الانجيل(لوقـا:١/ ٣٩) حيث جـاء قـوله:«فقـامت مريـم وذهبت بسرعة إلى الجبـال في منطقـة اليهودية»، وفي هذه المدينة جرى أيضـاً الحمل بالقديس يوحنا المعمدان، كما تمت ولادته، وفي أثناء عـودة الانسـان من مـدينة زكـريا هذه يرى المكان المعتقد أن شجرة صليب المسيح قد نمت فيه، فضلاً عن هذا يرى الانسـان على جـانب الطريق كثيراً مـن قبـور القـديسين، والنسـاك، والكهـوف، والأقبية، حيث يتم العثـور هناك حتى هذا اليوم على عـدد كبير من أجساد القـديسين كاملة غير فاسدة، الذين يعـرف الرب وحده أسماءهم.

وفي عودة الانسان إلى القدس عبر هذا الطريـق، هناك موجود خارج البـاب الشمالي المكـان الذي جـرى فيـه رجم أول الشهـداء، القـديس ستيفن، ويبدو أنه كان هنا كنيسة جميلة غير أنها الآن مهدمة، وهي قائمة فـوق وادي شعفـاط، وفي وادي شعفـاط هناك كنيسة مقـدسـة، لكنهـا ليست جميلة جـداً، قـد بنيت على شرف مـريم المبـاركـة، فمنهـا ينزل الانسـان ستين درجة فيصل إلى ضريح مـريم المبـاركة، الذي هو مـزين بمصـابيح وشمعـدانات أجمل وأكثر عـدداً مما هو مـوجـود عند ضريح المسيح.

والمكان الذي يقـوم فيه الضريح ليس أوسع مما يستطيع ثمانيـة رجال أن يقفوا فيه بشكل موائم، وشكل ضريـح المسيح وضريح مريم المباركة هو هذا نفسـه، والمكان الذي تقوم فيـه هذه الكنيسـة قد كـان في أيام آلام المسيح بيت عناس، الكاهن الرئيسي، وهناك حدث أن أنكر بطرس المسيح، ويقـوم فـوق البقعـة التي أنكره عليهـا عمـود رخـامي، ليكون بمثابة ذكرى أبدية، ومن المعتقد أن المسيح سوف يأتي إلى هذا الوادي في يوم القيامة، فيكون حكماً عادلاً، يجازي كل إنسان تبعاً لأعماله.

ويجري خـلال هذا الوادي نفسـه، وادي قـدرون، الذي تتجمع فيـه

جميع المياه التي ترشح من المدينة ومياه الأمطار التي تأتي من الهضاب على كلا الجانبين هناك، وعلى مقربة من هذا الوادي، عند سفح جبل الزيتون، توجد الحديقة التي ألقي فيها القبض على يسوع، وذلك حيث تمت خيانته من قبل يهوذا بقبلة، وغالباً مازار الرب عندما كان بالجسد هذه الحديقة مع حوارييه، وتقوم كنيسة جميلة في المكان الذي ألقي القبض فيه على المسيح، لكن المسلمين يربطون الآن فيها قطعانهم وحيواناتهم ويطعمونها.

وعلى مسافة صغيرة من الحديقة، نحو اليسار، وتحت صخرة هناك، يوجد المكان الذي صلى فيه المسيح إلى الآب قائلاً: «أيها الآب، إذا كان من الممكن، دع هذا الكاس يتجاوزني»، وفي أثناء خوفه وضعفه الانساني تعرق دماً.

وعند سفح الجبل المقابل، حيث بنيت القدس، توجد بركة سلوان للاستحمام، والذي هو موجود الآن فيها مجرد مجموعة من المياه الآسنة، وعبر بركة الاستحمام وفي قبالتها يقوم تمثال أبسالوم، وهو مصنوع ببراعة، وله حجم رائع.

وفوق وادي شعفاط، نحو الجنوب، يوجد حقل الفاخوري، أو حق الدم، ويسمى أيضاً حقل الدم، ذلك أنه شري بثمن الدم، من أجل دفن الغرباء فيه، غير أن واحداً من التواريخ الشرقية قد أوضح أن الذي شري منه هو ماتساوي قيمته خمسة عشر بنساً فقط، وهذا بالفعل أمر يمكن تصديقه، لأنه لايستوعب ثلث الحقل.

٣٩ — *حول الثلاثين قطعة من الفضة*

نحن نقرأ في تاريخ ملوك الشرق الذين قدموا أعطيات إلى ربنا، أن تيراح والد ابراهيم كسب مالاً، أو بنسات، وذلك بناء على طلب ملك لبلاد الرافدين اسمه نينوس، وأنه قد تسلم ثلاثين قطعة من الفضة

ايجاراً له، وقـد أعطى قطع الفضة هذه إلى ابراهيم، الذي أنفقهم خـلال أسفاره في المنفى، وجرى تداول هذه القطع الفضية بين مختلف الأيدي، حتى وصلن إلى أيدي الاسماعيليين، وبهن جـــرى شراء يوسـف من أخـوته، وفيما بعـد عندمـا صـار يوسف حـاكماً في مصر، رجعت قطع الفضـــة هذه إلى أيدي يوسف، وحصلن لـه من أخـوتـه كثمن للقمح، ولدى اعادتهن إلى أخوته، أعطاهن أخوة يوسف إلى حاجبه، الذي بعث بهن إلى سبأ لشراء بضـائع من أجـل فـرعـون، وفي أيام سليمان، عندمـا جاءت ملكة سبـأ من الشرق للاستماع إلى حكمته، قدمـت هذه الثلاثين قطعة فضيـة إلى الهيكل، وفي أيام رحبعام، عندما قام نبـوخذ نصر بنهب الهيكل والاستيلاء على كنوزه، أعطى الثـلاثين قطعة من الفضة والكنوز الأخرى إلى ملك جودوليا Godolia الذي كان معه في جيشه، وهكذا بقيت هذه القطع مع بقية الكنوز في خـزانة ملوك جودوليا حتى وقت ميلاد المسيح.

وانتقلت في ذلك الوقت مملكة جـودوليـا إلى النوبة، وحـدث عندمـا ولد ربنا، أن رأى ملكيور، ملك النوبة في النجوم أن المسيح قد ولد من عذراء، وبناء عليـه أخذ الثلاثين قطعة، لأنه لم يجد مـاهو أفضل أو أقدم بين ذهب خزانته، وبإرادة من الرب منحهم إلى المسيح، وفيما بعد عندما هربت مريم العذراء المباركة إلى مصر لخوفها من هيرود، فقدت الثلاثين قطعـة مع بقية هدايا الحكماء، في مكان هو حيث قـامت حديقـة البلسم الآن، وقد عثـر راعي عليهم واحتفظ بهم لمدة ثلاثين عامـاً، ثم كان أن انتشر صيت المسيح في الخارج، وقـــدم هذا الراعي نفســه إلى القـدس، حيث تولى المسيح شفـاء مـرضـه، وعنـدمـا كـان المسيح يعظ في الهيكل ويعلم، منحـه هذا الراعي الثـلاثين قطعـة مع بقـايا هدايا الحكماء، لكن المسيـــح رفض أخذهـم، وطلب منه منح القطع الفضية للهيكل، ووضع الهدايا الأخـرى فوق المذبح، ونفـذ الراعي هذا، وألقى اليهود الثـلاثين

قطعة في قـربان، وأعطوهن فيما بعد إلى يهوذا من أجل خيـانة يسوع، ثم لما أعـادهن يهوذا ثانيـة، اشتروا حقل الفاخـوري بخمس عشرة قطعـة، وأعطوا الخمس عشرة قطعـة المتبقيـة إلى العساكـر الذين تولوا حـراسـة ضريح المسيح، وبعـدمـا صنع بهذه القطع مـارسم لهن بالقـدر وتقـرر، جرى إثـر ذلك اقتسامهن ومن ثم تفـرقهن هنا وهناك، لكن حتى صنع ذلك الذي تقـرر وجـوب صنعـــة بهن، جـرى الاحتفـاظ بهن معـاً كما سمعت، وتطلق الكتـابات المقـدسة عليهن اسم بنسـات فضيـة،لأنه في القديم أطلقـوا على جميع المعادن اسم الفضــة، إنما مما لاشك فيه كن من الذهب.

وحقل الدم ليـس حقـلاً واسعـاً حسبما أخبرتك، لكنه يحتـوي على حفرة عميقـة جداً قـد حفرت فيـه، ولهذه الحفرة سقف مقنطر فـوقها، وهذا السقف مخروق بوساطة فتحـات، ومن خلال هذه الفتحات يجري إلقـاء أجساد الموتى إلى داخلهـا، وبعـد ثلاثة أيام لايبقى شيئاً سليماً من هذه الأجساد غير العظام، ذلك أن مكاناً ضيقاً بهذا القدر، لايمكنه أن يستوعب مثل هذا العدد الكبير جداً من الأجساد.

وعلى مقـربة من هذا الحقل هنـاك مكان فـائق الجمال، وفيـه أشجـار جميلة جداً، كـان الرهبان الدومينيكان يحاولون شراءه، عنـدما كنت على وشك المغادرة، ولاأعـرف إن كانوا قد حصلوا عليـه أم لا، وعلى مقربة منه هناك كثيراً من قـــلايات القـديسين وصـوامع النســـاك التي كـانت تفيض بالنعمـة، لكنهـا الآن مهجـورة، ومثـل ذلك على مقـربة من هذا الكهف يوجد الكهف الذي أخفى بطرس نفسه فيه بعدما أنكر المسيح، ومن ثم بكى بحـرقة، وليس بعيداً عن هذا الكهف يـوجد المكان الذي شنق يهوذا فيه نفسه وهو في حالة يأس.

٤٠ — جبل الزيتون

وعلى مقـربة من القـدس، باتجاه الشرق، يقـوم جبل الزيتـون، الذي يعرف الآن باسم جبل الضياء، وهـو مكان جميل جداً، مع وجود وادي شعفاط فقط بينه وبين القدس، وجبل الزيتون أعلى بكثير من المدينة، إلى حد أن كل شيء في المدينة يمكن رؤيته من قمته، وأطلق عليه اسم جبل الزيتـون لأن كثيراً من أشجار الزيتـون قد نمت هناك، وكما قلنا يعـرف أيضاً باسم جبل الضياء، لأنه في أثناء الليل تشع أضواء الهيكل من فوق في مقـابله، والبابان الشرقيـان للقـدس اللذان يقودان إلى الجبل مغلقـان بشكل دائم، لأن وادي شعفـاط بين المدينة والجبل منحـدر إلى درجـة يصعب فيهـا على الانسـان التسلق والصعـود إلى الأعلى، والنزول نحـو الأسفل على يديه، وعلى قدميه، والذي هناك الآن باب واحد فقط اسمه البـاب الذهبي، وتقـوم على جبل الزيتـون كنيسـة جميلة اسمهـا كنيسـة القـديس المخلص، وذلك فوق المكان، الـذي صعد منه المسيح بتـواضع إلى أبيـه بعـد مضي أربعين يومـاً على آلامـه، وحيـث قـالت الملائكة إنه سوف تتـوجب عودته ثانيـة كحكم عادل، ومن الممكن رؤية عـلامات قـدم المسيح على بلاط تلك الكنيسـة حتى هذا اليـوم، ولقـد قـرأنا بأن المسيحيين عندمـا كانوا قـد شرعوا ببناء تلك الكنيسـة وبتبليطها، كـانوا كلما جـاءوا إلى المكان الذي كـانت فيـه طبعـات قـدم المسيح ووضعـوا حجارة فوقها، كانت الحجارة تنبعث عالية مجدداً، وكأن إنساناً يريد أن يخطو، وهكذا بقيت طبعات القدم حتى اليوم الحالي، والكنيسة مفتوحة، لأنه من غير الممكن صنع سقف مقنطـر بأي وسيلة من الوسـائل فـوق المكان الذي عبر المسيح من خلاله إلى عليين، ويوجـد على جبل الزيتون أيضـاً، وتقـوم كنيسـة صغيرة أخـرى فـوق المكان الذي تلا فيـه المسيح صلاة الرب، وعلمهـا لحوارييه، ومـاتزال الكنيسة تدعى باسـم«الصلاة الربانيـة»، وقد قـام فيما مضى أيضاً فـوق هذا الجبل بيعة أخـرى، وهي

الآن مهدمة، وقـد قامت فوق المكان الذي رأى المسيح منه المدينة وبكى عليها، وتوجـد على هذا الجبل نفسه قرية صغيرة اسمهـا الجليلية، وهي غالبـاً ماورد ذكرها في الكتابات المقـدسة، وذلك حيث سكن الحواريون مع بعضهم، وهذه الجليليـة هي التي نقـرأ حـولها:«اذهب إلى الجليليـة، وهناك سوف تراه، كما قال لك»، كما نقـرأ: «إنني سوف أذهب قبلك إلى الجليليـة»، هذا وهناك جليل أخـرى التـي هي بلاد كبيرة، وتبعـد سفـر ثلاثة أيام، وذلك حسبما سأحـدثكم فيما بعـد، وفـوق هذا الجبل، هناك أيضاً أماكن سكنى قديسين، وسواح وصوامع نساك بهية.

وعلى مقربة من جبـل الزيتون تقوم بيت فـاجي، حيث ركـب المسيح في يوم أحـدالسعف الأتان للذهـاب إلى القـدس، ولابد أنه كـان راكبـاً جيداً، وإلاّ لايستطيع إنسان أن يخبر مطلقـاً أن إنساناً يمكنه وهو راكب على ظهر أتان، أن ينزل على مثل ذلك الطـريق، لأن هذا الطريق منحدر جـداً، وضيق من جبل الزيتــون، وعلى بعـد نصف ميل قصير من بيت عنيا تقوم قرية بيت فاجي، التي كانت فيما مضى قلعة جميلة جداً، قائمة على طرف الرابية، وفيها ثلاث كنائـس، تقوم أولاهن فوق المكان الذي أقيم اللعـازر فيـه من الموت، وضريحه مـايـزال يشـاهد هناك، هذا وإن قبور: المسيـح، ومريم المبارك واللعـازر هي ذات شكل متشابـه، وتقوم الكنيسـة الثانيـة في المكان الذي كـان فيما مضى بيت سمعان المجـذوم، وذلك حيث دعي المسيح إلى غـداء، وجـاءت مريم المجـدليـة المباركـة، ودهنت شعر المسيح يسـوع مع قدميه، ثم غسلتهم بدمـوعها، وجففتهم بشعـرها، فهـذا مـا تتحدث الكتـابات المقـدسـة عنه وتوثقـه، واتخذت الكنيسة الثالثة من قصر مرثا، حيث جرى بالغالب استقبال ربنا وهو في هيئة ضعفنا البشري، وهو جـائـع، وعطشـان، وعـريان، ومنهك، فقـد استقبل بمثابة ضيف، وجرى تقديم ما احتاج إليه وتمت مواساته عندما كان بلا بيت.

ويربط المسلمون الذين يسكنون الآن هناك ثيرانهم وحيوانات التحميل لديهم، في هذه الكنائس،وفي هذا المكان نصب سليمان صنم مردوخ العائد إليه.

٤١ — *أريحا — الصحراء — سدوم وعمورة*

ويصل الانسان من بيت عنيا إلى الأردن في يوم واحد، وذلك بعد عبوره لبرية صغيرة اسمها مونتوست Montost ، وقام في هذه البرية القديس يوحنا المعمدان بالتعليم، وأكل الجراد والعسل البري في المكان نفسه، وحدث في هذه البرية أيضاً أن سقط إنسان بأيدي اللصوص، وكان ذلك أثناء نزوله من القدس إلى أريحا، وذلك حسبما حدثتنا الكتابات المقدسة، ويوجد في نهاية هذه البرية الجبل الذي اسمه جبل القرنطل، فهناك فوقه صام يسوع لمدة أربعين يوماً وأربعين ليلة، فكان جائعاً، وهناك أغواه الشيطان ليعمل خبزاً من الحجارة، وفي منتصف الطريق في أعلى الجبل هناك صومعة جميلة قد نحتت في الصخر،فيها صام المسيح، وفيها يعيش الآن رهبان جورجيون، وتسبب في أيامي ملك جزره Gazara بتدمير الطريق، حتى لايتمكن الرهبان من النزول، والحجاج من الصعود إلى هناك، لكن عندما سمع بالسلطان بهذا، تدبر إعادة ترميم الطريق، وسمح للرهبان بالإقامة هناك بشكل أبدي.

وعلى قمة هذا الجبل تقوم كنيسة جميلة، في المكان الذي أغوي فيه المسيح من قبل الشيطان، وعن هذه البرية ذاتها نقرأ:«ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح ليغوى من إبليس»[متى:٤/ ١].

وعلى مقربة من هذا الجبل،وباتجاه سهل الأردن، هناك نبع، وحديقة فائقة الجمال،فهناك سكن إبراهيم عندما جاء من بلاد الكلدان، وبنى مذبحاً هناك، ودعا باسم الرب،واسم هذا المكان بستان إبراهيم» حتى

هذا اليوم.

وبعدما يعبر الانسان هذه الأماكن يصل إلى أريحا، التي كانت فيما مضى مدينة ملكية ومشهورة، وقد تراجعت الآن إلى قرية صغيرة، غير أنها قائمة في بقعة فائقة الجمال وخصبة جداً، في وادي الأردن، وهذه هي أريحا التي هدم الرب أسوارها بمعجزة، وأعطاها إلى يوشع، مع إلقاء اللعنة على من سوف يحاول عمارتها.

وإلى أريحا هذه انتمت راحاب العاهرة، وزكّا الذي كانت قامته قصيرة، وكان من أريحا هذه الطفل الذي سخر من النبي إيليا بقوله له:«إذهب يا أقرع الرأس، امض أنت يا أقرع الرأس»، وقد التهم من قبل دبين انتقاماً له، وهذه أمور تتحدث عنها الكتابات المقدسة وتشهد على صحتها.

وعلى مقربة من أريحا يوجد المكان الذي أعاد يسوع فيه النور إلى عيني الأعمى، وهو عابر من هناك، وعلى مقربة من أريحا أيضاً هناك يجري الجدول الذي جعل النبي إيليا مياهه عذبة، حيث كانت من قبل مرة، وعلى مسافة ثلاثة أميال قصيرة من أريحا يوجد البحر الميت، الذي طوله في هذه اللاد حوالي الثمانيين ميلاً، وهناك قامت فيما مضى مدن:سدوم، وعامورة، ودومه، وساعور العظيمة، وقد قام الرب بالخسف بهم وبجميع الأماكن التي كانت بهم، وبما كان بقربهم مع جميع المدن هناك والقرى والقلاع والحصون، وكان ذلك بسبب آثامهم الممجوجة.

وما من إنسان يمكنه استخدام مياه هذا البحر من أجل أي غرض مهما كان نوعه، لأن لها رائحة قذرة لايمكن تحملها أبداً وشريرة، ولهذا عندماتهب الريح تسمم هذه المياه جميع المنطقة من حولها هناك، وفي أوقات العواصف يقذف هذا البحر كثيراً من الحصى الجميل، لكن إذا

ما التقطهم أي إنسان، سوف تبقى رائحـة يده قذرة جداً لمدة ثلاثة أيام، إلى حد أنه لن يتمكن من تحمل نفسه، ويقـول بعضهم أن ما من إنسان يمكنه أن يغطس هناك فيـه ويغـرق، وعن هذا أنا لاأعـرف شيئاً غير الذي قيل لي، وللصدفـة ما من أحـد حاول ذلك، غير أنني سمعت من بعض الناس من هذه البلدان، أنه في بعض الأمـاكن من هذا البحـر من الممكن رؤية قعره، وفي بعضهـا لايمكن، أما بالنسبة للأبنيـة التي كانت قـائمـة هنـاك قبل الدمـار العظيم، مـا من أثـر منهم يمكن رؤيتـه، وفي الحقيقـة نادراً مـا يقترب إنسـان منه بسبـب رائحتـه النتنة التي لايمكن تحملهـا، ومع ذلك فإن جميع المنطقـة من حـوله مليئة بالأشجـار وبثمار عظيمة، وفائقـة الجمال أن تنظر إليها، لكن عندما يجري قطف هذه الثمار وفتحها أو تكسيرها، يجدها الانسان مليئة بالغبار والرماد في داخلها، إلى حـد أن يد الانسـان الذي يقطفها لايمكنهـا التخلص من رائحـة النتن المقيتـة لمدة ثلاثة أيـام، لأنه حتى المنطقـة حـول هذا البحـر مليئة بلعنة الرب.

وفي هذه المنطقـة الأفعى التي اسمهـا تيروس Tyrus مـوجـــودة ويمكن إمسـاكها ، ومنهـا الذي يدعى باسم تريـاق قد نال اسمـه، لأنه يصنع منهـا بشكل رئيسي، وهذه الأفعـى ليست أطول من نصف شبر، وغلظهـا مثل إصبع إنسان، ولونا أصفـر مزيج بلون أحمر، وهي عميـاء وليس هناك دواء معروف لسمها، إلاّ بقطع الطرف المعضوض، وعندما تكون غـاضبة تضع فمهـا مثل لهيب نار، ويخيل لـلانسان وقتهـا أنه نار حقيقيـة، سـوى أنها نار لاتحرق المخلوق، ووقتهـا يقف شعـرها فـوق وجهها وكأنها خنـزير وحشي غاضب، وفي تلك الأوقـات يصبح رأسها أضخم، ولولا أنها عمياء أعتقـد أن ما من إنسان يمكنه أن ينجـو منها، ولقـد سمعت من الذين صنعتهم إمساك هذه الأفـاعي، أنها إذا عضت حصان إنسان، سيقتلون الممتطي له.

وعلى مقربة من البحـر الميت، وعلى جهة اليمين باتجاه سبط إسرائيل، وفوق رابية صغيرة، تقف زوجـة لوط، وقد تحولت إلى عمود من ملح، وكـان في هذه الأمـاكن في أيامي بعض فـرسـان الداوية، الذين أخـذوا أسرى لدى سقوط عكـا، يقومون هناك بقطع الأخشـاب هنا وهناك في الجبال في خـدمة السلطان، وهـم لايعرفـون بأن طائفة الداوية قـد جرى قمعها وإزالتها، لأنهم يعملون هنا وهناك في الجبال، ولم يروا إنساناً من هذا الجانب من البحـــر منذ أن أخـذوا أسرى، وجعلنا هـؤلاء الرجـال نقلع بقوة عن متابعة الترحـال على طول ساحل البحر الميت، وذلك إذا كنا نرغب في أن لانفقد حياتنا من خلال نتنه، هذا وقد مكنونا من رؤية تمثـال زوجة لـوط، الذي كنا قادريـن على رؤيته بوضـوح عن بعـد من هناك.

وفي تلك السنة أطلـق السلطان سراحهم مع زوجـــاتهم وأولادهم، استجابة لتدخل أحد الوسطاء، وقد قدموا إلى بلاط مولانا(البابا)، ومن هناك جـــرى إرسـالهم مشرفين إلى أوطانهم، وقـــد كـان واحـــداً منهم برغندياً، وكان آخر من طولوز.

وليس بعيداً عن تمثـال زوجة لوط تقـوم مدينة سـاعور، التي بفضل دعاء لوط أنقذت من الدمار.

وفيها وراء البحر الميت، بـاتجاه الشرق، توجد أحصن قلعـة في العالم، وهي التي اسمهـا باللغـة العربيـة«عربـة»، وفي الكلدانية«شـوبك»، وفي اللاتينية«مونتريال»، ولقد قيل إنه لايوجـد قلعة في العالم يمكن مقارنتها بها، ذلك أنها محاطة بثلاثة أسوار، ففي داخل السور الأول هناك صخرة مرتفعة جداً، فيها ثلاثة ينابيع تتدفق المياه منها، ومياه هذه الينابيع تسقي جميع المنطقة في تلك الأحواز، وفي داخل السور الثاني ينمو ما يكفي من القمح بسهولة للناس الذين يعيشـون في القلعة من سنة إلى سنة أخرى، وكان من المعتاد أن ينمو في داخل السور الثالث كثير من الكروم، لكن

هذه الدوالي اقتلعت، وليس بإمكان العالم كله أن يحرم القلعة من هذه الأشياء، باستثناء الأشجار والدوالي، وكانت هذه القلعة فيما مضى ملكاً للصليبيين، لكن ذنوبهم جعلتهم يفقدونها بدناءة كبيرة وبسبب خيانتهم الذاتية، ويحتفظ السلطان الآن دائماً بذخائره في هذه القلعة، وبابنه ووريثه، وإلى هذه القلعة يهرب دوماً حيث يجد الملجأ وقت الحاجة، وعند سفح هذه القلعة توجد قرية اسمها الربض، يسكن فيها أكثر من ستة آلاف مسيحي يتطلعون بشوق إلى إنقاذ الأرض المقدسة.

٤٢ — *حول نهر الأردن*

ويصل الانسان من البحر الميت إلى نهر الأردن الذي هو نهر لايتجاوز عرضه عشر خطوات، ومع أن الأردن نهر صغير، هو عميق جداً وموحل، وهو يفيض أو يتراجع وفقاً للموسم، ففي بعض الأحيان يفيض بمياه الأمطار إلى حد أنه يمكن إبحار سفن محملة عليه، ولهذا النهر قعر موحل جداً، ومياهه عذبة، وفيه سمك رائع، وهو ينبع من حوالي سفر أربعة أيام إلى الشمال من البحر الملعون، وذلك عند سفح جبل لبنان، ويأتي ذلك من جدولين هما«أر» و«دان»، ويمر خلال الجليل، ويأخذ اسمي هذين النهرين، فيصبح اسمه «الأردن»، وهناك عند سفح جبل الكرمل جدول يتدفق من هناك فيصب في«الأر»، وعلى مقربة من البحر الميت، وعلى بعد ميلين قصيرين، وعلى نهر الأردن يوجد المكان الذي جرى تعميد المسيح فيه من قبل يوحنا، ويطلق على هذا المكان اسم مخاضة الأردن، وهنا عبر يوشع مع بني إسرائيل فوق أرض جافة، وهنا أيضاً انقسمت مياه الأردن بناء على أوامر النبي إيليا، وهنا أيضاً انقسمت المياه ثانية عندما ضربها اليشع بعباءة إيليا.

وعلى مقربة من هذا المكان، وليس بعيداً عن ضفة الأردن، جرى بناء دير جميل على شرف يوحنا المعمدان، وهو مسكون من قبل رهبان

إغريـق، الذين أعلنوا أنهم يمتلكون ذراع القديس يوحنا، وقـد نقل هذا الدير، وابتعـد قليـلاً عن ضفـة النهـر، بسبب أن الميـاه تفيض في بعض الأحيـان، ويجتمع مسيحيو البـلاد وجميع الحجاج من البلدان النائيـة مع بعضهم في هذا المكان في يوم عيد الغطاس، ويقرأون هناك من الانجيل باللاتينيـة:«عندمـا ولد يسـوع في بيت لحم» الخ، ويبـاركـون الماء، ويعمـدون الصليب، ويقوم جميع الذين هـم وقتها مـرضى أو فيهم علة مـا، بالقفـز إلى الماء، فيبرأ كلهم من عللهم وأمـراضهم على مشهـد من جميع الناس.

ويوجـد في وادي الأردن كـومة من الغـرلات، حيث مكان الختـان، ومكان البكاء والنحيب، ومـوضع الاثنتي عشر صخرة، التي حملهـا بنو إسرائيل من أرض النهـر، لتكون ذكـرى وشهـادة، وعن هذه الصخـور تحدث يوحنا المعمـدان عندمـا قـال:«إن الله قـادر أن يقيـم من هذه الحجـارة أولاداً لإبراهيم»[متى:٣/ ٩]، ويدعى هذا الوادي باسم وادي عكان، بسبب أنـه جـرى هناك رجـم عكان، لأنه استـولى على ذهب الملك، ومن هذا الوادي جرى أيضاً حمل إيليـا ورفعه إلى السماء في عربة من نار.

وليس أبعـد من ميلين قصيرين من المكان الذي جـرى تعميد يسـوع فيـه، يدخل الأردن البحر الميت، أو البحـر الملعون، ولايرى بعـد ذلك، وهناك سؤال في المشرق: لماذا يتوجب على مثل هذا الماء المبارك، دخول مثل هذا المكان الملعـون؟ ويقـول بعضهم إن لعنة أولهما يمكن أن تزول بمباركة الآخـر، ويقول آخرون: إنه يجري ابتلاعـه بمجرد دخوله، ومن الممكن تصـديق الأمـرين، والذي يبـدو أكثـر احتمالاً بالنسبـة لي هو أنه يجري شربه وابتلاعه من قبل الأرض، لأن ميـاه الأمطار التي تتدفق من جميع التـلال المنتشرة هناك تجعل نهر الأردن عظيماً إلى حـد أنه يكون من غير الممكن لمثل هذه الكميات الضخمة من المياه أن تصب في البحر من

دون أن تجعله يفيض، ويغمر جميع المنطقة من حوله.

وطول نهر الأردن من نبعه حتى نهايته، هو حوالي خمسة وعشرين ميلاً من أميال هذه البلاد، وإلى جانب نهر الأردن هناك كثيراً جداً من الديرة، والقلايات والصوامع مليئة بالنعمة، ويمكن للانسان أن يرى كل أمسية على ضفاف هذا النهر نفسه وأعداداً لاتحصى من الحيوانات الكبيرة والصغيرة تشرب منه، وخاصة الأسود، والثعالب والظباء، والوعول، والأرانب، والخنازير البرية، وما شابه ذلك، وهي تسير بين الناس، وكأنها حيوانات مدجنة، واعتاد في أيامي أن يكون هناك أسد يقف بشكل دائم في مكان محدد، وذلك على الضفة القصوى من الأردن، وكان يتولى مراقبة الناس وهم يعبرون، حيث كان يحرك ذيله مثل كلب، ولايهرب أو يبتعد، ولايؤذي أحداً سواء في النهار أو في الليل، ورغب واحد من رماتنا أن يخيف الأسد وأن يغضبه، فأطلق نشابة نحوه، ولم يتحرك الأسد بل بدا وكأنه يحدق وينظر نحو السهم، لكن عندما رماه الرجل بسهم آخر، زأر الأسد وصاح بالسهم، وكأنه يريد أن يمسكه بفمه ومخالبه، وبعد هذا لم يعد هذا الأسد يرى في هذا المكان، وأخذ يسبب أذى عظيماً لكل من الناس ولحيوانات التحميل.

وبشأن الحيوانات البرية هناك كثير جداً منها في تلك المنطقة إلى حد أن الناس يسوقونهم إلى السوق مثل الأغنام.

وليس بعيداً عن هناك يوجد المكان الذي اسمه تلال الأردن، حيث بنى أبناء رأوبين، وأبناء جاد ونصف سبط منشا مذبحاً كبيراً ليروه، عندما تدخل هذه التلال بين أملاكهم.

٤٣ — حول رامه — شيلوه — عمواس — شيكار — السامرة والجليل.

ومن الأردن يصل الانسان في ثلاثة أيام إلى الجليل، واليهودية،

والسامرة، وبعد رؤيته لعدد كبير من المشاهد، يخلف القدس على اليسار، ويصل إلى مدينة رامة(صموئيل الأول:٢٥/ ١) القائمة فوق جبل إفرايم، ويسكن في هذه المدينة في هذه الأيام القاضي — أي أسقف المسلمين — وقد واجهنا هناك مرة كثيراً من المتاعب حول بعض المسيحيين الذين اعتقلوا هناك من خلال حماقتهم، وذلك قبل أن نطلق سراحهم.

وكان النبي صموئيل قد ولد في هذه المدينة، وفيها دفن، وعلى مقربة من هذه المدينة حدث أن كان النبي حبقوق حاملاً إلى الحصادين غداءهم، عندما أمسكه أحد الملائكة وحمله إلى دانيال الذي كان في عرين الأسود في بابل، وليس بعيداً عن رامة التي كانت فيما مضى جميلة، لكنها الآن مهجورة، توجد مدينة اسمها الرامة، وهي مسقط رأس يوسف الذي دفن المسيح.

وعلى مقربة من هذا المكان، وعلى بعد ثلاثة أميال عنه، قامت فيما مضى مدينة شهيرة، هي الآن قرية صغيرة، اسمها شيلوه، وفيها توقف تابوت العهد، واجتمع العبرانيون مع بعضهم هناك للصلاة.

وليس بعيداً عن شيلوه توجد عمواس، التي كانت فيما مضى مدينة جميلة، لكنها الآن مهجورة، وفيها ظهر المسيح إلى حوارييه بعد قيامته، واسم هذه المدينة الآن نيكوبولس(كذا — خطأ)، وعلى مقربة من نيكوبولس، على جهة اليمين، كانت تقوم فيما مضى مدن مشهورة جداً، غير أنها الآن مهجورة، نذكر منها:جبعون، وعجلون، وذلك حيث قاتل يشوع ضد خمسة ملوك، وبناء على طلبه أطالت الشمس بقاءها ولم تغب، حتى هزم أعداء بني إسرائيل.

فضلاً عن هذا، قام — ليس بعيداً عن شيلوه، في منطقة السامرة — فيما مضى مدينة جميلة في وادي، وكان اسم هذه المدينة شيكار، ولكن

اسمها الآن نابلس، وهي في هذه الأيام كلها مهجورة، وهناك جرى اغتصاب دينة ابنة يعقوب، وقد انتقم لها أولاده.

وعلى مقربة من هذا الطريق قام فيما مضى كنيسة صغيرة جميلة، هي الآن مهدمة إلى حد كبير، يوجد فيها جب يعقوب، وإلى جواره عندما كان المسيح جالساً منهكاً بسبب سفره في هيئة ضعفنا البشري، وقتها سأل امرأة سامرية اعطاءه الماء ليجدد نشاطه، وقال لها حسبما جاء في الكتابات المقدسة:«لقد امتلكت خمسة أزواج».

وعلى مقربة من هذا الجب، قام يربعام، ملك إسرائيل، بصنع عجل ذهبي، قام بنو إسرائيل بعبادته، وأيضاً في حقل قريب من هذا المكان قتل داوود جالوت، هذا وهناك أماكن أخرى كثيرة مشهورة من الممكن مشاهدتها على طول هذا الطريق، سيقتضي الحال وقتاً طويلاً للحديث عنها.

وإذا ماغادر الانسان نابلس، يصل إلى السامرة، التي كانت فيما مضى عاصمة البلاد كلها، ولهذا السبب تعرف البلاد كلها باسم السامرة، وقد كانت هذه فيما مضى مدينة فائقة الجمال، ومشهورة، وملكية، ومدينة عظيمة جداً، وذلك حسبما تدلك خرائبها على ذلك، وهي في وضعها تشبه من جميع الجوانب مدينة القدس، وقد سكن ملوك إسرائيل فيما مضى في هذه المدينة، وفي هذه المدينة أيضاً جرى دفن القديس يوحنا المعمدان بين النبيين إيليا وعوبيديا.

وعرفت هذه المدينة بالقديم باسم السامرة، وبعد ذلك باسم سبسطية، واسمها الآن إيبلين(يبنى)، ومنها تعرف حتى الآن القبيلة المسيحية الرئيسية في تلك البلاد باسم«الايبلينية»(كذا)، وكان هؤلاء في البداية فرسان فرنسيين، ولدى استرداد الأرض المقدسة وقعت هذه المدينة في حصتهم.

وبعدمـا يكون الانسان قـد فرغ من رؤية المشـاهد المتقدمـة الذكر في السامرة، يمضي إلى سهول الجليل، مخلفاً الجبـال خلفه، والجليل مقاطعة من مقاطعات الأرض المقدسة، وهي مقاطعة جليلة، فيها سهول غنية، وروابي، ومـراعي، وأعشـاب، وأشياء أخـرى جيـدة، مع وديان مثمـرة جداًوجميلة، ويقوم فوق سهولها، وعلى سفوح روابيها المدن التالية: نين، وكفـرناحـوم، وبيت صيـدا، وقـانـا الجليل، لكن هذه المدن جميعـاً الآن مهجورة، أو شبه مهجورة، ولايعطين انطباع أنهن كن قط لهن أي شأن، والأشيـاء التي صنعهـا الرب فيهن عندمـا كـان بالجسـد مثلنا، قـد ورد ذكرها بتوسع في الانجيل، وبناء عليه لست مهتماً بتكرار ذلك.

وعلى مقربة من نين توجـد عين دور، التي عند سفحها يجري جدول قيسـون، ولقـد تمجـدت أرض الجليل هذه وأشرقت بمعجـزات المسيح الكثيرة فيهـا، وعند حـدود الجليل تقوم جبـال جلبـوع، التي هي تلال منخفضـة، مليئة بكثـافة بالأعشـاب الخضراء، والمزروعـات، والمراعي، وعلى هذه التـلال سقط شـاؤول، ويوناثان، وبنو إسرائيل، وعنهم قـال داوود:«يا جبـــال جلبـــوع لايكن طل ولامطـر عليكن»[صمـــوئيل الثـاني:١/ ٢١]، ويقـــول بعضهم أنه لايسقط عليهـم لاندى ولا مطر، وهذا أمـر غير صحيح، لأن الانسان يمكنه أن يرى أنه قـد قام فـوقهم عدد كبير جداً من الديرة الجميلة، وكان ذلك فيما مضى، وتظهر الرسوم أنهم كانوا ملكاً لطائفة السسترشيان، ولطائفة القديس بندكت.

وفي أحـواز جبال جلبـوع تقوم مـدينة بيت أوليا، التي سكنت فيهـا يودث، التي قطعت رأس هولوفـرنس بصعـوبة، غير أن المدينة مهـدمـة الآن.

وبعدما يرى الانسان كل واحد من هذه الأشياء، يغادر سهل الجليل، ويأتي إلى الناصرة، التي كانت فيما مضى مـدينة شهيرة، وهي جميلة جداً حتى هذه الأيام، قـائمـــة في وادي مـزهر وجميل، وهـي محاطة من كل

جانب بالجبال، وهي ليست مسورة، لكن بيوتها قائمة بشكل أحدها بعيد عن الآخر، ومع ذلك هي مليئة بالسكان، وتلطف الرب في هذه المدينة بالاعلان من خلال جبريل إلى العذراء المباركة مريم بأنه قد صار رجلاً.

وقد بني في هذه المدينة كنيسة عظيمة جداً وجميلة، ويوجد في داخلها، وعلى مقربة من السدة هناك بيعة جميلة، قائمة فوق البقعة التي أعلن الرب فيها بأنه قد صار إنساناً من أجلنا، ويوجد في هذه البيعة عمود صغير، وقف في مقابيله جبرائيل عندما أعلن عن المسيح، ومازال صورته مطبوعة على العمود، مثل صورة ختم على الشمع، وهي موجودة حتى هذا اليوم.

ويوجد خلف الكنيسة نبع ماء، منه اعتادت مريم المباركة دوماً على نضح الماء، وعلى مقربة منه غالباً ما تحدث إليها الملائكة وواسوها، وفي أيامي حاول المسلمون كثيراً سدّ هذا النبع مراغمة للمسيحيين والحجاج، لكنهم لم يستطيعوا مطلقاً إيقاف الماء ومنعه من التدفق، ودنس المسلمون أيضاً هذه الكنيسة المقدسة والمجيدة بطرق متنوعة، ذلك أنهم يسلخون الحيوانات الميتة فيها من أمثال:الحمير، والجمال، والكلاب، والثيران، ويرمون ما في أجوافها في داخلها، ولهذا سيتعذر على الانسان زيارة هذه الأماكن العالية القداسة بسبب الروائح النتنة.

ويسكن هناك في الناصرة أكثر المسلمين شروراً، وسوءاً، وأعيان يعرفون باسم دهيس Dehes ، حيث نادراً مايعبأون بالسلطان، لكن حتى يدخل الانسان إلى المدينة يحتاج إلى جواز منهم وأمان، وذلك قبل كل شيء.

وعلى مسافة ميل من الناصرة، هناك صخرة فوق جبل، يطلق عليها اسم«قفزة الرب»، وهي حيث مرّ يسوع من بين وسط اليهود، ومضى

في طريقه، وكان ذلك عندما أرادوا رميه من أعلاها، وذلك حسبما تحدثنا الكتابات المقدسة، وماتزال صورة يسوع مطبوعة حتى هذا اليوم على الصخرة التي عبرها، ومن الممكن مشاهدة ذلك، وكأنها قد طبعت فوق شمع طري.

وإذا ما سافر الانسان من هذا المكان، يصل في منتصف النهار إلى جبل الطور، الذي هو جبل منفرد قائم بنفسه فوق سهل، وهو عالي جداً، لكنه ليس واسعاً، وهو من جميع الجوانب يشبه هضبة اسمها ديزنبيرغ Dezenberg ، في أسقفية بادربورن.

وفوق قمة هذا الجبل تغيرت هيئة يسوع المسيح، وأشع وجهه مثل الشمس، وكان ذلك بحضور: بطرس، ويوحنا، وجيمس، وهنا ظهر كل من موسى وإلياس، وهما يتحدثان إليه، وقد بني فيما مضى فوق البقعة التي تغيرت هيئته عليها دير جليل وملكي، تابع لطائفة القديس بندكت، وكان راعيه يستخدم على مراسيمه ختماً على الرصاص مثل البابا، ولقد رأيت كثيراً من هذه الأختام على مراسيم، وعليك أن تعرف أن عيد تغيير الرب لهيئته محافظ عليه بوقار في بلاد ماوراء البحار، وهو يحل في يوم عيد القديسين فيلكس وآغابيتوس Agapetus[٦ — آب]،ووقتها يحتفل به بنبيذ جديد، وفي ذلك اليوم يلتقي جميع النبلاء وسكان المدينة مع بعضهم في الكنيسة، ويضعون أعلاماً على كنائسهم ويسهرون ويبتهجون طوال الليل، والذي تجري قراءته في القداس هو: Dies sanctificatus الخ، و Domnus dixit ad me filius illuxit ، الخ ومن الانجيل: Assumyist Jesus Petram et johannem, الخ، وقد قام المسلمون باحتلال قمة هذا الجبل مع الدير، لأنه كان فيما مضى محاطاً بشكل جيد بأسوار وأبراج، وكل شيء فوق القمة الآن مدمر ومهجور، لكن الأسوار والأبراج باقية في معظم الأجزاء، ويقرأ الانسان حول هذا الجبل أشياء أخرى كثيرة، تحدثت

عنها الكتابات المقدسة وأتت على ذكرها.

ويوجد عند سفح جبل الطور قلعة حصينة جداً وعظيمة اسمها قلعة تل الصافية، وهي قد بنيت من قبل الصليبيين، للدفاع عن الطريق الذي يقود إلى الجبل، لأن الجبل ظل دوماً مملوكاً من قبل المسلمين، ويوجد في هذه المناطق قبيلة كبيرة وجليلة من المسيحيين، اسمها عشيرة تل الصافية، لأن هذه القلعة كانت قلعتهم، إنما أين ولد آباؤهم قبل الاستيلاء على الأرض المقدسة، ما من أحد يعرف، وغالباً ما سئلت من قبلهم فيما إذا كان في بلادي أي قوم يقولون إن لهم أقرباء في هذه المناطق، أو يحملون رنوكهم فوق ترستهم.

ويذهب الانسان من جبل الطور إلى جبل حرمون، الذي هو جبل جميل وممتع، ويصل إلى سهول واسعة من سهول الجليل، وذلك حيث سقط سيسرا مع جيشه، ثم يصل الانسان إلى شواطىء بحر الجليل، ومدينة سينارت، التي حملت فيما بعد اسم طبرية، واسها الآن طيبريا، وهي قائمة على شاطىء البحر، وهي مكان بائس، ولم يكن قط أكثر بؤساً، لكن فيما مضى كان لها أسقفاً، لأن صاحبها امتلك الجزء الأعظم من بحر الجليل، وعلى مقربة من هذه المدينة هناك حمامات طبيعية حارة، مثل حمامات آخر في هذه البلاد، ويبدو أنه كان يقوم على شواطىء بحر الجليل كثير من المدن الأخرى والقرى، مع أنه لايوجد عن أي منها روايات كثيرة، وفيها سكن حواريو المسيح، وآخرون من الناس الفقراء وصيادو الأسماك، وهم مابرحوا يسكنون هناك.

وطول محيط بحر الجليل أو بحيرة طبرية عشرين ميلاً من أميال هذه البلاد، وفيها مياه عذبة كثيرة، وأسماك كثيرة، ومياهها فائقة العذوبة، ويصب نهر«الأر» في هذا البحر من جانب،ونهر«دان» من الجانب الآخر، ومن الممكن رؤيتهما وهما يعبران خلال البحر، ويخرجان منه على شكل نهر واحد، عندها يطلق عليه اسم الأردن، وفوق هذا البحر

وبجواره صنع الرب — وهو على هيئة إنسـان — كثيراً من المعجزات، فمن هذا البحر دعا يسوع بطرس وأندرو، وجعلهما حواريين له، وفوق مياه هذا البحـر مشى المسيح حافي القـدمين، وأمسك ببطرس عندما بدأ يغـرق، وعلى ظهـر هذا البحـر نام يسـوع في السفينـة، وأوقف الريح وسكّنه عندمـا ثارت العاصفـة، وأبحـر يسوع فـوق هذا البحر مـراراً عندما كان في هيئة ضعفنا البشري، ومجّده بكثير من المعجزات.

وإلى جانب هذا البحـر ظهر يسوع لحوارييه بعد قيـامته، وأكل سمكاً مشوياً، وقرصاً من عسل النحل، وفي هذا المكان قامت فيما مضى كنيسة جميلة، هي الآن مهدمة، وإلى جـانب هذا البحر هناك جبل، أطعم الرب عند سفحه خمسة آلاف إنسـان، بخمسة أرغفة وسمكتين، وذلك حسبما تحدث الانجيل عن ذلك.

ويوجد على قمة هذا الجبل، في الجهة الشماليـة، قلعة مرتفعة وحصينة جداً، وهي تعرف مع قريتهـا باسم صفد، وفيها في أيامي يسكن يهودي من وستفاليـا مع زوجته، وليس بعيداً عن هذه القلعـة قامت فيما مضى مدينة جميلة اسمهـا دان، غير أنها الآن شبه مهجـورة، وهذه هي النهاية الأخرى لأرض الميعاد، لأن أرض الميعاد تمتد من دان إلى بير السبع، أي من الشمال إلى الجنوب، وطولها حـوالي خمسة وعشرين ميـلاً، وعرضهـا من أريحا إلى يافـا، وذلك من الشرق إلى الغـرب، ومقـدار ذلك حـوالي أحد عشر ميلاً بأميال هذه البلاد، وذلك حسبما سمعت من بعض رسل السلطان، ومن قـوم مـوثوقين جـداً من أهل البـلاد، هم أيضـاً قـامـوا بوصف البلاد.

وليس بعيـداً عـن دان، باتجاه الشمال، توجـد المدينة التـي كـانت فيما مضى جميلة، أي مدينـة بانياس، التي اسمها الآن قيسـارية فيليب، وهي قـائمــة بشكل بهي عند سفح جبل لبنان، لكن سكانها عــددهم قليل، وعلى مقربة منها حدث أن سأل يسوع حوارييه:«من يقول الناس إني أنا

ابن الانسان»[متى:١٦/ ١٣]، فهذا ماذكره الانجيل.

وعلى مقـربة من هذه المدينة هناك نبع قـريب مـن الجبل، هو الذي يفصل فينيقيـا عن آدوم، ويعـرف هذا النبـع بشكل عـام باسم السبت، لأنه يتدفق في يوم السبت، وبعـد مشاهدتك لجميع هذه المشـاهد، تقوم بعبور الأردن عند المكـان الذي يغادر فيه الجليـل أولاً، وفي بلاد ماوراء الأردن تلقى سبطان ونصـف سبط ميراثهما، وهنا أيضـاً يفصل الأردن الجليل عن أدوم، ويتابع الانسان سفره فيرى كثيراً من القرى وأماكن لم يرد ذكرها في الكتـابات المقدسـة، ويصل — إذا ما اختـار — إلى قرية دفن فيهـا أيوب، وحـدث على مقربة من هذه القـرية، أن وقع القـديس بولص مصعوقاً وتحول (إلى المسيحية) وهي قائمة على بعد سفر يوم من دمشق.

٤٤ — *مدينة دمشق*

وإذا ما سافـر الانسان من هذه القرية، فإنه يصل إلى دمشق، ودمشق مدينة فائقة القدم،أسسها دمشق، خادم إبراهيم، وهي قائمة فوق المكان الذي قتل فيه قابيل أخاه هابيل، وهي مدينة فائقة الجلالة، ومجيدة جداً، وعظيمـة الجمال، وغنيـة بجميع أنواع البضـائع، وهي بهيجـة في كل مكان، غير أن حلاوتها مصطنعـة أكثر منها طبيعية، وفيهـا وفرة عظيمة من الأطعمـة، والتـوابل، والأحجـار الكـريمـة، والحرير، واللآلىء، والأقمشة المذهبة، والعطور من الهند، ومن بلاد التتار، ومن مصر، ومن سورية، ومن أمـاكن من جانبنا من البحر المتوسط، وفيهـا جميع الأشياء الثمينة التي يشتهيهـا قلب الانسـان أو يتصـورها، وهي محاطة ببسـاتين وحـدائق، تجري سقـايتهـا بالماء من الداخل ومن الخارج، وبـوسـاطة الأنهار، والجداول، والينابيع، وقـد نظمت ببراعة، من أجل تأمين رفـاه الانسان، وهي مكتظة السكان، وذلك فوق حد التصور، وهي مسكونة بمختلف الصناع والتجـار، ومن الأكثـر براعـة من الحرفيين وأعظمهم

جلالة، وفيها صناع وتجار هم الأكثر نبلاً، وهي مزينة من الداخل، بحمامات عددها فوق حد التصور، وبطيور تغني طوال السنة، وبجميع أنواع المسرات، ووسائل الراحة، وألوان التسلية.

وكل حرفة وتجارة مقيمة بشكل مستقل في شارع خاص، ويقوم كل حرفي — تبعاً لحرفته ولبراعته — بتقديم عرض رائع لأعماله أمام واجهة بيته، ويظهر براعته، وأفضل ما يمكن أن يعمله في ميدان حرفته، ويحاول التفوق على جيرانه إذا كان ذلك ممكناً، ولهذا يزين بيته ويجمله ويجعله فخماً أكثر من التصور، ومما يمكنني إخباركم.

ويعمل التجار مثلهم بتجاراتهم، أما الحرفيون فيعملون هناك بشكل رائع، وببراعة فائقة جداً، غير أنهم يبيعون كل شيء بأثمان عالية جداً، ويمتلك الأغنياء من سكان المدينة جميع أنواع الطيور التي تغني، وأقفاص طيور يعلقونها أمام بيوتهم فيها من الطيور أمثال: العندليب، والسلوى، والقنبرة، والدراج، وما شابه ذلك، فكلهم يغنون بشكل رائع، ومتساوي تماماً طوال السنة كلها، وهم أفضل في أيام الشتاء، منهم في أيام حرارة الصيف، ويمكنك أن تسمع جميع الأنواع الأخرى من الطيور من أمثال: الغربان، والهدهد، والطيور السوداء، وما شابه ذلك، ممن يمكن تعليمهم محاكاة كلام الانسان، وبذلك تجدهم يتكلمون مثل البشر بمختلف الألسنة.

ومع أن المدينة مكتظة بالسكان كثيراً، وكذلك مع أن البضائع تترك تقريباً بلا حراسة، فإنه لايوجد إنسان متقدم السن كثيراً يتذكر أن أي إنسان قد قتل هناك، ونادراً جداً أن جرت سرقة أية بضائع معروضة للبيع هناك، هذا ولكل بضاعة ولكل نوع من الأشياء سوق خاص به لبيعه.

وفي السوق الذي تباع فيه الأطعمة، من الممكن هناك رؤية أعظم

حشد من الناس يمكن رؤيتـه، اجتمع في مكان واحد، ويكون ذلك كل يوم، حيث تتوفر جميع أنواع الأطعمة التي يمكنك أن تتصور وجودها، وكثير منها قـدجرى طبخـه بشكل فاخـر، وهم يعتنون عناية كبيرة بهذه الأشياء، ويبيعون كل شيء بالوزن والميزان، كما وتباع هناك أنواع عديدة من الخبز.

ويوجـد في دمشق قلعـة حصينة جـداً، هي بحـوذة السلطان، وفيهـا يسكن ملك دمشق، وفي سنة ألف وثلاثمائـة وإحدى وأربعين لتجسيـد ربنا، حـدثت في عشيـة يوم عيد القـديس جـرجس مـذبحـة وملاحقـة وتعذيب للمسيحيين من قبل ملك دمشق والرعـاع فيها، مثلما حدث في زمن متأخـر مذبحـة لليهود في هذه البـلاد[بلاد المؤلف]، غير أن أعمال التعذيب لم تستمـر بفضل الرب لمدة تزيد على الشهر، وكله جـرى قمعه والانتقام له من قبل السلطان، كما ستسمع بشكل جيد فيما بعد.

ويوجد في دمشق أعداد كبيرة جداً من الكنائس لكل من الكاثوليك والهراطقـــة، كما هناك أديـرة مليئة بالنعمـــة، ومن هذه الكنـائس أخـــذ المسلمون واحدة من الكنائس الجميلة، واتخذوها كنيسة لأنفسهم، وهي التي يرقد فيها جسـد ذلك الحكيم العالم، والمرجع الموثوق الهام، وأعني به القـديس يوحنا الدمشقي، ويوجـد على واجهـة هذه الكنيسة صـورة جلالة الرب مرسومة بشكل فخم.

فضلاً عن هذا، أمكن بشكل فني جعل نهر فرفر يجري خلال دمشق، حيث يدير ببراعة وإبداع كثيراً من الطواحين، ويوجـد من حول دمشق حدائق وبسـاتين لانهاية لها، فيها تنمـو النباتات والأعشاب، والفـواكه، والورود، والزهور، على مـــدار السنة، وهي سـاحـــرة بسبب غناء جميع أنواع الحمائم والطيـور، التي تغرد في أيام الشتـاء، أكثر مما تغـرد في أيام حرارة الصيف.

وتحيط هذه البساتين والحدائق بالمدينة إلى مسافة تقارب الميلين، وجميع البلاد حتى إلى مناطق نائية فيها وفرة عظيمة من الفواكه الطازجة، طوال أيام السنة، وبناء عليه يرددون في الشرق ويقولون بإجماع:«دمشق هي رأس سورية»، والاغريق صدوراً بشكل دائم عن حبهم لها واحترامهم يطلقون دوماً على أكبر أبنائهم اسم بولي داماس Polydamas ، أي مدينة دمشق، وسيقتضي الحال وقتاً طويلاً للحديث عن عجائب دمشق الأخرى، وعن جمالها.

والمسافة من دمشق إلى الجبل الذي أراه الرب إلى إبراهيم، أقل من مسافة نصف يوم وهو الجبل الذي توجب أن يضحي عليه بابنه اسحق، واسم هذا الجبل، جبل سعير أو جبل ساردينى Sardenay (صيدنايا)،ويعبر الانسان أولاً نهري دمشق: أبانا وفرفر، فيجد على جبل سعير الوعر هذا، أو ساردينى[صيدنايا] ديراً جميلاً، وهو محاط من كل جانب بأسوار فائقة القوة، مثله في ذلك مثل قلعة، وهو مسكون من قبل رهبان إغريق(أرثوذكس) وراهبات، وفي هذا الدير، وفوق البقعة التي كان إبراهيم سيضحي فيها بابنه اسحق، تقوم كنيسة جميلة، يوجد في داخلها، خلف المذبح، في قوس نصف دائري، في الجدار، تمثال لمريم المباركة، وهي ترضع ابنها، وهو مدهون مرسوم من عند الوسط نحو الأعلى فوق منضدة خشبية، ومسيجة بحواجز حديدية، غير أن هذه الصورة صارت سوداء داكنة بسبب الزمن والتقبيل، لذلك بات من الصعب تمييز الانسان للصورة، إلاّ قليلاً من اللون الأحمر يمكن رؤيته على الملابس، ومع ذلك عمل الرب من خلال هذه الصورة كثيراً من المباركات والعجائب وأعمال النعمة.

وقد قرأنا أنه في الأيام التي كان الصليبيون يحتلون فيها الأرض المقدسة ويمتلكونها، رغبت امرأة أرملة، واختارت أن تخدم الرب، بأن تتخذ صومعة على هذا الجبل، ورغبت في أن لايعلم إنسان بذلك، حتى

لايعاق تكريسها لنفسها وعبادتها بأي عمل دنيوي، وعلى كل حال اتخذت لنفسها عقيلة بشكل سري، كانت تزورها من وقت إلى وقت، وتجلب لها الأشياء الضرورية، وتقوم بخدمتها وصنع القداسات لها، وحدث مرة أن هذه العقيلة التي وثقت بها، كانت على نية القيام بزيارة القدس والأماكن المقدسة الأخرى، فرجتها الأرملة الناسكة بتواضع وتقوى أن تجلب لها صورة لمريم المباركة مرسومة على رقيم، لأنها من صميم قلبها متشوقة لامتلاك مثل هذه الصورة، ووعدتها العقيلة بأن تفعل ذلك، وودعت الأرملة الناسكة، وذهبت إلى مدينة القدس المقدسة، وبعدما زارت الأماكن المقدسة حصلت على لوحة عليها صورة القديسة مريم، وارتحلت عائدة تريد جبل سعير هذا، أو «صيدنايا»، وعندما كانت على مقربة من نهر الأردن هاجمها أسد مخيف، ولم يكن بإمكانها الفرار، بل دافعت عن نفسها بيديها ضد وثبة الأسد عليها، حيث رفعت لوح الصورة وكأنه ترس، وما أن لمس الأسد اللوح حتى تمزق إلى أشلاء، وتابعت العقيلة رحلتها من دون انقطاع، ووصلت إلى الجبل، غير أنها أخفت ما حدث لها، ونزل بها عن الأرملة الناسكة، وقد حدثتها عن أشياء كثيرة حول الأماكن المقدسة، وبعدما أخبرتها بكل شيء سألت الأرملة العقيلة عما إذا كانت جلبت اللوحة التي قد رسم عليها الصورة المطلوبة، وأجابتها العقيلة التي اعتقدت أن اللوحة سوف تمتلك دوماً الفضائل نفسها التي امتلكتها من قبل، وقالت لها بأنها لم تجلبها بل نسيتها، ولدى سماع الأرملة بذلك حزنت كثيراً، وتأسفت، وتحسرت بعمق، حتى أنها لم تستطع منع نفسها من الانفجار بالبكاء، وعندما أصرت العقيلة على موقفها، انغلقت جميع أبواب الصومعة والبيعة، وحبستها بشدة في داخلها، ولدى رؤيتها بأن هذا قد تمّ بإرادة الرب، قامت هذه العقيلة على الفور بالاعتراف إلى الأرملة، حيث أخبرتها بأنها حصلت على اللوحة، وأخبرتها بتفاصيل ما حدث لها أثناء رحلتها فيما يتعلق بالأسد وبأمور أخرى، وعندما

سمعت الأرملة بهذا قدمت الشكر مراراً إلى الرب وتسلمت اللوحة ببهجة، واحترام، وتقوى، ووضعتها في مكان هو الذي تقوم الآن فيه، وبدموع وصلوات قدمت التشريف للمسيح من أجل الصورة، وبعد أمد شرعت هذه الصورة ترشح بشكل واضح بزيت له رائحة طيبة، ويجري الزيت ليصب في حفرة عملت أمام الصورة، ومابرح هذا الزيت يجري حتى هذا اليوم، غير أنه بسبب أعداد الحجاج، يقوم الرهبان في هذه الكنيسة بمزج هذا الزيت بزيت آخر، ويعطونه إلى الحجاج، لكن ما من شك بأن الصورة ترشح بزيت طيب الرائحة، ويتغير هذا الزيت خلال سنة إلى حليب، ثم يتغير الحليب فيها بعد إلى دم، وهو ما رأيته مراراً بعيني، فلقد رأيت في أوقات متنوعة هذا الزيت وقد تغير على هذه الصورة، ومراراً كثيراً امتلكت بعض الزيت الذي تغير هكذا بشكل إعجازي، ولهذا الزيت فضائل عظيمة ضد العواصف في البحر، وذلك عندما يجري تعليقه داخل زجاجة في مؤخرة السفينة، فوقتها تهدأ أشد العواصف وأعنفها على الفور، وهذا ما رأيته مراراً بوضوح.

ومن جهات عدة من الواضح أن لدى الرب محبة خاصة لهذا المكان، أو الجبل، بدليل أنه أظهر لابراهيم أن بإمكانه التضحية بابنه فوقه، لأنه عمل عدداً كبيراً من المعجزات تشريفاً لأمه مريم، التي رسمت صورتها هناك، ولأنه على الرغم من كثير من الاضطرابات والغزوات التي شهدتها البلاد وحدثت فيها، فهذه البلاد قد فقدت بشكل غريب وربحت من قبل شعوب مختلفة، ومع هذا فإن رهبان وراهبات هذا المكان بقيوا دوماً من دون أذى.

ولقد قرأنا — والمسألة ماتزال حاضرة في ذاكرة الناس — أنه بعدما استولى هولاكو على بغداد، الأمر الذي أتيت على ذكره — قام بنهب مصر، وجميع سورية، والمنطقة بأسرها، فخاف رهبان وراهبات هذا

المكان، وفكروا بمغادرته، وهنا ظهر الرب لهم وكذلك العذراء المباركة، بشكل مرئي، وواسوهم، ولذلك لم يبق لديهم خوف مطلقاً، ولم يغادروا المكان، ولأنهم رغبوا بالبقاء على مقربة من الرب والعذراء، اللذان شجعانهم بشكل مرئي، لم يتعرضوا بعد ذلك لأي أذى، أو ضرر من إنسان أو حيوان، أو وحش، بل كانوا في أيامي بنعمة خاصة وحظوة مع السلطان، الذي صنع لهم كثيراً من الأعمال المفيدة، وحماهم من كل جانب مثل أب.

وعند سفح جبل سعير، هناك قرية عظيمة جداً وجميلة، يسكن فيها إغريق(أرثوذكس) وسريان، وهي مليئة بالخمرة الجيدة وبكثير من الأشياء الأخرى الجيدة، وهناك متوفر في كل من الصيف والشتاء، سنة بعد سنة، عناقيد عنب طازج موجودة فوق الدوالي، وهي في الحقيقة محروسة بشكل خاص، ومعزولة لهذا الغرض، وقد صنع الرب فوق هذا الجبل كثيراً من العجائب الأخرى والمعجزات، وهذا كله صادر عن رعاية خاصة به وعاطفة نحوه، وذلك بفضائل تلك الصورة، التي تحتاج إلى وقت طويل للحديث عنها.

٤٥ — حول وادي البقاع — ولبنان — وبيروت

ولدى متابعة الانسان السفر من جبل سعير، يمكنه أن يرى أشياء كثيرة لاتحتاج إلى الذكر على الطريق، وإذا ما خلف الانسان مدينتي الرامة وطرابلس على جهة اليمين يصل إلى وادي اسمه البقاع، الذي مايزال حتى هذا اليوم يطلق عليه اسم سهل نوح، لأن نوحاً قد سكن هناك بعد الطوفان، وهذا السهل فائق الخصوبة والغنى، ومليء بشكل عظيم بالمروج، والمراعي، والأشجار والينابيع، والقطعان، والأسماك، والقمح، وهو محصور بين الجبال، ومسكون من قبل فلاحين مسلمين.

وبعدما تكون قد فرغت من رؤية هذا كله، تصل إلى جبل لبنان،

الذي كنت قد أتيت على ذكره أيضـاً، ثم تصل إلى الجبل الأسود، الذي يمتـد بعيداً حتى أنطاكيـة، والذي عليه تنمـو الأشجار التي منهـا يجري تصنيع القسي الزيارة، وتحمل هذه الأخشـاب من هذه الجبال إلى بلدان نائية ومناطق بعيدة.

ويسكن عند سفـح هذا الجبل حشـد كبير من المسيحيين المتمسكين بالعقيـدة اللاتينية، والمرتبطين بكنيسة رومـا، وقد رأيت عـدداً كبيراً من أسـاقفتهم الذين جرى رسمهم من قبل رؤسـاء أساقفـة لاتين، والذين هم بغايـة الشوق الدائم، والحنين المستمـر لقدوم الصليبيين، ولاسترداد الأرض المقدسة.

وبعد رؤية جميع هذه الأمـاكن، وقرى جميلة، وأمـاكن، ومزارع يصل الانسان إلى مدينة قـائمة على شاطىء البحر اسمهـا بيروت، وهي مدينة كنت قـد أتيـت على ذكـرها، وهذه المدينة ميناء عـام للحجـاج، وعلى مقربة منهـا قتل الشهيد القديس جرجس التنين، وحـول المدينة والمنطقة كلها إلى الايمان المسيحي.

ومن بيروت يستطيع الانسـان أن يعـود إلى أي بلد من البلدان، يود الذهاب إليـه على هذا الطرف من البحـر المتـوسـط، وهذه مسألة أدع إقرارها إلى اختياره الخاص.

وهذه هي طرق السفـريـات والرحـلات في الأرض المقـدسـة، وهي طرق موثوقـة، مع أنها لاتتماشى مع طرق الحجاج العـامة، وعبرها ومن خلالها رأيت كما أريد، جميع الأماكن المقدسـة المتقدمة الذكر، والصوامع وذلك بالوضـع والشكل الذي ظهـروا فيـه في السنوات المذكـورة من تجسيد ربنا.

والذي أعرفه أن ما من إنسان حي يمكنه أن يطعن بروايتي بأي حال من الأحوال، لأنني أنا الشاهد على كـل ما رأيت، أو سمعت من رجال

صادقين، وهذه الرواية صادقة تماماً، كتبتها صدوراً عن التقوى والاحترام اللذان أنا مدان بهما إلى الأب الجدير بالاحترام، والمولى في المسيح، السيد بلدوين، أسقف كنيسة بادربورن، وباسم الرب كنت قد بدأت، وباسمه أختم الشي نفسه، وله الحمد والمجد إلى الأبد، والأبد، آمين.

المحتوى